

مجلة آداب المستنصرية

مجلة آداب المستنصرية

أ.د. علي حسين الجابري

الطبعة الأولى: ٢٠١٦ م

القياس: ٢٤×١٧

عدد الصفحات:

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٥٣٦ لسنة ٢٠١٥

العراق - بغداد - شارع المتنبي - بناية المكتبة البغدادية

هاتف: ٠٧٩٠١٧٨٥٣٨٦ - ٠٧٧٠٧٨٧٢٤٣٦

٠٧٧٠٧٩٠٠٦٥٥

yaserbook@yahoo.com

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق
All rights reserved. is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval, without written permission from the rights holders

هام: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي

كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

مجلة آداب المستنصرية

العدد؟؟؟

نبذة مختصرة عن المجلة

تأسست مجلة آداب المستنصرية عام 1976 وكانت في بداية إصدارها تمثل الإصدار الوحيد للجامعة المستنصرية، إذ كانت تسمى حينذاك بـ(مجلة الجامعة المستنصرية)، وتعدّ مجلة آداب المستنصرية من المجلات العلمية التي تعنى بالبحوث الإنسانية وهي من المجلات المحكمة المعترف بها في الترقيات العلمية وتعزيد البحوث، تصدر المجلة بحوثها باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية، وتتم طريقة تقييم البحوث عن طريق إرسالها إلى ثلاثة مقوميين من ذوي الألقاب العلمية.

ISSN: 10860258

هيئة التحرير

- 1 - رئيس التحرير: أ.د. لطيفة عبد الرسول / المستنصرية / كلية الآداب / اللغة العربية.
- 2 - مدير التحرير: أ.م.د. مؤيد ال صوينت / المستنصرية / كلية الآداب / اللغة العربية.
- 3 - سكرتير التحرير: لقاء حامد حسن / المستنصرية / الآداب / مجلة الآداب.
- 4 - مقوم لغوي: منار صاحب / المستنصرية / الآداب / مجلة الآداب.
- 5 - الموقع الالكتروني: عبد الامير ماضي.

الهيئة الاستشارية

- 1 - أ.د. رياض خليل / جامعة بغداد / كلية اللغات / قسم اللغة الانكليزية
- 2 - أ.د. لاهاي عبد الحسين / جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الاجتماع
- 3 - أ.د. صبري فالح الحمدي / الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم التاريخ
- 4 - أ.د. عبد السلام المسدي / جامعة منوبة / تونس / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
- 5 - أ.د. مرتضى جواد باقر - الجامعة الهاشمية - الاردن - كلية الآداب - قسم اللغة الانكليزية

- 6 - أ.د علي جبار الشمري - جلمعة بغداد - كلية الاعلام - قسم الصحافة
- 7 - أ.د عبد العزيز حيدر - جامعة القادسية - كلية التربية - قسم علم النفس
- 8 - أ.د لؤي حمزة - جامعة البصرة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية
- 9 - أ.د لطيف الزالملي - جامعة القادسية - كلية التربية - قسم اللغة العربية
- 10 - أ.د محمد عودة عليوي - جامعة البصرة - كلية الآداب - قسم المعلومات والمكتبات

شروط النشر

في مجلة آداب المستنصرية

- 1 - يقدم البحث (أو الدراسة) على شكل اربعة نسخ منفردة وعلى ورق أبيض قياس (A4) مع ترك مسافات مناسبة ما بين الأسطر وعلى بعد (3سم) من جميع الجهات ويكون حجم الخط المستخدم (14 simplified Arabic)، على أن لا تتجاوز عدد صفحات البحث (أو الدراسة) (25) صفحة وفي حال زاد عن ذلك يتحمل الباحث أجور نشر مضاعفة.
- 2 - البحث يكون في ملفين وبصيغة (pdf) مع صيغة (Word)، وعلى قرص (CD) واحد وبصورة مرتبة ومتناسقة حصراً مع الترقيم لكافة الصفحات. ويذكر في الصفحة الاولى من البحث وهي الواجهة: عنوان البحث وكلمات مفتاحية وهي كلمات مختصرة تشير الى ماتناوله الباحث في بحثه ولا تتجاوز 3 الى 4 كلمات واسم الباحث مع لقبه العلمي والقسم والكلية بالاضافة الى البريد الالكتروني للباحث، وايضا اضافة واجهة باللغة الانكليزية تحوي على كل ماتم ذكره في الواجهة العربي.
- 3 - تقدم الجداول والأشكال البيانية والمخططات مرسومة بالحبر الأسود الصيني على ورق رسم هندسي (تريس) وتكون الصفحات مرقمة ومحتوية على عنوان مختصر يدل على محتوياتها.
- 4 - يقدم مع البحث (أو الدراسة) مستخلص عربي وإنكليزي على أن لا يزيد عن نصف صفحة او أقل .
- 5 - يشترط في البحث (أو الدراسة) أن لا يكون قد نشر أو قبل للنشر في أي مجلة داخل القطر أو خارجه .

- 6 - يخضع البحث أو الدراسة للتقويم السري من قبل خبير متخصص في موضوع البحث على وفق الأعراف الأكاديمية المعتمدة .
- 7 - لا تعاد البحوث أو الدراسات إلى أصحابها سواء نشرت في المجلة أم لا
- 8 - البحوث المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس وجهة نظر هيئة التحرير .
- 9 - يمنع ذكر اسم الباحث في متن البحث .
- 10 - تستوفى أجور النشر في المجلة كما يلي:
- أ- أستاذ دكتور 85000 ب- أستاذ مساعد 85000
- ج- مدرس فما دون 85000 د- (100) مائة دولار من الزملاء العرب والاجانب تدفع كاملة مع البحث وفي حالة عدم صلاحية البحث للنشر يعاد المبلغ الى الباحث بعد خصم (20) عشرون دولاراً.
- 12- يشار الى المصادر والهوامش في نهاية البحث بأرقام توضع بين قوسين، وتكتب حسب الاسلوب التالي:
- المقالة: اسم الكاتب (أو الكاتبين)، «عنوان المقالة»، أسم (الشهر والسنة)، رقم الصفحة الكتاب: اسم المؤلف (أو المؤلفين)، «عنوان الكتاب»، الطبعة .(مكان النشر: الناشر، سنة النشر)، رقم الصفحة أو الصفحات.
- 13- ترتب المصادر في نهاية البحث حسب الأسلوب التالي:
- المقالة: اسم الكاتب (أو الكاتبين) تحت اللقب .«عنوان المقالة». اسم المجلة (الشهر، السنة) صفحتا البداية والنهاية للمقالة.
- الكتاب: اسم المؤلف (أو المؤلفين) تحت اللقب، «عنوان الكتاب»، مكان النشر: الناشر، سنة النشر.
- ملاحظة: يوضع البحث ثم الهوامش ثم المصادر.
- توجه المراسلات والاستفسارات إلى:

بغداد/ الجامعة المستنصرية

كلية الآداب/ مجلة آداب المستنصرية

مدير تحرير المجلة

كلمة التحرير

تبدو محاولة اللحاق بما يستجد على الصعيد العملي من تطور محفوفة بكثير من المصاعب، فالانفجار المعرفي أخذ بالتشظي إلى آفاق بحثية لا نهاية لها، والتتبع لما يستجد من المحاثات لما هو جديد ينبغي أن يأخذ دور التساؤل وعدم الاكتفاء بدور التلقي، من هنا عكفت مجلة آداب المستنصرية على المضي في مسارات التعبيد المعرفي المرسومة والمستجدة، من غير الاعتكاف على ما هو سائد وموروث، إيماناً منها بأن ما يقدم كفيل بتحفيز المناطات البحثية على اختلاف مشاربها ومناويلها قد يبدو الطموح أكبر من قدرات الواقع، وقد تبدو الدوافع المعرفية هي الأس الذي تنطلق منه مجموعة التحولات التي يراد لها أن تثبت وسط هذا الموج الأخذ بالتدفق، غير أن الإصرار والرغبة في التواجد هو الدافع الأكثر أهمية في التواصل المنشود، تنوعت الأبحاث في هذا العدد محاولة تغطية فروع المعرفة الثرة المبتوثة في أروقة الكلية، نأمل أن تلبى الأبحاث آمال الباحثين، مع التطلع من السادة القراء إلى التواصل وتسجيل ما يعنّ لهم من ملاحظات.

هيئة التحرير

اتجاهات الجمهور العراقي إزاء حملات التسويق الاجتماعي

حملة تشجيع الصناعة العراقية (أنموذجا)

الكلمات المفتاحية (التسويق، الحملة، التسويق الاجتماعي)

د. علي عبد الهادي عبد الأمير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

د. صباح أنور الصالحي

الجامعة العراقية/ كلية الاعلام

**Iraqi's mass attitudes towards social marketing campaigns
social marketing campaigns of Iraqi
national industry.(model)**

KEYWORDS: (marketing, campaigns, social marketing)

Research prepared by

Dr. ALI ABDUL HADI ABDUL AMEER

Ministry of higher education and scientific research

Dr.SABAH ANWAR MOHAMMED

allIraqi university/ college of mass communication

المستخلص

يعد التسويق الاجتماعي من اهم الانشطة الاتصاليه التي تهدف الى ترويج القيم والافكار الاجتماعية التي تساعد الجمهور على تكوين رأي سليم وقبول هذه الافكار بشكل فاعل لذا فقد هذا البحث الى التعرف على اتجاهات الجمهور نحو حملات التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطني العراقي ولقد توصل الى عدة نتائج منها :

- 1- اغلبية افراد العينه يشاهدت الاعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي لتشجيع الصناعة الوطنية العراقيه وبنسبة مئويه (53%) وبتكرار (106)
- 2- اظهرت نتائج البحث ان معظم اتجاهات افراد عينة البحث كانت محايدة نحو حملة التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطني العراقيه

Abstract

The social marketing is considered an important communication activity that aims to put forth the social values and thoughts that help public form intact opinion to accept these thoughts acively .Thus this research aims at recognizing the public attitudes towards the social marketing campains of Iraqi national industry.

This research has come up with following results :

- 1 - Most of the sample members watch the ads of the social marketing related to the national industry encouragement. with total points of(106) of the sample people and a percentage of (%53).
- 2 - The research result show that most the sample members have nuetral attitudes towards social marketing camp aim of the Iraqi national industry

مقدمة

يهتم التسويق الاجتماعي بوضع الخطط والبرامج والحملات الموجهة بهدف تغيير اتجاهات وسلوكيات الأفراد تجاه القيم والمعتقدات والسلوكيات من اجل مصلحة الجمهور من خلال الاعتماد على وسائل الاتصال المختلفة التي تنسجم مع هدف حملات وبرامج التسويق الاجتماعي، اذ تمتاز بأنها دائماً ما تحمل أفكار تعود بالنفع على أفراد المجتمع من دون أن يكون هناك دافع مادي للقيام بها، اذ تقوم بتقديم الأفكار التي تسهم في توعية المجتمع بأهمية الحفاظ على البيئة والاهتمام بصحته أو الاهتمام بتقديم التبرعات المادية لصالح الجمعيات الخيرية، والمؤسسات الصحية إلى جانب مؤسسات أخرى تهتم برعاية أفراد من المجتمع مثل المؤسسات التي تقدم الرعاية للأطفال والمرأة والشباب، وقد برز مفهوم التسويق الاجتماعي مع ازدياد الاهتمام بتحقيق مبدأ المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة والتي ينبغي أن تهتم بتحقيقه في ظل التطورات والاقتصادية وعوامل المنافسة ومواجهة المستهلك لعدد من الرسائل الاتصالية التي تجعله يختار المنتج الذي يتناسب مع ذوقه وميوله واهتماماته بالإضافة إلى الانطباع الذي يحمله عن هذه المؤسسة الحكومية او الشركة، والسمعة التي يحملها الأفراد عنها. ويمتاز مفهوم التسويق الاجتماعي بأنه يشمل مجالات عدة كالمجال الصحي والصناعي والبيئي والزراعي بما يجعله مفهوماً شاملاً يمكن للقائم بالاتصال في أي مؤسسة إن يستعين به وفقاً لأهداف مؤسسته وما تسعى إلى تحقيقه في ظل الحملات الخاصة بالتسويق الاجتماعي التي تتبناها وتتولى صياغة رسائلها الاتصالية بما يضمن تحقيق مستوى من الإقناع لدى الجمهور، وفي بحثنا هذا تم اختيار حملات التسويق الاجتماعي الخاصة بتشجيع الصناعة الوطنية العراقية بوصفها حملات تسعى إلى توعية الجمهور بأهمية استهلاك منتجات الصناعة المحلية العراقية ورسم صورة ايجابية عن مستوى المنتجات العراقية المطروحة في الأسواق خاصة في ظل عوامل المنافسة التي يشهدها المنتج العراقي من قبل المنتجات

المستوردة منذ عام (2003)، وقد التركيز على معرفة على اتجاهات الجمهور نحو مضامين هذه الحملات وهل استطاعت تحقيق مستوى معين من النهوض في قطاع الصناعة العراقي من وجهه نظر الجمهور المستهلك بالاستعانة بعدد من الأسئلة التي تضمنتها استمارة الاستبيان وصياغتها وفقا للمضامين الرسائل الاتصالية التي تضمنتها حملة تشجيع الصناعة الوطنية بعد الاطلاع على عدد من إعلاناتها الثابتة المنتشرة في مختلف الامكان العامة من العاصمة العراقية بغداد إلى جانب مواقع الانترنت والمواقع الخاصة بوزارة الصناعة العراقية وتشكيلاتها، قد تم التطرق إلى مفهوم التسويق الاجتماعي من حيث التعريف وتطور المفهوم، إلى جانب عرض النتائج التي توصل إليها الباحثان بالشكل الذي يحقق أهداف البحث واهم النقاط التي يمكن إن يثيرها وتصلح للبحث في المستقبل القريب من قبل الباحثين والجهات ذات العلاقة.

أولاً: مشكلة البحث

يتطلب تحديد مشكلة البحث تحديد النقاط الأساسية والفرعية للمشكلة بالإضافة إلى تحديد العوامل الرئيسية التي دفعت الباحث إلى اختيار المشكلة⁽¹⁾ وبذا فان مشكلة البحث تحدد بـ ((ما هي الاتجاهات التي يحملها الجمهور عن حملات التسويق الاجتماعي الخاصة بتشجيع الصناعة الوطنية العراقية بوصفها تسعى الى أحداث نوعا من التغيير المعرفي لدى الجمهور وتوصيل رسائل ذات مضامين اقناعية تسهم في تغيير طبيعة الصورة المنطبعة عن الصناعة العراقية بشكل عام والمنتج العراقي بشكل خاص)).

ثانياً: أهمية البحث .

- 1- يكتسب هذا البحث أهميته من خلال تناوله لأحد القضايا المهمة ذات الصلة بالقطاع الصناعي العراقي والذي ينبغي الاهتمام بتطوير وتوفير كل عوامل النهوض به الاعتماد على وسائل الإعلام والحملات الموجهة ومنها حملات التسويق الاجتماعي التي تستهدف أحداث تغيير معرفي في اتجاهات الجمهور .
- 2- يهتم هذا البحث في موضوع التسويق الاجتماعي وبيان أهميته ودوره وكيفية يمكن توظيفه من قبل مختلف المؤسسات في سبيل تحقيق نوعا من التفاعل والاندماج المجتمعي مع الجمهور بما يسهم في تحقيق التواصل الفعال مع المؤسسة.

ثالثاً: هدف البحث

يهدف البحث إلى:

- 1- التعرف اتجاهات الجمهور العراقي نحو مضامين حملة التسويق الاجتماعي الخاصة بتشجيع الصناعة الوطنية العراقية .
- 2- لتعرف على أهم أسباب عزوف بعض أفراد الجمهور عن التعرض لمضامين تلك الحملات.
- 3- تصميم نموذج يمكن الاعتماد عليه في تنفيذ حملات التسويق الاجتماعي في القطاع الصناعي وإمكانية الاستفادة منه من قبل المؤسسات الأخرى في تنفيذ حملات التسويق الاجتماعي مع مراعاة التعديل في مضامين الرسائل الاتصالية التي ينطوي عليها بما ينسجم مع أهدافها ورؤيتها المستقبلية .

رابعاً: منهج البحث وادواته

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تستعين بمنهج المسح بوصفه احد المناهج المستخدمة في البحوث الوصفية التي تستهدف وصف سمات وأراء أو اتجاهات أو سلوكيات عينات من الأفراد ممثلة لمجتمع ما، بما يسمح بتعميم نتيجة المسح على المجتمع الذي سحبت منه العينة⁽²⁾، من خلال الاستعانة باستمارة الاستبيان التي تم تصميمها بما يحقق أهداف البحث، وقد قام الباحثان بالإجراءات التالية بهدف تطوير مضمون الأسئلة التي تضمنتها استمارة الاستبيان:-

- 1- جمع عدد من الإعلانات الخاصة التي تضمنتها حملة التسويق الاجتماعي الخاصة بوزارة الصناعة العراقية فضلاً عن جمع المعلومات من خلال الاتصال بعدد من مدراء الإعلام والعلاقات العامة في الشركات التابعة إلى وزارة الصناعة والمعان على اختلاف المنتجات التي تقدمها شركاتهم .
- 2- وضع تصور أولي للاستمارة وتضمينها بعض الأسئلة التي تتناول مختلف جوانب الحملة والرؤية التي يحملها الجمهور عن مضامين هذه الحملات إلى جانب ذكر أهم أسباب العزوف عن التعرض لها.

3- عرض الاستمارة بصيغتها الأولية على عدد من الأساتذة(*) المختصين بعلوم الإعلام من مختلف التخصصات بهدف التأكد من صلاحية الاستمارة وتقويمها بما يحقق الصدق الظاهري وتعديلها وفقاً لملاحظاتهم المثبتة على كل سؤال من الأسئلة التي تضمنتها الاستمارة.

4- توزيع الاستمارة بصيغتها النهائية على نسبة (10%) من أفراد عينة البحث بواقع (20) مفردة وتكرار توزيعها مرة أخرى بفواصل زمنية مقداره (أسبوعين) من تاريخ توزيعها لأول مرة واستخراج نسبة الثبات حيث بلغت (80.2) وهي نسبة ثبات عالية تدل على صحة الأسئلة التي تضمنتها الاستمارة ومقدار فهم واستيعاب الجمهور لها.

عينة البحث

تعد العينة المتاحة من العينات الغير الاحتمالية، وتقوم على اختيار وحدات العينة الأكثر اتاحة للباحث⁽³⁾، وفي هذا البحث تم الاعتماد على العينة المتاحة من خلال توزيع (250) استمارة على افراد الجمهور، بلغ عدد المسترجع منها (225) استمارة وبعد تصحيح الاستمارة العائدة تم استبعاد (25) لنقص الاجابات على بعض الاسئلة، وبعد ادخال الاجابات المتحققة على اسئلة الاستبانة ظهر بان (41) مفردة لا يشاهدون الاعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي للصناعة الوطنية العراقية، وبذلك فقد اجريت العمليات الاحصائية على (159) استمارة وتحليل الاجابات ومعالجتها احصائياً واستخراج التكرات والنسب المئوية.

تعريف التسويق الاجتماعي

يعد التسويق الاجتماعي نشاطاً اتصالياً يستهدف الصالح العام والارتقاء بمستوى معيشة الأفراد أو ما يمكن تسميته بتحسين جودة الحياة دون البحث عن المكاسب المادية ومنذ السبعينات في القرن العشرين بدأ الباحثون في تحديد أساليبه والمطالبة بتدريسه في كثير من التخصصات العلمية والإنسانية وفي مقدمتها علوم الاتصال ثم تطور وفرز توجهات علمية وعملية في الثمانيات وبلغ مرحلة نضوجه في التسعينات ثم بدأ مرحلة البحث عن اطر جديدة وأفكار حديثة في هذا العقد الأخير⁽⁴⁾ ويعد جزءاً من أجندة التغيير الاجتماعي، يمكن استخدامه في أي موقف يستلزم تغيير سلوك الفرد تجاه قضايا اجتماعية معينة أو أحداث تغييرات سلوكية ايجابية⁽⁵⁾.

ويهتم التسويق الاجتماعي بتغيير ردود فعل الأفراد تجاه فكرة معينة أو هدف ما أو سلوك محدد لصالح المجتمع ويعرف بأنه (عبارة عن تنفيذ ومراقبة البرامج التي تؤثر في الحصول على أفكار اجتماعية ملائمة حول اعتبارات تخطيط المنتج، التسعير، الاتصالات، وبحوث التسويق⁽⁶⁾).

ومع الأهمية المتزايدة للتسويق الاجتماعي اهتم الباحثون في الجمعية الأمريكية للتسويق بمسألة تطوير مجال التسويق الاجتماعي بأنه (تكييف وتبني أنشطة التسويق التجاري ومؤسساته وعملياته وسيلة لتشجيع التغيير السلوكي على أساس ثابت أو مؤقت) وتوضيحاً لهذا التعريف ثم بلورة فكرتين أساسيتين هما⁽⁷⁾:

الأولى: أن التغيير السلوكي الذي تستهدفه في التسويق الاجتماعي إنما يتم عن طريق الأفكار والتواصل وطرح منفعة تنافسية يتضمنها التسويق الاجتماعي والذي ينتج عنه فائدة لمتلقي حملة التغيير الاجتماعي والشركات والمجتمع

الثانية: أن فوائد التسويق الاجتماعي تتحقق عندما يزيد عائد الاستثمار الاجتماعي عن طريق العوائد العقلية أو المدركة عن التكاليف المالية وغير المالية لنشاط التسويق الاجتماعي.

ويتضح مما سبق تعدد تعريفات التسويق الاجتماعي منذ ان تبلور مفهوم التسويق الاجتماعي بعيداً عن مفهوم التسويق التجاري، وعلى الرغم من تعدد هذه التعريفات الا انها تتلاقى جميعاً في اعمدة اساسية يقوم عليها التسويق هذه الاعمدة هي⁽⁸⁾:

- 1 - ان التسويق الاجتماعي معني بالقضايا والافكار الاجتماعية حيث يقرر شخص ما له سلطة او مكانة في المجتمع اهمية هذه القضية ويسمح له ان يثير سلوك الافراد تجاه هذه القضية لكي يفيد المجتمع .
- 2 - ان برنامج التسويق الاجتماعي مصمم للتاثير على السلوك الانساني على مجال مجال واسع لتحقيق رقي المجتمع .
- 3 - نجاح برامج التسويق الاجتماعي لا يتم قياسه ماديا ولكن معنويا .
- 4 - ان حملات التسويق الاجتماعي تبدأ وتنتهي بالجمهور فالاستراتيجيات المستخدمة يتم وضعها بما يلائم توقعات واحتياجات الجمهور .

- 5- ان التسويق الاجتماعي يستخدم اساليب وتكتيكات التسويق التجاري.
- 6- وبذلك يتضح ان هناك ثلاث انواع من المنتجات الاجتماعية التي يتم تسويقها في مجال حملات التسويق الاجتماعي وهي كما يلي⁽⁹⁾:
- 1- تسويق الافكار: والفكرة الاجتماعية يمكن ان تاخذ شكل المعتقد او الاتجاه او القيمة لموضوع حقيقي مثل المعتقدات الخاصة بالنظافة الشخصية او اتجاه الفرد نحو التسويق في الانتخابات
- 2- تسويق الممارسة الاجتماعية: الممارسة هي مجرد تصرف فردي فيه تخرج فرد من رجل التنظيم او يغادر فرد اخر منزله من اجل التصويت في الانتخابات او قد تكون الممارسة سلوكا مثلما يترك المدخن التدخين.
- 3- الشيء الملموس: الاشياء الملموسة مثل الوسائل المختلفة لتنظيم الاسرة والتي يتم توزيعها اثناء الحملات او حزام الامان الذي يتم التسويق له من اجل ممارسات الامان اثناء القيادة. ومن الاهمية بمكان الاشارة الى ان التسويق الاجتماعي يستخدم مبادئ ومهارات مهنة التسويق (Marketing profession) واساليب الابداع والابهار الاعلامي والاعلاني لترويج الافكار والقيم الاجتماعية والسلوكيات المفيدة للمجتمع⁽¹⁰⁾.

ثانيا: خطوات حملات التسويق الاجتماعي

الحملة عبارة عن جهد منظم يهدف الى اقناع مجموعة مستهدفة بقبوله او تعديله او الابتعاد عن بعض الافكار والاتجاهات او السلوك وتقوم بهذا الجهد جماعة من الجماعات الموجودة في المجتمع او الجهة التي ترغب في احداث التغيير وغالبا ما تهدف الى تغيير السلوك الجماهيري ولا يحدث هذا التغيير بشكل مفاجى وانما يحدث عبر عدة مراحل فتشمل تغيير في المعلومات وهناك مجموعة من الخطوات والمعايير التي يجب اخذها في حملات التسويق الاجتماعي وهي كما يلي⁽¹¹⁾:

- 1 تحديد المشكلة. 2 اهداف المشكلة. 3 تحديد الجمهور المستهدف من الحملة. 4 تحديد العوامل المؤثرة في نجاح الحملة. 5 تحديد الاستراتيجية العامة. 6 تحديد الموارد المتاحة. 7 اختيار الوسائل والانشطة الاتصالية. 8 تحديد رسائل الحملة. 9 وضع جدول زمني لتنفيذ الحملة. 10 التنفيذ والمتابعة.

وكما هناك حملات للتغيير الاجتماعي التي تتناول القضايا الاجتماعية التي يمكن إن تجذب العمل الاجتماعي وتهدف إلى علاج مشكلة اجتماعية مثل تعاطي المخدرات أو التلوث البيئي أو تحقيق هدف اجتماعي مثل تشجيع البضاعة المحلية الوطنية وأحداث تغيير إضافي في سلوك الأفراد وهي كما يلي⁽¹²⁾:

- 1- حملات التغيير المعرفي: التي تعمل على تزويد الأفراد بالمعلومات وزيادة وعيهم بقضية ما.
- 2- حملات التغيير الفعلي: تهدف إلى أقناع أكبر عدد ممكن ممكن من الأفراد للقيام بعمل معين خلال وقت محدد.
- 3- حملات التغيير السلوكي: تهدف إلى حث الأفراد على تغيير بعض أنماط السلوك وهي ما تعرف بالحملات السلوكية.
- 4- حملات تغيير القيم: تهدف إلى تغيير القيم والمعتقدات مثل حملات تنظيم الأسرة.

ثالثاً: التسويق الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية

المسؤولية الاجتماعية هي الالتزام المستمر في شركات الأعمال بالتصرف أخلاقياً والمساهمة في تحقيق التنمية والعمل على تحسين نوعية الظروف المعيشية للقوى العاملة وعائلاتهم أو المجتمع المحلي والمجتمع ككل وهو ما أطلق عليه التسويق المرتبط بالقضايا لتحقيق أهداف غير ربحية. ويرى البعض بأنها عقد بين المنظمة والمجتمع تلتزم بموجبه المنظمة بارتضاء المجتمع وبما يحقق مصلحته وينظر لها على أنها التزام من قبل المنظمة تجاه المجتمع الذي تعيش فيه من خلال قيامها بكثير من الأنشطة الاجتماعية مثل محاربة الفقر ومكافحة التلوث وخلق الكثير من فرص العمل وحل الكثير من المشاكل (المواصلات، الإسكان، الصحة) وغيرها من الخدمات⁽¹³⁾. أما فيما يتعلق بانشطة المسؤولية الاجتماعية في مجال التسويق الاجتماعي وهي كما يلي⁽¹⁴⁾:

- 1- تعزيز سمعة الشركة ومكانتها.
- 2- زيادة القدرة على اجتذاب العاملين الذين لديهم مهارة.
- 3- انخفاض مخاطر وتكاليف النشاط الاقتصادي.
- 4- تحسين الأداء المالي.

وهناك ثلاث مستويات لممارسة المسؤولية الاجتماعية⁽¹⁵⁾.

المستوى الأول: المؤسسي ويتعلق بدور المؤسسة في الحد من أي أثار سلبية لنشاطها في المجتمع مثل الإضرار البيئية وكذلك العمل بروح القانون واحترامه ودفع الضرائب.

المستوى الثاني: الأخلاقي ويتمثل في الصدق والأمانة وذكر الحقيقة عند التعرض لأي أزمات أو كوارث إلى جانب التفاعل الجيد مع المنافسين واحترام الجمهور.

المستوى الثالث: المجتمعي ويتعلق بمسؤولية المؤسسة في حلال مشكلات المجتمع أي المساهمة في إن يكون المجتمع مجتمعاً صحيحاً بحلول المشكلات والعقبات التي تحول دون تقدمه بصفة عامة. وعليه فان المسؤولية الاجتماعية في التسويق الاجتماعي ترتبط بمبادئ وقواعد ممارسة المسؤولية الاجتماعية بالمحور الاجتماعي والبيئي والاقتصادي والذي يطلق عليه مثلاً في الإبعاد للتنمية المستدامة.

نتائج البحث

جدول (1)

يوضح السمات الديموغرافية لافراد عينة البحث (ن=200)

المتغيرات الديموغرافية	ك	%
النوع	ذكر	51
	أنثى	49
العمر	من 18 إلى 22	13
	من 23 إلى 27	30.5
	من 28 إلى 31	23.5
	من 32 إلى 36	10
	من 37 إلى 41	6.5
	من 42 إلى 46	8
	47 فأكثر	8.5
	ابتدائية	3
التحصيل العلمي	متوسطة	8
	إعدادية	30.5
	دبلوم	16
	بكالوريوس	31.5
	ماجستير	6.5
	دكتوراه	6
		12

النوع الاجتماعي

تشير نتائج الجدول رقم (1) بان نسبة أفراد عينة البحث من الذكور كان (102) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (51%) وبلغت نسبة الإناث كانت (98) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (49%)، وبذا يمكن القول أن غالبية أفراد عينة البحث من الذكور مقارنة بالإناث.

الفئات العمرية

تشير نتائج الجدول رقم (1) بان الفئات العمرية لأفراد عينة البحث كالآتي:ـ

- 1- من (22 18) بواقع (26) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (13%)
- 2- من (27 23) بواقع 61 مفردة وبنسبة مئوية بلغت (30.5%)
- 3- من (31 28) بواقع 47 مفردة وبنسبة مئوية بلغت (23.5%)
- 4- من (36 32) بواقع 20 مفردة وبنسبة مئوية بلغت (10%)
- 5- من (41 37) بواقع (13) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (6.5%)
- 6- من (46 42) بواقع (16) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (8%)
- 7- (47) فأكثر بواقع (17) مفردة وبنسبة مئوية (8.5%)

مما يعطي مؤشراً أن الفئة (27 23) احتلت النسبة الأكبر من الفئات العمرية لأفراد عينة البحث مقارنة بالفئات العمرية الأخرى، إذ تمثل هذه الفئة الأفراد الذي ينضمون للعمل في مختلف المؤسسات الحكومية والخاصة.

التحصيل الدراسي

تشير نتائج الجدول رقم (1) بان (3) أفراد من عينة البحث حاصلين على شهادة الابتدائية وبنسبة مئوية بلغت (1.5) وعدد الحاصلين على شهادة المتوسطة (16) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (8%) وعدد الحاصلين على شهادة الإعدادية (61) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (30.5%) وعدد الحاصلين على شهادة البكالوريوس (63) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (31.5%) وعدد الحاصلين على شهادة الماجستير (13) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (6.5%) وعدد الحاصلين على شهادة الدكتوراه (12) وبنسبة مئوية بلغت (6%)، وتؤكد

هذه النتيجة أن أغلبية أفراد عينة البحث من الحاصلين على شهادة البكالوريوس وهي شهادة أولية تمنح في مختلف التخصصات العلمية والأدبية، وتحدد الاتجاه الوظيفي الذي يمكن للفرد العمل به .

جدول (2)

يوضح مدى مشاهدة أفراد العينة للإعلانات الخاصة بالحملة التي تشجع على الصناعة الوطنية العراقية

الإجمالي		الإناث		الذكور		النوع الاجتماعي
%	ك	%	ك	%	ك	مدى المشاهدة
53	106	52	51	53.9	55	نعم
26.5	53	29.6	29	23.5	24	أحياناً
20.5	41	18.4	18	22.5	23	لا
100	200	100	98	100	102	المجموع

قيمة كا² = 1.153 درجة الحرية = 2 مستوي المعنوية = 0.562 مستوى الدلالة = غير

دالة

أوضحت نتائج الدراسة بان (106) مفردة من أفراد (عينة البحث) يشاهدون الإعلانات الخاصة بحملة تشجيع الصناعة الوطنية وبنسبة مئوية (53%) وأشار (53) مفردة إلى انه أحيانا ما يشاهدون هذه الإعلانات وبنسبة مئوية بلغا (26.5%) وأشار (41) مفردة وبنسبة مئوية بلغت (2.5%)، وتؤكد هذه النتيجة بان أغلبية أفراد عينة البحث يتعرضون للإعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي لتشجيع الصناعة الوطنية كونها حملة هامة تستهدف كسب ثقة جمهور المستهلكين وإعادة بناء صورة المنتج العراقي مقارنة بالمنتجات المستوردة الأخرى.

جدول (3)

يوضح مدى تقديم الحملة بتشجيع الصناعة الوطنية معلومات مفيدة وقيمة عن المنتج العراقي من وجهة نظر أفراد العينة

الإجمالي		الإناث		الذكور		نوع العينة	مدى التقييم
%	ك	%	ك	%	ك		
20.8	33	18.8	15	22.8	18	دائماً	
44.7	71	47.5	38	41.8	33	أحياناً	
17.6	28	20	16	15.2	12	نادراً	
17	27	13.8	11	20.3	16	أبداً	
100	159	100	80	100	79	المجموع	

قيمة كا² = 2.116 درجة الحرية = 3 مستوى المعنوية = 0.549 مستوى الدلالة = غير دالة

أشار (33) مفردة من أفراد عينة البحث إلى إن الإعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي للصناعة الوطنية تقدم معلومات مفيدة وقيمة عن المنتج العراقي إلى الجمهور وبنسبة مئوية بلغت (20.8%) وأشار (71) مفردة إلى ان هذه الاعلانات احيانا ما تقدم معلومات مفيدة وقيمة عن المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (44.7%) وأشار (27) مفردة منهم الى ان هذه الاعلانات لا تقدم ابدا معلومات مفيدة وقيمة عن المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (17%)، وتعني هذه النتيجة الى ان مضمون الرسالة الاتصالية الاعلانية الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي لتشجيع الصناعة الوطنية تحتاج الى التطوير في مضمونها والاشكال التي تقدم بها من اجل توعية الجمهور باهمية المنتج اقتناء المنتج الوطني وتقديم اهم المزايا التي يقدمها عند الاستخدام كجزء من الوظيفية التعليمية للاعلان الذي تتضمنه الحملة.

جدول (4)

يوضح مدى اعتقاد أفراد العينة إن حملة التسويق الاجتماعي للصناعة الوطنية قادرة علي تشجيع الجمهور لاقتناء منتجات الصناعة العراقية

الإجمالي		الإناث		الذكور		نوع العينة مدي الاعتقاد
%	ك	%	ك	%	ك	
35.2	56	35	28	35.4	28	دائما
35.2	56	36.3	29	34.2	27	أحياناً
19.5	31	20	16	19	15	نادرا
10.1	16	8.8	7	11.4	9	ابدا
100	159	100	80	100	79	المجموع

قيمة كا² = 0.347 درجة الحرية = 3 مستوى المعنوية = 0.951 مستوى الدلالة = غير دالة

تشير نتائج الدراسة الى ان (56) مفردة من عينة البحث الى الاعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي للصناعة الوطنية قادرة على تشجيع الجمهور لاقتناء منتجات الصناعة الوطنية بصورة دائمة وبنسبة مئوية بلغت (35.2) و اشار (56) مفردة منهم الى ان هذه الاعلانات احيانا ما تكون قادرة على تشجيع الجمهور لاقتناء منتجات الصناعة الوطنية وبنسبة مئوية بلغت (35.2%) و اشار (31) مفردة منهم الى ان هذه الاعلانات نادرا ما تكون قادرة على تشجيع الجمهور لاقتناء منتجات الصناعة الوطنية وبنسبة مئوية بلغت (19.5%) و اشار (16) مفردة منهم الى ان هذه الاعلانات غير قادرة على تشجيع الجمهور لاقتناء منتجات الصناعة الوطنية. وتعني هذه النتيجة ان افراد عينة البحث يؤكدون على ان الاعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي للصناعة الوطنية قادرة على تشجيع الجمهور بأهمية المنتج الوطني مما يتطلب ضرورة اعتماد الجهات المختصة على تحقيق صفة الاستمرارية في هذه الحملات وتكرار الرسالة الإعلانية مما ينعكس على طبيعة الاتجاهات والمعرفة التي يكتسبها الجمهور من هذه الاعلانات مما يجعله قادر على تقديمه رأيه في طبيعة المضمون المقدم من خلال الإعلان الخاصة بالحملة .

جدول (5)

يوضح اسباب عدم تعرض افراد(عينة البحث) للاعلانات الخاصة
بحملة تشجيع الصناعة الوطنية

الإجمالي		الإناث		الذكور		نوع العينة	اسباب عدم المشاهده
%	ك	%	ك	%	ك		
38%	8	16.7	3	21.7	5	غير مهمة بالنسبة لي	
60	25	77.8	14	47.8	11	لا اعتقد انها صادقة بمضمونها	
2	8	5.6	1	30.5	7	لا تقدم الحملة صورة واضحة عن المنتجات الوطنية	
100	41	100	18	100	23	المجموع	

قيمة كا² = 0.901 درجة الحرية = 2 مستوى المعنوية = 0.637 مستوى الدلالة = غير

دالة

اظهرت نتائج البحث بان (13) مفردة من افراد عينة البحث اشاروا الى ان الاعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي غير مهمة لهم بالنسبة لهم وبنسبة مئوية (38%) و اشار (25) منهم الى انها غير صادقة في مضمونها وبنسبة مئوية (60%) في حين اشار (8) منهم الى ان هذه الحملة لا تقدم معلومات واضحة عن المنتجات الوطنية العراقية وبنسبة مئوية (2%) وتشير هذه النتيجة بان افراد الجمهور لديهم نوعاً من العزوف عن التعرض لمضامين حملة التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطنية العراقية لكونها لا تتمتع بمصداقية في مضمونها المقدم برسالتها الاتصالية مما يجعلها غير قادرة على اقناع الجمهور، وبذا فينبغي الاستعانة بشخصيات مشهورة وقادة راي في تصميم حملات التسويق الاجتماعي مما يجعلها قادرة على تلبية الهدف من الاعداد والتخطيط لها.

جدول (6)

يوضح مدى مساهمة الإعلانات الخاصة بحملة التسويق الاجتماعي لتشجيع الصناعة في زيادة الطلب على المنتج العراقي

الإجمالي		الإناث		الذكور		نوع العينة مدى المساهمة
%	ك	%	ك	%	ك	
17	27	16.3	13	17.7	14	دائماً
39	62	35	28	43	34	أحياناً
25.2	40	28.8	23	21.5	17	نادراً
18.9	30	20	16	17.7	14	أبداً
100	159	100	80	100	79	المجموع

قيمة كا² = 1.645 درجة الحرية = 3 مستوي المعنوية = 0.649 مستوى الدلالة = غير دالة

أشار (27) مفردة من أفراد عينة البحث إلى أن الإعلانات الخاصة بحملة تشجيع الصناعة الوطنية تساهم دائماً في زيادة الطلب على المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (17%) وأشار (62) مفردة منهم إلى أن هذه الإعلانات أحياناً ما تساهم في زيادة الطلب على المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (39%) وأشار (40) مفردة منهم إلى أن هذه الإعلانات نادراً ما تساهم في زيادة الطلب على المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (25.2%) وأشار (30) مفردة منهم إلى أن هذه الإعلانات لا تساهم أبداً في زيادة الطلب على المنتج العراقي وبنسبة مئوية (18.9%). وتؤكد هذه النتيجة أن الجمهور يعتقد أن هذه الإعلانات أحياناً ما تكون قادرة على زيادة الطلب على المنتج العراقي كون إن هذه الإعلانات تكون نسبة انتشارها قليلة مقارنة بالإعلانات عن السلع المحلية والمستوردة، لذا فإن الجمهور يعتقد أن الإعلانات التي تضمنتها حملة التسويق الاجتماعي بحاجة إلى تفعيل وتطوير من قبل الجهات المختصة مما يجعلها قادرة على إعادة الثقة لدى الجمهور المتلقي بجودة المنتج الوطني.

جدول (7)

يوضح مدى استطاعة حملات التسويق الاجتماعي للصناعة الوطنية العراقية من تحسين التسويق والإعلان والترويج للمنتج العراقي

الإجمالي		الإناث		الذكور		نوع العينة	مدى المساهمة
%	ك	%	ك	%	ك		
22.6	36	20	16	25.3	20	دائماً	
3.5.2	56	38.8	31	31.6	25	أحياناً	
22	35	22.5	18	21.5	17	نادراً	
20.1	32	18.8	15	21.5	17	أبداً	
100	159	100	80	100	79	المجموع	

قيمة كا² = 1.235 درجة الحرية = 3 مستوى المعنوية = 0.745 مستوى الدلالة = غير دالة

أشار (36) مفردة من أفراد عينة البحث إلى دائماً ما تسهم حملات التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطنية العراقية في تحسين التسويق والإعلان عن المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (22.6%) وأشار (56) مفردة منهم إلى إن هذه حملات نادراً ما تسهم في تحسين التسويق والإعلان عن المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (35.2%) وأشار (35) مفردة منهم إلى إن هذه الحملات نادراً ما تسهم تحسين التسويق والإعلان عن المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (22) وأشار (32) مفردة منهم إلى إن هذه الإعلانات لا تسهم أبداً في تحسين التسويق والإعلان عن المنتج العراقي وبنسبة مئوية (20.1%)، وتؤكد هذه النتيجة بضرورة أن تكون هناك تخطيط استراتيجي من اجل استمرارية حملة التسويق الاجتماعي بما يجعلها قادرة على تنفيذ أهدافها بصورة متكاملة في تسويق المنتج العراقي والترويج عنه بشكل فاعل وايجابي.

جدول (8)

يوضح مدى مساهمة استمرار حملات تشجيع الصناعة في زيادة مستوى الوعي بالمنتج الوطني العراقي

الإجمالي		الإناث		الذكور		نوع العينة الاستمرار
%	ك	%	ك	%	ك	
50.9	81	47.5	38	54.4	43	دائما
30.8	49	35	28	26.6	21	أحياناً
8.2	13	8.8	7	7.6	6	نادرا
10.2	16	8.8	7	11.4	9	ابدا
100	159	100	80	100	79	المجموع

قيمة كا = 2 = 1.629 درجة الحرية = 3 مستوى المعنوية = 0.653 مستوى الدلالة = غير دالة

أشار (81) مفردة من أفراد عينة البحث إلى دائما ما يسهم استمرار حملات التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطنية في زيادة مستوى الوعي بالمنتج الوطني العراقي وبنسبة مئوية بلغت مئوية بلغت (50.9%) وأشار (49) مفردة منهم الى ان هذه حملات نادرا ما يسهم استمرار حملات التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطنية في زيادة مستوى الوعي بالمنتج الوطني العراقي وبنسبة مئوية بلغت (30.8%) وأشار (13) مفردة منهم الى ان هذه الحملات نادرا ما يسهم استمرار حملات التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطنية في زيادة مستوى الوعي بالمنتج الوطني العراقي وبنسبة مئوية بلغت (10.2%) وتشير هذه النتيجة الى وعي أفراد الجمهور بان استمرارية الحملات يمكن أن تسهم في تحقيق زيادة الطلب على المنتج العراقي بما ينعكس على زيادة الدخل للمؤسسات الصناعية العراقية ويسهم في استمراريتها في العمل والنهوض في مستوى المنتج المحلي العراقي ويجعله قادرا على منافسة المنتجات الأخرى المتوفرة في الأسواق العراقية.

جدول (9)

يوضح اتجاهات أفراد العينة نحو الحملة التي تشجع
على الصناعة الوطنية العراقية

الاتجاه	الترتيب	المتوسط	المجموع	%	لا اتفق	%	محايد	%	اتفق	العبارات
محايد	1	2.37	377	11.6	18	40	64	48.4	77	تسعى هذه الحملة إلى بناء صورة ايجابية عن المنتج الصناعي العراقي وتقليل الاعتماد على السلع الخارجية
محايد	2	2.36	376	10.1	16	43.4	69	46.5	74	يمكن لهذه الحملة من إعادة ثقة الجمهور بالمنتج العراقي
محايد	3	2.33	371	14.5	23	37.3	60	47.7	76	أسهمت إعلانات التوعية بالمنتج الصناعي في بناء سمعة جيدة عنه
محايد	4	2.15	342	16.3	26	52.2	83	31.5	50	استفدت بالفعل من المعلومات التي قدمتها هذه الحملة بشأن صناعتنا الوطنية العراقية
محايد	5	2.09	333	22	35	46.5	74	31.5	50	المعلومات التي قدمتها حملة تشجيع الصناعة الوطنية واقعية وقادرة على اقناع الجمهور بالاعتماد على المنتج الوطني

تسعى هذه الحملة إلى بناء صورة ايجابية عن المنتج الصناعي العراقي وتقليل الاعتماد على السلع الخارجية أشار (77) مفردة من مفردات عينة البحث إلى مدى موافق وبنسبة مئوية بلغت (48.4%) وأشار (64) مفرد إلى مدى محايد وبنسبة مئوية بلغت (40%) وأشار 18 مفردة إلى مدى لا اتفق وبنسبة مئوية بلغت () وبمتوسط حسابي (2.37) وكان الاتجاه العام محايد.

يمكن لهذه الحملة من إعادة ثقة الجمهور بالمنتج العراقي: أشار (74) مفردة من

مفردات عينة البحث إلى مدى موافق وبنسبة مئوية بلغت (46.5) وأشار (69) مفردة إلى مدى محايد وبنسبة مئوية بلغت (43.4) وأشار 16 مفردة إلى مدى لا اتفق وبنسبة مئوية بلغت (10.1) وبمتوسط حسابي (2.36) وكان الاتجاه العام محايد.

أسهمت إعلانات التوعية بالمنتج الصناعي في بناء سمعة جيدة عنه: أشار (76) مفردة من مفردات عينة البحث إلى مدى موافق وبنسبة مئوية بلغت (47.7) وأشار (60) مفردة إلى مدى محايد وبنسبة مئوية بلغت (37.03) وأشار 23 مفردة إلى مدى لا اتفق وبنسبة مئوية بلغت (14.5) وبمتوسط حسابي (2.33) وكان الاتجاه العام محايد

استفدت بالفعل من المعلومات التي قدمتها هذه الحملة بشأن صناعتنا الوطنية العراقية: أشار (50) مفردة من مفردات عينة البحث إلى مدى موافق وبنسبة مئوية بلغت (31.5) وأشار (83) مفردة إلى مدى محايد وبنسبة مئوية بلغت (52.2) وأشار 26 مفردة إلى مدى لا اتفق وبنسبة مئوية بلغت (16.3) وبمتوسط حسابي (2.15) وكان الاتجاه العام محايد .

المعلومات التي قدمتها حملة تشجيع الصناعة الوطنية واقعية وقادرة على أفتاح الجمهور بالاعتماد على المنتج الوطني اشار (50) مفردة من مفردات عينة البحث إلى مدى موافق وبنسبة مئوية بلغت (31.5) وأشار (74) مفردة إلى مدى محايد وبنسبة مئوية بلغت (46.5) وأشار (35) مفردة إلى مدى لا اتفق وبنسبة مئوية بلغت (22) وبمتوسط حسابي (2.9) وكان الاتجاه العام محايد.

النموذج المقترح لتصميم حملة التسويق الاجتماعي الخاصة بالصناعة الوطنية العراقية

إذ يعرف النموذج بأنه ((عبارة عن بناء شكلي أو صوري أو رياضي يوضح العلاقة بين العناصر والمتغيرات التي تقوم بدراستها للإسهام في تبسيط معرفتها، وتنظيمها وشرح الظواهر العلمية ومساعدة الباحثين على التفسير والتوقع)) (16) وهو قريب من النظرية، كما انه قريب من المفهوم الإجرائي أي قدرته على منح فرصة للفهم والتحليل (17) وتصنف النماذج بشكل عام إلى فئتين.

1- النماذج البنائية: التي تظهر الخصائص الرسمية للحدث أو الشيء، أي المكونات وعدد وحجم ترتيب الأجزاء المنفصلة للنظام أو الظاهرة.

2- النماذج الوظيفية: التي تحاول أن تقدم صورة طبق الأسلوب الذي يعمل بمقتضاه النظام وتشرح طبيعة وضخامة القوى التي تسيطر عليها.

ويمكن القول أن نموذج الاتصال يسعى إلى تحقيق الفوائد الآتية:- (18)

1- يساعد النموذج في تنظيم وربط أطراف عملية الاتصال بعضها البعض مما يساعد على تقديم كلية لم يكن من الممكن إدراكها بدون هذا الترتيب والربط.

2- يساعد النموذج في توجيه الباحث الى العناصر الرئيسية في عملية الاتصال التي ينبغي التركيز عليها وتأثيراتها من اجل السيطرة على مخرجات العملية.

3- مساعدة الدارس على التنبؤ بنتائج عملية الاتصال وبلورة بعض الافتراضات المحتملة لمخرجات هذه العملية. ومن أجل تفعيل حملة التسويق الاجتماعي واخراجها بالشكل الذي يلائم حاجة الصناعة الوطنية العراقية الى نشاط اتصالي مستمر يسهم في بناء سمعة المنتج الوطني العراقي والشركات التي تتولى صناعة هذا المنتج الى المستهلك العراقي نقترح هذا النموذج

1- تحديد اهداف الحملة: ويمكن أن تتولى العلاقات العامة في المؤسسات الصناعية العراقية التركيز على الاهداف الاستراتيجية بعيدة المدى وبذا تتحدد اهداف الحملة بالعمل على:

- توضيح الجهود الحكومية في مجال تشجيع الصناعة الوطنية العراقية
- اعطاء دور واضح وسائل الاعلام الحكومية والخاصة في تقديم الاعلانات والبرامج التلفزيونية التي تسهم في بناء سمعة ايجابية وانطباع جيد عن المؤسسات الصناعية العراقية

2- اعداد خطة متكاملة للحملة:- وهذا يعني أن تبني خطة حملة التسويق الاجتماعي على معلومات دقيقة وشاملة لكل التفاصيل بما يضمن تحقيق الأهداف المرجوة من الحملة، فضلا عن ضرورة ان تكون الخطة مرنة وقادرة على نشر الوعي باهمية اقتناء المنتج الوطني العراقي.

3- اعداد الحملة: من اجل ان تكون خطوات الحملة واضحة ومحددة وقابلة للتطبيق ميدانيا يجب اتباع ما يلي:-

أجمع المعلومات الأساسية التي نستفيد منها في أعداد الحملة ويشمل ذلك،

الجمهور المستهدف من حيث السمات الديموغرافية وعاداته وتقاليده واتجاهاته نحو المؤسسات الصناعية العراقية
 ب تحديد الأهداف والخطط التفصيلية للحملة، وذلك بناء على المعلومات التي تم الحصول عليها في المرحلة السابقة ولتنفيذ ذلك ينبغي تحديد ما يلي :-

- 1 - تحديد ما تريده المؤسسة الصناعية العراقية من الجمهور.
- 2 - تحديد ما يريده الجمهور من المؤسسة الصناعية.
- 3 - تحديد الوسائل والاستراتيجيات الاتصالية التي تكفل تحقيق ذلك .
- 4 - الاستعانة بممارسي العلاقات العامة ممن يمتلكون خبرة علمية في تنفيذ البرنامج الاتصالي بما يسهم في تحقيق الأهداف المرجوة منه.
- 4 - تنفيذ الحملة: ينبغي تنفيذ الحملة على وفق الخطط المرسومة، ولكي يتم تنفيذ خطوات الحملة بشكل جيد لابد من أعداد جدول زمني يشمل النشاطات المثبتة في الحملة على ان يراعى عدم التدخل في أوقات تلك النشاطات فضلا عن المتابعة لعملية التنفيذ .
- 5 - تقويم الحملة: من خلال مقارنة الأداء المتحقق بالخطة الموضوعية ويشمل ذلك التقويم القبلي أي تقويم الحملة قبل البدء بتنفيذها والتقويم المتزامن او المرحلي وهذا يتم أثناء فقرات الحملة، والتقويم البعدي ويتم بعد الانتهاء من الحملة لمعرفة النتائج التي تحققت.

النتائج التي توصل اليها البحث

- 1 - أوضحت نتائج الدراسة بان (106) مفردة من أفراد (عينة البحث) يشاهدون الإعلانات الخاصة بحملة تشجيع الصناعة الوطنية وبنسبة مئوية (53%).
- 2 - اشار (40) مفردة من افراد عينة البحث إلى ان الإعلانات الخاصة بحملة تشجيع الصناعة الوطنية نادرا ما تسهم في زيادة الطلب على المنتج العراقي وبنسبة مئوية بلغت (25.2%).
- 3 - جاءت عبارة (تسعى هذه الحملة إلى بناء صورة ايجابية عن المنتج الصناعي العراقي وتقليل الاعتماد على السلع الخارجية) بالمرتبة الأولى أشار ب (77) تكرار وبنسبة مئوية (48.4%)
- 4 - أغلبية اتجاهات أفراد عينة البحث كانت (محايدة) نحو حملة التسويق الاجتماعي الخاصة بتشجيع الصناعة الوطنية العراقية

هوامش البحث

- 1 - عصمت عبد المجيد بكر، المدخل إلى البحث العلمي: الموسوعة الصغيرة (453) (بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2001) ص ص 93-94.
- 2 - راسم محمد الجمال، مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الاعلامية (القاهرة: مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 1999) ص 143
- 3 - شيماء ذو الفقار، مناهج البحث والاستخدامات الاحصائية في الدراسات الاعلامية (القاهرة:الدار المصرية اللبنانية، 2009) ص 243
- 4 - سلوى العوادلي، الاتجاهات الحديثة في دراسات التسويق، المجلة العلمية لبحوث قسم العلاقات العامة والاعلان، ع1، 2015، ص 77.
- 5 - منى سعيد الحديدي، سلوى امام علي، الاعلام والمجتمع (القاهرة:الدار المصرية اللبنانية، 2004) ص 15.
- 6 - ردينة عثمان يوسف، محمود جاسم الصميدعي، التسويق الاجتماعي، المبادئ والاستراتيجيات (عمان:دار المناهج للنشر والتوزيع، 2014) ص 59.
- 7 - سامي عبد العزيز، التسويق الاجتماعي والسياسي (القاهرة:دار نهضة مصر للنشر، 2013) ص 37.
- 8 - سلوى العوادلي، التسويق الاجتماعي، (القاهرة:دار النهضة العربية، 2010) ص 19.
- 9 - سلوى العوادلي مصدر سابق، ص 20.
- 10 - مدحت محمد ابو النصر، علم اجتماع الاعلام والاتصال (المنصورة:المكتبة العصرية، 2016) ص 162
- 11 - سامي عبدالعزيز، الاتصالات التسويقية المتكاملة (القاهرة:دار النهضة العربية، 2006) ص 97.
- 12 - منى سعيد الحديدي، سلوى امام علي، مصدر سابق، ص 34.

- 13 - طاهر محسن الغالبي، صالح مهدي العامري، المسؤولية الاجتماعية واخلاقيات الاعمال (الاعمال والمجتمع)، (عمان: دار وائل للنشر، 2005) ص 81 101.
- 14 - كريمان فريد، التسويق الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية (القاهرة: دار النهضة العربية، 2006) ص 25.
- 15 - سامي عبد العزيز، مصدر سابق، ص 207.
- 16 - محمد عبد الحميد، نظريات الأعلام واتجاهات التأثير (القاهرة: عالم الكتب، 2000) ص 57.
- 17 - هادي نعمان إلهيتي، اللغة في عملية الاتصال الجماهيري (بغداد: دار السامر للطباعة، 1997) ص 15.
- 18 - هناء حافظ بدوي، الاتصال بين النظرية والتطبيق (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2003) ص 72.

التدفق النفسي وعلاقته بالكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة

(تدفق، كفاءة، طلبة الجامعة)

د. تغريد ادريب حبيب

الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم الاعلام

**Psychological flow and its relationship to self-perceived
competence among university students
(flow, competence, university students)**

**Dr. Taghreed Adreeb Habeb
Al-Mustansiriya university
College of arts
Department of mass communication**

الملخص

يستهدف البحث الحالي التعرف على:-

- 1 - درجة التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة.
- 2- الفروق في درجة التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيري الجنس (ذكور- إناث) والتخصص (علمي- إنساني).
- 3- درجة الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة.
- 4- الفروق في درجة الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيري الجنس (ذكور- إناث) والتخصص (علمي- إنساني).
- 5- العلاقة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة.

وقد تكونت عينة البحث من (400) طالباً وطالبة بواقع (172) ذكور، و (228) إناث و(180) للتخصص العلمي و(220) للتخصص الانساني اختيروا عشوائياً من مجتمع البحث، ولغرض التحقق من هدف البحث قامت الباحثة بتبني وبناء أداتين الأولى ببناء مقياس التدفق النفسي لـ ميهالي تشكزيتتهيمالي (Csikszentmihalyi,1591) والثانية بتبني مقياس الكفاية الذاتية المدركة ل (احلام مهدي عبدالله،2012)، وبعد تطبيق الأداتين وجمع البيانات وتحليلها إحصائياً توصلت الباحثة إلى أن طلبة جامعة بغداد يتمتعون بمرونة معرفية جيدة وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التدفق النفسي تبعاً لمتغير الجنس ولصالح الذكور، في حين ظهرت فروق في التدفق النفسي لدى التخصص العلمي وجاءت هذه النتائج نتيجة قدرتهم على مواجهة المهام والمواقف المختلفة. أما في الكفاءة الذاتية المدركة فأظهرت النتائج أن طلبة جامعة بغداد يتمتعون بدرجة من الكفاءة الذاتية المدركة اعلى من الوسط، كما أظهرت النتائج وجود فروق

ذات دلالة إحصائية في الكفاءة الذاتية المدركة تبعاً لمتغير الجنس ولصالح الاناث، في حين ظهرت فروق في الكفاءة الذاتية المدركة لدى التخصص الإنساني، في حين أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية دالة موجبة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة ومن خلال النتائج خرجت الباحثة بعدد من التوصيات والمقترحات.

Summary

The current research aims to identify the

- 1 - the degree psychological flow among university students .
- 2 - differences in the degree of psychological flow among university students, depending on the variables of sex (male- females) and specialization (scientific _a humanist)
- 3 - degree of perceived self-efficacy among university students .
- 4 - differences in the degree of perceived self-efficacy among university students, depending on the variables of sex (male _ female) and specialization (science _ Humanist).
- 5 - The relationship between the flow and efficiency of psychological self-perceived.

The research sample consisted of 400 students and a student rate of 172 males and 228 females, and (180) for scientific specialization and (220) to allocate humanitarian randomly selected from the research community, For the purpose of verification of the aim of the research, the researcher to adopt and Binaadhatin Alaoli building psychological flowmeter's (Mihaly Ckzanthimala) (scikzentmihalyi, 1591) and the second to adopt self-sufficiency for the perceived scale (2012), After the application of tools and data collection and analysis statistically Pearls researcher found that students of the University of Baghdad have good cognitive flexibility and the results showed no statistically significant in psychological variable flow depending on the sex and the differences in favor of males, While Fwerk appeared in the psychological flow of scientific specialization, and these results were the result of their ability to cope with the tasks and the various positions in. But in the perceived self-efficacy results Vazart Baghdad University students enjoy a degree of self-perceived competence higher than the center, The results also showed the presence of statistically significant differences in the perceived self-efficacy variable depending on the sex and the differences in favor of females. Whereas differences emerged in the perceived self-efficacy among humanitarian specialization, while the results showed the presence of a positive correlation between mental function and flow of self-efficacy and perceived through the results came out the researcher a number of recommendations and proposals

مشكلة البحث:

ان التحليل الدقيق لجوانب الشخصية الايجابية كان محط انظار واهتمام علماء النفس كونها تشير الى الحالة النفسية الداخلية التي تجعل المتعلم يشعر بالتركيز التام على هذه الجوانب وهذا يدفعه الى التوجه نحو الانشطة بحيوية مع احساس عام بالنجاح في التعامل مع هذه الانشطة وهذا ما يطلق عليه بالتدفق النفسي، هذه الحالة ترتبط بحالة التعلم المثلى (Optimal Learning) التي وصفها ميهالي شكزيتتهيمالي بأنها «حالة من استغراق المتعلم كل طاقاته الشخصية في انجاز المهام المكلف بإنجازها، وهنا يشير ميهالي شكزيتتهيمالي (Csikszentmihalyi, 1990) ان الدماغ البشري يستنزف حالة التدفق لطاقاته في معالجة الاحداث السلبية التي تتضمن المخاطر او احتمالات التهديد وهذا بدوره يؤثر على التركيز على الانفعالات والمشاعر السلبية بصورة فوضوية. وتوضح هذه السلبية عند الطلبة عن طريق فرض اهداف محددة عليهم لا تسمح لهم بإرجاء او تأجيل انشغالهم الزائدة بالمشاعر السلبية ومصادر التهديد (Csikszentmihalyi, 1990: 234) وفقد الاحساس بالذات وعدم قدرتهم على الاشتراك بانشطة تجلب لهم الرضا والسعادة وهذا بدوره يؤثر سلباً على مستوى دافعيتهم نتيجة لمعتقداتهم السلبية حول قدراتهم الذاتية (Bandura, 1989: 2110)، فالمتعلمين ذوي الاحساس المنخفض بالكفاية الذاتية المدركة يركزون على جوانب الضعف بشخصياتهم وتوقع الفشل المتكرر وبهذا التوقع يتعد عن مواجهة مشاكله (Bandura, 2000: 75 76)، كما ويبدلون جهداً اقل في أداء المهام، ويتوقفون بسرعة عن الاستمرار بالعمل عند مواجهته عقبات تقف أمام تنفيذ المهام المكلفين بادائها (Mayer & Sutton, 1996: 13) فأداء الاكاديمي للمتعملم مرهون بنوعية الدافعية لديه، لذا نجد ان سلوكهم يتباين الفرد من الناحيتين الكمية والكيفية في الموقف الواحد او في المواقف المختلفة (حلمي، 1995: 11).

ان الإحساس المنخفض بالكفاية الذاتية يؤدي إلى ضعف في اكتساب المهارات بصورة عامة، وعدم القدرة على السيطرة على الانتباه (شرود ذهني) داخل القاعة الدراسية بصورة خاصة وأنهم يؤدون مهامهم بدون وعي منهم ويتصفون وبعدم قدرتهم على استخدام خبراتهم السابقة في حل المشكلات الجديدة التي قد تواجههم (الغول، 1993: 366) كونهم يتوقعون الفشل في مختلف المهام التي يمارسونها وتمثل هذه السلوكيات

بانخفاض مستوى ادائهم ودافعتهم وهذا بدوره يولد لديهم انفعالات سلبية تنعكس على سلوكياتهم بصورة سلبية ايضا، بمعنى انها تؤثر في تشكيل سلوك المتعلم وعلاقته الاجتماعية وتوافقه النفسي والصحي والجسمي كون بعض الطلبة يتميزون بضعف تقديرهم الايجابي لقدراتهم وأنهم يعتقدون ان قدراتهم لا تكفي لتحقيق أهداف حياتهم الأكاديمية والاجتماعية وغالبا ما يعززون فشلهم إلى أسباب خارجية تخص المدرس أو الظروف التي يتعرض لها البلد ويشعرون بالخوف من أداء الامتحانات وقلة الاندماج مع الجنس الآخر كما إنهم يفتقرون القدرة على الانتباه أو التركيز (حسيب، 2001: 125)، على العكس من المتعلمين الذين يتسمون بإحساس قوي بالكفاية الذاتية فهؤلاء يظهرون تركيز انتباه عالي الى المشكلات التي يواجهونها ويحاولون تحليلها وإيجاد حلول مناسبة لها بنشاط ودقة وحيوية وهذا بدوره يجعلهم يشاركون الاخرين بجميع الانشطة بفاعلية ومتعة (الجبور، 2002: 55)، وهذا ما نسعى اليه على الصعيد التربوي والتعليمي كون الاهتمام بالمتعلم وتحسين جوانب شخصيته وادائه التعليمي ومدى تحقيق الفرد لأهدافه او ما يناط اليه من مهمات داخل وخارج المؤسسة التعليمية هاجس ذوي الاختصاص.

بناء على ذلك يحاول البحث الحالي الاجابة عن الاسئلة التالية:

هل يتمتع طلبة الجامعة بالتدفق النفسي؟ وهل يختلف التدفق النفسي باختلاف جنس الطالب وتخصصه؟ وهل يتمتع طلبة الجامعة بالكفاءة الذاتية المدركة؟ وهل تختلف الكفاءة الذاتية المدركة باختلاف جنس الطالب وتخصصه؟ وهل هناك علاقة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة؟ هذا ما سيحاول البحث الحالي الإجابة عنه.

أهمية البحث:

ان التعليم الجامعي يُعد إحدى الدعائم الرئيسية التي يركز عليها تقدم المجتمع ونموه، وذلك لأنها المؤسسة العلمية الأكاديمية التي تعمل على تطوير الموارد البشرية وبمختلف التخصصات اللازمة لمتطلبات التنمية الشاملة في المجتمع (أبو جادو ونوفل، 2007: 141).

فالجامعة هي نقطة الاتصال ما بين الأجيال ومحور الاحتكاك الحقيقي بالقيم والمفاهيم الاجتماعية، وأداة لكسب المزيد من المعرفة لما يدور في هذا الكون،

فطلبة الجامعة هم العنصر الأساسي في بناء الجامعة وفهم مادتها، وهدفها أن يتفاعلون مع قدرات الطلبة العلمية وتوجيهها التربوي بهدف إعدادهم لقيادة المجتمع في المستقبل (بولص، 1977: 4)، فهم روح الأمة وأملها وأساس تقدمها ورفيها لما لها من الأهمية النفسية والمعرفية والتربوية والاجتماعية، مما يجعلها موضع اهتمام الباحثين والمتخصصين (المرسومي، 1994: 3).

ودراسة شخصية الطالب الجامعي بجوانبها المتعددة لها أهمية بالغة في ميدان علم النفس والتوافق الأكاديمي، إذ يعد التدفق (Flow) مفهوم نفسي يرتبط بنحو واضح بالتفاؤل والتوقع بالنواتج الايجابية والاستبشار بالمستقبل اضافة الى اقترانه بالإحساس بالقدرة والفعالية الشخصية في مقابل اليأس والعجز الذي هو قرين التبدل النفسي والسلوكي، والتدفق النفسي يشكل بُعداً مهماً من ابعاد شخصية المتعلم فهو يؤثر ويتأثر بمدركاته وسلوكاته.

وقد تمثل حالة التدفق العامل الحاسم في تكوين المعنى والهدف من الحياة واضفاء المغزى والقيمة عليها وبالتالي تدفع من يتعايش معها الى الابداع بل الى اعلى تجليات الابداع الانساني، وتمنح الفرد فرصة لضبط وتنظيم أو السيطرة على وعيه وشعوره، وتسمح حالة التدفق لفرد ببناء نفسي رصين حيث يكون الطالب مندمجاً او مستغرقاً بصورة تامة في نشاط ما من اجل ذلك النشاط في ذاته، اذ تحدث الية تدفق تلقائي لكل فعل وكل تفكير يقع في وحدة مسار واحدة. الامر الذي يولد احساساً قوياً بالرضا مما يسهم في تعظيم احساس الطالب بالسعادة وبجودة حياته النفسية داخل الجامعة وأن تدفق الخبرات الانفعالية الايجابية أثناء ممارسة الأنشطة المختلفة، لا سيما وان الانشطة التي تدفع الطالب باتجاه التدفق والحيوية متنوعة ومن الامور التي تمثل حالة نفسية سارة تحدث في الحياة اليومية للفرد يمكن أن يشعر بها في العمل أو المدرسة أو في أي مؤسسة اجتماعية هي: قراءة او كتابة، او ممارسة الالعاب الرياضية، او أنشطة اجتماعية كالحديث مع الزملاء، كما ينتج من هذه الخبرات الانفعالية الإيجابية المتدفقة من خلال أدائه لبعض المهام والأعمال شعور بالاستمتاع قد يستمر ويتكرر (Csikszentmihalyi, 1994: 42)، ومما لا شك أن تعدد الخبرات والمشكلات الاجتماعية والمواقف الجديدة التي تواجه الفرد في حياته اليومية وما تطلبه هذه المشكلات وهذه المواقف من مستوى عال لإدراك

الفرد لحدود تلك المشكلات والمتطلبات اللازمة لكيفية التفاعل معها بشكل فعال حتى تكفل هذه الجهود بنجاح الفرد في حل هذه المشكلات ووضع الحلول والبدائل المتنوعة لحلها والتغلب عليها، يتطلب ذلك أن يتمتع الفرد بمستوى عال من الذكاء المعرفي خاصة في عملية التدفق النفسي والوجداني لديه، بمعنى أن يتمتع بخبرة التدفق النفسي لأن هذه المواقف الجديدة وهذه المشكلات الاجتماعية الصعبة التي تعيق إشباع حاجات الفرد سواء الضرورية والنفسية ورغباته التي تمنعه من الوصول إلى هدفه لا يكفي لحلها السلوك الاعتيادي والخبرات السابقة للفرد فقط بل تحتاج في حلها إلى تدفق نفسي ومهارات اجتماعية ووجدانية وعقلية تساعد في الحل الإبداعي لهذه المشكلات وكيفية مواجهة هذه المواقف الجديدة والتعامل معها بفاعلية حتى يستطيع التكيف والتوافق المنشود وهذا يعتبر في حد ذاته منبأ قويا على فاعلية الذات وارتفاع الأداء وتحسينه، وزيادة الدافعية في إنجاز المهام المكلف بها وتحسين نوعية القرارات التي يتخذها بناء على عملية التدفق النفسي، ويعد التركيز القصدي المرتفع المصحوب بانتباه شديد ودافعية قوية على العمل جوهر عملية التدفق النفسي وعندما يبدأ هذا التركيز فإن حالة التدفق تسير في ثلاثة مسارات هي :

- الأول: التخفيف من حدة الاضطرابات الانفعالية مع تقديم الراحة النفسية.

- الثاني: تيسير القيام بالعمل من غير بذل أي مجهود عقلي وجسدي كبير.

- الثالث: وجود رغبة ودافع قوي يجعله يستثمر قدراته العقلية ومهاراته الوجدانية لأنه يملك مهارة أدائه العقلية والوجدانية إلى أقصى درجة والمساهمة في تحسين نوعية القرارات التي يتخذها في حياته الاجتماعية والعملية (معمرية، 2012: 130 132).

ويعد التدفق النفسي كغيره من المتغيرات التي توضح الصلة بين السلوك والتدفق النفسي ولعل دافع (الجدارة) الكفاية من الدوافع المتميزة في التعلم الذاتي والأبرز بينها إذ يمثل جوانب الاقتدار الإنساني، فالكثير من السلوك الإنساني الذي يطلق عليه حافز الاستثارة (Exploratory Drive) والشغف أو حب الاستطلاع Curiosity يمثل في الواقع أساس الحاجة إلى الجدارة والأهلية، ويتحقق هذا الدافع حينما يتوصل الفرد إلى السيطرة على بيئته بأي شكل من الأشكال ويشير وايت White في مقالته حول مفهوم الكفاية أو الجدارة، بأن كل منا يتحرك لزيادة تحكمه في البيئة المحيطة به، أو لزيادة قدرته وأهليته

وجدارته على مكونات البيئة، وذلك يرجع إلى الإمكانيات الموروثة داخل كيانه، وكذلك فإن أنماط سلوكنا من الشائع أن تتوقف كلياً على كيفية الاستجابات البيئية لهذه الأنماط السلوكية (الأشول، 1978: 73).

وإن مفهوم الكفاية الذاتية يشير إلى وعي المتعلمين بقدراتهم وامكانياتهم على تنظيم، وتنفيذ الأعمال اللازمة للحصول على الأداء المطلوب لتنفيذ المهام الموكلة بهم والمتمثلة ب (الاهداف الاكاديمية، الدرجات، والتقدير الاجتماعي، أو فرص العمل بعد التخرج، كلها تتنوع بصورة واسعة في طبيعة ووقت انجازها (Zimmerman، 2000: 83) كما وتشير الكفاية الذاتية المدركة الى كفاية المتعلم وفاعليته الذاتية وامكانياته العقلية والمعرفية والاكاديمية والحسية والفلسجية وادارة المهام والمشكلات في ضوء متطلبات بيئته الحالية (الزيات، 2001: 501) وهي توقع النجاح في مهمة ما وهذا التوقع يكون ناتجا عن إيمانه بمهارة الأداء الكلية للفرد، وان ذلك يؤثر على اختياره للأنشطة، ومقدار ما يبذله من جهد، ومدى قدرته على مواجهة المواقف والعقبات (الدردير، 2004: 216).

ان الإحساس القوي بالكفاية يسمح للمتعلم بحسن استعمال انتباهه وجهده وتوزيعهما على مطالب المهمة لتحقيق الهدف أو الانجاز المطلوب بعزيمة وحزم، وهو شخص عادة ذو حيوية، مجتهد، فطن، ذكي، فهو يحاول أكثر وينجز بصورة أفضل، ويثابر لفترة أطول في المهمة ويكون شعور الخوف لديه قليلا، ولديه سيطرة اكبر على الأحداث في بيئته (الغول، 1993: 28 27)، وان ذوي المستوى المرتفع في الكفاية الذاتية يتصفون بالثقة بالنفس، والإصرار على بلوغ الهدف بصرف النظر عما يواجهه من عقبات أو مشكلات (حسيب، 2001: 125)

أما المتعلمين ذوي المستوى المتدني من الكفاية الذاتية المدركة فانهم يتصفون بعدم التركيز على المهام المناطة بهم ويميلون الى الهرب منها ويجدون صعوبة في مواجهة مشاكلهم ويظهرون التزاماً ضعيفاً بتنفيذ اهدافهم وهذا يرجع الى امتلاكهم طموح وايمان ضعيف بقدراتهم وهذا لا يؤهلهم على تنفيذ انجازاتهم وهذا بدوره يجعلهم ضحية سهلة للإصابة بالقلق والضغط والاكئاب (Bandura، 1994: 321) كما يشير إلى ان تأثير الكفاية الذاتية على الأفكار والإعمال والعواطف، والى انه يمكن للكفاية الذاتية قوة شرح واسعة، يتغير من خلالها السلوك الإنساني (Bandura، 1982: 122)، وعليه يعد الإحساس

بالكفاية الذاتية وإدراكها محددًا مهما لنجاح الفرد أو فشله في مختلف المهام التي يضطلع بها (Zimmerman, 2000: 83)

وتتضح أهمية الكفاية الذاتية المدركة كونها تؤثر بأحداث المتعلم البيئية كافة من طريق اعتقاده (ادراكه) لمستوى كفاية، فاعليته إمكانياته أو قدراته الذاتية، وما تتضمنه هذه القدرات من مقومات عقلية معرفية، وانفعالية، ودافعية، وحسية، وفسولوجية، وعصبية تحقق له معالجة المشاكل أو المهام أو الأهداف الأكاديمية التي يتعرض لها لتحقيق انجاز ما في ظل هذه المحددات البيئية القائمة (الزيات، 2001: 501)، وان توقع النجاح في مهمة ما يكون ناتجا عن إيمان المتعلم بمهاراته الأدائية الكلية، وهذا بدوره ينعكس على اختياره للأششطة ادائية ملائمه له (الدردير، 2004: 216).

تتأثر الكيفية التي يشعر ويفكر بها المتعلم والخاصة بتوقعاته عن كفاءته الذاتية المدركة بكل من الجانب الانفعالي الايجابي (المتمثل بالسرور والفرح)، والجانب الانفعالي السلبي والتمثل بـ (القلق والاكتئاب وتدني مستوى الذات) فاذا كانت توقعاته عن ذاته ايجابية فان مستواه المعرفي يكون جيد والعكس صحيح (Schwarzer, 1999: 194).

وهذا ما أكدته نتائج الدراسات التي أجريت على الكفاية الذاتية بان كفاءة هذا البناء النفسي والمعرفي يرتبط بتعديل السلوك والتنبؤ به في مجالات مختلفة كالإنجاز المدرسي، والترقي للمهن، والاضطرابات الانفعالية والصحة النفسية والجسدية (جابر، 1986: 35) فاكتساب الاتجاهات التفاؤلية نحو القدرات والإمكانات الذاتية يقود أيضا إلى مضاعفة الجهود وازدياد القدرة على التحمل النفسي وبالتالي رفع نتائج الانجاز وعدم الاستسلام واليأس (Bandura, 1988: 45)، وهناك ثوابت أساسية في الكفاية الذاتية المدركة يتعلق بالموقف من الذات، إذ ان كل خيبة أمل أو اخفاق او قصور او تعثر في مسيرة المتعلم وامكانياته وقدراته يقابلها فرص ايجابية من الانجازات والنجاحات التي تساعده على تجاوز هذه العثرات والاخفاقات بشكل جيد (حجازي، 2012: 38).

ومن هنا تأتي اهمية مفهوم التدفق النفسي والكفاية الذاتية المدركة وتحديد أبعادهما الاساسية وطرائق قياسها لأهميتهما الكبيرة من الناحيتين النظرية والتطبيقية كونهما:

1 - يختص بدراسة شريحة طلبة الجامعة، إذ تقع عليهم مسؤولية قادة المستقبل، لقيادة

- الاجيال القادمة في المجتمع، وأن تقدم المجتمعات الإنسانية رهين بتقدم شبابها.
- 2- يوفر هذا البحث معلومات مهمة لدى المعنيين والمسؤولين في الجامعات العراقية والمجال التربوي على توجيه الطلبة من طريق البرامج الارشادية والتوجيهية، من اجل الاهتمام بالتدفق النفسي، والارتقاء بهم الى مستوى عال من الكفاءة (الكفاءة الذاتية المدركة) مما يؤدي الى نمو شخصياتهم من مختلف الجوانب.
- 3- يعد هذه البحث اضافة معرفية مهمة للمكتبة العربية والمكتبة العراقية بنحو خاص، حول التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة، ولا سيما وأن المتغيرات حيز التطوير نتيجة لاستمرار أبحاث علماء النفس المعرفيين في هذا المجال، وبهذا تسهم بشكل كبير برفد الباحثين بمعلومات حول مجال البحث.
- 4- توفر الدراسة مصادر وأدبيات حديثة زيادة المعرفة النظرية حول أحد أهم النظريات المعرفية المهمة والخاصة بالتدفق النفسي، والتي له مكانة مهمة في البحث العلمي.
- 5- توفر الدراسة الحالية مقاييس حديثة حول متغيرات البحث (التدفق النفسي، والكفاءة الذاتية المدركة).

أهداف البحث Aims of the Research:

- يرمي البحث الحالي التعرف على :-
- 1- درجة التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة.
- 2- الفروق في درجة التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيري الجنس (ذكور- إناث) والتخصص (علمي- إنساني).
- 3- درجة الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة.
- 4- الفروق في درجة الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيري الجنس (ذكور- إناث) والتخصص (علمي- إنساني).
- 5- العلاقة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة.

حدود البحث Limit of the Research: يتحدد البحث الحالي :-

بطلبة جامعة بغداد للتخصصات العلمية والإنسانية ومن كلا الجنسين من الدراسات الصباحية الأولية للعام الدراسي (2015-2016م).

تحديد المصطلحات Limit of the Terms:

أولاً: التدفق النفسي (Psychological Flow): عرّفها كل من: بأنه: -

1 - ميهالي تشكزيتتهيمالي (Csikszentmihalyi، 1591): شعور الافراد عندما يتصرفون باندماج تام مع العمل او المهمة التي يقومون بها (Csikszentmihalyi، 1957:91).

2 - لوتز وكويريو (Lutz & Guir، 1994): حالة ذهنية واثارة داخلية ايجابية يشارك فيها الفرد بعمق في الانشطة والاحداث المحببة لنفسه (Lutz & Guir، 1994:45).

3 - جولمان (2000): حالة نسيان الذات عكس التأمل والاجترار والقلق والاستغراق في الاداء مع الشعور بالسرور والذي يكون هو الدافع والمحفز والذي يسهم في التخفيف من الاضطرابات الانفعالية (جولمان، 2000: 134).

4 - ابو حلاوة (2013): حالة من اندماج الفرد في المهام والاعمال التي يقوم بها اندماجاً تاماً ينسى به ذاته والزمن والآخرين، ليتجه باتجاه المثابرة ليصل في نهاية الامر الى ابداع انساني من نوع فريد (ابو حلاوة، 2013: 8).

وقد اعتمدت الباحثة تعريف (Csikszentmihalyi، 1957) تعريفاً نظرياً لـ «تدفق النفسي».

التعريف الاجرائي: هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب على المقياس المعد في البحث الحالي لهذا الغرض.

ثانياً: الكفاية الذاتية المدركة Perceived Self - Efficacy: عرّفها كل من: بأنها: -

1 - باندورا (Bandura، 1997): - معتقدات الفرد حول قدرته على تنظيم او تنفيذ المخططات المطلوبة لانجاز مهمة معينة (Bandura، 1997: 33).

2 - وايفيلد واخرون (Wigfield et al، 1997): تقدير لمستوى الفرد في نشاط معين او التوقعات بأداء الفرد في المستقبل (Wigfield et al، 1997: 451).

3- يعرفها كوك ووات (Cock & Watt، 2001) :- أحكام ذاتية يصدرها الفرد ذاته عن قدرته على الأداء في مجال معين بفاعلية (Cock & Watt، 2001:1).

وقد تبنت الباحثة تعريف باندورا (Bandura، 1997) لأنها تبنت الإطار النظري له .

التعريف الإجرائي:-

الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب من طريق إجابته عن فقرات مقياس الكفاية الذاتية المدركة الذي اعد لهذا الغرض .

الاطار النظري:

أولاً: التدفق النفسي (Psychological Flow):

يعد مفهوم التدفق النفسي من المفاهيم السيكولوجية ذات المضامين الايجابية اذ تمثل ظاهرة إيجابية في مجال علم النفس الإيجابي، وتمثل حالة التدفق بالمعنى الذي توصف به في ادبيات علم النفس الايجابي الخبرة الانسانية المثلى (Optimal Human Experience) المجسدة لأعلى تجليات الصحة النفسية الايجابية باعتبارها خبرة تتحقق هذه الخبرة الذاتية عندما ينسى الفرد نفسه أثناء عملية التدبر والتفكير وإعمال العقل في حل بعض المشكلات، يذوب الفرد في تنفيذ المهام والأعمال المرتبطة بهذه المشكلات مقترناً بحالة من النشوة والابتهاج والصفاء الذهني والدافع له باتجاه المداومة والمثابرة ليصل في نهاية الامر الى ابداع انساني من نوع فريد تكون فيه المعاناة مرحباً بها دون انتظار لأي تعزيز من أي نوع، وهنا تكون هذه الحالة مطلوبة لذاتها ويكمن سر الرفاهية والسعادة الشخصية والاحساس العام بوجود الحياة، لكونها تضيء المعنى والقيمة على هذه الحياة اذ يعاين من طريقها بهجة الحياة ويكتشف معنى للحياة وتصبح حياته الاجتماعية هادفة وجديرة بأن تعاش لأن حياته لا قيمة لها ولا فائدة لها بدون عملية التدفق النفسي، وبالتالي تجعل من يتعايش معها يصل إلى أعلى حالات الإبداع الإنساني، وصدق الله العظيم إذ يقول: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) [المدثر 18] (ابو حلاوة، 2013: 8)

في عام (1957) صيغ مفهوم التدفق النفسي من قبل العالم (Csikszentmihaly، 1957) اذ اعتبره احساس كلي يشعر به الناس عندما يتصرفون باندماج تام مع العمل او المهمة

التي يؤدونها وفي حالة التدفق يكون المرء مندمجاً او مستغرقاً بصورة تامة في نشاط ما من اجل ذلك النشاط في ذاته، وهي حالة ينسى فيها المرء ذاته ومن دون ان يكون هناك شعور بالوقت، اذ يكون تدفق تلقائي لكل فعل وكل حركة وكل تفكير في وحدة مسار كأن المرء يعزف مقطوعة موسيقية، وبالتالي هي حالة تستولي على المرء بكافة منظومات شخصيته، وتدفعه الى ان يوظف كل قدراته ومهاراته الى اقصى حد ممكن، وهي بهذا اعلى تجليات المظاهر الابداعية (Csikszentmihaly، 1996: 5).

ويمكن ان نقف بشكل اوسع على تفاصيل حالة التدفق من خلال نظرياته وهي:

1 نظرية شكزنتيميهاالي (Csikszentmihaly، 1957):

انبثقت نظرية التدفق النفسي على يد العالم المجري الاصل تشكزنتيميهاالي (Csikszentmihaly) عام (1957) اثناء مقابلاته الشخصية للعديد من الاشخاص من الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا واليابان وتايلاند، أستراليا، ومن مختلف الثقافات الأوروبية، اذ اشركهم في مجموعة من الانشطة ولم يجد ميهاالي وصفاً اقرب للتعبير عن ما عبر عنه هؤلاء الناس الى تشبيهه بتيار الماء الذي يحملهم في مساره. وعلى هذا الاساس اطلق عليه تشكزنتيميهاالي (Csikszentmihaly) بالتدفق النفسي وقد استخلص ميهاالي من اجابة الاشخاص الذي قابلهم تسعة تصورات او ابعاد رئيسة هي:

- 1 - الاهداف الواضحة.
- 2 - الاندماج والتركيز.
- 3 - فقدان الاحساس بالوعي بالذات، اندماج الفعل في الوعي.
- 4 - نشوة الاحساس بالوقت.
- 5 - تغذية راجعة مباشرة وفورية.
- 6 - التوازن بين القدرة والتحدي او الصعوبة.
- 7 - احساس الفرد بالقدرة على التحكم بالموقف او النشاط.
- 8 - الاثابة الداخلية للنشاط.
- 9 - الاستمتاع الذاتي (Autotelic experiences) والذي يشير الى ان خبرات اثابة داخلية يشعر بها الفرد عند القيام بعمل او اداء نشاط وانجاز المهمة هو الهدف في حد ذاته دون انتظار الاثابة من الخارج (Csikszentmihaly، 1957:91).

وعليه انبثقت النظرية من سؤال اساسي أثاره ميهالي «لماذا يواجه معظم الناس صعوبات في توجيه أنفسهم نحو أنشطة تجلب لهم الرضا والسعادة ويفضلون الجلوس والخمول والبلادة»؟ على هذا الاساس حرك فعاليات بحوثة اعتقاده بأن البشر لا يعرفون كيفية الاستفادة من او توظيف اوقات الفراغ.

ووجد هناك قيود او عقبات تحول دون استمتاع البشر بالحياة بشكل عام والانشطة بنحو خاص ومنها الانشغال التام بالخوف من تقييمات واحكام الاخرين، لهذا يرى ميهالي ان للتنشئة الاجتماعية دور كبير في ذلك ولهذا ركز وبشكل كبير على دور الاسرة. و اشار ميهالي ان الاحساس بالنشوة والابتهاج (Ecstasy) يتضمن تجاوز ضوابط او قيود الانا اي التحرر النسبي من قيود الانا، اضافة الى تجاوز روتين الحياة اليومية العادية مما يتطلب ولوج طرق حياة متنوعة وانشطة حياة ثرية، تثير حالة التدفق لدى الفرد، ويرى (Csikszentmihaly) ان هناك مصاحبات نفسية تتاب المرء عندما يتعايش مع حالة التدفق، وغالباً ما تكون هذه المصاحبات متبلورة حول الشعور بالنشوة والابتهاج والسعادة التامة والاحساس بالجدارة والقيمة الشخصية والاثابات الداخلية وقد اطلق عليها خبرة التدفق (ExperientFlowe) الا انه اوضح المصاحبات النفسية لحالة التدفق تدور حول ما سماه مارتن سلجمان بقضية المعنى (Csikszentmihaly, 1990:4) «Meaningness» .

3 نظرية سيلجمان (Seligman):

اشار سيلجمان في كتابه: السعادة الحقيقية الى قضية المعنى ولها ثلاث مستويات للسعادة:

- 1- الحياة السارة التي تتضمن خبرات تجلب السرور والانشراح، وتتضمن انفعالات ايجابية كبيرة.
- 2- الانغماس او الاندماج في الحياة التي تستغرق طاقات ونشاطات الانسان.
- 3- الحياة ذات المعنى او الدلالة والقيمة.

ويعد مفهوم سيلجمان (Seligman) عن الاندماج في الحياة مماثل تماماً لمفهوم التدفق والخبرة المثالية (Optimal Experience) لدى تشكز ينتميهالي. ويعتقد سيلجمان

أنه نمط أقل أهمية للسعادة مقارنة بالسعادة التي يحصل عليها الانسان من الانشطة الهادفة ذات المعنى (ابو حلاوة، 2013: 51).، ولا يختلف سيلجمان عن تصور ميهالي تشكزيتنميهالي كثيراً في ان التدفق مفهوماً خالياً او مجرداً من القيمة (Value-free). فقد يكون الانسان في حالة من التدفق اثناء ارتكاب عملاً سلبياً (كالتخريب او القتل) لا يسهم بالضرورة في خدمة الصالح العام. وهنا يفيد تشكزيتنميهالي ان الحياة ذات المعنى والدلالة هي تلك الحياة التي تتضمن النقاط التالية:

- 1 - بدلاً من ان يكون التدفق ناتجاً عن سلسلة من الاهداف غير المترابطة، لا بد ان يندفع الانسان في تحركاته من مجموعة عامة من التحديات او المصاعب التي تخلع او تسقط معنى وغرضاً وقيمة على اي شيء يفعله.
- 2 - التصميم والاصرار على حل او التغلب على هذه التحديات بالتصرف الهادف لتحقيق اغراض ايجابية.
- 3 - تستغرق الانشطة الهادفة ذات المعنى في حياة الانسان لتصبح تصرفاته وافعاله متطابقة بتناغم مع اغراضه او اهدافه.

وحالة التدفق (Flow) بهذا المعنى تشير الى خبرة سيكولوجية ممتعة تتحقق عندما يندمج الناس في التعامل مع مهام ذات طبيعة متحدية تتطلب تركيزاً ومثابرة والتزاماً او تعهداً شخصياً بانجازها بمستوى مرتفع الجودة والتميز. وتحدث حالة التدفق هذه حسبما يرى ميهالي تشكزيتنميهالي (Csikszentmihaly, 1997) عندما يكون هناك نوع من التوازن بين مستوى المهارة ومستوى التحدي الذي تفرضه المهمة خاصة المهام ذات الاهداف الواضحة والتي يتحصل له بموجب التفاعل معها تغذية راجعة فورية، ومع توافر هذا الاحساس يفضي الى حالة من التركيز التام في واقع الامر على مواجهة التحدي بما لا يترك مجالاً للتفكير في اي شيء اخر او للقلق من اي مشاكل، وهنا يختفي انشغال المرء بذاته، ويصبح احساسه بالوقت مشوش ومضطرب نتيجة الاندماج التام في المهام (Csikszentmihaly, 1997: 34)، ويرى ميهالي هناك علاقة وثيقة بين حالة التدفق ودافعية التعلم على وجه التحديد نجد ان المتعلمين يكونون عادة امام ثلاث احتمالات بناء على مضامين مفهوم التدفق النفسي:

أولاً: ما يعرف بحالة القلق والخوف من الفشل وتحقق لدى المتعلم عندما تكون مستوى آته ومهارته منخفضه.

ثانياً: حالة الملل وما يرتبط بها من فتور ولا مبالاة وتفريط في الاداء التعليمي وتحقق هذه الحالة عندما يكون مستوى قدرات ومهارات المتعلم مرتفعة ويواجه بمهام او تحديات تعلم منخفضه.

ثالثاً: حالة التدفق وما يرتبط بها من نشوة وابتهاج واندفاع باتجاه التجويد والابداع وتحقق هذه الحالة عندما يكون مستوى قدرات ومهارات المتعلم مرتفعة وايضاً تكون المهام والتحديات التي يواجهها مرتفعة (Csikszentmihaly,1990:70).

4 نظرية ميهالي:

التدفق النفسي يحدث عندما يكون الافراد مستغرقين بنشاط معين يعدهم عن الاحساس بالذات والوقت (ابو حلاوة، 2013: 5)، ويحدث عند الافراد الذين يمارسون انشطة دون مقابل بمعنى ان الانشطة تكون هدفاً بحد ذاته كونه يشعرون بالفرح والسرور، ويعتد ميهالي ان الفرد يصل الى حالة التدفق النفسي عندما يؤدي الانشطة المثالية التي تحرره من الرتابة النفسية، ويتكون التدفق من القدرات والمهارات التي يستعملها لمواجهة تحديات الحياة، وان الانشغال بحياة منتجة تولد لديه الشعور بالمتعة والسرور والسعادة اضافة الى ضبط وتحقيق الذات (معمرية، 2012: 134 136)، ويرى ميهالي ان التدفق النفسي يتكون من تسع نقاط وهي: وضوح الاهداف الاندماج تشوه الاحساس بالوقت التركيز فقدان الاحساس والوعي بالذات تغذية راجعة توازن بين القدرة والتحدي الاحساس بالقدرة على ضبط النشاط الاثابة الداخلية وحصر الوعي بالنشاط (ابو حلاوة، 2013: 19 20).

ثانياً: الكفاية الذاتية المدركة:

ان إدراك الطلبة لقدراتهم الأكاديمية يشير الى كفاياتهم الذاتية وهذا يعني مدى اعتقادهم بأنهم قادرين على فهم وأداء أعمالهم المدرسية بشكل جيد (Ryan & Pintrich، 1997: 236).

فالمتعلم الذي يدرك بان كفايته الذاتية في نشاط معين غير جيدة فمن المتوقع أن يترك او يتعد عن ذلك النشاط كونه يسبب له خبره سيئة وهذه الخبرة السيئة تجعله يعزو نتائج فشله بذلك النشاط الى عوامل الحظ والصدفة او الى النشاط ذاته (عن طريق التقليل من اهميته) محاولة منه لتخفيف الضغط النفسي عنه (Lewis, 1976:322)، على العكس من التوقعات الايجابية الجيدة تعمل على دفع الطلاب على المثابرة والإصرار، وإن ارتباط الإثابة الجيدة بالانجاز والاهداف القريبة المدى للمتعلم تحسن من معتقدات كفايته الذاتية والتي تحسن معتقدات الكفاية، ويرجع ذلك إلى ان كلا من الإثابة والأهداف تزود المتعلم بتغذية راجعة ايجابية عن تقدمه وتنعكس بالتالي هذه الصورة الايجابية على ادائه الاكاديمي الجيد (Schunk & Pajares, 2004: 60).

النظريات التي فسرت الكفاية الذاتية المدركة:

1 النظرية المعرفية الاجتماعية Social Cognitive Theory:

يؤكد باندورا ان كفاية الذات ذات جانب دافعي ترتبط بالنتائج النهائي للسلوك وقد يكون هذا سبباً في مثابرة الفرد ومواجهته للعقبات، ويرى ان هناك عمليات معرفية تتوسط بين سلوكياته ونتاجاته وطريقة تنفيذه لهذه السلوكيات، ومثل هذه التناجات ربما لا تظهر على نحو مباشر، ولكنها تستقر في البناء المعرفي للفرد بحيث يصر الى تنفيذها في الوقت المناسب، ويؤكد ان سلوك الفرد لا تحدده فقط طبيعة الأهداف وأهميتها او المعززات بل يتحدد عن طريق (توقع) الشخص المعني بان هذه الأحداث ستحدث (Bandura, 1997: 20)، وان مقدار هذا التوقع يتوقف على خبرات الفرد السابقة والخاصة بالسلوكيات ونتاجات التي يحصلون عليها، حيث ستقود الخبرة السابقة الناجحة لسلوك ما الى توقع تكرار السلوك نفسه مره اخرى، ويحدث العكس اذا ما كانت خبرته السابقة فاشلة فان توقع السلوك يقل وبالتالي لا يحقق اهدافه المؤمل انجازها (Bandura, 2000: 75 76).

2 نظرية العزو Attribution Theory:

تعد الادراكات الخاصة بأحداث وقعت على الفرد بالفعل الاساس الذي ركزت عليه نظرية العزو ونتيجة لهذه الاحداث التي وقعت عليهم في وقت سابق فانهم يبحثون عن أسباب هذا الأداء في ضوء أربعة مصادر وهي :

● موضع السببية Locus of Causality .

● الثبات Stability .

● قابلية الضبط Controlla

● الكلية (العمومية (Ames, 1983:167) (Globality).

وتوضح هذه النظرية كيف تؤثر الدوافع على خبرات النجاح والفشل عزو الافراد أسباب نجاحهم وفشلهم الى عوامل داخلية او خارجية وتحديد السلوك والتنبؤ به ضمن حدود مجالات انجازاتهم، بمعنى ان اعتقاداتنا وعزونا لكل ما يحدث لنا يؤثر في دافعتنا (الرفوع واخرون، 2004: 85)، وعليه فان التحدي من اجل الانجاز الجيد يتوقف على توقعات الفرد بشأن نتاجاته المستقبلية وهذه بدورها تعتمد على ما استنتجه نتيجة عزوه لخبراته وردود افعاله الانفعالية (Forsyth & Manilion, 1985: 393).

3 نظرية الدافع للإنجاز Theory of motivation for achievement :

يعد مفهوم القيمة التوقع للإنجاز الاساس الذي تعتمد عليه نظرية الدافع للإنجاز اذ يوضح اتكنسون Atkinson ان النجاح يتبعه الشعور بالفخر والفشل يتبعه شعور الفرد بالفخر على العكس من الفشل، وهنا يبدأ الصراع بين الحاجة للإنجاز وتحقيق النجاح والخوف من الفشل. ويؤكد الدافع للإنجاز على اهمية الشعور بالإنجاز والفخر في احساس الفرد بكفايته في انجاز الاعمال وان الفرد لا يشجع في انجاز اي عمل يقوم به دون ان يفكر في نواتجه، ويرى اتكنسون Atkinson ان النزعة او الميل للنجاح أمر متعلم وهو امر يختلف بين الأفراد كما ويختلف عند الفرد الواحد نفسه في المواقف المختلفة وهذا الدافع يتأثر بعوامل عدة وهي :

أ الدافع للإنجاز النجاح. ب احتمالية النجاح (الزيات، 2001: 335).

4 نظرية المحاولة والخطأ (Theory of Trying):

اول من وضع نظرية المحاولة والخطأ العالمين باكوزي ووارشو (Bagozze & Warshow، 1990) وقد بينت ان الافراد يحققون نجاحاتهم للمواقف الصعبة التي يتعرضون لها عن طريق وضع هدف معين يتم تحقيقه بطريقة المحاولة والخطأ، وعليه

يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من المواقف التي تواجه الافراد هي: أولها موقفه من النجاح، وثانيها موقفه من الفشل، وثالثها موقفه من كيفية ملاحظة الهدف، فالفرد عندما يواجه موقفاً ما فإنه يضع امام عينه الهدف الذي يصبو إلى تحقيقه من ذلك الموقف، فالسلوك الصعب هنا جدير بالمحاولة، وأن توقع النجاح أو الفشل يتوقف على تحقيق الهدف بصورة مباشرة، في حين أن ضبط السلوك أو توقعات الفاعلية الذاتية تصبو نحو الكفاءة الذاتية، وأن توقعات النجاح والفشل تعبر عن احتمالات ذاتية فيما يتعلق بذلك الهدف (Schwarzer, 1995, p. 115 116).

بمعنى ان محاولة الفرد لمنع الفشل تجعله يستمر بالمحاولة الى ان يحققها ومن ثم يعززها عليها ويعززها وأن هذه المحاولات المتكررة الفاشلة يتم من خلالها بناء كفاءات تعزز بناء الفرد وتمده بكفاءات ذاتية قوية يستفاد منها مستقبلاً .

الدراسات السابقة:

أولاً: دراسات تتعلق بالتدفق النفسي:

1 دراسة (صديق،2009):

(التدفق النفسي وعلاقته ببعض العوامل النفسية لدى طلبة الجامعة)

رمت الدراسة التعرف على العلاقة بين التدفق النفسي وبعض العوامل النفسية كالاكتئاب والقلق والرضا عن الذات والمثابرة والقلق والاكئاب والملل، وتكونت عينة الدراسة من (616) طالب وطالبة جامعيين، واستخدم الباحث مقياس التدفق النفسي، وأشارت النتائج الى وجود علاقة بين التدفق النفسي والنوع ولصالح الذكور، بينما أظهرت الدراسة وجود علاقة ايجابية بين التدفق النفسي والاعتماد على النفس والمثابرة والرضا عن الذات ووجود علاقة سلبية بين التدفق النفسي والقلق والاكئاب والملل (صديق، 2009: 313 357).

10 دراسة (البهاص،2010):

(التدفق النفسي والقلق الاجتماعي لدى عينة من المراهقين مستخدمي

الانترنت)

رمت الدراسة التعرف على التدفق النفسي كحالة ايجابية والقلق الاجتماعي كحالة

سلبية لمستخدمي الانترنت، وتكونت عينة الدراسة من (256) طالب وطالبة من طلاب المرحلة الثانوية وممن يستخدمون الانترنت، وأشارت النتائج الى ان الذكور اكثر تمتعاً بحالة التدفق النفسي من الاناث، كما واطهرت النتائج وجود علاقة بين التدفق النفسي والقلق الاجتماعي (البهاص، 2010: 20: 66).

10 دراسة (أحمد وعبد الجواد، 2013):

(التفكير الايجابي والسلوك التوكيدي كمنبئات بأبعاد التدفق النفسي لدى عينة من المتفوقين دراسياً من الطلاب الجامعيين).

استهدفت الدراسة التعرف على اسهام كل من التفكير الايجابي والسلوك التوكيدي في التنبؤ بالتدفق النفسي لدى عينة من المتفوقين دراسياً من طلبة الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (130) طالب وطالبة من طلاب الجامعة، وأشارت النتائج الى عدم وجود فروق في التدفق النفسي والسلوك التوكيدي بين الذكور والاناث، واطهرت النتائج وجود علاقة بين التدفق النفسي والسلوك التوكيدي (أحمد وعبد الجواد، 2013: ط).

ثانياً: دراسات تتعلق بالكفاءة الذاتية المدركة:

1 دراسة (اللهيبي، 2006):

(معتقدات الكفاية العامة والأكاديمية واتجاه الضبط وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في ضوء المتغيرات الديمغرافية والأكاديمية)

هدفت الدراسة التعرف على معتقدات الكفاية العامة والأكاديمية واتجاه الضبط وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في ضوء المتغيرات الديمغرافية (العمر والجنس) والأكاديمية (التخصص، المستوى الدراسي) لدى عينة من طلاب جامعة أم القرى، وتكونت عينة الدراسة من (497) طالبا وطالبة من طلاب الجامعة، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تطبيق مقياس الكفاية الذاتية لشن وآخرون (Chen, et. al, 2001) ومقياس الكفاية الدراسة لوود ولوك (Wood & Locke, 1987) ومقياس اتجاه الضبط المعرب (أبو ناهية، 1986) بالإضافة إلى درجات التحصيل الدراسي المتمثلة في المعدلات

التراكمية للطلبة من خلال تطبيق المنهج الوصفي بشقيه: الارتباطي والسببي، واستعمل الباحث الأساليب الإحصائية المناسبة للإجابة عن تساؤلات البحث، وأشارت النتائج الى وجود علاقة دالة بين معتقدات الكفاية العامة والأكاديمية، وارتبط اتجاه الضبط ارتباطاً ايجابياً مع البعدين السابقين، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية الأكبر، ولصالح الذكور في معتقدات الكفاية الذاتية والأصغر سناً والإناث في اتجاه الضبط ووجود فروق ذات دلالة حسب متغير التخصص لصالح الأقسام الأكاديمية العلمية في معتقدات الكفاية الأكاديمية وفي اتجاه الضبط (اللهيبي، 2006: ج د).

1 دراسة (النصاصرة، 2009):

(الكفاءة الذاتية المدركة وعلاقتها بقلق الامتحان في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية لدى طلبة الثانوية العامة في مدينة بئر السبع)

هدفت الدراسة التعرف على الاختلاف في كل من الكفاءة الذاتية وقلق الامتحان تبعاً لمتغيرات الجنس، المستوى الدراسي، والتعرف على العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة وقلق الامتحان في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية (الجنس، المستوى الدراسي) لدى طلبة المرحلة الثانوية، كذلك. وتكونت العينة من (678) طالب وطالبة، ولتحقيق اهداف البحث طبق الباحث مقياس الكفاءة الذاتية المدركة ومقياس قلق الامتحان، وتوصلت النتائج الى وجود علاقة عكسية ذات دلالة احصائية بين الكفاءة الذاتية المدركة وقلق الامتحان لدى طلبة الثانوية، وعدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين المتوسطات الحسابية لأداء افراد عينة الدراسة على مقياس الكفاءة الذاتية تعزى الى الدور الذي يلعبه الجنس وجاءت لصالح الاناث والتخصص الاكاديمي ولصالح التخصص الانساني (النصاصرة، 2009: ي).

1 دراسة (خالد، 2010):

(التكيف الأكاديمي وعلاقته بالكفاية الذاتية العامة لدى طلبة كلية العلوم التربوية في جامعة آل البيت)

رمت الدراسة التعرف على التكيف الأكاديمي وعلاقته بالكفاية الذاتية العامة لدى طلبة كلية العلوم التربوية في جامعة آل البيت، وتكونت عينة الدراسة من (200) طالباً وطالبة،

ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث مقياس الكفاية الذاتية العامة لجيروزلم وتشيفيرز ومقياس هنري بورو للتكيف الأكاديمي، وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدى أفراد عينة الدراسة في التكيف الأكاديمي تعزى لجنس الطالب ولصالح الاناث وتوجد فروق في التخصص ولصالح التخصص العلمي والتفاعل بينهما وأيضا وجود ارتباط موجب بين التكيف الأكاديمي والكفاية الذاتية العامة (خالد، 2010: 414).

الفصل الثالث:

منهجية البحث Research Methodology:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي كونه أنسب المناهج لدراسة العلاقات الارتباطية بين المتغيرات والكشف عن الفروق بينها من أجل وصف وتحليل الظاهرة المدروسة، «إذ يُعد المنهج الوصفي من أساليب البحث العلمي التي تهتم بدراسة الظاهرة كما هي في الواقع، فهو يهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفياً وكمياً، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطي وصفاً رقمياً ليوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى» (عبيدات وآخرون، 2007: 28).

مجتمع البحث: (Population of the Research) :

يقصد بمجتمع البحث المجموعة الكلية ذات العناصر التي يسعى الباحث إلى أن يعمم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة (عودة وملكاوي، 1992: 106)، ويتكون مجتمع البحث الحالي من طلبة جامعة بغداد للعام الدراسي 2014 2015 الدراسات الصباحية من الذكور والإناث ومن التخصصين العلمي والإنساني البالغ عددهم (41767) طالباً وطالبة موزعين على (24) كلية، منها (14) كلية ذات تخصصات علمية يبلغ مجموع طلبتها (21798) طالباً وطالبة يشكلون نسبة (52%) بواقع (9285) طالب و (12513) طالبة، و (10) كلية ذات تخصصات إنسانية مجموع طلبتها (19969) طالباً وطالبة يشكلون نسبة (48%) بواقع (8326) طالب و (11643) طالبة.

أولاً: مجتمع البحث:

ثانياً: عينة البحث (Sample of Research): يقصد بالعينة (Sample) جزء من المجتمع الذي تجري عليه الدراسة يختارها الباحث لإجراء دراسته عليها وفقاً لقواعد خاصة لكي تمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً (داود وعبد الرحمن، 1990: 67).

اختيرت عينة البحث بأسلوب المعاينة العشوائية الطبقية Stratified Random Sampling ذات التوزيع المتناسب Equal distribution، «ويستعمل هذا الأسلوب عندما يكون مجتمع الدراسة متجانس ويمكن تقسيمه على طبقات منفصلة وفقاً لمتغيرات الدراسة واعتبار كل طبقة وحدة واحدة، ومن ثم اختيار أفراد عينة الدراسة عشوائياً من هذه الطبقات» (عودة والخليلي، 1988: 174). وبما أن مجتمع البحث الحالي يمكن تقسيمه على أساس التخصص (علمي إنساني) والنوع (ذكر أنثى)، فقد تألفت عينة البحث من (400) طالباً وطالبة من مجتمع البحث موزعين على (6) كليات اختيرت بطريقة عشوائية من جامعة بغداد/ الدراسة الصباحية بواقع ثلاثة كليات منها في التخصص العلمي ومثلها في التخصص الإنساني، وكان تمثيل متغيري الجنس والتخصص، بواقع (172) من الذكور و (228) من الإناث، وبواقع (220) طالباً وطالبة من التخصصات الإنسانية، و (180) طالباً وطالبة من التخصصات العلمية، وكما مبين في الجدول (1).

الجدول (1)

عينه البحث موزعة بحسب الجنس والتخصص

المجموع	الجنس		الاختصاص	الكلية	ت
	اناث	ذكور			
90	55	35	انساني	التربية / ابن رشد	1
73	45	28	انساني	الاداب	2
57	25	32	انساني	اللغات	3
70	40	30	علمي	التربية/ ابن الهيثم	4
60	33	27	علمي	العلوم	5
50	30	20	علمي	الزراعة	6
400	228	172			المجموع الكلي

أداتا البحث:

تعد أداة البحث طريقة موضوعية مقننة لقياس عينة من السلوك، لذا يشكل اختيار الأداة أهمية كبيرة في التعرف على الخاصية المراد قياسها (Anastasi، 1976: 15). ولغرض تحقيق أهداف البحث الحالي قامت الباحثة ببناء وتبني الأدوات الآتية، وكما هو موضح ادناه:

1 بناء مقياس التدفق النفسي (Psychological Flow):

2 بتبني مقياس الكفاية الذاتية المدركة (Perceived Self - Efficacy):

أولاً: مقياس التدفق النفسي (Psychological Flow):

إجراءات بناء مقياس التدفق النفسي:

أ تحديد مفهوم التدفق النفسي:

لأجل تحقيق أهداف البحث وقياس متغير التدفق النفسي، وبالنظر لعدم وجود مقياس عمراقي على حد علم الباحثة، أرادت الباحثة أن تقوم ببناء مقياس التدفق النفسي يتلائم مع الأطار النظري الذي أنطلق منه البحث ومع طبيعة مجتمع البحث والتعريف النظري المتبنى لمفهوم التدفق النفسي لـ ميهالي تشكزيتهمالي (Csikszentmihalyi, 1957).

ب تحديد مجالات المقياس:

تم حصر مجالات التدفق النفسي وفق المفهوم الذي قدمه ميهالي تشكزيتهمالي (Csikszentmihalyi, 1957) والذي يتكون من مجالين وهي (الاهداف الواضحة والاندماج والتركيز، فقدان الشعور بالوقت والوعي بالذات).

ج صياغة فقرات المقياس بصيغة الاولية: Formulation Scale Items

بعد أن تم تعريف التدفق النفسي تعريفاً نظرياً وتحديد المجالات التي يتألف منها تم اعتمادها في جمع وإعداد فقرات كل مجال من تلك المجالات بحيث تكون منسجمة مع تعريف المجال مع الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة وخصائص العينة التي سيطبق عليها المقياس وبعد مراجعة الأدبيات والأطر النظرية التدفق النفسي، قامت الباحثة بصياغة عدد من الفقرات بلغت (30) فقرة توزعت الفقرات على مجالي المقياس وبواقع (15) فقرة لكل مجال (الاهداف الواضحة والاندماج والتركيز وتعبّر عنها الفقرات (من 1 15) وفقدان الشعور بالوقت والوعي بالذات تعبر عنها الفقرات من (16 30) على التوالي لغرض عرضها على المحكمين، وقد روعي في صياغة فقرات المقياس القواعد الصياغة.

د بدائل الإجابة: Alterative Response:

وضعت الباحثة خمسة بدائل للإجابة أمام كل فقرة وهي (ينطبق علي دائما، ينطبق علي غالبا، ينطبق علي احيانا، ينطبق علي نادرا، لا ينطبق علي أبدا)، وأعطيت لهذه البدائل الدرجات (5، 4، 3، 2، 1)، وبذلك فان أعلى درجة للمقياس تكون (150) درجة، وادنى درجة (30) بمتوسط نظري قدرة (90) درجة.

- صلاحية فقرات مقياس التدفق النفسي:

يذكر أيل (Ebel) أن أفضل وسيلة للتأكد من صلاحية الفقرات هي قيام عدد من الخبراء والمختصين بتقرير صلاحيتها لقياس الصفة التي وضعت من اجلها (Ebel، 555: 1972)، واستنادا إلى ذلك عُرضت فقرات المقياس بصيغتها الأولية، على عدد من الخبراء المختصين في مجال العلوم التربوية والنفسية، بعد تعريف مجالي مقياس التدفق النفسي، لإبداء آرائهم في مدى صلاحيتها وصلاحية البدائل، وفي ضوء آراء المحكمين تم استخراج تأييد صلاحية الفقرة أو رفضها، وتم استبقاء الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق (80%) فضلاً عن إن قيمة (كا) دالة عند مستوى (05،0) فأكثر، وكانت الفروق بين المؤيدين لها والرافضين ذات دلالة إحصائية، إذ كانت قيم مربع كاي المحسوبة أكبر من القيمة كا الجدولية (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية⁽¹⁾، وفي ضوء آراء الخبراء وملاحظاتهم تم الاتفاق على إبقاء جميع فقرات المقياس مع إجراء تعديلات أوصى بها عدد من الخبراء على بعض الفقرات، كما مبين في الجدول (2).

الجدول (2)

قيم مربع (كا2) والنسب المئوية لاتفاق الخبراء
حول صلاحية فقرات التدفق النفسي

ت	الفقرات	عدد الفقرات	الموافقين	غير الموافقين	النسبة المئوية	قيمة كا المحسوبة	الجدولية	مستوى الدلالة
1	1-2-3 4-6-7 9-10 11-13 14-16 18-19 21-22 24-26 27-29 30	21	13	صفر	100%	13	84,3	05,0
2	5-8 12-15 17-20 23-25 28	9	11	2	85%	22,6		

التحليل الإحصائي لفقرات مقياس التدفق النفسي:

يعد تحليل الفقرات جزءاً مكملاً لكل من ثبات المقياس وصدقه، وهو من بين الأساليب المستعملة في تحليل الفقرات، وقابليتها على التمييز وارتباطها بالدرجة الكلية للمقياس (Kaplon and saccazzo, 1982, pp:144-147)، ويقتصر تحليل الفقرات فيه على حساب القوة التمييزية لكل فقرة وارتباط درجتها بالدرجة الكلية للمقياس بهدف استبعاد الفقرات التي لا تميز بين المستجيبين والابقاء على الفقرات التي تميز بينهم، إذ يرى كرونباخ أن هناك علاقة قوية بين دقة المقياس والقوة التمييزية للفقرات (coronbach and Gleser, 1965, p.64) فإذا كانت الفقرة تمتلك قوة تمييزية، فهذا يعني ان تلك الفقرة لها القدرة على التمييز بين المستجيبين من ذوي الدرجات العالية والمستجيبين

من ذوي الدرجات الواطئة في المفهوم الذي تقيسه الفقرة، أما إذا كانت الفقرة لا تميز على وفق هذه الصورة فأنها تكون عديمة الفائدة ويجب ان تحذف من الصورة النهائية للمقياس (تايلر، 1989:100). وتم اختيار حجم عينة التحليل الاحصائي البالغة (400) طالب وطالبة.

01 تمييز الفقرات :

القوة التمييزية Discrimination Power هي قدرة الفقرة على التمييز بين الأفراد الذين حصلوا على درجة عالية في الاختبار وبين الذين حصلوا على درجة واطئة فيه (Stang & Wrightsman, 1982, p.51). ويتم ذلك باستعمال مجموعتين محكيتين متضادتين Contrasting Criterion Groups عن طريق مقايسة نسب استجابتهما لكل فقرة. (Anastasi, 1976, p.208)، وقد تم استخدام أسلوب المجموعتين المتطرفتين إذ يتم في هذا الأسلوب اختيار مجموعتين متطرفتين من الأفراد بناء على الدرجات الكلية التي يحصلون عليها من خلال استجاباتهم على المقياس، ثم يتم تحليل كل فقرة من فقرات المقياس باستعمال الاختبار التائي (T-test)) لعيتين مستقلتين لاختبار دلالة الفرق بين المجموعة العليا والدنيا (Edwards, 1957, p.152)، طبقاً لما أشار إليه (Kelley, 1939) بأن أفضل نسبة لتحديد المجموعتين المتطرفتين العليا Upper والدنيا Lower في حالة العينات الكبيرة ذات التوزيع الطبيعي، هي نسبة (27%) من حجم العينة، وقد بين (Ebel, 1972) الأساس السيكومترى لتفضيل هذه النسبة حسب منظور (Kelley, 1939) بأن نسبة (27%) تحقق أفضل حل وسط بين هدفين متعارضين ومرغوبين في آن واحد وهما:

1 - الحصول على أقصى حجم ممكن للمجموعتين المتطرفتين.

2 - الحصول على أقصى تباين للمجموعتين المتطرفتين (Eble, 1972, p.385).

ولتحقيق ذلك في البحث الحالي أتبع الخطوات الآتية:

أ - قامت الباحثة بتطبيق المقياس بصورته الأولية على عينة مؤلفة من (400) طالب وطالبة من مجتمع البحث. نصفهم من الذكور ونصفهم الآخر من الإناث، اختيرت بالأسلوب العشوائي الطبقي من ست كليات، نصفها من الاختصاص الإنساني والنصف الآخر من الاختصاص العلمي. (Nunnally, 1967, p.256).

- ب - قامت الباحثة بتصحيح كل استمارة وإعطاء كل فقرة درجة.
- ج - إعطاء درجة كلية لكل استمارة وبحسب مجموع درجات الفقرات.
- د - ترتيب الاستمارات الـ (400) تنازلياً حسب درجاتها من أعلى إلى أوطأ درجة.
- هـ - تعيين الـ (27%) من استمارات المجموعة العليا والبالغ عددها (108) استمارة و(27%) من المجموعة الدنيا والبالغ عددها (108) استمارة أيضاً وبذلك تم فرز مجموعتين بأكبر حجم واقصى تمايز (Mehrens and lehmann, 1984, p.192)، وبعد تطبيق الاختبار التائي لعيتين مستقلتين لغرض التعرف على دلالة الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا عن طريق الاستعانة بالبرنامج الإحصائي (SPSS) لتحقيق هذا الغرض ظهر أن جميع فقرات المقياس مميزة اذا كانت القيمة التائية المحسوبة أكبر من القيمة التائية الجدولية (1.96) عند مستوى (0.05) والجدول (3) يوضح ذلك.

الجدول (3)

معاملات تمييز فقرات مقياس التدفق النفسي بأسلوب المجموعتين المتطرفتين

رقم الفقرة	القيمة التائية	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		رقم الفقرة
		الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	
دالة	9.419	0.87	4.09	1.455	2.56	1
دالة	12.180	0.892	4.09	1.207	2.33	2
دالة	7.093	0.734	4.39	1.392	3.31	3
دالة	9.040	0.662	4.52	1.335	3.22	4
دالة	6.821	0.659	4.43	1.085	3.59	5
دالة	5.311	0.807	4.39	1.160	3.67	6
دالة	3.435	0.715	4.44	1.004	4.04	7
دالة	7.237	1.359	3.06	0.980	2.22	8
دالة	8.265	1.333	3.31	0.634	4.48	9
دالة	3.969	.857	2.11	1.393	3.52	10
دالة	5.500	0.769	4.13	1.293	3.52	11
دالة	8.269	1.019	4.12	1.446	2.76	12

دالة	3.793	0.382	4.59	1.394	4.00	13
دالة	6.187	1.066	3.94	1.416	2.89	14
دالة	7.972	0.830	4.28	1.200	3.02	15
دالة	10.132	0.854	3.98	1.348	2.43	16
دالة	8.546	1.334	3.30	1.244	1.80	17
دالة	10.667	1.041	3.69	1.243	2.30	18
دالة	3.709	0.778	4.26	1.348	3.70	19
دالة	9.404	1.172	3.83	1.285	2.26	20
دالة	11.263	1.271	3.26	0.84	1.63	21
دالة	10.057	1.053	3.89	1.314	2.26	22
دالة	10.760	0.957	3.98	1.294	2.31	23
دالة	9.506	0.599	4.57	1.395	3.19	24
دالة	7.714	1.376	3.00	0.759	3.39	25
دالة	10.803	1.026	4.26	1.278	2.56	26
دالة	9.411	1.074	3.93	1.418	2.31	27
دالة	9.150	0.998	3.89	1.483	2.31	28
دالة	13.106	1.266	3.93	1.268	1.62	29
دالة	10.114	0.906	4.04	1.363	2.44	30

قيمة التائية الجدولية بدرجة حرية (214) ومستوى دلالة (0.05) = 96,1

- صدق الفقرات (الاتساق الداخلي):

12- علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

يوفر هذا الأسلوب معياراً محكياً يمكن اعتماده في إيجاد العلاقة بين درجات الأفراد لكل فقرة والدرجة الكلية للمقياس، ومعامل الارتباط هنا يشير إلى مستوى قياس الفقرة للمفهوم الذي تقيسه الدرجة الكلية للمقياس (Oppenheim، 1973: 136)، أي أن كل فقرة تسير في نفس المسار الذي يسير فيه المقياس، وتشير أناستازي (Anastasi، 1976) إلى أن الدرجة الكلية للمقياس هي أفضل محك داخلي عندما لا يتوافر المحك الخارجي (Anastasi، 1976: 206)، لذلك استعملت الباحثة معامل ارتباط بيرسون لاستخراج معامل الارتباط بين درجات كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس، حيث كانت

الاستثمارات الخاضعة للتحليل بهذا الأسلوب (400) استثماراً وهي ذات الاستثمارات التي خضعت للتحليل في ضوء أسلوب المجموعتين المتطرفتين، وتبين أن جميع معاملات الارتباط كانت دالة إحصائياً عند مقارنتها بالقيمة الجدولية لمعامل ارتباط بيرسون (0.098) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (398) إذ تراوحت معاملات الارتباط ما بين (0.125-0.623). ومن المعروف «أنه كلما زاد معامل ارتباط الفقرة بالمجموع الكلي كان تضمينها في المقياس يزيد من احتمال الحصول على مقياس أكثر تجانساً» (عودة، والخليلي، 1988: 304) وكما مبين في الجدول (4).

الجدول (4)

معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس التدفق النفسي

ت	قيمة معامل الارتباط	ت	قيمة معامل الارتباط	ت	قيمة معامل الارتباط
1	0.484	13	0.208	25	0.436
2	0.534	14	0.338	26	0.511
3	0.374	15	0.434	27	0.509
4	0.368	16	0.542	28	0.434
5	0.308	17	0.478	29	0.0.585
6	0.304	18	0.525	30	0.522
7	0.225	19	0.244		
8	0.431	20	0.208		
9	0.372	21	0.338		
10	0.270	22	0.434		
11	0.271	23	0.542		
12	0.442	24	0.478		

القيمة التائية الجدولية لمعاملات الارتباط عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (398) تساوي (0.098).

2.2 علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال:

لتحقيق ذلك فقد احتسبت قيم معاملات الارتباط بين درجة الفقرة مع درجة المجال الذي تنتمي إليه باستعمال معامل ارتباط بيرسون، وقد أظهرت نتائج التحليل الإحصائي

أن جميع قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مقارنتها بالقيمة الجدولية لمعامل ارتباط بيرسون (0.098) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (398) إذ تراوحت معاملات الارتباط ما بين (0.623 148,0) لمجال المهام ذات العلاقة و (0.553 279,0) لمجال المهام غير ذات العلاقة، وكما مبين في الجدول (5).

الجدول (5)

ارتباط درجات فقرات مقياس التدفق النفسي بدرجات المجالات المنتمية لها

المجال	رقم الفقرة	قيمة معامل الارتباط	الدلالة	المجال	رقم الفقرة	قيمة معامل الارتباط	الدلالة
الاهداف الواضحة والاندماج والتركيز	1	0.405	دالة	فقدان الشعور بالوقت والوعي بالذات	16	0.348	دالة
	2	0.476	دالة		17	0.504	دالة
	3	0.465	دالة		18	0.593	دالة
	4	0.553	دالة		19	0.592	دالة
	5	0.479	دالة		20	0.623	دالة
	6	0.458	دالة		21	0.437	دالة
	7	0.279	دالة		22	0.376	دالة
	8	0.535	دالة		23	0.477	دالة
	9	0.547	دالة		24	0.540	دالة
	10	0.288	دالة		25	0.530	دالة
	11	0.419	دالة		26	0.713	دالة
	12	0.539	دالة		27	0.617	دالة
	13	0.582	دالة		28	0.468	دالة
	14	0.495	دالة		29	0.443	دالة
	15	0.705	دالة		30	0.503	دالة

3 مصفوفة الارتباطات الداخلية :

تم حساب معاملات ارتباط بيرسون بين مجالات المقياس، وتبين ان جميع الارتباطات الداخلية سواء اكانت ارتباط المجالات بعضها مع البعض الآخر أو ارتباطها بالدرجة الكلية لمقياس التدفق النفسي، وقد تراوحت معاملات الارتباط المحسوبة بين (0.568، 0.914) وجميعها دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) وهذا يشير إلى صدق البناء والجدول (6) يوضح ذلك.

الجدول (6)

مصفوفة الارتباطات الداخلية لمقياس التدفق النفسي

المجال 2	المجال 1	المقياس ككل	مجالات التدفق النفسي
914.0	853.0	1	المقياس ككل
568.0	1	853.0	المجال 1
1	568.0	914.0	المجال 2

مقياس الكفاية الذاتية المدركة Perceived Self Efficacy :

لغرض قياس الكفاية الذاتية المدركة لدى الطلبة عينة البحث قامت الباحثة بتبني مقياس الكفاية الذاتية المدركة لـ (أحلام مهدي عبد الله، 2012)، والمقياس في صورته النهائية مكون من (42) فقرة موزعة على ثلاث مجالات وهي (مستوى الكفاية الذاتية، عمومية الكفاية الذاتية، ثبات الكفاية الذاتية) ولكل مجال صيغت له (14) فقرة، وقد صمم المقياس على وفق اسلوب ليكرت (Likert) وهو ذو خمسة بدائل هي (دائماً، غالباً، أحياناً، نادراً، ابداً)، ترتيب اوزان البدائل من (1 5) إذ اعطيت (5) درجات للبدل (دائماً)، و (4) درجات للبدل (غالباً)، و (3) درجات للبدل (أحياناً)، ودرجتان للبدل (نادراً)، ودرجة واحدة للبدل (ابداً)، ويعني توزيع الأوزان بهذه الطريقة، أن أزيداد درجة المفحوص على المقياس يعني أمتلاك الطالب سمة الكفاية الذاتية المدركة لديه والعكس صحيح.

صلاحية فقرات مقياس الكفاءة الذاتية المدركة:

قامت الباحثة بعرض فقرات المقياس بصيغتها الأولية، على عدد من الخبراء المختصين

في العلوم التربوية والنفسية الملحق، بعد عرض تعريف الكفاءة الذاتية المدركة، لإبداء آرائهم في مدى صلاحيتها، وفي ضوء آراء المحكمين تم استخراج تأييد صلاحية الفقرة أو رفضها، وتم استبقاء الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق (80%) فأكثر وكانت الفروق بين المؤيدين لها والرافضين ذات دلالة إحصائية حيث كانت قيم مربع كاي (كا) (2) المحسوبة اكبر من القيمة الجدولية والبالغة (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) كحد أدنى ودرجة حرية⁽¹⁾، وفي ضوء آراء المحكمين وملاحظاتهم تم الاتفاق على إبقاء (42) فقرة وتم إجراء التعديلات والتي تلائم البيئة العراقية والتي أوصى بها عدد من الخبراء على بعض الفقرات، والجدول (7) يبين النسب المئوية لآراء المحكمين وقيم مربع كاي:

الجدول (7)

قيم مربع كاي (كا) والنسب المئوية لاتفاق الخبراء
حول صلاحية فقرات مقياس الكفاءة الذاتية المدركة

ت	الفقرات	عدد الفقرات	الموافقين	غير الموافقين	النسبة المئوية	قيمة كا المحسوبة	قيمة كا الجدولية	مستوى الدلالة	الدلالة
1	1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42	28	13	صفراً	100%	13	3.84	0.05	دالة
2	1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42	9	12	1	92%	30.9	3.84	0.05	دالة
3	1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42	5	11	2	85%	22.6	3.84	0.05	دالة

التطبيق الاستطلاعي (وضوح التعليمات والفقرات):

لمعرفة مدى فهم فقرات المقياس ووضوح تعليمات الإجابة عليه وبدائل الاستجابة واختيارها، فضلاً عن الوقت المستغرق في الإجابة، ولتحقيق ذلك طبقت فقرات المقياس على عينة مكونة من (60) طالباً وطالبة من طلبة المرحلة الثانية بقسم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة بغداد، وتبين للباحثة أن التعليمات كانت مفهومة وأن الفقرات كانت واضحة من حيث الصياغة والمعنى، وأن مدى الإجابة على المقياس كان (14.8) دقيقة.

التحليل الاحصائي لفقرات مقياس الكفاءة الذاتية المدركة:

لأجل الإبقاء على الفقرات الجيدة في المقياس والتأكد من قدرتها على التمييز بين الأفراد في الصفة المقاسة (الإمام، 1990: 114)، تم تطبيق المقياس على عينة مكونة من (400) طالباً وطالبة من طلبة الجامعة، حيث يميل عدد من الباحثين إلى أن العينة المناسبة لاستخراج الخصائص السيكومترية للمقاييس النفسية يجب أن لا يقل عدد أفرادها عن (400) فرداً. ويشير نللي (Nunnally) إلى أن نسبة عدد أفراد العينة إلى عدد الفقرات يجب أن لا تقل عن (1-5) لعلاقة ذلك بتقليل فرص الصدفة في التحليل (وآخرون، 1981: 73). وبذلك تكون نسبة عدد أفراد العينة في البحث الحالي إلى عدد الفقرات بنسبة (1 6) وهي منسجمة مع الآراء العلمية بصدد ذلك.

1 تمييز الفقرات :

جرى تحليل تمييز الفقرات بأسلوب المجموعتين المتطرفتين Extreme groups method ويتم في هذا الأسلوب اختيار مجموعتين متطرفتين من الأفراد بناء على الدرجات الكلية التي حصلوا عليها في المقياس، ويتم تحليل كل فقرة من فقرات المقياس باستعمال الاختبار التائي (T-test) لعيتين مستقلتين لاختبار دلالة الفرق بين المجموعة العليا والدنيا (Edwards، 1957، p:152)، وطبقاً لما أشار إليه (Kelley، 1939) في دراستها لرائدة حول هذا الموضوع، فإن أفضل نسبة لتحديد المجموعتين المتطرفتين العليا (Upper) والدنيا (Lower) في حالة العينات الكبيرة ذات التوزيع الطبيعي، هي نسبة (27%) من حجم العينة (Kelley، 1939) ويشرح (Ebel، 1972) الأساس السيكومتري لتفضيل هذه النسبة حسب منظور (Kelley) بالاتي:

(أنسبة 27%) تحقق أفضل حل وسط بين هدفين متعارضين ومرغوبين في إن معا) هما:

- 1 - الحصول على أقصى حجم ممكن للمجموعتين المتطرفتين.
 - 2 - الحصول على أقصى تباين للمجموعتين المتطرفتين. (Ebel، 1972، p.385).
- ولتحقيق ذلك في البحث الحالي اتبعت الخطوات الآتية:
- أ - قامت الباحثة بتطبيق المقياس بصورته الأولية على عينة مؤلفة من (400) طالباً وطالبة من مجتمع البحث، نصفهم من الذكور ونصفهم الآخر من الإناث، اختيرت بالأسلوب العشوائي الطبقي من ثمان كليات، نصفهم من الاختصاص الانساني والنصف الاخر من الاختصاص العلمي.
 - ب - قامت الباحثة بتصحيح كل استمارة وإعطاء كل فقرة درجة.
 - ج - أعطاء درجة كلية لكل استمارة وبحسب مجموع درجات الفقرات.
 - د - ترتيب الأستمارات الـ (400) تنازلياً حسب درجاتها من أعلى إلى أوطا درجة.
 - هـ - تعيين الـ (27%) من استمارات المجموعة العليا و(27%) من المجموعة الدنيا أيضاً وبذلك تم فرز مجموعتين بأكبر حجم واقصى تمايز (Stanley and Hopkins، 1924، p.192) (Mehrens and lehmann، 1972، p.268) وبعد تطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لغرض التعرف على دلالة الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا عن طريق الاستعانة بالبرنامج الأحصائي (SPSS) لتحقيق هذا الغرض ظهر أن جميع فقرات المقياس مميزة عند مستوى (0.05)، وكما مبين في الجدول (8).

الجدول (8)

معاملات تمييز فقرات مقياس الكفاءة الذاتية المدركة بأسلوب المجموعتين المتطرفتين

القيمة التائية المحسوبة	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		رقم الفقرة
	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	
6.007	0.785	3.99	1.053	3.22	1
5.389	1.022	3.96	1.048	3.20	2
3.520	1.2630	3.56	1.289	2.94	3
4.419	0.715	4.22	1.197	3.63	4
3.101	1.151	3.72	3.302	3.20	5
3.314	1.252	3.04	1.293	2.46	6
4.787	1.148	3.91	1.292	3.11	7
5.218	1.202	00,3	1.249	2.83	8
5.519	0.892	3.91	1.118	3.15	9
7.021	0.665	4.69	1.292	3.70	10
9.072	0.753	4.35	1.353	3.00	12
5.690	0.835	4.11	1.353	3.24	13
6.779	0.960	4.48	1.041	3.67	14
8.522	0.830	4.15	1.292	2.89	15
7.382	1.049	4.06	1.331	2.85	16
5.836	0.994	3.85	1.102	3.02	17
4.998	1.167	3.61	1.229	2.80	18
6.958	1.071	4.11	1.304	2.98	19
4.261	0.895	3.94	1.192	3.33	20
5.155	1.064	3.91	1.101	3.15	21
3.717	1.264	3.83	1.298	3.19	22
8.344	0.915	4.06	1.273	2.80	23
5.675	0.968	4.19	1.433	3.24	24
5.955	1.223	4.00	1.200	3.02	25
5.389	0.871	4.37	1.132	3.63	26

5.298	0.866	4.13	1.212	3.37	27
6.864	0.636	4.69	1.218	3.78	28
6.269	0.952	4.09	1.204	3.17	29
5.467	1.307	3.54	1.231	2.59	30
2.467	1.32	3.37	1.184	2.98	31
5.771	0.967	4.33	1.234	3.46	32
5.676	1.379	3.93	1.354	2.87	33
3.852	1.298	4.13	1.454	3.41	34
468.5	1.308	54.3	1.292	3.70	35
5.707	1.026	4.35	1.464	3.37	36
5.377	1.261	3.41	1.219	2.50	37
5.102	1.058	4.04	1.179	3.26	38
5.603	1.118	4.06	1.349	3.11	39
6.081	1.034	4.43	1.321	3.44	40
7.171	1.089	3.83	1.328	2.65	41
7.239	0.731	3.37	1.297	3.33	42

القيمة التائية الجدولية 1.96 عند مستوى دلالة 0.05 ودرجة حرية 398

2 صدق الفقرات (الاتساق الداخلي):

2 1 علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

استعملت الباحثة معامل ارتباط بيرسون لاستخراج معامل الارتباط بين درجات كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس، حيث كانت الاستمارات الخاضعة للتحليل بهذا الأسلوب (400) استمارة وهي ذات الاستمارات التي خضعت للتحليل في ضوء أسلوب المجموعتين المتطرفتين، وتبين أن جميع معاملات الارتباط كانت دالة إحصائياً عند مقارنتها بالقيمة الجدولية لمعامل ارتباط بيرسون (0.098) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (398) إذ تراوحت معاملات الارتباط ما بين (0.106-0.480). «ومن المعروف أنه كلما زاد معامل ارتباط الفقرة بالمجموع الكلي كان تضمينها في المقياس يزيد من احتمال الحصول على مقياس أكثر تجانساً» (عودة، والخليلي، 1988: 304) وكما مبين في الجدول (9).

الجدول (9)

معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة

ت	قيمة معامل الارتباط لمستوى الكفاءة الذاتية	ت	قيمة معامل الارتباط لعمومية الكفاءة الذاتية	ت	قيمة معامل الارتباط لثبات الكفاءة الذاتية
1	0.316	16	0.319	31	0.320
2	0.263	17	0.263	32	0.358
3	0.220	18	0.337	33	0.251
4	0.245	19	0.227	34	0.347
5	0.233	20	0.281	35	0.292
6	0.290	21	0.218	36	0.229
7	0.206	22	0.378	37	0.301
8	0.262	23	0.329	38	0.289
9	0.254	24	0.394	39	0.320
10	0.404	25	0.340	40	0.348
11	0.455	26	0.306	41	0.368
12	0.361	27	0.403	42	0.396
13	0.408	28	0.341		
14	0.430	29	0.246		
15	0.480	30	0.206		

2.2 علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال:

لتحقيق ذلك فقد احتسبت قيم معاملات الارتباط بين درجة الفقرة مع درجة المجال الذي تنتمي إليه باستعمال معامل ارتباط بيرسون، وقد أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أن جميع قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مقارنتها بالقيمة الجدولية لمعامل ارتباط بيرسون (0.098) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (398) إذ تراوحت معاملات الارتباط ما بين (0.219 0.526) لمجال مستوى الكفاءة الذاتية و (0.296 0.531) لمجال عمومية الكفاءة الذاتية أما بالنسبة الى المكون الثالث وهو ثبات الكفاءة الذاتية فقد بلغت معاملات الارتباط ما بين (0.361-0.550). وكما مبين في الجدول (10).

الجدول(10)
ارتباط درجات فقرات مقياس الكفاءة الذاتية المدركة بدرجات
المجالات المنتمية لها

المجال	رقم الفقرة	قيمة معامل الارتباط	الدلالة	المجال	رقم الفقرة	قيمة معامل الارتباط	الدلالة	المجال	رقم الفقرة	قيمة معامل الارتباط	الدلالة
مستوى الكفاءة الذاتية	1	0.497	دالة	ثبات الكفاءة الذاتية	16	0.356	دالة	عمومية الكفاءة الذاتية	31	0.455	دالة
	2	0.415	دالة		17	0.327	دالة		32	0.361	دالة
	3	0.498	دالة		18	0.326	دالة		33	0.382	دالة
	4	0.219	دالة		19	0.346	دالة		34	0.420	دالة
	5	0.376	دالة		20	0.394	دالة		35	0.398	دالة
	6	0.475	دالة		21	0.362	دالة		36	0.443	دالة
	7	0.333	دالة		22	0.436	دالة		37	0.466	دالة
	8	0.465	دالة		23	0.447	دالة		38	0.478	دالة
	9	0.427	دالة		24	0.531	دالة		39	0.464	دالة
	10	0.383	دالة		25	0.425	دالة		40	0.461	دالة
	11	0.466	دالة		26	0.330	دالة		41	0.446	دالة
	12	0.502	دالة		27	0.375	دالة		42	0.529	دالة
	13	0.323	دالة		28	0.387	دالة		43	0.501	دالة
	14	0.526	دالة		29	0.332	دالة		44	0.536	دالة
	15	0.393	دالة		30	0.296	دالة		45	0.550	دالة

2.3 مصفوفة الارتباطات الداخلية :

تم حساب معاملات ارتباط بيرسون بين أبعاد المقياس الثلاثة، وتبين ان جميع الارتباطات الداخلية سواء ارتباط المجالات بعضها مع البعض الآخر أو ارتباطها بالدرجة الكلية لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة، وقد تراوحت معاملات الارتباط المحسوبة ما بين (0.01) وجميعها دالة إحصائيا عند مستوى (0.01) وهذا يشير إلى صدق البناء والجدول (11) يوضح ذلك .

جدول (11)

مصنوفة الارتباطات الداخلية لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة

المجال 3	المجال 2	المجال 1	المقياس ككل	الكفاءة الذاتية المدركة
705.0	789.0	729.0	1	المقياس ككل
157.0	508.0	1	729.0	المجال 1
316.0	1	508.0	789.0	المجال 2
1	316.0	157.0	705.0	المجال 3

الخصائص السيكومترية للاداتي البحث:

يتفق المختصون في القياس النفسي والتربوي على أن الصدق والثبات من أهم الخصائص السيكومترية التي يجب توافرها في الاختبار أو المقياس مهما كان الغرض من أستعماله، وستعرض الباحثة أدناه مؤشرات صدق وثبات مقياسي التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة :-

1 الصدق: Validity:

هو خاصية سايكومترية تكشف عن مدى تحقيق المقياس للغرض الذي أعد لأجله. (العزاوي، 2008: 43) وترى أنستازي (Anastasi، 1976) إلى أن الصدق موقفياً لأنه يحسب من الدرجات عند تطبيقه على عينة من الأفراد، وهو بذلك نسبي وليس مطلق. (Anastasi، 1976، p.189)، وقد تم أستخراج نوعين من الصدق هما :-

1 1 الصدق الظاهري: Face Validity:

يقصد به ذلك الأسلوب الذي يرتبط بصحة صلاحية المقياس لقياس ما يجب أن يقيسه. (النمر، 2008: 353) وقد تحقق هذا الأسلوب بعرض المقياس على مجموعة من الخبراء المختصين والأخذ بأرائهم حول مدى تمثيل فقرات المقياس للصفة المراد قياسها (الغريب، 1985: 679) وطلب منهم بيان رأيهم في صلاحية المقياس ودقة تمثيله الكفاءة الذاتية المدركة التي تتناسب وطلبة المرحلة الجامعية، وقد نالت جميع فقرات

المقياس موافقة المحكمين، لذا يعد مقياسي (التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة) صادقاً ظاهرياً في قياس ما اعد من اجل قياسه (عبد الحفيظ وباهي، 2000: 267).

2 1 صدق البناء: Construct Validity

يوصف صدق البناء بأنه أكثر أنواع الصدق تمثيلاً لمفهوم الصدق، الذي يسمى أحياناً بصدق المفهوم أو صدق التكوين الفاضي ويقصد به مدى قياس المقياس النفسي لتكوين فرضي أو مفهوم نفسي معين (العزاوي، 2008: 48)، ويقصد بصدق البناء الدرجة التي يقيس فيها المقياس بناءً نظرياً أو سمة معينة حيث أن من المنطقي أن نفترض أن الأفراد يختلفون في مدى ما لديهم من الخصيصة المقاسة وهذا الافتراض ينبغي أن ينعكس على ادائهم على المقياس (فرج، 1980: 315)، كما أن علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس يكشف عن الاتساق الداخلي والذي يعد مقياساً للتجانس وبالتالي فإن درجة تجانس المقياس تتشابه إلى حد ما مع صدق تكوينية الفرضي إذ تساعد في تحديد السلوك أو السمة التي يقيسها المقياس ومعاملات صدقها التي تؤثر تجانس فقراتها في قياس ما أعدت لقياسه وتشير استازي (ANSTASI، 1976) إلى أن معامل الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس وبدلالة احصائية يعد مؤشر لصدق البناء للمقياس. (ANSTASI، 1976:154).

2 الثبات Reliability:

يقصد بالثبات مدى اتساق المقياس في ما يزودنا به من معلومات عن سلوك الأفراد (أبو حطب وصادق، 1996: 101) ويعد حسابه أمراً ضرورياً وأساسياً في القياس، إذ يشير إلى الدقة في درجات المقياس إذا ما تكرر تطبيقه تحت الظروف والشروط نفسها. والثبات مفهوم مركب نعني فيه نوعان، أولهما، بطريقة إعادة التطبيق (Test-retest) لبيان الاستقرار عبر الزمن (Stability)، وثانيهما بطريقة الصور المتكافئة (Equivalently Forms) لبيان درجة الاتساق الداخلي (Internal consistency). (الزوبعي وآخرون، 1981: 30). وقد اعتمدت الباحثة لقياس ثبات الاختبار للمقياسين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة باعتماد الطرائق الآتية:-

1 2 طريقة الاختبار إعادة الاختبار Test Retest :

حيث أظهرت النتائج ان معامل الثبات بهذه الطريقة لمقياس التدفق النفسي بلغ (85,0)، وان معامل الثبات لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة بالطريقة ذاتها بلغ (87,0)، وهما معامل ثبات جيد اذا ما قورن بالدراسات السابقة (110; 1976; Anastasi).

2 2 طريقة ألفا كرونباخ Cronbach's Alpha :

أظهرت النتائج وباستعمال معادلة كرونباخ بلغ معامل ألفا لمقياس التدفق النفسي (90,0)، وان معامل الثبات لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة بالطريقة ذاتها بلغ (89,0) وهو معامل ثبات ذات دلالة إحصائية وهذا ما أكدته الدراسات السابقة (230; 1978; Nannuly).

الوسائل الاحصائية:

- 1 - الاختبار التائي لعينة واحدة (الكيلاني والشريفي، 2005: 136).
- 2 - الاختبار التائي لعيتين مستقلتين (الكيلاني والشريفي، 2005: 141).
- 3 - معامل صعوبة الفقرات (عودة، 2002: 122 132).
- 4 - معامل تمييز الفقرات (عودة، 2002: 122 132).
- 5 - معامل ارتباط بيرسون (علام، 2000: 156).
- 6 - معامل ارتباط سيرمان براون (علام، 2000: 156).
- 7 - الاختبار الزائي للفرق بين معاملي الارتباط (اثناسيوس وتوفيق، 1978: 134).
- 8 - معامل الفا كرونباخ لحساب الثبات (النبهان، 2004: 248).

الفصل الرابع:

عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها:

يتضمن هذا الفصل عرض وتفسير النتائج التي توصل إليها البحث الحالي بناءً على الإطار النظري، ومناقشتها مع نتائج الدراسات السابقة، كما يتضمن تقديم عدد من التوصيات التي توصي بها الباحثة، وعدد من المقترحات التي اقترحتها الباحثة.

الهدف الاول: تعرف درجة التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة .

تحقيقاً لهذا الهدف، قامت الباحثة بتطبيق مقياس التدفق النفسي بصورته النهائية على أفراد عينة البحث البالغ عددهم (400) طالباً وطالبة، وبعد معالجة البيانات إحصائياً، كان الوسط الحسابي للعينة (110.45) وانحراف معياري (12,9)، وعند مقارنة الوسط الحسابي بالمتوسط النظري لمقياس التدفق النفسي البالغ (90) باستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة (t-test) ظهر أن القيمة التائية المحسوبة (12.481) أكبر من القيمة التائية الجدولية (1.96) عند مستوى دلالة (0.05)، ودرجة حرية (399) ولصالح المتوسط النظري، والجدول (12) يوضح ذلك.

جدول (12)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمقياس التدفق النفسي

مستوى الدلالة 0.05	القيمة التائية الجدولية	القيمة التائية المحسوبة	درجة الحرية	الوسط النظري	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة
دالة	96,1	481,12	399	90	12,9	45,110	400

وهذه النتيجة تنطبق مع الاطار النظري لنظرية ميهالي حيث يرى ان هناك علاقة وثيقة بين حالة التدفق النفسي والتعليم بصورة عامة والتعليم الجامعي بصورة خاصة حيث

نجد مضامين مفهوم التدفق النفسي تتجسد لدى المتعلمين من خلال الوقوف امام ثلاث خيارات تتحقق لدى المتعلم وهي:

اولاً: عندما تكون مستوى قدرات ومهارات المتعلم منخفضه يمر بحالة من القلق والخوف من الفشل.

ثانياً: عندما تكون مستوى قدرات ومهارات المتعلم مرتفعة ويواجه بمهام او تحديات تعلم منخفضه تشعره بحالة من الملل وما يرتبط بها من فتور ولا مبالاة وتفريط في الاداء التعليمي.

ثالثاً: عندما يكون مستوى قدرات ومهارات المتعلم مرتفعة وايضاً تكون المهام والتحديات التي يواجهها مرتفعة تجعل حالة التدفق وما يرتبط بها من نشوة وابتهاج واندفاع باتجاه التجويد والابداع (7: Csikszentmihaly, 1990).

الهدف الثاني: التعرف على الفروق في درجة التدفق النفسي لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغير الجنس (ذكور إناث) والتخصص (علمي-إنساني).

لتحقيق هذا الهدف تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة في درجة التدفق النفسي تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي، وكما مبين في الجدول (13).

الجدول (13)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة في درجة التدفق النفسي تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الجنس التخصص
11.56	115.63	ذكور
12.3	108.22	اناث
10.69	116.48	علمي
11.99	107.11	انساني
46.45	447.44	المجموع

ولمعرفة دلالة الفرق في التدفق النفسي تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي تم استعمال تحليل التباين الثنائي ذي التفاعل (Tow-way Analysis of Variance with Interaction)، والجدول (14) يوضح ذلك.

الجدول (14)

الفروق في درجة التدفق النفسي تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي والتفاعل بينهما باستعمال تحليل التباين الثنائي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	القيمة الفائية المحسوبة	مستوى الدلالة
الجنس	511.558	1	511.558	4.62	دالة
التخصص الدراسي	523.240	1	523.240	4.73	دالة
الجنس × التخصص الدراسي	342.327	1	342.327	3.09	دالة
الخطأ	43797.023	396	110.598	-	-
المجموع	45174.148	399	-	-	-

القيمة الفائية الجدولية = (3، 84) عند مستوى دلالة (0، 05) ودرجة حرية (396-1). ويتضح من الجدول (14) ما يأتي:

1 أثر الجنس:

أظهرت النتائج أن القيمة الفائية المحسوبة لمتغير الجنس (4.62) أكبر من القيمة الفائية الجدولية (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجتي حرية (1، 396) وهذه النتيجة تشير إلى أن الفرق بين متوسطي درجات الجنس (الذكور والاناث) دال إحصائياً، ولصالح الذكور، إذ كان المتوسط الحسابي للذكور (115.63) وبانحراف معياري (11.56) أعلى من المتوسط الحسابي للإناث والبالغ (108.22) وبانحراف معياري (12.3)، وهذا يعني الذكور أكثر قدرة على التدفق النفسي وقد يعود ذلك إن الذكور لديهم أهداف محددة يتم وضعها مسبقاً قبلاً كل خطوة يخطونها، كما وان الوضع المجتمعي الراهن الذي أسهم بشكل بارز في تحديد طريقة تعامل الذكور مع المشكلات بحالة من نسيان الذات،

والاستغراق في الاداء مع الشعور بالسرور والذي يكون هو الدافع والمحفز والذي يسهم في التخفيف من الاضطرابات الانفعالية التي تواجههم (والمتمثلة بعمل الذكور بعد الانتهاء الدوام لكسب لقمة العيش) ونتيجة لهذا يظهر التدفق النفسي بصورة واضحة، ونتيجة لذلك تبنى سيكولوجية الذكر قائمة على عدم الجمود الفكري والقدرة على المرونة في كفاءتهم الذاتية المدركة نتيجة لتحررهم وقدرتهم على تغيير وتبديل استجاباتهم تبعاً لتغير المواقف والمتمثلة بالقدرة على تغيير استجاباتهم تبعاً لتغير المواقف التي يتعرض لها على العكس من الاناث الذين يمتازون بالقلق اذا ما مرو بهذه الظروف، وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة (صديق، 2009) ونتيجة دراسة (البهاص، 2010) والتي أظهرت تفوق الذكور على الاناث في التدفق النفسي، وتختلف مع نتيجة دراسة (احمد وعبد الجواد، 2013) والتي أظهرت بعدم وجود فروق بين الذكور والاناث في التدفق النفسي.

2 أثر التخصص الدراسي:

أظهرت النتائج أن القيمة الفائية المحسوبة لمتغير التخصص الدراسي (4.73) أكبر من القيمة الفائية الجدولية (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجتي حرية (1، 396) وهذه النتيجة تشير إلى أن الفرق بين متوسطي درجات التخصص الإنساني والعلمي دال إحصائياً، ولصالح التخصصات العلمية، إذ كان المتوسط الحسابي للتخصص العلمي (116.48) وبانحراف معياري (10.69) أعلى من المتوسط الحسابي للتخصص الإنساني البالغ (107.11) وبانحراف معياري (11.99)، وهذا يعني ان الافراد ذوي التخصصات العلمية أكثر قدرة على التدفق النفسي من ذوي التخصصات الانسانية، وقد يعود ذلك الى طبيعة المواد ويمكن ان يعزى هذا الفرق الى اختلاف المناهج الدراسية وطرائق تدريسها المتبعة لدى التخصصات العلمية عن المناهج والطرائق التي تتبع في التخصصات الانسانية (والتي تبعث على الملل وعدم المتعة والاستثارة)، وهذه تعد من العوامل المؤثرة في حالة التدفق النفسي للطلاب اذ تتطلب المناهج العلمية اكثر انتباه ودافعية ويقظة وشغف واندماجاً من قبل المتعلم لأنها تقع ضمن سلسلة مترابطة من الافكار وكذلك تجعلهم يعملون على استشارة وتحدي قدراتهم وامكانياتهم وهذه بالنتيجة توفر الظروف المناسبة لحدوث التدفق النفسي .

3 أثر التفاعل بين الجنس والتخصص الدراسي:

أظهرت النتائج أن القيمة الفائية المحسوبة للتفاعل بين الجنس والتخصص الدراسي (3.09) أصغر من القيمة الفائية الجدولية (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجتي حرية (1، 396) وهذه النتيجة تشير إلى أنه لا يوجد فرق دال إحصائياً في التفاعل بين الجنس والتخصص الدراسي في مستوى التدفق النفسي.

الهدف الثالث: التعرف على الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة .

تحقيقاً لهذا الهدف، قامت الباحثة بتطبيق مقياس الكفاءة الذاتية المدركة بصورته النهائية على أفراد عينة البحث البالغ عددهم (400) طالب وطالبة، وبعد معالجة البيانات إحصائياً، كان الوسط الحسابي للعينة (144،6) وانحراف معياري (15.9)، وعند مقارنة الوسط الحسابي بالوسط النظري لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة البالغ (126) باستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة (t-test) ظهر أن القيمة التائية المحسوبة (23.39) هي أكبر من القيمة التائية الجدولية (1.96) عند مستوى دلالة (0.05)، ودرجة حرية (399)، وبذلك يمتلكون الطلبة كفاءة ذاتية مدركة أثناء تأدية اداء الامتحان والجدول (15) يوضح ذلك.

الجدول (15)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط النظري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
400	6،144	9،15	126	399	39،23	96،1	0.05

وتشير هذه النتيجة الى ان طلبة الجامعة لديهم كفاية ذاتية مدركة، ويمكن تفسير ذلك على وفق نظرية (التعلم الاجتماعي المعرفي) لباندورا Bandura والتي تشير الى ان الكفاية الذاتية المدركة قد تنشأ من انجازات مسبقة للطلاب، واقتناعهم بقدرتهم على النجاح، ومن خلال الاقتداء بالزملاء الآخرين، ومن الدعم والتشجيع الذي يتلقاه الطلاب أثناء إعدادهم (Bandura، 1977: 56) كل هذا يجعل الفرد بحالة ذهنية ايجابية يشارك فيها بعمق في الانشطة والاحداث المحببة لنفسه، ويؤكد باندورا ان المدرسة في الغالب

تمثل المكان الأساس لتنمية وتحقيق الاعتراف والقبول الاجتماعي بالمهارات المعرفية، ويكتسبون معارف ومهارات حل المشكلات الضرورية للممارسة الفاعلة في المجتمع الأكبر، لهذا فان معارفهم وقدراتهم العقلية والمهارية والاجتماعية ستسهم في رفع الكفاية الذاتية، وذلك من خلال نمذجة المهارات العقلية للأصدقاء ومقارنة الأداء بأداء الآخرين وتقييم المدرسين لنجاح او فشل الطلاب بطريقة تعكس حكمه الجيد والسيئ عن قدراتهم، كل هذه المتغيرات تؤثر على أحكام الطلاب عن كفايتهم العقلية (Bandura، 1994:72) فالأفراد الذين يلاحظون نماذج ناجحة يمكنهم استخدام هذه الملاحظات لتقدير كفايتهم الذاتية (Bandura، 1982: 140).

واتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من دراسة (اللهيبي، 2006)، ودراسة (خالد، 2010) ودراسة (النصاصرة، 2009).

الهدف الرابع: التعرف على الفروق في درجة الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغير الجنس (ذكور/إناث) والتخصص (علمي/انساني)

لتحقيق هذا الهدف تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة في درجة الكفاءة الذاتية المدركة تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي، وكما مبين في الجدول (16).

الجدول(16)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة في درجة الكفاءة الذاتية المدركة تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الجنس التخصص
14.53	135.94	ذكور
16.01	150.45	اناث
13.21	140.48	علمي
14.38	149.66	انساني
58.13	576.53	المجموع

ولمعرفة دلالة الفرق في مستوى الكفاءة الذاتية المدركة تبعا لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي تم استعمال تحليل التباين الثنائي ذي التفاعل (Tow-way Analysis of Variance with Interaction)، والجدول (17) يوضح ذلك.

الجدول (17)

تحليل التباين لعينتين مستقلتين وفق متغير الجنس (ذكور اناث) والتخصص (علمي انساني)

الدالة	الجدولية	النسبة الفائية المحسوبة	متوسط المربعات	درجة الحرية	مجموعات المربعات	مصدر التباين
دالة	3,84	4,63	80,244	1	80,244	الجنس
دالة		51,52	892,82	1	892,82	التخصص
دالة		70,50	878,56	1	878,56	الجنس*التخصص
			17,33	396	6864,370	الخطأ
				399	7084,384	الكلية

القيمة الفائية الجدولية = (3,84) عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (1 396). ويتضح من الجدول (17) ما يأتي:

1 أثر الجنس:

أظهرت النتائج أن القيمة الفائية المحسوبة لمتغير الجنس (4,63) أكبر من القيمة الفائية الجدولية (3,84) عند مستوى دلالة (0,05) وبدرجتي حرية (1، 396) وهذه النتيجة تشير إلى أن الفرق بين متوسطي درجات الاناث والذكور دال إحصائياً، ولصالح الاناث حيث كان المتوسط الحسابي للاناث (150,45) وبانحراف معياري (16,01) أعلى من المتوسط الحسابي للذكور البالغ (94,135) وبانحراف معياري (14,53)، وتعزى الباحثة هذه النتيجة الى ان الاناث ويتضح من ذلك ان الطلبة الذكور يدركون كفايتهم الذاتية أكثر من الإناث .

ويرى باندورا Bandura ان مرحلة الرشد هي المرحلة التي تضع الشباب أمام تحديات انتقالية جديدة، وان الكفاية الذاتية تلعب دورا مهما في تعلم المهارات الأساسية وإدارة الذات وكسب المهارات الاجتماعية (67، 1994، Bandura).

وترى الباحثة إن ذلك يرجع إلى طبيعة الاناث وحبهم للتعلم والدافعية نحوه بكل حب وشغف، واتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (النصاصرة، 2009) ونتائج دراسة (خالد، 2010) والتي اشارت الى وجود فروق في الجنس ولصالح الاناث، بينما اختلفت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (اللهيبي، 2006) والتي اشارت الى وجود فروق في الجنس ولصالح الذكور .

2 أثر التخصص الدراسي:

أظهرت النتائج أن القيمة الفائية المحسوبة لمتغير التخصص الدراسي (52، 51) أكبر من القيمة الفائية الجدولية (3.84) عند مستوى دلالة (05، 0) ودرجتي حرية (1، 396) وهذه النتيجة تشير إلى أن الفرق بين متوسطي درجات التخصص الإنساني والعلمي دال إحصائياً، ولصالح التخصص الانساني حيث كان المتوسط الحسابي للتخصص الانساني (149.66) وبانحراف معياري (14.38) أعلى من المتوسط الحسابي للتخصص العلمي البالغ (48، 140) وبانحراف معياري (13.21)، وتعزى الباحثة هذه النتيجة الى إن الافراد ذوي التخصصات الانسانية أكثر قدرة على الكفاءة الذاتية المدركة من ذوي التخصصات العلمية وقد يعود ذلك الأمر الذي يمكن عزوه إلى طبيعة المساقات التي يأخذها طلبة التخصصات الإنسانية التي يمكن من خلالها إجراء الحوار، والمناقشات، وإبداء الآراء، وتحديد البدائل، وتقييمها، واتخاذ القرارات، وتنظيم الأفكار، فكل هذا يزيد من وعي الطلبة مقارنةً مع طبيعة المواد العلمية، التي تتسم بالجمود، ومحدودية البدائل المتاحة، والحقائق المثبتة التي لا تقبل المناقشة أو الجدل على الأغلب واختلفت مع نتائج دراسة (اللهيبي، 2006) ودراسة (خالد، 2010) التي وجدت ان هناك فروقا دالة إحصائياً وفق متغير التخصص ولصالح التخصص العلمي، بينما اختلفت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (النصاصرة، 2009) والتي وجدت ان هناك فروق دالة إحصائياً وفق متغير التخصص ولصالح التخصص الانساني.

3 أثر التفاعل بين الجنس والتخصص الدراسي:

أظهرت النتائج أن القيمة الفائية المحسوبة للتفاعل بين الجنس والتخصص الدراسي (50.70) أصغر من القيمة الفائية الجدولية (3.84) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجتي

حرية (1، 396) وهذه النتيجة تشير إلى أنه لا يوجد فرق دال إحصائياً في التفاعل بين الجنس التخصص الدراسي في مستوى الكفاءة الذاتية المدركة، ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن الكفاءة الذاتية المدركة جانب معرفي أكثر منه جانبا شخصيا، وقد يعود ذلك إلى تجانس أفراد العينة من جهة الواقع البيئي والإطار الثقافي الذي نشؤوا فيه والخبرات المعرفية المتقاربة التي تعرضوا لها إذ لا توجد فروق كبيرة بينهما في القدرات العقلية، ولا وجود للتمييز بينهما في أسلوب التعامل في الجامعة، فالفرص وطرائق التدريس ومواعيد الامتحانات متاحة أمام الجنسين دون تمييز، وأن أغلب الطلبة ومن كلا الجنسين يمتلكون عادات الدراسة (التي تمكنهم من توظيف دافعتهم نحو التعلم بشكل صحيح)، وأساليب الاستدكار جيدة تمكنهم من امتلاك مهارات الكفاءة الذاتية المدركة، كما ويتضح من الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للتفاعل بين (الجنس والتخصص الدراسي) في إشارة إلى أن أي مستوى من هذين المتغيرين لا يؤثر بالمستويين من المتغير الآخر وقد يعزى ذلك إلى تقارب الإمكانيات والقدرات بين الجنسين ولكلي التخصصين الدراسيين، تتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (خالد، 2010) والتي اشارت الى وجود تفاعل ما بين الجنس والتخصص.

الهدف الخامس: التعرف على العلاقة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة:

لغرض الكشف عن العلاقة التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة، قامت الباحثة بحساب قيم معامل ارتباط بيرسون بين المتغيرين اذ بلغ (0،364)، وللتأكد من معنوية معامل الارتباط استعملت الباحثة الاختبار التائي لمعامل الارتباط والذي بلغ (7،796) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية والبالغة (1،96) عند مستوى دلالة (0،05)، والجدول (18) يوضح ذلك.

الجدول (18)

يوضح العلاقة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة

المتغيرات	قيمة معامل الارتباط	القيمة التائية لدلالة معامل الارتباط	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
-----------	---------------------	--------------------------------------	-------------------------	---------

دالة	96,1	796,7	364,0	التدفق النفسي
				والكفاءة الذاتية المدركة

اذ يتبين من الجدول اعلاه وجود علاقة بين متغيرات البحث والمتمثلة بالتدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة علاقة موجبة لكن ضعيفة وتجد الباحثة هذه النتيجة منطقية كون السيطرة والتحكم في التدفق النفسي تمكن المتعلم من حصوله على كفاءة ذاتية معرفية عالية. تظهر العلاقة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة من خلال وعي الطالب بمعتقداته عن الكفاءة الذاتية لذاكرته، ومدى وعيه بمتطلبات المهام المطلوب أدائها، والعوامل التي يمكن أن تؤثر إيجاباً أو سلباً على عمليات ذاكرته، وقد أشار كل من سليجمان وبوليكسي Seligman & pawelski (2003) الى أن التفاؤل يعد بعداً رئيسياً في الشخصية التي تفكر بتدفق نفسي (إيجابية)، اذ يرتبط التدفق النفسي بالتوقعات الإيجابية بكفاءة الفرد الذاتية المدركة أي التي لا تتعلق بموقف معين فهو يحدد للناس الطريق لتحقيق أهدافهم (Seligman & pawelski، 542 - 519: 2003)، إضافة إلى وعيه بانتقاء الاستراتيجيات الملائمة لإمكاناته من ناحية ومتطلبات المهمة من ناحية أخرى. وهذا كله يشير إلى عدد من عنا صر الكفاءة الذاتية المدركة التي تشمل تقييم الخصائص المختلفة للمهام وتوليد البدائل والمفاضلة بينها، ومن ثم اختيار البديل المناسب عند مواجهة المواقف والمهام الجديدة. ونتيجة لهذه العلاقة فإن أعضاء هيئة التدريس في الجامعات يمكنهم الاستفادة من هذه العلاقة بتنمية إحدى المفهومين لدى الطلبة، فيما أن التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة يرتبطان معا بطريقة دالة إحصائياً فإن التغيير في إحداهما سيقود على الأرجح إلى التغيير في الآخر. وبما أن العديد من الدراسات قد أثبتت نتائجها فعالية البرامج التدريبية في تنمية هذين المتغيرين، فان أعضاء هيئة التدريس يمكنهم إجراء ذلك وتطويره لدى طلبتهم من خلال الأنشطة المختلفة التي تهدف إلى استخدام استراتيجيات التذكر والتبصر بالذاكرة وعملها، ونقاط قوتها وضعفها، إضافة إلى اختيار الأنشطة التي تنمي الكفاءة الذاتية المدركة.

التوصيات:

في ضوء ما توصل اليه البحث الحالي، توصي الباحثة بما يأتي:

- 1- على المعنين بالجانب التعليمي والتربوي العمل على زيادة التدفق النفسي لدى الطلبة.
- 2- إعداد برامج تدريبية تهدف إلى تطوير التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة.
- 3- استثمار المستوى المرتفع لدى الطلبة في الكفاءة الذاتية المدركة في زيادة التوافق النفسي، والاجتماعي، والأكاديمي، من خلال إدماج الطلبة في نشاطات منهجية ونشاطات مرافقة للمناهج مصممة خصيصاً لهذا الغرض.
- 4- ضرورة تدريب أعضاء هيئة التدريس في الجامعة وتأهيلهم على كيفية إكساب الطلبة لمهارات الكفاءة الذاتية المدركة، من خلال المنهاج أو المواد المساعدة له، من خلال الدورات أو برنامج تطوير أعضاء هيئة التدريس الجدد الذي تقدمه الجامعة لهم.

المقترحات:

- في ضوء ما توصل اليه البحث واستكمالاً لبحث الموضوع بشكل أوسع، تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية:
- 1- إجراء مزيد من الدراسات التي تبحث علاقة التفكير ما وراء المعرفي بمتغيرات أخرى مثل التوافق النفسي، وفاعلية الذات الابداعية والشعور بالسعادة والذكاء الوجداني والتفكير الايجابي.
 - 2- إجراء مزيد من الدراسات التي تبحث علاقة الكفاءة الذاتية المدركة بمتغيرات أخرى مثل وعلاقتها بسمات الشخصية والعزو السببي والعجز المتعلم .
 - 3- إجراء المزيد من الدراسات التي تبحث في العلاقة بين التدفق النفسي والكفاءة الذاتية المدركة لدى شريحة اجتماعية اخرى .

المصادر:

المصادر العربية:

- ابو جادوا، صالح محمد علي ومحمد بكر نوفل .(2007).تعليم التفكير النظرية والتطبيق، الاردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- أبو حطب، فؤاد وصادق، آمال. (1996). علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، مصر .
- ابو حلاوة، محمد السعيد عبد الجواد.(2013):حالة التدفق المفهوم الابعاد والقياس العدد(29)، الكتاب الالكتروني لشبكة العلوم النفسية.
- أحمد، اسماء فتحي وعبد الجواد، ميرفت عزمي زكي.(2013): التفكير الايجابي والسلوك التوكيدي كمنبئات بأبعاد التدفق النفسي لدى عينة من المتفوقين دراسياً من الطلاب الجامعيين، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد(22)، العدد(78)، مصر.
- الأشول، عادل (1978): سيكولوجية الشخصية، النهضة المصرية، القاهرة.
- الإمام، مصطفى محمود وآخرون .(1990).التقويم والقياس، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، العراق.
- البهاص، سيد.(2010): التدفق النفسي والقلق الاجتماعي لدى عينة من المراهقين مستخدمي الانترنت، دراسة سيكومترية- اكلينيكية، المؤتمر السنوي الخامس، جامعة عين شمس، مركز الارشاد النفسي، مصر.
- بولص، جورج افرام .(1977). اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو بعض المفاهيم التربوية الاجتماعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية، العراق.

- تايلر، ليونا. (1989). الاختبارات والمقاييس، ترجمة محمد عثمان نجاتي، بيروت: دار الشروق.
- جابر، عبد الحميد جابر (1986): نظريات الشخصية، دار النهضة، القاهرة.
- الجبور، حنان. (2002): فاعلية الذات لدى المدخنين والكحوليين. رسالة رسالة - ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
- جولمان، دانيال. (2000): الذكاء العاطفي، ترجمة جمال الاعسر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.
- حجازي، مصطفى (2012): إطلاق طاقات الحياة: قراءة في علم النفس الايجابي، التنوير، بيروت.
- حسيب، عبد المنعم عبدالله (2001): المهارات الاجتماعية وكفاية الذات لطلاب الجامعة المتفوقين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة علم النفس، العدد (59).
- حلمي، فاطمة (1995): استراتيجيات التنظيم الذاتي للتعلم وعلاقتها بالتحصيل الدراسي ومستوى الذكاء لدى طلاب الصف الثاني الإعدادي، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، العدد (22).
- خالد، محمد. (2010): التكيف الأكاديمي وعلاقته بالكفاية الذاتية العامة لدى طلبة كلية العلوم التربوية في جامعة آل البيت، مجلة جامعة النجاح للأبحاث - العلوم الإنسانية - المجلد 24، الإصدار 2.
- داود، عزيز حنا، وعبد الرحمن، أنور سعيد (1990): مناهج البحث التربوي، دار الحكمة للطباعة والنشر.
- الدردير، عبد المنعم احمد (2004): دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي، دار النشر للطباعة .
- الرفوع، محمد احمد والسفاسفة، محمد والدرايع، ماهر (2004): اثر برنامج تدريبي في تنمية دافعية الانجاز والتحصيل الدراسي لدى بطئي التعلم في المدارس الأساسية بالأردن، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 5، العدد 4.

- الزوبعي، عبد الجليل ابراهيم، وبكر، محمد الياس، والكناني، ابراهيم عبد الجليل (1981). الاختبارات والمقاييس النفسية، جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر.
- الزوبعي، عبد الجليل ابراهيم، وبكر، محمد الياس، والكناني، ابراهيم عبد الجليل (1981). الاختبارات والمقاييس النفسية، جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر.
- الزيات، فتحي (2001): علم النفس المعرفي، مداخل ونماذج ونظريات، ج 2، دار النشر للجامعات، مصر.
- صديق، محمد السيد.(2009):التدقق النفسي وعلاقته ببعض العوامل النفسية لدى طلبة الجامعة، مجلة دراسات نفسية، المجلد (2)، العدد(19)، مصر.
- عبد الله، احلام.(2012): الكفاية الذاتية المدركة وعلاقتها باليقظة الذهنية والوظائف المعرفية لدى طلبة الجامعة، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق.
- عبدالحفيظ، أخلاص محمد، وباهي، مصطفى حسين.(2000). طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
- العزاوي، رحيم يونس كرو. (2008). المنهل في العلوم التربوية القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط1 عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون.
- عودة، احمد سليمان والخليلي، نبيل يوسف. (1988). الاحصاء للباحث في التربية والعلوم النفسية والانسانية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- الغريب، رمزية. (1985). التقويم والقياس النفسي التربوي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الغول، احمد عبد المنعم (1993): الكفاءة الذاتية والذكاء الاجتماعي وعلاقتها ببعض العوامل الوجدانية لدى المعلمين وانجاز طلابهم الأكاديمي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط .
- الغول، احمد عبد المنعم (1993): الكفاءة الذاتية والذكاء الاجتماعي وعلاقتها

- ببعض العوامل الوجدانية لدى المعلمين وانجاز طلابهم الأكاديمي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط .
- فرج، صفوت. (1980). القياس النفسي، القاهرة: دار الفكر العربي.
- اللهبي، حنان حمادي سليم (2006) :معتقدات الكفاية العامة واتجاه الضبط وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية والاكاديمية لدى عينة من طلاب جامعة ام القرى، جامعة ام القرى، السعودية، رسالة ماجستير (منشورة) .
- المرسومي، ليلي يوسف. (1994). قياس السلوك السايكوباثي لدى نزلء مدرسة الشباب البالغين وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، رسالة ماجستير غير منشورة.
- معمريه، بشير (2012): علم النفس الإيجابي اتجاه جديد لدراسة القوى والفضائل الانسانية، دراسات نفسية، العدد(2).
- النصاصرة، فؤاد صالح. (2009): الكفاءة الذاتية المدركة وعلاقتها بقلق الامتحان في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية لدى طلبة الثانوية العامة في مدينة بئر السبع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الاردن.
- النمر، عصام. (2008). القياس والتقويم في التربية الخاصة، عمان، الأردن، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

المصادر الاجنبية:

- Ames, R.(1983): Help-seeking and achievement orientation: Perspectives from attribution theory. In B. M. Depaulo, A. Nadler, & J. D. Fisher (Eds.), New directions in helping (Vol.2). N.Y.: Academic press, Ch.7.
- Anastasi, A. (1976): Psychological Testing. New York: Mcmillan Publishing co., Inc.
- Bandura, A. (1988): perceived self Efficacy in coping with cognitive.
- Bandura, A. (1982): Self-Efficacy Mechanism in Human Agency, Journal of American Psychologist, Vol. 37 (2).

- Bandura, A. (1989): Human Agency in Social Cognitive Theory. Journal of American psychologist. Vol. 44 (9). Thought control of action .Washington, D.C.: Hemisphere .
- Bandura, A. (1994): Self_Efficacy. In Ramachaudran(ed). Encyclopedia of human behavior, volume 4. Available on line at <http://www.des.emory.edu/mfp/Bandura1994ehb.pdf>
- Bandura, A. (1997): Self- efficacy: The exercise of control. New York: Freeman.
- Bandura, A. (2000): Exercise of human agency through collective efficacy. Current directions in human science, 9: 75-78.
- Cocks, R. J., & Watt, H. M. G. (2001): Self-perceptions of academic competence: How they develop and how they relate to intrinsic motivation for learning in English and Math for year six students. Paper presented at the AARE annual conference, Fremantle Perth, December 2-6, 2001.
- Cronbach G.C. (1965) .Psychology testing and personal Decisions ,University of Illinois press.
- Csikszentmihalyi M. & Row. (1990): Flow: The psychology of optimal experience. New York; Harper.
- Csikszentmihalyi, M. (1957): the psychology of optimal experience. New York.: Harper & Row
- Csikszentmihalyi, M. (1994): Creativity: Flow and the psychology of discovery and invention. New York: Harper Collins
- Csikszentmihalyi, M. (1996): Creativity: Flow and the psychology of discovery and invention. New York: Harper Collins.
- Csikszentmihalyi, M. (1997): Finding Flow: The psychology of optimal experience engagement with everyday life. New York; Basic Books
- Ebel, R.L. (1972). Essentials of Educational Measurement. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.
- Edwards ,A. (1957). .). Techniques of attitude scale construction ,New York: croets ,Inc.
- Edwards ,A. (1957). .). Techniques of attitude scale construction ,New York: croets ,Inc.
- Flow: The psychology of optimal experience. New York; Harper & Row
Csikszentmihalyi, M. (1990)

- Forsyth, D. R..(1985): Attributions, affect, and expectations: A test of Weiner's three-dimensional model. *Journal of Educational Psychology*, 73, 3.
- Harter, S.(1982): The perceived competence scale for children. *Child Development*, 53
- Kaplan, R. M. and saccazzo, D. P. .(1982).*Psychological testing principles, Application and Issues*, California: Books / cole publishing company.
- Lewis, S. A.(1976): The role of perceived competence, outcome, and process feedback in the determination of task satisfaction. *Journal of Personality*, 44, 2.
- Lutz, & Guiry, M (1994), "Intense Consumption Experiences: Peaks, Performances, and Flows," presented at the Winter Marketing Educators' Conference, St. Petersburg, FL, February.
- Marshall, J. (1972): *Essentials testing*, California Addison- Wesley.
- Mayer, F. S., & Sutton, K. (1996): *Personality: An integrative approach*. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall
- Mehrens, W.A. and lehmann, (1984) .*Measurement and evaluation in education and psychology*,New York: Holt Rinehart and Winston
- Nunnally J. C. (1967).*Psychometric Theory*. New York: McGraw- Hill Book Company.
- Oppenheim, A. N. (1973): *Questionnaire Design and attitude measurement*. Heinemann press London, Britain.
- Ryan, A. M., & Pintrich, P. R.(1997): should I ask for help? The role of motivation and attitudes in adolescents' help seeking in Math class. *Journal of Educational Psychology*, 89, 2.
- Schunk, D. H., & Pajares, F. (2004): *Self-efficacy in education: Issues and future directions*. Presented at American Educational Research Association, San Diego, CA.
- Schunk, D. H..(1995):*A Window on the self: Reconstructing Thought processes to understand human action*. *Psychology and Health*, 10
- Schwarzer, (1999): *General Perceived Self- Efficacy in 14 Cultures*. Washington Dc: Hemisphere.
- Seligman, M., & Pawelski, j. o. (2003): *Positive psychology: FAQs*. *Psychological inquiry*.
- Stang, D.J., &Wrightsmann, L.S. (1982).*A dictionary of social behavior and social research methods*. Monterey, CA: Brooks/Cole.

-
- Wigfield, A., Eccles, J. S., Yoon, K. S., Harold, R. D., Arbreton, A. J. A., Freedman-Doan, C., Blumenfeld, P. C.(1997): Change in children's competence beliefs and subjective task values across the elementary school years: A 3- year study. *Journal of Educational Psychology*, 89, 3.
 - Zimmerman, B. J. (2000):Self-efficacy: An essential motive to learn. *Contemporary Educational Psychology*, 25.

القوة التنظيمية للأستاذ الجامعي ودورها في التحفيز الإبداعي للطلبة

(القوة التنظيمية، الأستاذ الجامعي، دور)

م.د أحلام محمد شوّاي الأسدي

جامعة المستنصرية كلية الآداب قسم الانثروبولوجيا

**the organizational strength of the university professor
and its role in stimulating creative students
organizational strength، university professor، role**

**Dr. Ahlam Mohammed shuai Al-asadi
Mustansiriyah University - College Of Arts**

ملخص:

يهدف هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- 1- ما واقع القوة التنظيمية للأستاذ الجامعي ودورها في تحفيز الطلبة على الإبداع والابتكار؟
- 2- ما لأنماط السلوكية للأستاذ الجامعي المرتبطة بالقوة التنظيمية التي يتمتع بها والتي تسهم في تحفيز الإبداع والابتكار لدى طلبته؟
- 3- ما الأسس التربوية التي يؤمن بها الأستاذ الجامعي بوصفها جزء من قوته التنظيمية لتحفيز إبداع طلبته وابتكاراتهم؟
- 4- ما المعوقات التي تحول دون تحفيز الإبداع والابتكار لدى طلبة الجامعة؟

Abstract

this research aims of answer the following questions:

- 1- What is the reality of the organizational strength of the university professor and What is its role in stimulating students to creativity and innovation?
- 2- What are the behavioral patterns of the university professor associated with the organizational force which he enjoys and to contribute to stimulate creativity and innovation when requested?
- 3- What are the pedagogical foundations the university professor to lives and regards as part of the organizational strength to stimulate the standents creativity and of innovations?
- 4- What are the obstacles in stimulating creativity and innovation to of university students?

مقدمة

يعدّ الإبداع والابتكار من أهم الأهداف الجامعة التي ينبغي على القيادات الإدارية والأساتذة الجامعيين فهمها وإدراكها وتبنيها فهي الأداة الأساسية للتطوير المتكامل لشخصية الطالب، عقلياً ونفسياً وجسدياً وانفعالياً واجتماعياً ووجدانياً. ومن أجل ذلك، يفترض في الجامعة بعناصرها الإدارية والتدريسية أن تتميز بالإبداع أي أن تواكب العصر المتغير الذي يعيشه الطلبة، والذي يتطلب منهم التسلح بالمهارات والقيم التي تساعدهم على ممارسة حياتهم بشكل جيد، وعلى اكتساب المعرفة التي يحتاجونها بسهولة، داخل الجامعة وخارجها. وهذا يعني أنّ الجامعة ينبغي أن توفر سياقاً نفسياً اجتماعياً يراعي سمات الإبداع كما أنّها تصاحب تلك التغيرات التكنولوجية والاجتماعية المتلاحقة بمحاولات للكشف عن ظروف تنمية إمكانات الإبداع لطلبتها. والأساتذة الجامعيون الذين يمتلكون قوة تنظيمية قوامها الإيمان بقدرات الطلبة مهما كانت تلك القدرات، واحترامها وتقديم أفضل الفرص للتعلم الذاتي وتشجيع النشاطات الطلابية والأعمال الإبداعية يمثلون عاملاً حاسماً في الأداء الإبداعي لهؤلاء الطلبة.

المبحث الأول - مدخل لدراسة الموضوع ويتضمن:

مشكلة البحث:

تزخر الجامعات العراقية بأعداد كبيرة من التدريسيين الذين يحملون شهادات عليا ودرجات علمية كبيرة تتراوح بين الأستاذ المساعد والأستاذ وكذلك الدرجات الأقل كالمدرس المساعد والمدرس الذين ينصب جل اهتمامهم على وظيفة التدريس ونقل المعرفة؛ إلاّ العدد القليل ممن يحاولون إضافة لمحات تجديدية أو تطويرية لها؛ وحال كهذا لا يدع مجالاً للأستاذ الجامعي لإنتاج المعرفة الجديدة وتشجيع الطلبة على الإبداع والابتكار. ولعلّ الأمر يعود في ذلك إلى النظام الإداري التعليمي الذي يركز

على وظيفة التدريس في ظل كم هائل من التعقيدات الإدارية الروتينية. ومع ذلك ينبغي أن يكون للأستاذ الجامعي الناجح قوة تنظيمية تتجسد في قدرته على أن يكون فاعلاً بين طلبته قولاً وعملاً ونموذجاً يقتدى به ويستجيب له طلبته فيما يوجههم إليه وفيما يبتكره من طرائق تدريس خلاقه تحفزهم للإبداع والابتكار وتحرر عقولهم من قيود الروتين والخوف والتردد وتدفعهم إلى الإقبال على الدرس برغبة شديدة، وهنا تكمن مشكلة هذا البحث حيث نستطيع التعبير عنها بالسؤال الآتي: إلى أي مدى يمتلك التدريس أو الأستاذ الجامعي القوة التنظيمية المحفزة للإبداع والابتكار؟

أهمية البحث:

تركز أهمية هذا البحث في إسهامه فيما يأتي:

- 1- يسلط الأضواء على دور القوة التنظيمية للأستاذ الجامعي في التأسيس لثقافة إبداعية منتجة تفهم واقعها وتحسن التكيف مع التحولات التي تمر بها بلادنا والعالم من حولنا.
- 2- معرفة الوضع الراهن لدور الجامعة بصورة عامة في تحفيز طلبتها على الإبداع والابتكار من أجل وضع تصورات لتطوير هذا الأداء في المستقبل.
- 3- الإسهام في مساعدة الإدارة الجامعية في إعداد الخطط والبرامج لتطوير كوادرها التدريسية وبما يعزز لديهم القوة التنظيمية القادرة على تحقيق الإبداع والابتكار لدى الطلبة.
- 4- تنمية الإبداع وتطويره لدى الطلبة أصبح مثار اهتمام كثير من العلماء والتربويين في العالم، إلا أن التجارب العربية والعراقية على وجه الخصوص تعدّ محدودة في إدخال وسائل تعليم التفكير الإبداعي في المدارس والجامعات.
- 5- تسليط الأضواء على أهم الأنماط السلوكية والأسس التربوية التي ينبغي على الأستاذ الجامعي الإيمان بها قولاً وعملاً والتي تسهم في تحفيز إبداع الطلبة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

- 1- الوقوف على واقع القوة التنظيمية للأستاذ الجامعي ودورها في تحفيز الطلبة على الإبداع والابتكار؟

- 2- ما لأنماط السلوكية للأستاذ الجامعي المرتبطة بالقوة التنظيمية التي يتمتع بها والتي تسهم في تحفيز الإبداع والابتكار لدى طلبته؟
- 3- ما الأسس التربوية التي يؤمن بها الأستاذ الجامعي بوصفها جزء من قوته التنظيمية لتحفيز إبداع طلبته وابتكاراتهم؟
- 4- ما المعوقات التي تحول دون تحفيز الإبداع والابتكار لدى طلبة الجامعة؟

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي الذي يقوم على الوصف الكيفي للظاهرة أو الموضوع المطروح، فقد تم تجميع شتات الأفكار والمعلومات المحيطة به من عدة مراجع علمية للوقوف على حقيقة الأسباب التي تقف خلف ظهوره بهذه الصورة، أمليين في الوقت نفسه من الباحثين في هذا الشأن إغناء هذا البحث وتدعيمه بوجهات النظر المتباينة حوله من خلال بحوثهم العلمية لاسيما إذا تناولت الجوانب الميدانية للموضوع.

تحديد المصطلحات:

القوة التنظيمية:

القوة هي «عملية طبيعية في أية جماعة أو منظمة، ولذلك فيجب التعرف على كيفية الحصول عليها وممارستها إذا ما أردنا فهم سلوك المنظمة، وبالرغم من أننا غالباً ما نسمع عن فساد القوة؛ ولكن القوة ليست شيئاً سيئاً دائماً، وكما أشار أحد الكتاب، أغلب الأدوية تؤدي إلى الموت إذا تم أخذها بكميات غير صحيحة»⁽¹⁾. وتعرف أيضاً بأنها «قدرة الفرد في التأثير في الآخرين لأنجاز نتائج، أو هي قدرة أو طاقة الأفراد والوحدات على التأثير في سلوك الآخرين»⁽²⁾. والقوة التنظيمية ببساطة هي «القدرة على جعل شخص آخر يقوم بالأشياء التي تريدها وأن القوة هي قوة الإدارة = قوة الشخصية + قوة المنصب»⁽³⁾.

الجامعة:

الجامعة مؤسسة تعليمية تحتوي على كليات لدراسات الآداب والفنون والقانون والطب والهندسة والعلوم الاجتماعية والإنسانية، ومدارس أو كليات للدراسات المهنية

وتقدم الجامعة الدراسات لطلبة المرحلة الجامعية الأولية، كما تقوم الجامعة بالدراسات العليا والبحوث في الكليات والمدارس المذكورة أو عن طريق كليات الدراسات العليا والبحوث. والجامعة مؤسسة للتعليم العالي والأبحاث، وتمنح شهادات أو إجازات أكاديمية لخريجها. وهي توفر دراسة من المستوى الثالث والرابع (كاستكمال للدراسة المدرسة الابتدائية والثانوية). وكلمة جامعة مشتقة من كلمة الجمع والاجتماع، كما كلمة جامع، ففيها يجتمع الناس للعلم⁽⁴⁾.

ويعرّف قاموس (أكسفورد) Oxford Dictionary الجامعة بأنها مؤسسة تعلم الطلبة وتمتحنهم في مجالات مختلفة من التعلم المتقدم وتمنح الشهادات العلمية وتقدم التسهيلات للبحث العلمي. ويعطي (بارسونز) (T. Parsons (1902 – 1979) تعريفاً مميز للجامعة «بأنها ليس فقط مكاناً للتدريس، أو الذي يطلق عليه التعليم العالي، ولكنها مجموعة متنوعة من الوظائف القيمة أيضاً؛ وعلاوة على ذلك لها وظائف أخرى مثل: وظيفة البحث أو ما يسمى بتطوير وتقديم المعرفة⁽⁵⁾.

الأستاذ الجامعي:

هو الشخص الذي يحمل شهادة الماجستير أو الدكتوراه في العلوم أو الفنون أو الآداب ويمارس مهنة التعليم في واحدة من مؤسسات التعليم العالي.

ويقصد به أيضاً الشخص الذي يحمل مؤهلاً علمياً عالياً في أحد مجالات العلوم الأساسية التطبيقية أو الإنسانية ويعمل في حقل التدريس الجامعي، ويشغل إحدى الدرجات العلمية: مدرس، مدرس مساعد، أستاذ مساعد، أستاذ. أو هو من يشغل وظيفة مدرس، أستاذ مساعد، أستاذ أو أستاذ في أحد الجامعات المعترف بها أو ما يعادل هذه المسميات في الجامعات التي تستعمل مسميات مغايرة⁽⁶⁾.

الإبداع:

يرى (حتزلز) Getzels في بحوثه التي استمرت أكثر من عشرين عاماً أنه لا يوجد تعريف واحد متفق عليه خاص بـ (الإبداع) Creativity فتعريف الإبداع يتسم بالمرونة والسعة. وعلى الرغم من الاختلاف والتنوع إلا أن هناك تعريفات تؤكد على أهمية الإنتاج

أو ندرته أو فائدته، وأخرى تركز على العمليات العقلية المنظمة، والبعض يركز على مسار النمو والتغير في الحياة النفسية للمبدع. كما تدور بعض التعريفات حول الخبرة الذاتية للمبدع، وهناك ما يؤكد على إدراك المشكلة وطرح السؤال الجيد⁽⁷⁾.

والإبداع لغة مشتق من الجذر الثلاثي للفعل بَدَعَ، وهو الإتيان بما هو جديد باختراع لا على مثال سابق. والمُبدع هو المُنشئ الذي لم يسبقه أحد. وفي القرآن الكريم: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة/117]، أي مبدعهما وخالقهما على غير مثال سبق⁽⁸⁾. فالإبداع هو عمل إلهي لأنه إيجاد وخلق من العدم، أمّا العمل البشري فهو إعادة تركيب الأجزاء الموجودة مسبقاً بطريقة مختلفة لتشكيل ما لم تألفه الخبرة البشرية بعد «والإبداع في حقيقته هو الله تعالى وحده فقط، وأمّا نحن البشر فكل ما تعمله عقولنا هو تجميع لأموال نعرفها مسبقاً لنشكل منها أمراً جديداً اصطلاحاً أن نسميه إبداعاً⁽⁹⁾، وعلى هذا الأساس يعرف الإبداع بأنه (عملية الإتيان بجديد)⁽¹⁰⁾.

وعرفه (جروان) بأنه مزيج من القدرات والاستعدادات والخصائص الشخصية التي إذا ما وجدت بيئة مناسبة يمكن أن ترقى بالعمليات العقلية لتؤدي إلى نتائج أصيلة ومفيدة، سواءً بالنسبة لخبرات الفرد السابقة أو خبرات المؤسسة أو المجتمع العام أو العالم، إذا كانت النتائج من مستوى الاختراقات الإبداعية في أحد ميادين الحياة الإنسانية⁽¹¹⁾.

ويعرفه (قاسم حسين صالح) بأنه (عملية عقلية معرفية تمتاز بنوع من التفكير الراقى، يفضي إلى إنتاج منجز يحظى بالقيمة والأهمية، ويضيف إلى المعرفة شيئاً جديداً في ميدان تخصصه يثير المتعة والدهشة)⁽¹²⁾.

أمّا المعنى العام للإبداع فيشير إلى إنتاج شيئاً مفيداً وهذا الشيء قد يكون فكرة أو جهازاً أو قصيدة أو كتاباً أو لوحة... الخ. ويعني أيضاً اكتشاف شيئاً موجوداً فعلاً، لم يكتشفه أحد من قبل أو تطوير أو تحسين أو تحويل شيء أبدعه مبدعون سابقون. وهذا الإنتاج يكون جديداً أو أصيلاً وأكثر كفاءة وفائدة من الأشياء المماثلة المنتجة قبله وأرخص ثمناً أيضاً⁽¹³⁾.

ونعتقد أنّ الجامعة من خلال أساتذتها ومحاضراتهم القائمة على تعليم الطلبة من المواقف التعليمية التي تتحدى خبراتهم السابقة وقدراتهم العقلية التي تدفعهم إلى

التفكير والتأمل والتجريب والبحث العلمي القائم على أسس نظرية وعملية؛ تمثل الوسط المناسب لتحفيز الإبداع وتنميته عند الطلبة واكتشاف المبدعين وتدريبهم ومتابعتهم داخل أسوار الجامعة وخارجها.

المبحث الثاني الإبداع والمؤسسة التعليمية:

عالم اليوم يعيش تحولات أساسية ومستمرة شملت جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المختلفة، وثورة تكنولوجية هائلة تعتمد على المعرفة المتقدمة والاستخدام الأكبر للمعلومات المتدفقة على وتيرة سريعة، تحتاج إلى تنظيم سريع ومستمر لمن يريد أن يستخدمها؛ لذلك فالصراع القادم بين دول العالم الأقوى سيكون حول توزيع المعرفة وامتلاكها، كما أن المعلومات لن تصبح مصدر قوة سياسية واقتصادية وتكنولوجية فقط؛ بل سوف تكون عاملاً جوهرياً في بناء المجتمع الديمقراطي، وسوف يصبح السيطرة والتحكم في المعلومات (مشكلة الغد) في الصراع حول القوة⁽¹⁴⁾. وهكذا فالمجتمعات الساعية إلى التحضر تركز على الاستفادة من أفرادها وطاقاتهم، بصفاتهم ثروة بشرية لا تقل أهمية عن الثروة الطبيعية؛ بل تعدّ الوسيلة الفعالة في تكوينها وتنميتها. وهكذا تصبح المواهب وما يتبعها من إبداع متطلبات رئيسة يدور حولها الاهتمام، والعناية بالمبدعين ركناً هاماً في تحقيق الأهداف التي تصبو إليها الأمم الواعية. فإذا كان الإبداع هو محور حضارة المعلومات التي مازالت في طور التشكيل؛ فإنّ هذه الحقيقة تضعنا أمام تحدٍ وهو أن يكون لدينا أكبر عدد من المبدعين في أسرع وقتٍ ممكن حتى يتسنى لنا التفاعل الندي وليس التابع (مع حضارة المستقبل) وذلك عن طريق تنمية الإبداع منذ مرحلة الطفولة⁽¹⁵⁾. فالسنوات الأولى التي يقضيها الطفل في أسرته من أكبر المؤثرات المسؤولة عن تشكيل مستقبله، وتشير كثير من النتائج التي توصلت إليها دراسات ميدانية وأخرى أكاديمية إلى أنّ لأساليب التنشئة الأسرية علاقة بنمو القدرات الإبداعية وتطورها. وأنّ الطفل الذي يعيش في جو أسري ينعم بالدفء ويستعمل معه الوالدان أساليب تنشئة سليمة نفسياً تمنحه الحرية والاستقلال والتشجيع على اكتشاف ما حوله وطرح الأفكار دونما خوف من نقدٍ أو سخريةٍ وتعرضه لتنبهات متنوعة، وكل ذلك له صلة بالإبداع مثل: الاستطلاع، حل المشكلات، الدافعية، مواقف فيها تحديات مناسبة... الخ، وبه يتوافر للطفل واحد من الشروط الأساسية لأن يكون مبدعاً في المستقبل⁽¹⁶⁾.

ولكنَّ الواقع الثقافي والتعليمي والاقتصادي والاجتماعي والأمني لمعظم الأسر العراقية لا يمكنها من تحقيق التطوير الحقيقي للشخصية المبدعة لتفشي الأمية الأبجدية والأمية الوظيفية في مثل هذه الأسر وانشغالها بتأمين حاجاتها المعيشية، والقلة التي تفلت من هذا الوضع لا تدرك غالباً طبيعة الإبداع ومناخ تنميته، الأمر الذي يجعل من هدف الإبداع في الجو الأسري الحالي مطلباً بعيد المنال. وهذا يجعل التوجه نحو المؤسسات التعليمية بوصفه المدخل المناسب للإبداع بحكم وظيفتها التربوية فهي لا تقتصر مسؤوليتها على إثراء الجانب العلمي للطلبة؛ بل تعدى ذلك إلى تكوينهم اجتماعياً ونفسياً، وفي الوقت نفسه تعمل على توفير الظروف المناسبة لهم ولاسيما ذوي القدرات والإمكانات المتميزة للتعرف عليهم، ولتنمية مهاراتهم وصقل تفوقهم وإثراء قدراتهم. وذلك لن يتحقق دون وجود (المعلم، المدرس، الأستاذ) الجيد المؤهل والقادر على القيام بدوره كاملاً في تنمية الإبداع من خلال تبنيه البرامج والطرائق التدريسية التي تعلم الطلبة كيف يفكرون في المواقف المختلفة لا كيف يتقيدون بأفكار الآخرين⁽¹⁷⁾. وهناك عدة مبررات تدفع بنا إلى أن نُنظر بجديّة إلى مسألة إدخال تعليم التفكير الإبداعي إلى مدارسنا وجامعاتنا ومن هذه المبررات:

- 1- انتقل الاهتمام من دراسة الشخص الذكي إلى الشخص المبدع والعوامل التي تسهم في إبداعيته.
- 2- تحول الاهتمام إلى التعليم الإبداعي الذي يعتمد على تعلم التفكير وطرق مواجهة المشكلات وتقديم الحلول الإبداعية لها.
- 3- إننا في مواجهة مستقبل متزايد التعقيد يحتاج إلى كثير من المهارات في اتخاذ الاختيارات وحل المشكلات والقيام بالمبادرات المختلفة⁽¹⁸⁾.

المبحث الثالث أنواع القوة التنظيمية واتجاهاتها:

كما سبق وأن أشرنا إلى أن القوة التنظيمية هي القدرة على التأثير على الآخرين بحكم موقع العمل، أو هي القدرة المحتملة للتأثير على سلوك الآخرين بحكم الموقع الوظيفي⁽¹⁹⁾. والفرق بين القوة التنظيمية والسلطة الرسمية هو أن السلطة أساس المسؤولية ويرتبط بها الحق القانوني في توجيه المرؤوسين والتأثير عليهم بمعنى يكون مصدرها

القانون في حين تشير القوة التنظيمية إلى قدرة المدير أو الأستاذ الجامعي على التأثير بطلبته بحكم الموقع الوظيفي الذي يشغله، وهذه القدرة ليس بالضرورة تركز على السلطة الرسمية بقدر ارتكازها على مصادر أخرى مثل: قوة الشخصية والاحترام والثقة المتبادلة مع الآخرين والخبرة المتراكمة في العمل... وغيرها. ومن أهم خصائصها تكون مقبولة من قبل الطلبة بالرغم من أنها تتضمن في بعض الجوانب إرغام وسلطة لكنها تكون أقل نطاقاً وضغطاً مما تتضمنه السلطة الرسمية نفسها.

وللقوة التنظيمية أنواع يمكن إدراج أهمها على النحو الآتي⁽²⁰⁾:

- 1- القوة المشروعة: وتشير إلى قدرة الأستاذ الجامعي على التأثير على طلبته بحكم الوظيفة. وهنا تستمد قوة الأستاذ الجامعي من الموقع الذي يحتله في القسم والذي يعطيه الحق في إصدار الأوامر للطلبة لتنفيذ الأعمال الموكلة إليهم، ويستجيب الطلبة لهذا النوع من القوة التنظيمية ليس بسبب خوفهم العقوبة أو طمعاً في المكافأة، وإنما بسبب اعتقادهم أن الأستاذ هنا يمتلك الصلاحية الكاملة لإصدار هذه الأوامر، ومتقبل هذه الأوامر بوصفها جزء من حياة الكلية والقسم لذلك يتقبلونها.
- 2- قوة المكافأة: وهي مقدرة الأستاذ الجامعي على مكافأة سلوك طلبته بأجهزة حديثة وجوائز اعتراف وتقدير فمن شأن هذه المكافأة أن تعزز قوة تأثير الأستاذ بطلبته من جهة وتقديرهم له من جهة أخرى، على أن يكون الأستاذ مدعوماً من قبل قسمه العلمي وكيئته وجامعته.
- 3- قوة الخبرة: وتشير إلى قدرة الأستاذ على التأثير على طلبته على وفق الخبرة المتخصصة والمعرفة التي يمتلكها. وهذه الخبرة تمنحه القدرة على التحكم في سلوك الطلبة أو التأثير فيهم عن طريق امتلاكه للمعرفة أو الخبرة الوظيفية، وقد زاد الاهتمام بهذا النوع من القوة بعد أن ازداد الاهتمام برأس المال الفكري في المنظمات المعاصرة ودوره في زيادة فاعليتها.
- 4- قوة المرجعية: يمكن للأستاذ الجامعي التأثير على سلوك طلبته حينما يكون قدوة لطلبته من حيث الالتزام والجدية في العمل واحترام وجهات نظر طلبته وتعامله الإيجابي معهم. وهنا يكون الأستاذ محط إعجاب طلبته وفي هذه الحالة يكون الأستاذ قائداً كارزميةً.

5- قوة الارتباط: وهي قدرة الأستاذ على الارتباط مع المجموعات المؤثرة داخل الكلية والجامعة وخارجها، وهؤلاء يمكن أن يقدمون معرفتهم وأفكارهم فيدعموا الأستاذ في عمله مع طلبته، وهنا نشير إلى أن الحصول على الدعم من قبل هذه المجموعات يتطلب من الأستاذ الجامعي التعاون معها من جهته ليتحقق مبدأ التبادل الاجتماعي بمعنى أنه ليس بمقدوره أن يحصل على دعم الآخرين دون أن يكون هو مستعداً للتعاون معهم ودعمهم.

6- قوة الإكراه: وهي المقدرة على مجازاة الطلبة غير الممثلين بمعنى عندما تكون هناك مكافأة للطلبة الممثلين ينبغي أن تكون هناك أجبار أو إكراه لغير الممثلين من أجل تحقيق الطاعة، ولكن ينبغي أن تكون تستعمل هذه القوة بوصفها الحل الأخير لأن من شأن ولاسيما إذا طبقت بغير محلها أن تسبب الخوف والتردد الذي يعمل بالصد من عملية الإبداع والابتكار

ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات القوة لدى الأستاذ الجامعي ينبغي أن تتحدد في مستويات صاعدة ونازلة وجانبية وإن الأستاذ الجامعي المؤثر هو الذي ينجح في بناء وإدامة مستويات عالية من قوة الموقع الذي يشغله وقوة الشخصية التي يتمتع بها. فيمكنه أن يديم انجاز ذو تأثير صاعد يرتبط بالعمادة ويعتمد على قوة شخصيته، وانجاز نازل نحو الطلبة يعتمد على قوة الموقع الذي يشغله في القسم العلمي وكذلك قوة شخصيته لتشكيل هذين المستويين مخرجات تتضمن الانجاز الإيجابي ما يشكل خطوة مهمة نحو تحقيق أهداف الكلية والقسم العلمي⁽²¹⁾.

وقد حددت العطية سبعة أبعاد أو استراتيجيات للعمل على وفق مبدأ القوة التنظيمية يمكن للأستاذ الجامعي تطبيقها في عمله لتحثهم على مزيداً من الإبداع وهي⁽²²⁾:

- 1- المنطق: استخدام الحقائق والبيانات لعرض الآراء بشكل منطقي وعقلاني.
- 2- الودية: استخدام الإطراء، التواضع وغيرها.
- 3- التحالفات: الحصول على دعم الآخرين أفراد وجماعات في المنظمة لتأييد مساعيه.
- 4- المساومة: التفاوض من خلال تبادل المنافع والخدمات.
- 5- التثبيت: استخدام مدخل مباشر وقوي مثل: فرض الطاعة، تكرار التذكير، أمر الطلبة بالعمل بموجب الأوامر، والإشارة إلى أن القواعد تستوجب الطاعة.

6 - السلطة العليا: الحصول على دعم المستويات العليا كالعمادة و رئاسة الجامعة لتأييد ما يذهب إليه.

7 - العقوبات: استخدام المكافآت والعقوبات المشتقة منظماً مثل: منح الدرجات الإضافية أو منعها أو التهديد بالتقييم السيئ أو أية وسيلة يراها مناسبة لحث الطلبة على الإبداع بعد أن يوفر لهم المناخ المناسب.

المبحث الرابع القوة التنظيمية للأستاذ الجامعي وممارساته التدريسية المحفزة للإبداع:

يقصد بالممارسة التدريسية التي تسهم في تعزيز السلوك الإبداعي: (تلك الأساليب التربوية التي تعتمد على إحداث تغيرات في العمليات الاجتماعية والتربوية والتنشئة الاجتماعية، وتأخذ هذه الأساليب طريقها إلى الواقع الحي، عن طريق برامج تربوية تقوم على تنمية الفكر المنتج وإثارة التفكير الإبداعي، والتدريب على الخيال الخصب والحل الخلاق والابتكاري للمشكلات)⁽²³⁾.

وقد اقترح (تورانس) Torrance قائمة بمجموعة من الممارسات التدريسية التي تسهم في تحفيز الإبداع لدى الطلبة، وفيما يلي هذه الممارسات حسب خطوات تقديم الدرس⁽²⁴⁾:

1 - التهيئة: يحتاج المعلم أو الأستاذ الجامعي عندما يبدأ درسه إلى تجاوب الطلبة، حتى يمكنه تحقيق ما يصبو إليه من أهداف، ويمكن أن يتم ذلك من خلال تشجيع توقعاتهم وإظهار التحمس لأفكارهم، وتدريبهم على مناقشة التعبيرات التي تفسر بأكثر من معنى، وتوجيه الأسئلة المثيرة لاختبار المعلومات بطرق جديدة. والتركيز على أهمية المبادرة الشخصية في الاكتشاف والملاحظة وطرح الأسئلة والاستفسارات والتواصل مع الآخرين.

2 - العرض: يستمر المعلم أو الأستاذ الجامعي في تقديم درسه، ولإحداث تفاعل صفحي إيجابي بينه وبين طلبته عليه تشجيع طلبته على الاندماج في أعمال الجماعة. ويدفعهم إلى الحوار والمناقشة وتقديم الأفكار غير المألوفة، ويتبع معهم طرائق تدريس تنمي فيهم التفكير الناقد والقدرة على التحليل والتركيب والمقارنة والتطبيق والتجريد

والتخيل والتصور وتكوين الآراء الخاصة، وأن يكون هو نفسه نموذج في تقبل آراء طلبته مهما كانت غريبة.

3- التقييم: يعدّ التقييم وسيلة تربوية مهمّة يدرك من خلالها المعلم مدى التقدّم الذي أحرزه الطالب في الوصول للأهداف التعليمية، ومن الأساليب التقييمية التي يجب أن يتقنها الأستاذ الجامعي تشجيع وتقييم التعلّم بالمبادأة الذاتية وتشجيع الاستجابات البناءة، والبحث عن أفضل الحلول للمشكلات التي تعرض داخل القاعة الدراسية، وتعزيز إجابات الطلبة التي تعكس مرونة في التفكير ومخيّلة مبدعة وتشجيع التجريب واختبار الأفكار، ومساعدة الطلبة على اكتساب مفاهيم إيجابية لذواتهم، بحيث يجعلهم يقدّمون أنفسهم تقويماً إيجابياً، وذلك بإتاحة الحرية لهم للتعبير عن أنفسهم، وإدارة الصف الدراسي إدارة ديمقراطية قائمة على الاحترام المتبادل بينه والطلبة، والعمل على إحالة إجابات الطلبة إلى زملائهم لمناقشتها وتقييمها، والمبادرة لإعطائهم اختبارات مثيرة للتفكير والبحث.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ نجاح الممارسة التدريسية يرجع إلى حدٍ كبيرٍ للنجاح في تنفيذ مراحلها بطريقة مبدعة بعيداً عن الرتابة والروتين في تقديم الدرس، وهنا يظهر دور الأستاذ الكفاء في قوته التنظيمية لأنّه مهما كان مستوى المناهج الدراسية التي تقدمها الجامعة، والتجهيزات والمعايير والبناءات التي تتوفر عليها، ونوعية الطلبة الذين يقبلون عليها، لا يمكنها أن تحقّق الإبداع لدى الطلبة، ومن ثم لا تحقق أهدافها في إحداث التغيير المطلوب، فهو يمثل محور العملية الإبداعية لدى الطلبة، ومن هذا المنطلق فإنّ إعداد الدرس الذي يدفع الطلبة إلى الابتكار والإبداع وتحقيق هدف التربية العصرية يتطلب أن تعيد المؤسسات التربوية الخاصة بإعداد المعلمين والمدرسين النظر في برامجها بحيث تخلق لدى المعلم أو المدرس أو الأستاذ نظرة جديدة في طبيعة التربية وخصائص الطلبة وذلك لن يكتب له النجاح ما لم ترتقي بإعداد التدريسي الذي يمتلك أنواع القوة التنظيمية⁽²⁵⁾.

والأستاذ الجامعي يكون مبدعاً في تدريسه إذا ما عرف عناصر العملية الإبداعية واقتنع بأهميتها وهي⁽²⁶⁾:

1- الأصالة **Originality**: وتعني القدرة على إنتاج الأفكار الجديدة على منتجها بشرط كونها مفيدة وعملية.

- 2- **الطلاقة Fluency**: وتتمثل في القدرة على استدعاء أكبر عدد ممكن من الأفكار في فترة زمنية قصيرة نسبياً، وبازدياد تلك القدرة يزداد الإبداع وتنمو شجرته.
- 3- **المرونة Flexibility**: وهي تغيير الحالة الذهنية لدى الفرد بتغيير الموقف، وتعني القدرة على توليد الأفكار المتنوعة التي ليست من نوع الأفكار المتوقعة عادةً، وتوجيه أو تحويل مسار التفكير مع تغيير المثير أو متطلبات الموقف، وهي عكس الجمود الذهني الذي يعني تبني أنماط ذهنية محددة سلفاً وغير قابلة للتغيير حسب ما تستدعي الحاجة.
- 4- **الحساسية للمشكلات Sensitivity**: يمتاز المبدع بأنه يدرك المشكلات في المواقف المختلفة أكثر من غيره، فقد يتلمس أكثر من مشكلة تلح على بحث عن حل لها، في حين يرى الآخرون أن (كل شيء على ما يرام) أو يتلمسون مشكلة دون الأخريات.
- 5- **الذكاء intelligence**: أثبت العديد من الدراسات أن الذكاء المرتفع ليس شرطاً للإبداع، وإنما يكفي الذكاء العادي لإنتاج الإبداع.
- ولعناصر العملية الإبداعية السالفة متطلبات تشكل مجموعة الأنماط السلوكية للأستاذ الجامعي التي تتجسد من خلالها قوته التنظيمية في تحفيز إبداع طلبته وعليه القيام بأدائها ومن أهم هذه المتطلبات:
- 1- إيمانه بأهمية صنع البيئة الإبداعية وبإمكانيته.
 - 2- تشجيع طلبته على إنتاج الأفكار الإبداعية والإشادة بالجيد منها أمام الطلبة زملاء.
 - 3- تقبل الاختلافات بين آراء طلبته في الموضوعات العامة حتى وإن كانت مخالفة لآرائه وقناعاته الشخصية ويناقشهم فيها، فالاختلاف في الآراء يحفز على التفكير والتأمل والبحث.
 - 4- التنوع في أسلوب المحاضرة بين الإلقاء والمناقشة وطرح الأسئلة بحيث تتطلب إجاباتها التفكير والتأمل والاستنتاج أحياناً.
 - 5- السماح للطلبة اللقاء به؛ لأن ذلك يتيح له التعرف إلى شخصياتهم واكتشاف مواهبهم واستعداداتهم وميولهم.
 - 6- احترام الطلبة أصحاب المواهب وتهيئة الظروف المناسبة لهم للتعلم ويطور أدواته

- ومعلوماته، ويشجع على التعلم الذاتي ويقبل أفكارهم الجديدة، ويحترم حلولهم الغريبة لل صعوبات التي تواجههم، ويحثهم على الإنجاز وحب الاستطلاع.
- 7 - الاتصاف بالقدوة الحسنة التي تصبح قوة مرجعية أو كارزمية يقتدي بها الطلبة.
- 8 - استخدام أساليب ومهارات تتعلق بالتخطيط للتدريس مثل: مهارة تخطيط أهداف المقرر الدراسي، وتخطيط متطلباته وأساليب التقويم للمحاضرة والتخطيط لها وتنفيذها⁽²⁷⁾.
- 9 - الإشادة بجهود المفكرين والعلماء والمبدعين في إنتاج الحضارة عامة والحضارة الإسلامية بصورة خاصة (المادية والفكرية والعلمية)؛ ليتخذ الطلبة أولئك قدوة لهم ومثلاً يحتذ به، وينبغي على الأستاذ الجامعي المبدع أن يغرّس في عقول طلبته أن النجاح في مجال الإبداع لا ينطلق ولا ينشأ من فراغ؛ بل لابد من الإلمام الواسع العميق بسير العظماء المبدعين⁽²⁸⁾.
- من جهته يلخص (نعمه الأسدي) الأنماط السلوكية للتدريس التي تنمي التفكير الإبداعي لدى طلبته على النحو الآتي⁽²⁹⁾:
- 1 - عرض صور الطلبة المبدعين والمتفوقين في القسم في لوحة التميز.
 - 2 - غرس ثقة الطالب بنفسه في كثير من مواقف التعلم.
 - 3 - الإشادة بأعمال الطلبة.
 - 4 - عدم السماح مطلقاً بالسخرية من آراء الطلبة.
 - 5 - الاتسام بالمرونة والتسامح تجاه بعض أفكار الطلبة وعدم قتلها (قتل التفكير).
 - 6 - التفاؤل والانشراح خلال المحاضرة.
 - 7 - الإشادة بجهود المفكرين والعلماء المبدعين.
 - 8 - استضافة عدد من المفكرين والمبدعين في المحاضرة.
 - 9 - تضمين أسئلة الاختبارات فقرات تتطلب التفكير والإبداع والاستنتاج والتأمل وعدم الاقتصار على الأسئلة التقليدية.
 - 10 - تنوع أساليب التدريس وطرائقه.

المبحث الخامس الأسس الفلسفية والتربوية والنفسية المعززة للقوة التنظيمية للأستاذ الجامعي:

ويقصد بها الآراء النفسية والتربوية والفلسفية التي نادى بها كثيرٌ من الباحثين الذين أمضوا وقتاً طويلاً في دراسة التفكير والإبداع والعمليات العقلية الأخرى والتي ينبغي أن تكون جزءاً من القوة التنظيمية للأستاذ الجامعي، ويحددها (كاظم عبد نور) بسبعة أسس وهي على النحو الآتي⁽³⁰⁾:

- 1- كل طالب لديه استعدادات للإبداع والتفكير: وتعني إيمان الأستاذ الجامعي بأن كل طالب لديه استعدادات للتفكير الفاعل والإبداع في واحدٍ من ميادين الحياة والعلم حتى يثبت عكس ذلك.
- 2- كل نشاط مبدع يمكن تعلمه وتعليمه للآخرين: الإبداع بدرجاته المختلفة هو نشاط إنساني، وكل نشاط إنساني يمكن تعلمه وتعليمه للآخرين عند توفر الظروف المساعدة الأخرى، ومن ثم الانطلاق نحو إبداع جديد.
- 3- إعداد العقول المبدعة من أهم أهداف التعليم العالي في القرن الجديد: يعدّ إعداد العقول المبدعة وليس المقلدة فقط من أهم أهداف التعليم العالي في القرن الحادي والعشرين، وربما يقدمه البعض على أهداف نقل المعارف والمهارات والاتجاهات التي تقوم به جامعاتنا العراقية والعربية وجامعات العالم الأخرى؛ وذلك لإمكانية الأجيال الجديدة من اكتساب الأهداف التقليدية من المؤسسات الاجتماعية أو عن طريق شبكة الإنترنت وشاشات التلفزيون التي تملك إمكانات تفوق إمكانات الأستاذ الجامعي أو التدريسي داخل قاعة المحاضرة أو في المختبر.
- 4- درجات التحصيل الدراسي ليست معياراً كافياً للحكم على استعدادات الطالب وقدرته على التفكير والإبداع: لا تعدّ درجات التحصيل الدراسي العالية أو المنخفضة التي يحصل عليها الطالب من إجاباته عن أسئلة الاختبارات معياراً كافياً للحكم على قدراته واستعداداته على الإبداع.
- 5- الإبداع لا ينشأ من فراغ: ينبغي على الأستاذ والطالب من الإطلاع على آخر تطورات الاختصاص والمهارات التي يتطلبها العمل والاتجاهات الإيجابية (لدرجة العشق) لميدان الدراسة وممارسة سلوك العلماء بالقول والعمل؛ وذلك لا يمكن اكتسابه

بأساليب التدريس التقليدية ولاسيما أسلوب المحاضرات فقط؛ بل عن طريق تقديم المادة العلمية على شكل مشكلات تتحدى عقول الطلبة وخبراتهم لكنها غير تعجيزية.

6 - يتعلم الطالب من إخفاقاته وفشله بقدر ما يتعلمه من نجاحاته: من النادر أن يولد أو يبتكر عمل إبداعي من غير أن تسبقه عدد من المحاولات الفاشلة تتوج أحياناً بإبداع جميل، لذلك ينبغي أن نزيل من أذهاننا أن محاولات الطالب والأستاذ كافة يجب أن تكمل بالنجاح من المحاولة الأولى أو الثانية؛ بل ينبغي أن نتدرب وندرب طلبتنا على أن الفشل يعدّ مشكلة يجب مواجهتها والمواجهة تتطلب تفكيراً وتأملاً، والتفكير والتأمل يقودان إلى التعلم الجيد، والتعلم الجيد يقود إلى الإبداع.

7 - تفوق الطالب في الدروس جميعها مطلب تعجيزي غير منصف: يطمح الآباء والأمهات والأساتذة في تفوق أبناءهم وطلبتهم في الدروس جميعها، ويعدّ هذا الطموح غير منصف وتعجيزي يدفع الطالب إلى بذل جهود مضيئة من أجل التفوق في دروس لا رغبة له فيها ولا استعداد يساعده على هذا التفوق، وذلك كله سيكون على حساب الدروس أو الموضوعات التي يمكن أن يتفوق فيها ويبدع.

المبحث السادس المعوقات التي تحول دون تحفيز الإبداع والابتكار لدى الطلبة والتي ينبغي مواجهتها من قبل الأستاذ الجامعي:

بعد مراجعة بعض الكتابات والأبحاث التي تناولت معوقات التفكير الإبداعي أمكننا تصور هذه المعوقات على النحو الآتي:

أولاً معوقات متعلقة بالمنهج الدراسي:

المنهج عبارة عن مجموعة الخبرات التي تهيئها المدرسة أو الجامعة للطلبة بقصد مساعدتهم على النمو الشامل وعلى تعديل سلوكهم. وتبين من هذا التحديد أن الهدف الرئيس من الخبرات التي يتضمنها المنهج مساعدة الطلبة على النمو الشامل والمتكامل وعلى تعديل سلوكهم. ولم يتم التوصل إلى هذا المفهوم الحديث للمنهج إلا بعد سنوات عاشتها التربية وأمضتها المناهج في ظل المفهوم التقليدي الذي وجه اهتمامه كله للمواد الدراسية وإلى اكتساب المعرفة معتقداً أنها أنسب الوسائل لتحقيق أهداف التربية للفرد والمجتمع⁽³¹⁾.

فعال اليوم وعالم الغد لم يتم التكيف لهما في ظل حشو أذهان الطلبة بالمعلومات والمعارف التي كانت تمثل الهدف الأسمى للتربية في ظل المنهج التقليدي؛ وإنَّما من خلال تكوين العقلية المبدعة والمفكرة وهو هدف التربية المعاصرة.

ويمكن للمناهج الدراسية (إذا ما أحسن التخطيط لها وقام بتنفيذها أساتذة ومعلمون مدركون لخطورة المهمة والمسؤولية المنوط لهم القيام بها) أن تسهم بفاعلية في إعداد أفراد مبتكرين ومبدعين؛ ولكنَّ الواقع يشير إلى أنَّ المناهج الدراسية في بعض الحالات أو معظمها تقف عائقاً أمام تنفيذ هذه المهمة الخطيرة.

ويمكن تصنيف المعوقات التي تتعلق بالمناهج الدراسية والتي تحدُّ من تنمية التفكير لدى إلى: معوقات محتوى المنهج وتنظيمه؟

المنهج هو الأسلوب المقنن المتبع في التربية المدرسية في توجيه عمليات التعليم وتطويرها، من أجل تحقيق الأهداف المعرفية والمهارية والوجدانية لدى الدارسين⁽³²⁾. ويتكون محتوى المنهج من حقائق ومبادئ وتعريفات وتفسيرات أي من مهارات ومعارف وقيم واتجاهات. وجوانب المحتوى هذه توجد مترابطة متماسكة في المنهج وكل خبرة يمر بها المتعلم لها هذه الجوانب: المعرفي، المهاري، الوجداني. ويجب أن تأخذ هذه الجوانب في الاعتبار عند تخطيط المنهج وتخطيط الدرس على مستوى الوحدة ومستوى الدرس⁽³³⁾.

إنَّ عملية اختيار المحتوى لا يعدُّ عملية سهلة فالمادة أو المقرر الدراسي يشتمل على عدة مجالات وكل مجال يشمل موضوعات ولكل موضوع محاور رئيسة وأخرى فرعية. وهذه تتضمن معارف ومفاهيم وحقائق ومهارات واتجاهات. ويواجه واضع المنهج مشكلة اختيار أنسب محتوى للأهداف الموضوعية من بين كمِّ هائلٍ وكيف متنوعٌ من المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم. كذلك فإنَّ ما سبق كله يحتاج إلى تنظيم بحيث تبدأ مثلاً من المعلوم إلى المجهول أو من المحسوس إلى المجرد أو من المألوف إلى غير المألوف أو من المباشر إلى غير المباشر أو من البسيط إلى المركب وإلى الأكثر تركيباً، كذلك فإنَّ الأفكار تحتاج إلى تنظيم وإلى تتابع بحيث تتقدم من تلك الأفكار التي تعد خلفية للطلبة على أفكار غيرها تبنى على أساس تلك الخلفية⁽³⁴⁾.

ومن خصائص المنهج الدراسي الحديث أن يشتمل على المواقف التعليمية والتي تتمثل في المتعلم والمعرفة والمجتمع، ويعدّها مكملة لبعضها ومتداخلة تأخذ ثلاثة أبعاد هي: جعل المعرفة أحد متطلبات المتعلم، وجعل المتعلم محور العملية التعليمية، ويراعي فلسفة المجتمع وثقافته واحتياجاته والتطورات التي تطرأ عليه. كذلك يتبنى مثل هذا المنهج تخريج أفراد لديهم الكفاءات اللازمة لتطوير مجتمعهم⁽³⁵⁾. ولكي يتم تنفيذ محتويات المنهج ينبغي أن يتم اعتماد الطرائق الحديثة في التدريس التي تأخذ بنظر الاعتبار عناصر التشويق والابتعاد عن التلقين والتحفيز، ومراعاة الفروق الفردية والتي تتيح للمتعلم التعبير عن ميوله وحاجاته.

فإذا كانت المناهج الدراسية وطرق التدريس لا تستجيب لحاجات الطلبة ولا تسائر ميولهم ومستوياتهم وقدراتهم، وبعيدة عن واقع حياتهم ومشكلاتهم الحقيقية، ولا تزودهم بالثقافة الصحيحة الواعية ولا تقدم لهم المعلومات بطريقة مشوقة، ولا تتجدد في أساليبها ووسائلها وأنشطتها، بحيث تتماشى مع مختلف المستويات والميول العقلية، أو يغلب عليها الطابع النظري الأكاديمي والتلقين المعرفي على حساب الجانب التطبيقي المهاري والتعليم التكنولوجي؛ فإنّها قد تجعل من الطلبة على الأقل يتكاسلون ويكثرون التغيب عن الجامعة ويستهيئون بالتعليمات والنظم الجامعية وينفرون منها، وربما يسلك البعض منهم سلوكاً غير سوي مثل: قيامهم بأعمال العنف والفوضى احتجاجاً على أنظمتها الدراسية الصعبة ومثل هذه المناهج تصبح من العوامل الأساسية التي تعوق تنمية العقلية المبتكرة والمبدعة⁽³⁶⁾. ومن جهة أخرى تخلق لنا سلوكيات الطاعة والامتثال وتنفيذ الأوامر؛ وذلك بفعل ارتكازها على التلقين والحفظ منذ سن مبكر. وتسهم في قولبة شخصية المتعلم وتشكيل مشاعره وعواطفه ومعارفه بفعل اعتمادها على التكرار والاتكال والجمود. وتعمل على تعزيز ثقافة الانفصال بين ما هو فكري معرفي وما هو واقعي معاش، وذلك كله يقف بالصد من تحفيز إبداع الطلبة ويبرر نمط الجمود الفكري واتساع دائرته⁽³⁷⁾.

وفي هذا السياق يشير (قاسم حسين صالح) إلى أن أصعب المعوقات أمام الإبداع في أنظمتنا التربوية هي أننا لا نعلم إلى تحديث مناهجنا التربوية بالسرعة التي يتطور بها العلم (يفصلنا عن التقدم في عدد من العلوم أكثر من ربع قرن). وإن فعلنا فأن معظم

محاولاتنا تكون كسيحة أو عرجاء. ولا نفعل مثلما حدث للنظام التربوي في أمريكا بعد إطلاق الاتحاد السوفيتي السابق لقمرة الاصطناعي عام (1957) عندما وضع المواطنون الأمريكيون جملة قيمهم العلمية موضع الشك، ولا سيما الطرائق والمناهج العلمية (38).

معوقات طريقة التدريس؟

إنَّ اختيار طريقة تدريس لتلاءم أفراداً معينين لتعلم شيء ما يُعدّ علماً وفناً لا يجيده إلاَّ المؤهلون، لذلك فالشهادة والدرجة العلمية التي يحملها الأفراد لا يمكن عدّها جواز مرور يضيفي على من يحمله إجادة التدريس، فقد أثبتت الدراسات المتعددة حاجة ممارسي التدريس في المدارس والجامعات إلى التأهيل التربوي الذي يعينهم على تسهيل عملية عرض المادة واستفادة المتعلمين منها⁽³⁹⁾.

إنَّ الطريقة أساس في العملية التدريسية، ويعدّها البعض أهم أركانها ويسند إليها نجاح التعليم، وتتجسد أهمية الطريقة بوصفها تعين المدرس على الوصول إلى أهدافه بوضوح وتسلسل منطقي في أقل جهدٍ وأقصر وقتٍ، وتمكّن الطلبة من متابعة المادة العلمية بتدرج مريح وتوفر لهم فرص الانتقال المنظم من فقرة إلى فقرة فيتحقق الاتصال الجيد بين المعلم والمتعلم، كذلك فالطريقة تجعل كمية المعلومات المستوعبة ونوعيتها وكفاءتها التعليمية أعمق وأدق وأكثر ثباتاً وأرقى مستوى⁽⁴⁰⁾.

وإذا كان من أهداف التربية والتعليم مساعدة الطلبة على اكتساب المعارف والمعلومات، فإنّه من المهم أيضاً أن يصبح الطالب قادراً على التفكير السليم بطريقة تمكنه من حل المشكلات التي تواجهه في حياته العامة والخاصة؛ لذلك فإنَّ إنماء أسلوب التفكير العلمي لدى الطلبة يعدّ هدفاً عاماً من أهداف التربية والتعليم العالي في أي مجتمع ينشد التقدم والرقي، فتعليم التفكير يفتح باب الاستزادة من التعلم ويمكّن الفرد من اتخاذ القرارات المناسبة وتدريب الطلبة على التفكير السليم مهمة جميع التدريسيين والإدارة الجامعية... وغيرها.

والقوة التنظيمية التي يتمتع بها الأستاذ الجامعي تستطيع أن تساعد الطلبة على تنمية قدراتهم على التفكير السليم من خلال اختيار الطريقة التدريسية التي تعتمد على التخطيط المنظم لجميع فعاليات الدرس وتبتعد عن كل ما يسبب إضاعة الوقت والجهد، والتي

تستغل أنشطة الطلبة وفعاليتهم العقلية والجسمية في تربيتهم وتعليمهم، وتنمي في نفوسهم القدرة على التفكير العلمي القائم على التحليل بتهيئة المناخ المناسب لهم وجعلهم يفكرون بأنفسهم، فالطريق الصحيح والأساس لتعليم التفكير هو ممارسة التفكير من خلال وضع الطلبة في مواقف تتطلب منهم التفكير والتخيل والتنفيذ وصولاً إلى الحلول المناسبة سوى كان ذلك يتم بطريقة فردية أم جماعية.

وقد تبين أن بعض التدريسيين في المدارس والجامعات على وجه الخصوص يشكلون عقبات أمام تنمية تفكير طلبتهم ويتضح ذلك من خلال:

- استخدامهم أساليب تدريسية تقليدية باتباع طريقة المحاضرة حيث يكون التدريسي هو محورها الإيجابي أما الطلبة فهم متلقين فقط.
- بعض التدريسيين يعتمدون بشكل كبير على المادة العلمية فقط دون الاهتمام بالنشاطات الصفية وغير الصفية التي يرونها سبباً في ضياع وقت الدرس.
- بعض التدريسيين لا يستمع إلى الأسئلة التي يطرحها طلبته ويميل إلى استخدام الأسلوب التسلطي داخل المحاضرة فيعاقب من يسأل من طلبته وعادة ما يوجهه إلى المكتبة والبحث عن الإجابة لسؤاله، إنَّ جواً مثل هذا لا يدفع الطلبة إلى المشاركة في الدرس بحرية تامة من غير تردد أو وجل ومن ثم يكون معوقاً أمام تنمية قدراتهم العقلية.
- لا يزال أسلوب إلقاء المحاضرات وتوصيل المادة العلمية وصياغتها للطلاب ضعيفاً، حيث إنَّ بعض الأساتذة في الجامعة غير مدرّبين على طريقة إلقاء المحاضرات وعرضها بأسلوب ممتع. وأحياناً تلقى المحاضرة على الطالب كما هي مكتوبة في الكتاب المقرر بدون إضافات حديثة أو تسهيل للمادة العلمية؛ فلذلك يرى الطالب أحياناً أن لا فائدة من حضور المحاضرة. هنالك الكثير من الأساتذة المتمكنين في اختصاصهم ولكنهم يلاقون مشكلات كثيرة في كيفية عرض وإيصال المادة الدراسية للطلبة⁽⁴¹⁾.

المعوقات المتعلقة بالجانب العملي؟

الجانب التطبيقي أو العملي نوع من أنواع النشاط يخطط له التدريسي لخلق مواقف يمكن للطلبة من خلالها تعليم أنفسهم بعض المعلومات والأفكار التي يمكنها الإسهام في

تنمية روح التفكير والإبداع والتحدي لدى الطلبة حيث يعتمد كل الطالب على نفسه في جمع المعلومات والبيانات وتصنيفها وتفسيرها، كما تدربه على الملاحظة الدقيقة ووصف الظواهر والأحداث والوقائع التي تصادفه وإدراك العلاقات بين المتغيرات المختلفة... وغير ذلك من عمليات.

والملاحظ أنّ معظم أقسامنا في جامعاتنا هي أقسام تدريسية، وأنّ البحث العلمي محدود مقارنة مع قرباناتها من الجامعات المتطورة. وبالرغم من تركيز جامعاتنا على الجانب التدريسي نلاحظ هنالك فجوة كبيرة بين مستوى أداء خريجي جامعاتنا ولاسيما من الناحية العملية ومستوى أداء خريجي الجامعات المتطورة. ونلاحظ أنّ الجزء العملي لا يزال يدرس بشكل نظري أو بشكل يعتمد على الملاحظة العملية بدون أن يعمل الطالب بنفسه، ما يجعل قابلية الطالب العملية ضعيفة ويبعث عنده الضجر والملل ولا يستفيد من المادة العملية إلاّ بشكل سطحي وقد يكون اختبار العملي نظرياً أيضاً، وهذا يعني أنّ الطالب الذي يستطيع أن يحفظ عن ظهر قلب هو الطالب المتميز في جامعاتنا لأنّ تقييمه كله مستند على اختبار نظري⁽⁴²⁾.

معوقات أسلوب تقييم الطلبة؟

النشاط التعليمي مثل أي نشاط آخر يتطلب الحكم عليه من حيث نجاحه أو فشله في تحقيق أهدافه، وإظهار ما فيه من مواطن قوة لدعمها وتأكيدهما، وتحديد ما فيه من نواحي قصور لمعرفة أسبابها ثم علاجها وهذا ما يدعى بالتقييم Evaluation⁽⁴³⁾. وينظر البعض إلى عملية التقييم على أنّها مجموعة الاختبارات أو الأسئلة التي تقيس الحقائق والمعلومات المتضمنة في مقرر ما، ولذلك فإنّ أسئلة الأستاذ الجامعي خلال المحاضرة أو أسئلة الاختبارات غالباً ما تقيس مقدار ما حصله الطلبة من حقائق ومعلومات، وبهذا فإنّ الاختبارات والأسئلة تقيس غالباً هدفاً واحداً وهو اكتساب الطلبة للمعارف والمعلومات وقدرتهم على حفظ هذه المعلومات وتذكرها ولا تهتم بقياس قدرتهم على فهم القواعد والأفكار الأساسية ومدى قدرتهم على استخدام ما تعلموه في مواقف جديدة، وبهذه النظرة الضيقة إلى مفهوم التقييم فإننا نحده من نمو التفكير لدى الطلبة ونعودهم على الحفظ والاستظهار. وإذا أضفنا إلى ذلك أنّ معظم الاختبارات التحصيلية

هذه تعاني ضعف التخطيط بسبب عدم إمام بعض التدريسيين بصورة كاملة بعمليات التقويم المعاصر، واعتقاد كثيرٍ منهم أنَّ معرفتهم الجيدة بالمادة العلمية يمكن أن تؤهلهم للقيام بالتقويم الفعّال، أو أنَّهم ينظرون إلى التقويم على أنه عملية إضافية أو ثانوية متناسين بأنَّ التدريس والتقويم جانبان لعملية واحدة متكاملة، والتقويم الفعّال هو عنصر مهم للتعليم الفعّال ودال عليه؛ لأدركنا حجم إهمال التقويم الفعّال في إعاقه تحفيز الطلبة للإبداع والابتكار⁽⁴⁴⁾.

ثانياً معوقات متعلقة بالأستاذ الجامعي نفسه:

على الرغم من كون الأستاذ الجامعي رائد التغيير والتطوير والإبداع والجودة، إلا أنه يوجد عدد من الأساتذة يقفون ضد برامج الجودة والتطوير والتحسين والإبداع، ولعلَّ أسباب هذه المقاومة تكمن في: (الجهل، عدم وضوح الأهداف، تتطلب جهداً أكبر، الإدارة غير الكفوءة، اختيار الأستاذ وإعداده وتدريبه، الخوف من الجديد، البنية التحتية المتخلفة، الكسل⁽⁴⁵⁾).

إنَّ الأسباب السابقة من شأنها أن تجعل من التدريسي عقبة أما تحفيز الإبداع لدى طلبته حيث ينصب جل اهتمامهم على حفظ النصوص واسترجاعها بطرقٍ شتى من خلال الاختبارات... وغيرها دون الاهتمام بالموهب والقدرات الكامنة في عقول الطلبة⁽⁴⁶⁾. ومثل هؤلاء التدريسيين لا يشجعون المناقشات في الصف، ولا يقبلون معارضة الطالب إياهم في مشكلة من المشكلات، وهم ملتزمون بإطار الدرس الضيق دوماً، وغير متحمسين، وقليلاً جداً ما يظهرون الأصالة والإبداع في الدرس، وهم متحفظون في علاقتهم مع طلبتهم وبالتالي فهم لا يملكون خصائص القوة التنظيمية ومن ثم ليس بمقدورهم تحريض طلبتهم على الإبداع⁽⁴⁷⁾.

ثالثاً معوقات متعلقة بإمكانيات الكلية والجامعة:

يعدّ توفير الفرص الملائمة لتنمية التفكير داخل الكلية والجامعة عملية صعبة وتحتاج إلى موارد وإمكانيات متعددة، ففي حين تسعى دولة ما إلى انتظام طلبتها في الكليات تجد أنَّ عليها أن توفير الإمكانيات المادية من مباني وأثاث وأدوات وتدرسيين... وغير ذلك، ومن أجل تحقيق الهدف في ضوء نقص الموارد يزداد عدد الطلاب في الصف الواحد

ما يشكل عبئاً على التدريسي حيث إنَّ الأعداد الكبيرة في الصف لا تتيح له فرصة إجراء مناقشات وحوارات مع الطلبة، وفي هذا الإطار لا بد من الإشارة إلى أنَّ بعض الكليات في جامعاتنا وصل أعداد طلبتها في الصف الواحد إلى أكثر من (60) طالباً وطالبة في الوقت الذي لا يتسع ذلك الصف إلى (30-40) طالباً، وفي بعض الكليات التي تعتمد نظام القاعات الكبيرة يصل أعداد الطلبة في القاعة الواحدة إلى (150-200) طالباً وطالبة أو أكثر، وهذا بطبيعة الحال يؤدي في كثيرٍ من الأحيان إلى فقدان السيطرة عليهم وعدم القدرة على اشباع رغباتهم وميولهم؛ بل وحتى عدم معرفة أسمائهم الذي يعدُّ من الأمور المهمة لكل تدريسي، وهذا بكل تأكيد يحدُّ من فرص تنمية التفكير لديهم، يضاف إلى ذلك الوقت المحدد للمحاضرة الذي لا يتجاوز (45) دقيقة والتي لا تتيح للتدريسي استخدام أجهزة العرض إذا كانت متوفرة في القاعة.

ومن جانب آخر نجد أنَّ نقص الإمكانيات اللازمة لممارسة الأنشطة العلمية المرتبطة بالمواد الدراسية مثل: حلقات البحث التي يسود فيها جو التحرر من القيود، حيث يدفع الطالب إليها بدافع داخلي فعّال، الأمر الذي يتطلبه تكوين الشخصية المبدعة، كذلك ضعف الأنشطة الحرة من خلال جماعات النشاط المختلفة أو عدم وجودها مثل: جماعة الأنشطة الثقافية وجماعة الأنشطة الاجتماعية وجماعة الأنشطة العلمية، والفنية والرياضية... الخ، من الجماعات التي تتيح للطلاب ممارسة الهوايات المحببة لديه وتعمق مفهوم التفكير العلمي عنده، وتفسح المجال لإبراز قدراته ومواهبه وتزوده بالجوانب المعرفية والتعليمية إلى أقصى حدٍّ ممكن؛ وعدم وجود المكتبات التي تحوي الكتب والمراجع المناسبة لمستوى الطلبة. لاشكَّ أنَّ ذلك كله يحدُّ من نشاط التدريسي والطلاب على حدٍ سواء، وهذا بدوره ينعكس على عمليات تنمية التفكير ويحدُّ من النشاط التفكيري الخلاق والمبدع.

إنَّ تحسين الواقع الإداري في جامعاتنا يحتاج من الإداريين والتدريسيين على حدٍ سواء أن يعيدوا التفكير بأسلوبهم القيادي والإداري وأن يمارسوا نوعاً من الإدارة التي تؤكد على تعليم الطلبة لا تعليم الموضوعات أو المقررات الدراسية، والابتعاد عن الأنظمة والإجراءات الروتينية التي تقف بالضد من الإدارة الناجحة والتعليم المبدع.

رابعاً معوقات متعلقة بالطلبة:

أشارت نتائج أحد الأبحاث الحديثة إلى أنَّ معوقات الإبداع لدى الطلبة تتمثل في ⁽⁴⁸⁾:

- 1 - زيادة أعداد الطلبة في الفصول الدراسية واكتظاظها.
 - 2 - اهتمام الطلبة بحفظ المعلومات وتخزينها من أجل الاختبار.
 - 3 - عدم إتاحة الفرصة للطلبة للقيام بأنشطة تنمي قدراتهم الإبداعية.
 - 4 - استخفاف الطلبة بأفكار زملائهم وانجازاتهم.
 - 5 - شعور الطلبة أنَّ النظام التعليمي لا يحترم شخصياتهم.
 - 6 - اعتقاد الطلبة أنَّ عملية الإبداع تقتصر على الأذكىء منهم.
- وأشارت نتائج بحثٍ آخر نفذه (صالح عبد الله عبد الكبير ومجموعة من الباحثين) إلى أنَّ أهم معوقات الإبداع لدى الطلبة هي على النحو الآتي ⁽⁴⁹⁾:

- 1 - تركيز تفكيرهم في كيفية الحصول على شهادة النجاح.
- 2 - ضعف الدافعية والاتجاهات الايجابية نحو التعلم.
- 3 - التركيز في عملية التعلم على حفظ المعلومات.
- 4 - التسرع في حل المشكلة دون معرفة مختلف جوانبها.
- 5 - الاعتماد على الآخرين في الحصول على المعلومات.

وهكذا فالإبداع وتهيئة الفرص المثيرة للإبداع أمران في غاية الأهمية، وينبغي أن يكون تنمية الإبداع هدفاً رئيساً لمؤسسات التربية والتعليم، فهو بمثابة تزويد الطالب بالأدوات التي يحتاجها حتى يتمكن من التفاعل بفاعلية مع المعلومات والمستجدات، بهذا يكتسب التعليم من أجل تنمية الإبداع أهمية متزايدة من أجل نجاح الفرد وتطور المجتمع.

خامساً معوقات متعلقة بالبيئة الاجتماعية والثقافية:

هناك عوائق تعود إلى البيئة الاجتماعية والثقافية متمثلة بدم قدرتها على الإسهام الفاعل في تنمية روح الإبداع لدى أفرادها يلخصها لنا (جروان) على النحو الآتي ⁽⁵⁰⁾:

- 1 - الاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع. وتتلخّص في: قيم الطاعة والخضوع، الامتثال والاقتراء، المبالغة في تقدير الماضي، الاتجاهات التسلطية والقدرية والنّظم البيروقراطية والاستبدادية.
 - 2 - التّمييز بين الجنسين والتحديد الصارم لأدوار كلّ جنس.
 - 3 - التدهور الاقتصادي والاجتماعي، وتفاقم مشكلات الديون الخارجية ونقص الغذاء والتفجّر السكاني، وما يترتب على ذلك من آثارٍ سلبية في مجالات التعليم.
 - 4 - العنف السياسي والاضطرابات الأمنية والحروب التي تكاد تشكل ظاهرةً مزمنةً في الوطن العربي بدءاً بالحروب العربية الإسرائيلية، مروراً بالحرب الأهلية اللبنانية والصومالية، وانتهاءً بحرب الخليج والاضطرابات الأمنية والعنف السياسي في أكثر من دولةٍ عربيّة.
 - 5 - جماعة الرفاق واتّجاهاتها السائدة المحبّطة للإبداع وخاصةً في سنوات المرحلة الأساسية أو الابتدائية.
- ومن هنا نجد أنّ الفلسفة السائدة في المجتمع ومدى تقديرها للمبدعين يسهم بقدر ليس بالقليل في إعاقة تنمية الإبداع، ولعلّ ذلك كله يمكن أن ننسبه إلى مشكلة في غاية الأهمية وهي أنّ معظم ما يسود نظامنا التربوي والاجتماعي لا يقوم على فلسفة واضحة؛ لذا نجد أنّ النتيجة الطبيعية لذلك هي عدم تقدير الإبداع والمبدعين، ضعف الاهتمام بتنمية الإبداع.

نتائج البحث:

يمكن إيجاز أهم النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

- 1- أنَّ الأمم ترقى وتزدهر إلاَّ بما لديها من عقول نيرة مخترعة، والصراع القادم تقوده الأمم التي لديها أكبر عدد من المبدعين.
- 2- الجامعة ومن خلال أساتذتها يقع عليها عبء ومسؤولية اكتشاف المبدعين ورعايتهم بعد أن تخلف دور الأسرة في خضم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية غير المستقرة في البلاد.
- 3- ضعف أداء كثير من الأساتذة الجامعيين في أبعاد الممارسة التدريسية الإبداعية (التهيئة، العرض، التقويم) حيث مازالت المحاضرة التقليدية بفعل الأعداد الكبيرة للطلبة في القاعات الدراسية هي السائدة.
- 4- ضعف اهتمام الأستاذ الجامعي بمتطلبات ممارسة الأنماط السلوكية (إيجاد بيئة إبداعية، تقبل الأفكار الغريبة من الطلبة، لقاء الطلبة واحترامهم، القدوة الحسنة... الخ) التي تتجسد من خلالها قوته التنظيمية في تحفيز إبداع طلبته.
- 5- ضعف تمكن الأساتذة الجامعيين بمعرفة الممارسات الإبداعية ما يؤشر ضعف في تكوينهم وإعدادهم على استخدام المهارات التي تحفز الطلبة على الإبداع.
- 6- وجود معوقات كثيرة تحول دون تحفيز الإبداع والابتكار لدى طلبة الجامعة منها يتعلق بالمنهج الدراسي والأستاذ الجامعي والجامعة نفسها والطلبة والبيئة الاجتماعية.

التوصيات:

- في ضوء أهداف البحث ونتائجه نضع التوصيات الآتية:
- 1 - التأسيس لفلسفة اجتماعية وتربوية واضحة تثمن الإبداع والمبدعين.
 - 2 - الانتقال من النظام الإداري البيروقراطي إلى النظام اللامركزي الذي يتيح قدراً كبيراً من الحرية والاستقلالية التي من شأنها أن تدفع الأساتذة والطلبة على حدٍ سواء من الإنتاج المعرفي الجديد والأصيل والمبادرات الفردية والجماعية دون عوائق إدارية.
 - 3 - زج أساتذة الجامعات في دورات تدريبية داخل العراق وخارجه لأجل تحرير قواهم الإبداعية وتزويدهم بالقوى التنظيمية القادرة على إيقاد جذوة الإبداع لدى طلبتهم.
 - 4 - إعداد برامج تثقيفية، وبثها في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، يتم التركيز فيها على ممارسة التفكير الإبداعي في مؤسسات المجتمع كافة مهما كانت النتائج المترتبة على تلك الممارسة نجاحاً أو فشلاً، ومن ثم العمل على تعزيز المثل العليا والقيم الإنسانية والأخلاقية، التي يكتسب منها الصغار والكبار مهارات التفكير الإبداعي دون تردد.
 - 5 - العمل على ضمان الانتقال المنهجي إلى التعليم المبني على الحوار والتفكير وتنمية الوعي الناقد والخيال المبدع، (الانتقال من تسلطية التعليم إلى ديمقراطية التعلم). (ومن التعليم الفردي إلى التعلم الجماعي).
 - 6 - تضمين موضوع الإبداع ضمن مناهج إعداد المعلمين والمدرسين في المعاهد والجامعات.

المقترحات:

- نقترح إجراء أبحاث مماثلة منها:
- 1 - بحث ميداني عن أسباب تدني الإبداع للأستاذ الجامعي العراقي.
 - 2 - بحث ميداني حول مركزية ولا مركزية النظام الإداري الجامعي وعلاقة ذلك بمستوى الإبداع لدى الأستاذ الجامعي.
 - 3 - بحوث تحليلية لموضوعات الإبداع والابتكار في المناهج الدراسية في مراحل التعليم المختلفة (روضة، ابتدائية، متوسطة، إعدادية، جامعية).

الهوامش:

- 1 - شليبر عبد الرحمن علي محمد ودرمان سليمان، أثر القوة التنظيمية في التغيير التنظيمي دراسة استطلاعية لآراء عينة من القيادات الإدارية في عدد من كليات الإنسانية في جامعة دهوك، مجلة رماح للبحوث والدراسات، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، الأردن، العدد 13، سنة 2014، ص 25.
- 2 - طالب أصغر دوسة وسوسن جواد حسين، القوة التنظيمية للقادة الإداريين وأثرها في السلوك القيادي بحث ميداني في وزارة المهجرين والمهاجرين، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد الخامس والسبعون، 2009، ص 117.
- 3 - شليبر عبد الرحمن علي محمد ودرمان سليمان، مرجع سابق، ص 26.
- 4 - [/ar.wikipedia.org/wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki)
- 5 - عايش زيتون، أساليب التدريس الجامعي، دار الشروق، عمّان، 1995، ص 24.
- 6 - المرجع السابق نفسه، ص 68.
- 7 - محمد خضر عبد المختار وإنجي صلاح فريد عدوي، التفكير النمطي والإبداعي، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، القاهرة، 2011، ص 6.
- 8 - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981، ص 43.
- 9 - طارق محمد السويديان ومحمد أكرم العدلوني، مبادئ الإبداع، ط3، قرطبة للطباعة والنشر، الرياض، 2004، ص ص 15-16.
- 10 - المرجع السابق نفسه، ص 16.
- 11 - فتحي عبد الرحمن جروان، الإبداع مفهومه معايير نظرياته قياسه تدريبه مراحل العملية الإبداعية، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، 2002، ص 22.
- 12 - قاسم حسين صالح، نحو بناء نظرية في الإبداع وتذوق الجمال في العالم العربي، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 22-21، 2009، ص 150.
- 13 - كاظم عبد نور، دور الأستاذ الجامعي في تنمية التفكير والإبداع عند طلبته وزملائه، مادة

- تدريبية مقدمة لدورات تدريبية لأساتذة جامعة بابل، مركز تطوير الكوادر، جامعة بابل، 14- /11-12 2011 / 2011.
- 14- مها بنت محمد العجمي، المشكلات التي تواجه معلمات المرحلة الابتدائية بمحافظة الإحساء بالمملكة العربية السعودية في تنمية الإبداع داخل حجرات الدراسة، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مجلد6، العدد الأول، 3005، ص73.
- 15- الكسندر روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة، 144، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 72.
- 16- قاسم حسين صالح، مرجع سابق، ص 152.
- 17- عزيزة المانع، تنمية قدرات التفكير عند التلاميذ اقتراح تطبيق برنامج كورت للتفكير، رسالة الخليج العربي، ع59، السنة السابعة عشر، 1996، ص ص 37-38.
- 18- المرجع السابق نفسه، ص 27.
- 19- خالد ذيب حسين أبو زيد، أثر القوة التنظيمية على الإبداع الوظيفي للعاملين في البنوك التجارية الأردنية، إشراف كامل محمد المغربي، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعمال، قسم إدارة الأعمال، الأردن، 2010، ص، ص 24-23. (رسالة ماجستير غير منشورة)
- 20- المرجع السابق نفسه، ص 28.
- 21- المرجع السابق نفسه، ص 27.
- 22- المرجع السابق نفسه، ص ص 33-32.
- 23- الزهرة الأسود، مساهمة الممارسة التدريسية للأستاذ الجامعي في تعزيز السلوك الإبداعي لدى طلبته، إشراف محي الدين مختار، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس وعلوم التربية، الجزائر، 2008، ص 77. (رسالة ماجستير غير منشورة).
- 24- المرجع السابق نفسه، ص، ص 77-79.
- 25- فؤاد أبو حطب وآمال صادق، علم النفس التربوي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص 471.
- 26- الكسندر روشكا، مرجع سابق، ص، ص 50-58.
- 27- منار سالم محمد أبو خاطر، دور الجامعة في تنمية الإبداع لدى طلبتها في ضوء السنة النبوية من وجهة نظرهم، إشراف محمود خليل أبو دف، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، قسم أصول التربية، غزة، 2010، ص ص 59-60. (رسالة ماجستير غير منشورة).

- 28 - المرجع السابق نفسه، ص 93.
- 29 - نعمه الأسدي، محاضرة بعنوان: طرائق التدريس وتنمية التفكير، جامعة الكوفة، مركز تطوير التدريس والتدريب الجامعي، 11 2 2010.
- 30 - كاظم عبد نور، مرجع سابق.
- 31 - فرماوي محمد فرماوي... (وآخرون)، قراءات في المناهج وطرق التدريس، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 17.
- 32 - عزيمة سلامة خاطر، المناهج مفهومها- أسسها- تنظيمها تقويمها وتطويرها، الجامعة المفتوحة، ليبيا- طرابلس، 2002، ص 17.
- 33 - فرماوي محمد فرماوي... (وآخرون)، مرجع سابق، ص 92.
- 34 - المرجع السابق نفسه، ص، ص 96-92.
- 35 - عزيمة سلامة خاطر، مرجع سابق، ص ص 29-30.
- 36 - مصطفى أحمد، التكيف والمشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 98.
- 37 - كمال دواني، المعلم المبدع والتعليم الفعّال، ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الثالث، جامعة دمشق، كلية التربية، 28 نيسان 2003
- 38 - قاسم حسين صالح، مرجع سابق، ص 153.
- 39 - عمران جاسم الجبوري، طرائق التدريس الجامعي التقليدية والحديثة، مادة تدريبية مقدمة لدورات تدريبية لأساتذة جامعة بابل، مركز تطوير الكوادر، جامعة بابل، 11-14 / 11 2011 / 12 2011.
- 40 - المرجع السابق نفسه.
- 41 - عادل هادي البغدادي، الإبداع والابتكار في جامعاتنا، جريدة المعرفة، قسم الإعلام والعلاقات العامة في جامعة بابل، العدد 5، 2-3 / 2013، ص 1.
- 42 - المرجع السابق نفسه، ص 1.
- 43 - عزيمة سلامة خاطر، مرجع سابق، ص 183.
- 44 - فاهم حسين الجبوري، أسس إعداد الاختبارات التحصيلية وسمات الاختبار التحصيلي الجيد، مادة تدريبية مقدمة لدورات تدريبية لأساتذة جامعة بابل، مركز تطوير الكوادر، جامعة بابل، 11-14 / 11-12 2011 / 2011.
- 45 - كاظم عبد نور، تنمية التفكير والإبداع طريق الجامعة إلى تحقيق جودة الأداء في التعلم

- والتعليم العالي، الندوة العلمية الثانية للتفكير، -26 /4 /2010.
- 46- علي عبد القادر، الأستاذ المبدع، مقالة منشورة بتاريخ -14 /8 /2013 على الإنترنت: www.alyaum.com
- 47- الكسندر روشكا، مرجع سابق، ص ص -74 73
- 48- سهيل رزق دياب، معوقات تنمية الإبداع لدى طلبة المرحلة الأساسية في مدارس قطاع غزة، بحث مقدم للمؤتمر الثاني لكلية التربية- الجامعة الإسلامية بغزة، 21، 2005. www.khayma.com /dr_yousry /sohil_diab4_res.pdf
- 49- صالح عبد الله عبد الكبير... (وآخرون)، معوقات تعليم التفكير في مرحلة التعليم الأساسي (دراسة ميدانية)، مركز البحوث والتطوير التربوي، عدن، 2008، ص 63.
- 50- فتحي عبد الرحمن جروان، تنمية مهارات التفكير الإبداعي، الحلقة التدريبية الثانية، آب 2007، ص 18.

المراجع:

- 1- خالد ذيب حسين أبو زيد، أثر القوة التنظيمية على الإبداع الوظيفي للعاملين في البنوك التجارية الأردنية، إشراف كامل محمد المغربي، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعمال، قسم إدارة الأعمال، الأردن، 2010. (رسالة ماجستير غير منشورة)
- 2- الزهرة الأسود، مساهمة الممارسة التدريسية للأستاذ الجامعي في تعزيز السلوك الإبداعي لدى طلبته، إشراف محي الدين مختار، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس وعلوم التربية، الجزائر، 2008. (رسالة ماجستير غير منشورة).
- 3- سهيل رزق دياب، معوقات تنمية الإبداع لدى طلبة المرحلة الأساسية في مدارس قطاع غزة، بحث مقدم للمؤتمر الثاني لكلية التربية- الجامعة الإسلامية بغزة، 2005.
www.khayma.com/dr-yousry/sohil-diab4-res.pd
- 4- شلير عبد الرحمن علي محمد ودرمان سليمان، أثر القوة التنظيمية في التغيير التنظيمي دراسة استطلاعية لآراء عينة من القيادات الإدارية في عدد من كليات الإنسانية في جامعة دهبوك، مجلة رماح للبحوث والدراسات، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، الأردن، العدد 13، سنة 2014.
- 5- صالح عبد الله عبد الكبير ... (وآخرون)، معوقات تعليم التفكير في مرحلة التعليم الأساسي (دراسة ميدانية)، مركز البحوث والتطوير التربوي، عدن، 2008.
- 6- طارق محمد السويدان ومحمد أكرم العدلوني، مبادئ الإبداع، ط3، قرطبة للطباعة والنشر، الرياض، 2004.
- 7- طالب أصغر دوسة وسوسن جواد حسين، القوة التنظيمية للقادة الإداريين وأثرها في السلوك القيادي بحث ميداني في وزارة المهجرين والمهاجرين، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد الخامس والسبعون، 2009.

- 8 - عادل هادي البغدادي، الإبداع والابتكار في جامعاتنا، جريدة المعرفة، قسم الإعلام والعلاقات العامة في جامعة بابل، العدد 5، -2/3 2013.
- 9 - عايش زيتون، أساليب التدريس الجامعي، دار الشروق، عمّان، 1995.
- 10 - عزيزة المانع، تنمية قدرات التفكير عند التلاميذ اقتراح تطبيق برنامج كورت للتفكير، رسالة الخليج العربي، ع59، السنة السابعة عشر، 1996.
- 11 - عزيمة سلامة خاطر، المناهج مفهوماً - أسسها - تنظيمها تقويمها وتطويرها، الجامعة المفتوحة، ليبيا - طرابلس، 2002.
- 12 - علي عبد القادر، الأستاذ المبدع، مقالة منشورة بتاريخ -14/8 2013 على الإنترنت: www.alyaum.com
- 13 - عمران جاسم الجبوري، طرائق التدريس الجامعي التقليدية والحديثة، مادة تدريبيّة مقدمة لدورات تدريبيّة لأساتذة جامعة بابل، مركز تطوير الكوادر، جامعة بابل، -14/11 2011 /12 2011.
- 14 - فاهم حسين الجبوري، التخطيط والإعداد للاختبار التحصيلي، مادة تدريبيّة مقدمة لدورات تدريبيّة لأساتذة جامعة بابل، مركز تطوير الكوادر، جامعة بابل، -11/14 2011 /12 2011.
- 15 - فتحي عبد الرحمن جروان، الإبداع مفهومه معاييرهِ نظرياته قياسه تدرّبه مراحلهِ العمليّة الإبداعية، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، 2002.
- 16 - فتحي عبد الرحمن جروان، تنمية مهارات التفكير الإبداعي، الحلقة التدريبيّة الثانية، آب 2007.
- 17 - فرماوي محمد فرماوي... (وآخرون)، قراءات في المناهج وطرق التدريس، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.
- 18 - فؤاد أبو حطب وآمال صادق، علم النفس التربوي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- 19 - قاسم حسين صالح، نحو بناء نظرية في الإبداع وتذوق الجمال في العالم العربي، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 22-21، 2009.
- 20 - كاظم عبد نور، دور الأستاذ الجامعي في تنمية التفكير والإبداع عند طلبته وزملائه، مادة تدريبيّة مقدمة لدورات تدريبيّة لأساتذة جامعة بابل، مركز تطوير الكوادر، جامعة بابل، 14/11 2011 /12 2011.

- 21- كاظم عبد نور، تنمية التفكير والإبداع طريق الجامعة إلى تحقيق جودة الأداء في التعلم والتعليم العالي، الندوة العلمية الثانية للتفكير، -26 /4 2010.
- 22- كمال دواني، المعلم المبدع والتعليم الفعّال، ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الثالث، جامعة دمشق، كلية التربية، 28 نيسان 2003.
- 23- الكسندر روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة، 144، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.
- 24- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981.
- 25- محمد خضر عبد المختار وإنجي صلاح فريد عدوي، التفكير النمطي والإبداعي، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، القاهرة، 2011.
- 26- مصطفى أحمد، التكيف والمشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
- 27- منار سالم محمد أبو خاطر، دور الجامعة في تنمية الإبداع لدى طلبة في ضوء السنة النبوية من وجهة نظرهم، إشراف محمود خليل أبو دف، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، قسم أصول التربية، غزة، 2010. (رسالة ماجستير غير منشورة).
- 28- مها بنت محمد العجمي، المشكلات التي تواجه معلمات المرحلة الابتدائية بمحافظة الإحساء بالمملكة العربية السعودية في تنمية الإبداع داخل حجرات الدراسة، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مجلد6، العدد الأول، 2005.
- 29- نعمه الأسدي، محاضرة بعنوان: طرائق التدريس وتنمية التفكير، جامعة الكوفة، مركز تطوير التدريس والتدريب الجامعي، 11 2 2010.

**سياسة العزلة الأمريكية منذ تأسيس
الدولة حتى الحرب العالمية الثانية
"بين الدعاية والتطبيق"
(امريكا، سياسة، العزلة)**

م.د. عباس علوان لفتة الشويلي
وزارة التربية
مديرية تربية بغداد الرصافة الثانية

**America Isolation Policy
Since the State Foundation till Second World War
"Between Propaganda and Application"**

(America, Policy, Isolation)

**Teacher Dr. Abbas LaftaAlShwaily
Ministry of Education
Directorate of Baghdad Education
Second Rusafa**

المخلص:

انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ تأسيسها عام 1789 حتى الحرب العالمية الثانية سياسة خارجية تمثلت بعدم تدخلها في المشاكل الدولية التي حدثت في مناطق وأجزاء عديدة في العالم، والا تكون الولايات المتحدة لاعباً أساسياً في تلك المشاكل والخوض في تفاصيلها. وقد سميت هذه السياسة بـ «سياسة العزلة الأمريكية».

لذا ارتأينا ان نسلط الضوء بالبحث والتحليل على موضوع سياسة العزلة الأمريكية، والأسباب التي دفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى ان تنتهج هذه السياسة. وان نستعرض آراء الباحثين المختلفة حول هذه السياسة، ولأهمية دور الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية ولحجم سياستها الخارجية التي بلا شك كانت ولا زالت لها تأثير كبير في تحديد مسار دول ومناطق عديدة في العالم.

على الرغم من النوايا الحسنة للرئيس جورج واشنطن في تبني سياسة عدم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في المشاكل الخارجية والدولية والتي سار عليها الرؤساء الأمريكيين فعلياً، على الرغم من تأكيد الرئيس جيمس مونرو على تلك السياسة من خلال مبدئه، إلا أن الأخير في الوقت نفسه كان أول من شرّعَ التدخل الأمريكي في المشاكل الخارجية وذلك عندما سمح للولايات المتحدة التدخل في شؤون القارة الأمريكية بأكملها.

يمكن القول إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد تبنت سياسة العزلة خلال تلك المدة بصورة متباينة، فتارة تضعها موضع التطبيق نتيجة لظروف داخلية معينة، ولمبادئ آمن بها عدد من السياسيين الأمريكيين، وتارة تستخدمها كدعاية أمريكية تحاول من خلالها ان تغطي على طموحاتها التوسعية في مناطق العالم المختلفة.

Abstract

The United States of America followed since its foundation in 1798 till Second World War foreign policy represented by non-interference in international problems occurred in several places and regions in the world and prevented to be basic player in these problems and involvement in its details .This policy was named (American isolation policy).

Thus we see to shade a light by search and analyses on the subject of American Isolation policy and the reasons that made United States of America follow this policy and to review the researchers opinions about this policy for the importance of The United States of America role on international field and its foreign policy size that has great influence in directing the course of countries and regions in the world .

In the light of our study of American isolation policy since the foundation of the Although the good will of the president George Washington in adopting non-interference policy of the United States of America in Foreign and international policy which were followed by other presidents and improvement of the president Monroe on this policy but Monroe himself was the first who legalized America interference in the affairs of the whole American continent .

It could said that The United States of America adopted isolation policy during this period in various ranges .Sometimes it made it in application due to certain internal conditions and for the principles that many American politicians believed in .Other times it used it as American propaganda through which it attempted to cover its expansion ambitions in different parts of the world .

المقدمة:

انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ تأسيسها عام 1789 حتى الحرب العالمية الثانية سياسة خارجية تمثلت بعدم تدخلها في المشاكل الدولية التي حدثت في مناطق وأجزاء عديدة في العالم، والا تكون الولايات المتحدة لاعباً أساسياً في تلك المشاكل والخوض في تفاصيلها. وقد سميت هذه السياسة بـ «سياسة العزلة الأمريكية».

اختلف الباحثون والمؤرخون حول تبني الولايات المتحدة الأمريكية سياسة العزلة من عدمه. فقد اعتقد عدد منهم ان سياسة العزلة والتي تبنتها الولايات المتحدة في سياستها الخارجية، هي نهج حقيقي قامت به طيلة المدة التي سبقت الحرب العالمية الثانية مسوغين ذلك بأدلة ووقائع حدثت في تاريخ الدولة الأمريكية أثبتت من خلالها تطبيق هذا النهج في سياستها الخارجية. فيها يرى آخرون ان سياسة العزلة التي انتهجتها الولايات المتحدة ما هي إلا دعاية أمريكية أو شعار فضفاض أرادت من خلاله أن تغطي على سياستها الفعلية التي سعت من خلالها إلى التوسع والتدخل في مناطق العالم المختلفة، ولهؤلاء أدلتهم فيما يدعم رؤيتهم هذه.

لذا ارتأينا ان نسلط الضوء بالبحث والتحليل على موضوع سياسة العزلة الأمريكية، والأسباب التي دفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى ان تنتهج هذه السياسة. وان نستعرض آراء الباحثين المختلفة حول هذه السياسة، ولأهمية دور الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية ولحجم سياستها الخارجية التي بلا شك كانت ولا زالت لها تأثير كبير في تحديد مسار دول ومناطق عديدة في العالم.

وبما أن سياسة العزلة الأمريكية تمثل الإشكالية الرئيسة التي يتمحور حولها البحث، فإن هذه الإشكالية تثير بدورها أسئلة مهمة يحاول الباحث الإجابة عنها في ثنايا البحث، وتتخذ هذه الأسئلة اتجاهين أساسيين الأول تبنت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة العزلة فعلياً في سياستها الخارجية وقامت بتطبيقها على أرض الواقع. ولماذا؟ ومن هم

السياسيون الأمريكيون الذين كانوا وراء فكرة سياسة العزلة؟. وثمة سؤال يُطرح هل ارتبط تنفيذ سياسية العزلة من عدمه بحجم قوة الولايات المتحدة وأثرها على الساحة الدولية آنذاك؟ أما السؤال الآخر فهو مدى تأييد الأوساط الأمريكية لسياسة العزلة وحجم هذا التأييد في مؤسسات الدولة الأمريكية لاسيما داخل المؤسستين التنفيذية والتشريعية. وهل أن سياسة العزلة كانت سياسة مرحلية اتخذتها الولايات المتحدة لظروف معينة كانت قد عاشتها تلك الدولة؟ وما هي الظروف التي استجرت على الساحة الدولية وساهمت في دفع الولايات المتحدة إلى التخلي عن سياسة العزلة بصورة نهائية؟

ويتألف البحث من مقدمة وأربعة محاور وخاتمة إلى جانب قائمة المصادر. يعالج المحور الأول الأسباب الرئيسة التي دفعت الولايات المتحدة لتبني مبدأ العزلة في سياستها الخارجية. فيها تتبع المحور الثاني من البحث المحاولات الأمريكية لكسر سياسة العزلة. ويتناول المحور الثالث أثر تلك السياسة على دور الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى وعلى نتائجها. أما المحور الرابع من البحث فيعالج العوامل التي جعلت الولايات المتحدة الأمريكية تتخلى عن سياسة العزلة في الحرب العالمية الثانية وما بعدها نهائياً.

أولاً أسباب تبني الولايات المتحدة الأمريكية سياسة العزلة:

أثمرت الثورة الأمريكية (1776 1783)⁽¹⁾ أو ما تعرف بحرب الاستقلال الأمريكية عن استقلال المستعمرات الأمريكية عن الوطن الأم (بريطانيا)، وما أعقبه من إجراءات تأسيس النظام السياسي الأمريكي (الفدرالي)⁽²⁾ عام 1789 والذي شهد ولادة دولة الولايات المتحدة الأمريكية⁽³⁾. وذلك عندما تم انتخاب أول كونغرس Congress أمريكي (سلطة تشريعية) في شباط من العام نفسه والذي شهد أيضاً في نيسان انتخاب أول رئيس تنفيذي للولايات المتحدة الأمريكية هو جورج واشنطن⁽⁴⁾⁽⁵⁾ Gorge Washington.

شرع الرئيس واشنطن والكونغرس الأمريكي على وضع اللبنة الأساسية للدولة الأمريكية ومؤسساتها كإنشاء وزارة الخارجية ووزارة الحربية ووزارة الخزانة (المالية)، إلى جانب تأسيس المحاكم الفدرالية، وباقي مؤسسات الدولة. كما قام الرئيس واشنطن

بوضع الرؤى والسياسات الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، آخذاً بنظر الاعتبار ان دولته كانت دولة فتية وحديثة العهد ينبغي عليها القيام بمسؤوليات كبيرة من أجل النهوض بواقعها⁽⁶⁾.

رافق تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية ونظامها السياسي عام 1789 اندلاع الثورة الفرنسية، وما تبعها من حروب الدول الأوروبية مع فرنسا. الأمر الذي تطلب حينها موقفاً من قبل الولايات المتحدة تجاه تلك التطورات لاسيما وان فرنسا كانت آنذاك حليفاً قوياً للولايات الأمريكية في حربها ضد بريطانيا (حرب الاستقلال)⁽⁷⁾. لذلك برز فريق من داخل الأوساط السياسية الأمريكية يدعو إلى تقديم المساعدة إلى فرنسا والوقوف معها ضد الدول الأوروبية الأخرى⁽⁸⁾.

يجدر القول أن موقف الرئيس واشنطن كان قد اتسم بالرفض من مسألة تقديم المساعدة إلى فرنسا وإقحام دولته في الحروب الأوروبية. مسوغاً موقفه هذا بأن دولته كانت دولة ناشئة وفي بداية تكوينها وأنها لا تتحمل تبعات التدخل في المشاكل الخارجية وجعل التركيز بدلاً من ذلك على الشؤون الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية⁽⁹⁾. وقد أكد واشنطن موقفه هذا مرات عدة طيلة مدة رئاسته، على الرغم من وجود عدد من أعضاء الإدارة الأمريكية وكذلك من الكونغرس كانوا يتعاطفون مع فرنسا في حروبها آنذاك⁽¹⁰⁾.

أكد الرئيس جورج واشنطن هذه المواقف في خطاب الوداع⁽¹¹⁾ عام 1796، عند انتهاء ولايته الرئاسية الثانية، فقد دعا فيه واشنطن الأمريكيين إلى التركيز على مبدئين أساسيين: الأول عدم الحاجة إلى تأسيس الأحزاب كونها تقسم الدولة الأمريكية تضعفها وهي في بداية تأسيسها. أما المبدأ الثاني الذي دعا إليه واشنطن في خطابه فهو ابتعاد الولايات المتحدة الأمريكية عن المشاكل الخارجية وعدم الخوض في تفاصيلها، والاكتفاء بالاهتمام في الشؤون الداخلية مبرراً ذلك أيضاً بأن الدولة الأمريكية كانت حديثة العهد⁽¹²⁾.

في ضوء ما تقدم يمكن القول ان الرئيس جورج واشنطن كان أول من وضع اللبنة الأولى لسياسة العزلة الأمريكية ومحاولة إبعاد الولايات المتحدة عن المشاكل الدولية. وقد تجسد ذلك بمواقفه من الثورة الفرنسية والحروب الأوروبية آنذاك. مبرراً ذلك في أن الولايات المتحدة كانت تعيش مراحل تأسيسها الأولى ولا يمكنها تحمل أعباء تدخلها في

المشاكل الخارجية.

يضيف عدد من الباحثين الأمريكيين أبرزهم الباحث بارت سيباً آخرًا حول تبني واشنطن لسياسة العزلة وعدم التدخل الخارجي هو نتيجة عدم إيمانه بأن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية في المشاكل والحروب الخارجية؛ لأن دولته كانت قد ذاقت مرارة تدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية، وأنه عاش تلك التدخلات عندما كان قائداً للجيش الأمريكي في حرب الاستقلال ضد بريطانيا. وعلى هذا الأساس كان واشنطن لا يريد ان يسلك سلوك تلك الدول وتدخلاتها الاستعمارية⁽¹³⁾.

استمر الرؤساء الأمريكيون بعد الرئيس واشنطن على تلك السياسة (سياسة العزلة). ففي عهد رئاسة جون آدمز (1797-1801) وخلال الحرب القائمة حينها بين بريطانيا وفرنسا، قامت الأخيرة بالتحرش بالسفن الأمريكية العابرة للمحيط الأطلسي، وذلك من أجل دفع الإدارة الأمريكية إلى التدخل في الحرب إلى جانب فرنسا (الحليف القديم)⁽¹⁴⁾. الأمر الذي دفع عدداً من الأوساط الأمريكية التي تدعم التدخل الخارجي (الاستعماري) الضغط على الكونغرس عام 1798 إلى إصدار قوانين تسمح بإلقاء القبض على الأجانب لاسيما الفرنسيين وترحيلهم إلى خارج البلاد، وقد عدتهم بـ«أعداء الدولة»⁽¹⁵⁾. أثارت تلك القوانين استياء الحكومة الفرنسية التي عدتها خطوة معادية لها. إلا ان الرئيس آدمز سارع إلى تدارك الأمر، حينما أرسل عام 1800 وفوداً عدة إلى فرنسا وهي تحمل إشارات السلام مما أدى إلى أطفاء احتمالات الحرب بين الولايات المتحدة وفرنسا⁽¹⁶⁾.

يبدو أن موقف الرئيس آدمز الأخير إلى جانب المواقف السابقة للرئيس واشنطن يعطي انطباعاً بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد تبنت سياسة العزلة فعلياً ووضعها موضع التطبيق على الأقل في عهد أول ثلاثة رؤساء أمريكيين هم واشنطن وآدمز وتوماس جفرسون (1801-1809) الذي لم تشهد مدة حكمه أيضاً أي تدخل أمريكي خارجي أو حرب مع أي دولة أخرى. لاسيما وأن هؤلاء الرؤساء الثلاث هم من أهم مؤسسي الدولة الأمريكية.

ثانياً المحاولات الأمريكية لكسر سياسة العزلة:

وفي عهد حكم الرئيس جيمس ماديسون (1809-1817) (James Madison) كانت علاقة

الولايات المتحدة مع بريطانيا غير مستقرة وتتجه نحو التدهور نتيجة استمرار بريطانيا، التي كان لا يزال لها عدد من المستعمرات في القارة الأمريكية، بالتعرض للسفن الأمريكية في البحر، ومحاولتها عرقلة التجارة الأمريكية مع فرنسا وجر الولايات المتحدة إلى جانبها في حربها مع فرنسا آنذاك. فضلاً عن استمرار التدخل البريطاني في الأراضي الأمريكية نتيجة قيام البريطانيين بعملية تحريض الهنود الحمر على القيام بغارات ضد المزارعين الأمريكيين وأراضيهم⁽¹⁷⁾.

لهذه الأسباب وجهه الرئيس ماديسون رسالة إلى مجلس الشيوخ الأمريكي، الذي يعد بموجب الدستور مسؤولاً داخل المؤسسة التشريعية عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة لاسيما حق إعلان الحرب، عام 1812 طالبه فيها منحه حق إعلان الحرب على بريطانيا. أرمت التدخلات البريطانية في الأراضي الأمريكية والتحرش الأمريكيين بظلالها على موقف الكونغرس الأمريكي الذي بدوره سارع إلى إعلان الحرب على بريطانيا في تموز عام 1812 لتستمر الحرب بين الجانبين حتى عام 1814 دون ان يحقق أي منهما انتصاراً حاسماً⁽¹⁸⁾. غير أن عدداً من المؤرخين الأمريكيين قد أشاروا إلى أن أهم نتائج تلك الحرب هو «تماسك اللحمة القومية الأمريكية»⁽¹⁹⁾.

والجدير بالذكر إلى أن عدداً من الباحثين ومنهم الكاتب بارت كانوا قد أشاروا إلى أن قيام الولايات المتحدة بإعلان الحرب على بريطانيا عام 1812 ما هو إلا تنازل منها عن سياسة العزلة التي انتهجتها منذ تأسيسها، لأنها بتصرفها هذا كانت قد اقحمت نفسها في المشاكل الدولية وكذلك في الحروب الأوربية آنذاك⁽²⁰⁾. ويضيف الكاتب بارت ان اتباع الولايات المتحدة الأمريكية سياسة العزلة سابقاً ما هي إلا مناورة وقتية من السياسة الأمريكية إلى أن تتمكن دولتهم من مواجهة تحديات التأسيس الأولى، وترسيخ نظامها السياسي، إلى جانب تطور واقعها الاقتصادي الذي كان حينها لا يزال يتشابك في كثير من مفاصله مع الاقتصاد البريطاني⁽²¹⁾.

نستشف من رأي الكاتب بارت ان سياسة العزلة كانت عبارة عن دعاية أمريكية تبنتها الولايات المتحدة إلى أن تتمكن من استيعاب ظروف التأسيس تصبح دولة لها شأن على الساحة الإقليمية والدولية. إلا أن التطورات اللاحقة التي شهدتها الساحة الأمريكية يبدو أنها دحضت هذا الرأي. ففي تطور مهم في القارة الأمريكية قامت القوات الفرنسية

عام 1823 بشن هجماتها على أسبانيا ومستعمراتها في أمريكا اللاتينية. إلى جانب ذلك استمرت تدخلات الدول الأوروبية في القارة الأمريكية، نتيجة امتلاك تلك الدول عدداً من المستعمرات في تلك القارة آنذاك⁽²²⁾.

لهذه التطورات، وجه الرئيس الأمريكي جيمس مونر⁽²³⁾ James Monroe (1815 - 1825) رسالة في الثاني من كانون الأول عام 1823 إلى الكونغرس أعلن من خلالها سياسته تجاه أوروبا والقارة الأمريكية. وقد سميت تلك السياسة منذ ذلك الوقت بـ «مبدأ مونرو»⁽²⁴⁾ الذي أشار إلى أن النظام السياسي في أمريكا يختلف عن نظرائه في أوروبا، وحث الدول الأوروبية على الابتعاد عن التدخل في الشؤون الأمريكية والتزام الولايات المتحدة بعدم التدخل في الشؤون الأوروبية. غير أن هذا المبدأ من جهة أخرى كان قد شرع للولايات المتحدة الأمريكية التدخل في شؤون أمريكا اللاتينية وباقي مناطق القارة الأمريكية⁽²⁵⁾.

إذ كان الرئيس الأمريكي جورج واشنطن هو أول من وضع فكرة عدم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في المشاكل الخارجية والدولية فأن الرئيس جيمس مونرو كان أول من وضع سياسة عدم التدخل رسمياً في نهج سياسة الولايات المتحدة الخارجية. فقد أرسى مونرو من خلال مبدأه سياسة عدم اقحام الدولة الأمريكية نفسها في الشؤون الدولية والمشاكل التي تنجم عنها، الأمر الذي أصبح ركيزة أساسية استندت إليها سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية سميت بـ «سياسة العزلة».

يشير المؤرخ الأمريكي ديكوند إلى أن سياسة العزلة التي انتهجتها الولايات المتحدة في سياستها الخارجية لم تستمر طويلاً، ذلك عندما تم كسرها من جديد بفعل طلب الرئيس الأمريكي جيمس بولك (1841 1845) من الكونغرس في بداية عام 1845 الموافقة بإعلان الحرب على المكسيك، بسبب ولاية تكساس التي كانت تابعة إلى المكسيك آنذاك لكنها أرادت الانضمام إلى الولايات المتحدة⁽²⁶⁾. واجه طلب إعلان الحرب معارضة عدد كبير من أعضاء الكونغرس الذين أطلق عليهم لقب بـ «الانعزاليون» Isolatinsts أي المؤيدين لسياسة العزلة. بينما كان عدد آخر من أعضاء الكونغرس يؤيدون طلب إعلان الحرب، وقد عرفوا بـ «الدوليين والداعين للتدخل» Internationalists and interventionists الذين كان لهم دور في دفع الكونغرس إلى إعلان الحرب على المكسيك لاسيما بعد خطاب الرئيس المكسيكي «الاستفزازي» ضد الأمريكيين آنذاك⁽²⁷⁾.

اندلعت الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك عام 1846 واستمرت حتى عام 1848 وتمكنت الولايات المتحدة فيها من الانتصار، وحقت من خلالها مكاسب كبيرة. فبالإضافة إلى ولاية تكساس حصلت الولايات المتحدة على ولايتي كاليفورنيا ونيومكسيكو⁽²⁸⁾.

يمكن القول ان إعلان الولايات المتحدة الأمريكية حربها على المكسيك عام 1846 وعملية استيلائها على عدد كبير من الولايات الكبيرة والغنية بالموارد الطبيعية كولاية كاليفورنيا المشهورة بالذهب، ما هو إلا دليل آخر على ان سياسة العزلة التي كانت تنتهجها الولايات المتحدة سابقاً كانت عبارة عن دعاية أو مرحلة سبات وتأهب لمراحل قادمة أو تجميع القوة ولم شمل الدولة حديثة التأسيس قامت بها الولايات المتحدة لتغطي عن نواياها التوسعية في مناطق عديدة في القارة الأمريكية.

بعد المكاسب الكبيرة التي حققتها الولايات المتحدة في حربها على المكسيك لاسيما ضمها لولاية كاليفورنيا أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية من الدول التي تطل على شواطئ المحيط الهادئ. الأمر الذي شجعها لتوسيع نشاطها التجاري والاقتصادي باتجاه المناطق التي هي الأخرى تطل على هذا المحيط⁽²⁹⁾. وكانت الجزر اليابانية من أهم المناطق التي تطل على المحيط الهادئ، وكانت اليابان حينها تعيش في عزلة طوعية⁽³⁰⁾، لذلك أرادت الولايات المتحدة كسر هذه العزلة لليابان من أجل إقامة علاقات اقتصادية معها⁽³¹⁾.

شرعت الولايات المتحدة عام 1853 بإرسال بعثة بحرية بقيادة العميد البحري ماثيو بيرري Mathew Pary مع قوة بحرية قوامها أربع سفن إلى اليابان، لغرض الحصول على امتيازات تجارية وإنشاء محطات للتزود بالوقود اللازم⁽³²⁾، وكذلك من أجل حماية البحارة الأمريكيين الذين كانت سفنهم تتعرض للغرق. إلا أن هذه البعثة لم تحقق نتائج كبيرة للأمريكيين الذين بدورهم عادوا مرة أخرى إلى اليابان بعد عام بقيادة بيرري أيضاً الذي حمل رسالة معه من الرئيس الأمريكي ميلارد فيلمور (1850 1853) إلى إمبراطور اليابان⁽³³⁾.

كانت بعثة بيرري الثانية مصحوبة هذه المرة بقوة عسكرية كبيرة أجبرت اليابان على الموافقة على إعطاء الأمريكيين امتيازات تجارية كبيرة في اليابان وحرية أكبر في المياه الإقليمية بالمحيط الهادئ⁽³⁴⁾. وبذلك تكون الولايات المتحدة قد نجحت بكسر العزلة

اليابانية التي امتدت لأكثر من مئتين وخمسين عاماً، وهذا مؤشر آخر لأصحاب الرأي الذي يقول ان سياسة العزلة التي أرستها الولايات المتحدة في سياستها الخارجية ما هي إلا غطاء عن سياستها التوسعية على حساب مناطق عدة في العالم آنذاك.

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطورات داخلية كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية أهمها اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية (35) (1865-1861) التي أفرزت نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة وأرمت بظلالها على الدولة الأمريكية ومستقبلها، الأمر الذي أثر وبشكل واضح على السياسة الخارجية الأمريكية ومحاولاتها التوسعية، حسب رأي الكاتب بيرلو⁽³⁶⁾.

شكلت كوبا عقدة أمريكية كبيرة منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر. ويعزى ذلك إلى عوامل عدة أهمها العاملان الاقتصادي والجغرافي ولاحقاً العامل الأيديولوجي، إذ تعد كوبا منطقة حدودية للولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها تمثل مورداً زراعياً مهماً للدولة الأمريكية لاسيما زراعة قصب السكر الذي تعتمد عليه الولايات المتحدة اعتماداً كبيراً في اقتصادها⁽³⁷⁾.

كانت كوبا تابعة إلى أسبانيا منذ القرن السادس عشر، وعندما قام سكانها بالثورة على السلطات الأسبانية الحاكمة عام 1895، قامت أسبانيا بإخماد ثورة الكوبيين عبر قوات كبيرة جاءت بها إلى كوبا لهذا الغرض⁽³⁸⁾. أزعج هذا التصرف الولايات المتحدة كثيراً ودفعها إلى دعم الكوبيين لدوافع اقتصادية وإنسانية، لذلك استغلت الولايات المتحدة حادث غرق سفينة أمريكية في خليج هافانا واتهمت من خلالها السلطات الأسبانية في كوبا القيام بهذا الحادث⁽³⁹⁾. ليتطور الأمر بعد ذلك إلى إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على أسبانيا عام 1898 والتي سميت بـ «الحرب الأمريكية - الأسبانية». وقد نتج عن تلك الحرب بعد انتصار الولايات المتحدة فيها أن أصبحت كوبا دولة مستقلة، وتنازل أسبانيا عن سيادتها عن بورتوريكو، وجزيرة كوام، وجزر الفلبين الواقعة على المحيط الهادئ⁽⁴⁰⁾.

تجدد الإشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد شهدت طفرة اقتصادية كبيرة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، نتيجة الاستقرار الذي ساد فيها بعد الحرب الأهلية الأمريكية⁽⁴¹⁾. الأمر الذي أفرز فئة كبيرة من أصحاب الأموال والرأسماليين الذين

أصبح لهم دور مهم ليس في النواحي الاقتصادية والاجتماعية فحسب، بل في الحياة السياسية الأمريكية أيضاً نتيجة الضغط الذي مارسه هؤلاء على صانع القرار الأمريكي من أجل التوسع خارج نطاق الدولة الأمريكية. وبالتالي فتح أسواق جديدة لهؤلاء الرأسماليين واستثماراتهم الخارجية⁽⁴²⁾.

شكلت مناطق المحيط الهادئ والشرق الأقصى إحدى أهم طموحات الرأسماليين الأمريكيين لاسيما في الصين التي خرجت بعد حربها مع اليابان (1894 1895) دولة ضعيفة مما سمح للدول الأوروبية الكبرى التدخل في شؤونها. وبفعل هؤلاء الرأسماليين نصبت الولايات المتحدة نفسها بمثابة المدافع عن سيادة الصين. ولكن على وفق سياسة «الباب المفتوح» التي تعني بقاء أبواب الصين مفتوحة أمام التجارة الحرة مع جميع بلدان العالم. وهذا مؤشر آخر لتدخل الولايات المتحدة في الشؤون الدولية⁽⁴³⁾.

في ضوء ما تقدم يمكن القول: إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تلتزم بسياسة العزلة في أغلب فترات القرن التاسع عشر. ولعل الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة، إلى جانب تدخلاتها الأخرى في عدد من مناطق العالم، خير دليل على عدم التزام الولايات المتحدة بسياسة العزلة أو أنها قد تخلت عنها، وهذا ما يؤكد ان سياسة هي دعاية أمريكية. ولكن السؤال المهم هل ان الولايات المتحدة الأمريكية ستتخلى عن سياسة العزلة نهائياً أو ان الأحداث اللاحقة سيكون لها كلام آخر على الأقل في العقود الأولى من القرن العشرين الأمر الذي سيعالجه المحور الثالث من البحث.

ثالثاً سياسة العزلة وأثرها على الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى ونتائجها:

أفرز التنافس الاستعماري والتحالفات الدولية بين الدول الأوروبية الكبرى في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مشاكل دولية خطيرة، أدت في نهاية المطاف إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى في حزيران عام 1914 بين تحالف دول الوفاق وتحالف دول الوسط⁽⁴⁴⁾. وفي بداية تلك الحرب أعلنت الولايات المتحدة حيادها فيها، وذلك لعوامل عدة أبرزها المبادئ التي كانت طالما تعلنها الولايات المتحدة في سياستها الخارجية والمتمثلة بعدم التدخل في المشاكل الدولية⁽⁴⁵⁾.

إلا أن تصرفات المانيا ومحاولاتها العدائية تجاه جميع الدول التي كانت تتعامل مع بريطانيا وفرنسا، إلى جانب أسباب أخرى⁽⁴⁶⁾ تتعلق بالتطورات التي حدثت أثناء الحرب، دفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تغيير موقفها تجاه تلك الحرب⁽⁴⁷⁾. ففي أثناء الحرب قامت الغواصات الألمانية بضرب السفن الأمريكية المتجهة إلى بريطانيا وفرنسا أودت بحياة العشرات من البحارة الأمريكيين، الأمر الذي أزعج الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون (Woodrow Wilson 1913 1921) كثيراً ودفعه إلى الطلب من الكونغرس الأمريكي بالموافقة على تسليح البواخر التجارية الأمريكية⁽⁴⁸⁾. إلا أن أعضاء الكونغرس الانعزاليين كانوا قد وقفوا بقوة أمام طلب الرئيس، كونه سيدفع بالولايات المتحدة في نهاية الأمر إلى التدخل في الحرب، وبالتالي سيكون تنازل واضح من قبل الولايات المتحدة عن مبادئها (سياسة العزلة)، حسب وجهة نظر هؤلاء الأعضاء⁽⁴⁹⁾. وهو الأمر الذي ساهم في رفض مجلس الشيوخ الأمريكي طلب الرئيس ويلسون⁽⁵⁰⁾.

وبفعل المواقف الأمريكية المؤيدة لدول الوفاق لاسيما لبريطانيا، شرعت الغواصات الألمانية بضرب السفن الأمريكية نفسها هذه المرة، عندما أغرقت تلك الغواصات في نيسان عام 1917 سفينة أمريكية راح ضحيتها خمسة وثلاثين أمريكياً⁽⁵¹⁾. مما أدى إلى إحداث ردود أفعال مضادة من قبل أوساط كبيرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية شكل ضغوطاً على الانعزاليين الذي بدورهم بدأوا بالتراجع عن مواقفهم داخل المؤسسة التشريعية الأمريكية تجاه الحرب. الأمر الذي استثمره الرئيس ويلسون جيداً حينها طلب في اليوم التالي مباشرةً لحدث غرق السفينة الأمريكية، من الكونغرس إعلان الحرب على ألمانيا⁽⁵²⁾. وعلى الرغم من معارضة عدد من الأعضاء الانعزاليين الجمهوريين⁽⁵³⁾ داخل مجلس الشيوخ لطلب الحرب. إلا أن تلك المعارضة لم تجد نفعاً أمام إصرار باقي أعضاء المجلس الذين صوتوا لصالح إعلان الحرب على ألمانيا في نيسان عام 1917. بمعنى أن الولايات المتحدة بدأت تتخلى رسمياً عن سياسة العزلة والدخول بقوة في المشاكل الدولية⁽⁵⁴⁾.

بعدها أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية جيوشها إلى أوروبا في نهاية عام 1917، لتشارك إلى جانب قوات دول الوفاق في المحور الشمالي في فرنسا ضد القوات الألمانية. الأمر الذي ساهم وبشكل كبير في انقلاب موازين القوى لصالح دول الوفاق التي بدورها تمكنت من تحقيق انتصارات كبيرة على ألمانيا وحلفائها من دول الوسط⁽⁵⁵⁾.

في كانون الثاني عام 1918 أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون مبادئه الأربعة عشر للسلام. ويعد المبدأ الرابع عشر أحد أهم تلك المبادئ، لأن الرئيس ويلسون نصح من خلاله بتأسيس منظمة دولية (عصبة الأمم) تكون حافظة للسلام الدولي⁽⁵⁶⁾. لم تبدِ دول الوفاق وألمانيا اهتمام بتلك المبادئ في بادئ الأمر، ولكن عندما أعلنت ألمانيا موافقتها على وقف إطلاق النار في تشرين الثاني من العام نفسه، بفعل استمرار الانتصارات الكبيرة التي حققتها دول الوفاق على القوات الألمانية⁽⁵⁷⁾، عاد ويلسون من جديد بصياغة اتفاقية للسلام، وذلك في كانون الثاني عام 1919 عند مشاركته في مؤتمر السلام في فرساي الذي انعقد في فرنسا لهذا الغرض⁽⁵⁸⁾.

بعد اتفاهه على نص اتفاقية فرساي مع الأطراف المتحاربة والمشاركة في المؤتمر، عاد ويلسون إلى الولايات المتحدة وعرض نص تلك الاتفاقية على الكونغرس الأمريكي تحديداً على مجلس الشيوخ كونه الجهة المسؤولة الوحيدة التي تصادق على المعاهدات الدولية إلى جانب الرئيس بموجب الدستور الأمريكي⁽⁵⁹⁾.

واجه ويلسون، الذي كان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي، معارضة كبيرة من قبل أعضاء الكونغرس الأمريكي ولاتفاقية فرساي التي عرضها على المجلس⁽⁶⁰⁾. وتعود تلك المعارضة إلى عوامل عدة، لعل أهمها، مبدأ سياسة العزلة الأمريكية التي في حال تم الموافقة على إقرار الاتفاقية فإن الولايات المتحدة ستتخلى عن تلك السياسة، وأن المشاركة الأمريكية في الحرب ما هي إلا دفاع عن الولايات المتحدة وممتلكاتها وعلاقاتها التجارية، حسب وجهة نظر المعارضين لاتفاقية فرساي التي كانت تنص على قيام منظمة دولية تحافظ على السلام الدولي تدعى بـ «عصبة الأمم»⁽⁶¹⁾. أما البند الذي أثار مخاوف الانعزاليين فهو البند العاشر من الاتفاقية الذي نص على الالتزام الدولي بالتدخل العسكري والسياسي في المشاكل العالمية⁽⁶²⁾. وهو الأمر الذي رفضه أعضاء الكونغرس لاسيما الجمهوريين الذين عدوا انضمام الولايات المتحدة إلى عصبة الأمم ما هو إلا تخلي واضح من قبل الإدارة الأمريكية عن سياسة العزلة⁽⁶³⁾.

كان رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي السناتور الجمهوري هنري لودج Henry Lodge أشد المعارضين لاتفاقية فرساي لاسيما بعد رفض الرئيس ويلسون اصطحاب لودج لمؤتمر باريس للسلام وإطلاعه على تفاصيل اتفاق معاهدة

فرساي. مما زاد من معارضة الأعضاء الجمهوريين الذين كانوا يؤيدون سياسة العزلة الأمريكية⁽⁶⁴⁾. وفي هذا السياق يشير لودج في خطاب له في مجلس الشيوخ الأمريكي أثناء مناقشة اتفاقية فرساي بالقول: «ان إعلان الحرب يتم من قبل الكونغرس الأمريكي وليس من جهة خارجية، حتى وان كانت هذه الجهة [العصبة] استشارية، وان ذلك يتعارض مع الالتزامات الأمريكية المرتقبة على دخول الولايات المتحدة في العصبة»⁽⁶⁵⁾.

استمرت المناقشات داخل مجلس الشيوخ الأمريكي حول اتفاقية فرساي أشهراً طويلاً، دارت خلالها سجالات وخطب عديدة بين الأعضاء الانعزاليين والأعضاء الداعمين للتدخل الخارجي. إذ طالبوا الانعزاليين بتغييرات أساسية ومهمة في الاتفاقية لاسيما فيما يتعلق بالبند العاشر من نظام عصبة الأمم، الذي وصف بأنه تخلٍ واضح عن مبادئ الدولة الأمريكية⁽⁶⁶⁾. وأمام هذا الإصرار الكبير من قبل المعارضين لاتفاقية فرساي صوت مجلس الشيوخ الأمريكي في التاسع عشر من آذار عام 1920 على رفض الاتفاقية بمجمّلها⁽⁶⁷⁾.

في ضوء ما تقدم يمكن القول ان مبدأ سياسة العزلة كان له دور كبير ومؤثر في بداية الحرب العالمية الأولى حينما أعلنت الولايات المتحدة حيادها في تلك الحرب. وكذلك في نتائج تلك الحرب ودور الولايات المتحدة منها. فعلى الرغم من انتصار دول الوفاق في الحرب العالمية التي أثمرت عن اتفاقية فرساي وعصبة الأمم إلا أن الكونغرس الأمريكي ومن خلال أعضائه الانعزاليين حرم الولايات المتحدة الأمريكية من جني ثمار الانتصار في تلك الحرب وكذلك من محاولة مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في أن يكون لها دور في رسم عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى تقوده الدول المتضررة في تلك الحرب من خلال منظمة عصبة الأمم.

رابعاً عوامل تخلي الولايات المتحدة عن سياسة العزلة خلال الحرب العالمية الثانية:

التزمت الولايات المتحدة الأمريكية بسياسة عدم التدخل في المشاكل الدولية طيلة حقبة العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، نتيجة إدراك السلطة التنفيذية المتمثلة بالرؤوساء الأمريكيين حجم قوة الانعزاليين الذين كانوا متواجدين بقوة في مؤسسات

الدولة الأمريكية لاسيما في الكونغرس⁽⁶⁸⁾. إلا أن ذلك لا يعني عدم قيام الولايات المتحدة بعدد من المحاولات من أجل توسيع نفوذها في مناطق وأجزاء عديدة في العالم لاسيما في محيطها البحري⁽⁶⁹⁾. وقد تجسد ذلك في مؤتمر واشنطن الذي عقد للمدة ما بين 1921 و1922 بمشاركة عدد من الدول الكبرى آنذاك إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية التي أرادت من خلال هذا المؤتمر تنظيم عملية التسليح البحري للدول الكبرى في المحيطين الهادئ والأطلسي اللذين تطل عليهما الولايات المتحدة، وكذلك محاولة كبح جماح اليابان من التوسع على حساب الصين⁽⁷⁰⁾.

قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وتحديدًا عام 1929، كانت الولايات المتحدة تعيش أزمة اقتصادية خانقة وكبيرة وصلت مدياتها إلى الدول الرأسمالية الأخرى، لذا سميت بـ«الأزمة الاقتصادية العالمية»⁽⁷¹⁾. الأمر الذي انعكس سلباً على الدولة الأمريكية اقتصادياً وسياسياً وحتى اجتماعياً⁽⁷²⁾. وعلى الرغم من محاولة الرؤساء الأمريكيين وإداراتهم معالجة تلك الأزمة إلا أنها استمرت حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939 التي كان دخول الولايات المتحدة الأمريكية فيها إحدى العوامل الرئيسة لمعالجة الأزمة الاقتصادية، نتيجة زيادة الطلب على المعدات العسكرية والسلع المدنية الأمريكية بفعل حاجة المجهود الحربي للدول المتحاربة لتلك السلع والمعدات الأمريكية⁽⁷³⁾.

عند بداية الحرب العالمية الثانية في أيلول 1939 التزمت الولايات المتحدة بسياسة العزلة، عندما أعلنت حيادها في بداية تلك الحرب للأسباب المعروفة (سياسة العزلة). إلا أنه في الوقت نفسه استمرت العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة ودول الحلفاء بشكل واسع وكبير⁽⁷⁴⁾. وحينما تمكنت المانيا زعيمة دول المحور من تحقيق انتصارات عديدة على دول الحلفاء، أدركت الولايات المتحدة الأمريكية حجم خطورة الوضع الذي ستشهده الساحة الدولية في حال انتصار دول المحور «الدكتاتورية» في الحرب، حسب وجهة النظر الأمريكية. لذا أخذ الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt (1933 1945) بمراجعة حساباته فيما يتعلق بسياسة العزلة وإمكانية التخلي عنها بفعل الانتصارات الألمانية، الأمر الذي يعد عاملاً مهماً من عوامل تراجع الولايات المتحدة عن سياسة العزلة والتخلي عنها شيئاً فشيئاً نتيجة تلك التطورات⁽⁷⁵⁾.

جاءت أولى خطوات هذا التراجع عبر عدد من أعضاء الكونغرس «الانعزاليين» الذين

بدأوا بالتراجع عن موقفهم السابق الراض لدخول الولايات المتحدة في الحرب أو حتى الوقوف إلى جانب أي طرف من أطرافها⁽⁷⁶⁾. وقد أكد هذا الموقف الجديد الكونغرس الأمريكي عندما أقر قانون «أدفع واستلم» الذي سمح بموجبه الكونغرس تقديم خمسين مدمرة أمريكية إلى بريطانيا⁽⁷⁷⁾.

وفي كانون الثاني عام 1941 قدم الرئيس روزفلت إلى الكونغرس مشروع قانون «الإعارة والتأجير» الذي نص على تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية أمريكية إلى دول الحلفاء⁽⁷⁸⁾.

وعند مناقشة مشروع قانون الإعارة والتأجير داخل مجلس الشيوخ الأمريكي حدثت انقسامات حادة بين المؤيدين والرافضين له. فقد وجد عدد من أعضاء المجلس ان هذا المشروع يمثل خطراً كبيراً على مستقبل الأمن القومي الأمريكي؛ لأنه حسب اعتقادهم سيجر البلاد إلى دخول الحرب في مناطق بعيدة عن حدود الدولة الأمريكية، الأمر الذي سيساعد على احتمال اقتراب خطر الحرب من حدود الدولة⁽⁷⁹⁾. وكان من أبرز معارضي قانون الإعارة والتأجير السناتور الجمهوري روبرت لافوليت Robert Lafolette والسناتور الديمقراطي بيرتون ويلر Burton Wheeler الذي خطب في الكونغرس قائلاً: «تذكروا أيها السادة الأعضاء إذا قمنا اليوم بإعارة وتأجير التجهيزات العسكرية فإننا سنقوم غداً بإعارة وتأجير الشباب الأمريكان»⁽⁸⁰⁾.

على الرغم من اعتراضات عدد من أعضاء الكونغرس الأمريكي على مشروع الإعارة والتأجير إلا أنها لم تصمد أمام حجم الأخبار والتقارير التي كانت تصل إلى الولايات المتحدة وهي تحمل حجم الانتصارات الكبيرة التي تحققت دول المحور⁽⁸¹⁾. وبفعل تلك التطورات، بالإضافة إلى المصالح الأمريكية مع دول الحلفاء لاسيما مع بريطانيا، صوت الكونغرس في آذار عام 1941 على قانون الإعارة والتأجير الذي سمح بتقديم الولايات المتحدة معدات عسكرية إلى بريطانيا فقط بأربعين مليار دولار أمريكي⁽⁸²⁾. الأمر الذي عده الباحثون بداية حقيقة لتخلي الولايات المتحدة الأمريكية عن سياسة العزلة⁽⁸³⁾.

لم تكتفِ الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الأجراء الخطير بل زادت في سياستها

العدائية تجاه دول المحور لاسيما اليابان التي كانت تعدها الولايات المتحدة على أنها منافس قوي لها في المناطق التي تطل على المحيط الهادئ؛ لذلك أصدرت الإدارة الأمريكية عدداً من القرارات التجارية أضرت كثيراً باقتصاد اليابان آنذاك. مما عدته الأخيرة اعتداء سافر عليها من قبل الولايات المتحدة⁽⁸⁴⁾. الأمر الذي دفع اليابان للقيام بالعمل المشهور وهو قصفها لميناء بيرل هارير Perl Hper الأمريكي في كانون الأول عام 1941 الذي أودى بحياة العشرات من الأمريكيين إلى جانب ممتلكات أمريكية ضخمة⁽⁸⁵⁾.

أحدث هذا العمل الياباني صدمة كبيرة للمؤيدين والمعارضين لسياسة العزلة في المؤسسات التنفيذية والتشريعية على حدٍ سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية وجعلهم يتوحدون في رأي واحد⁽⁸⁶⁾، وتجلّى بإعلان الكونغرس الأمريكي في اليوم التالي مباشرة من الحادث، الحرب على اليابان ودخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية⁽⁸⁷⁾، ليشكل هذا الحادث عاملاً مهماً آخر من العوامل التي ساهمت في دفع الولايات المتحدة التخلي عن سياسة العزلة وبشكل صريح هذه المرة.

أعطى دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب دافعاً قوياً للحلفاء وجعلهم يقبلون الطاولة على دول المحور. والذي تجسد بتحرير المناطق التي احتلتها ألمانيا في أوروبا، بل ودخول قوات الحلفاء العاصمة برلين نفسها في آيار 1945⁽⁸⁸⁾. وعلى الرغم من هذا الانتصار الكبير إلا انه سرعان ما دب الخلاف بين دول الحلفاء المنتصرة لاسيما بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي حول أسلوب إدارة ألمانيا، وذلك أثناء انعقاد مؤتمر بودستام⁽⁸⁹⁾ في آيار من العام نفسه⁽⁹⁰⁾. أما اليابان فقد استسلمت هي الأخرى للحلفاء بفعل القنبلة النووية التي ألقتها الطائرات الأمريكية على مدينتي هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين في آب 1945⁽⁹¹⁾. الأمر الذي أظهر الولايات المتحدة الأمريكية قوة كبيرة على الساحة الدولية نتيجة انفرادها بامتلاك السلاح النووي وإمكانية استغلالها هذا السلاح لتوسيع نفوذها على حساب مناطق وأجزاء عديدة في العالم. ليشكل هذا العامل أحد أهم العوامل التي دفعت الولايات المتحدة بالتراجع عن سياستها السابقة (سياسة العزلة).

على الرغم من انتصار دول الحلفاء على النازية الألمانية والفاشية الإيطالية والنزعة العسكرية اليابانية إلا أن هذا الانتصار أفرز مشاكل جديدة وصراعات كبيرة ربما تكون

أخطر على البشرية من الصراعات السابقة بين الدول الكبرى. تجلت بالتنافس الحاد بين الحلفاء المنتصرين لاسيما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حول تقسيم مناطق نفوذها في أماكن مختلفة في العالم⁽⁹²⁾، أبرزها ألمانيا التي انقسمت من حيث لا تدري إلى قسمين الأول يديره الاتحاد السوفيتي والآخر تديره الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، الأمر الذي أثر وبشكل خطير على مستقبل الدولة الألمانية⁽⁹³⁾. وينطبق الأمر تماماً على كوريا ودول الهند الصينية (أهمها فيتنام) التي كانت محتلة من اليابان قبل وأثناء الحرب. إذ إن تلك الدول وجدت نفسها أيضاً منقسمة بين مناطق نفوذ أمريكية وسوفيتية وساحة للصراع بين هذين القطبين مما أدى إلى مشاكل كبيرة أيضاً هددت مستقبل هذه الدول⁽⁹⁴⁾.

لم تكتفِ الولايات المتحدة بهذا التدخل السافر في الساحة الدولية وعملية التوسع فيها، بل أنها شرعت هذا التدخل عندما استغلت ظروف الانتصار في الحرب وراحت بمعية دول الحلفاء الأخرى بتأسيس منظمة الأمم المتحدة عام 1945 وانضمامها إليها رسمياً في تموز من العام نفسه⁽⁹⁵⁾.

وبهذا الانضمام فإن الولايات المتحدة كانت قد الزمت نفسها بالتدخل في المشاكل الدولية بموجب ميثاق الأمم المتحدة، وبذلك فإن الولايات المتحدة كانت قد تخلت بصورة نهائية عن سياسة العزلة التي انتهجتها طيلة المراحل السابقة من عمر الدولة الأمريكية. وذلك بفعل المستجدات والمتغيرات التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية التي تمثلت بتصاعد قوة الاتحاد السوفيتي وأطماعه التوسعية، حسب وجهة النظر الأمريكية⁽⁹⁶⁾، فضلاً عن تراجع وانحسار دور بريطانيا وفرنسا على الساحة الدولية الأمر الذي شكل فراغاً حاولت الولايات المتحدة ملأه لمواجهة الاتحاد السوفيتي أولاً ولتوسيع مناطق نفوذها ثانياً مستغلة في ذلك تفوقها في السلاح النووي الذي أصبح فيما بعد أحد أدوات التهديد الذي تسابق عليه هذان القطبان في حربهما (الحرب الباردة).

الاستنتاجات:

في ضوء دراستنا لموضوع سياسة العزلة الأمريكية منذ تأسيس الدولة حتى الحرب العالمية الثانية توصلنا إلى استنتاجات عدة أهمها:

- يعني مفهوم سياسة العزلة عدم تدخل الدول العظمى في المشاكل الدولية على الرغم من امتلاك هذه الدول القوة الاقتصادية والسكانية والعسكرية التي تمكنها من التدخل في هذه المشاكل، لذلك ارتبطت سياسة العزلة الأمريكية بحجم قوة الولايات المتحدة وتأثيرها على الساحة الدولية، وكذلك بمراحل تطور الدولة الأمريكية نفسها.
- على الرغم من النوايا الحسنة للرئيس جورج واشنطن في تبني سياسة عدم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في المشاكل الخارجية والدولية والتي سار عليها الرؤساء الأمريكيين فعلياً، على الرغم من تأكيد الرئيس جيمس مونرو على تلك السياسة من خلال مبدئه، إلا أن الأخير في الوقت نفسه كان أول من شرّعَ التدخل الأمريكي في المشاكل الخارجية وذلك عندما سمح للولايات المتحدة التدخل في شؤون القارة الأمريكية بأكملها.
- يشير عدد من الباحثين ان الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد كسرت سياسة العزلة في مناسبات عدة أهمها حربها مع بريطانيا عام 1812، ومع المكسيك (1846-1848)، ومحاولتها كسر العزلة اليابانية عام 1854، إلى جانب حربها مع أسبانيا عام 1898. الأمر الذي يؤكد ان سياسة العزلة هي دعاية أمريكية بامتياز أرادت الولايات المتحدة من خلالها التغطية على مشاريعها التوسعية في مناطق العالم المختلفة.
- على الرغم من صحت آراء هؤلاء الباحثين إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا قد أغفلوا ان جميع تلك الحروب والتدخلات الأمريكية كانت أحداث إقليمية لم تصل إلى مستوى التدخل في المشاكل الدولية خارج القارة الأمريكية نتيجة صغر حجم قوة الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي إمكانية تأثيرها على الساحة الدولية آنذاك. بمعنى ان تلك

الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة كانت مع دول الجوار حتى أن حروبها مع بريطانيا وأسبانيا كانت حروب إقليمية داخل القارة الأمريكية، لأن هاتان الدولتين كانتا لا تزالان تمتلكان مستعمرات داخل تلك القارة. كذلك ينطبق هذا الأمر على اليابان التي كانت تعد بمثابة دولة إقليمية بحرية للولايات المتحدة، لأن كلتا الدولتين تطلان على المحيط الهادئ ولهما مصالح مشتركة فيه.

- كان تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى عام 1917 كسراً واضحاً لسياسة العزلة. الأمر الذي رفضه الانعزاليون لاسيما داخل الكونغرس الأمريكي، فقد كان لهؤلاء دور مهم وكبير في منع الولايات المتحدة من الانضمام إلى منظمة عصبة الأمم التي كانت تمثل إحدى المكتسبات المهمة للدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي حرم الولايات المتحدة من أن يكون لها دور في التدخل في المشاكل الدولية والتوسع خارج القارة الأمريكية بموجب ميثاق عصبة الأمم، وهذا مؤشر واضح على أن سياسة العزلة كانت قد طبقت بصورة فعلية في تلك المرحلة.

- حينما شعرت الولايات المتحدة الأمريكية بتفوقها على كافة المستويات لاسيما الاقتصادية والعسكرية بدأت تفكر جلياً بالتخلي عن سياسة العزلة لاسيما بعد أن شهد العالم تطورات مهمة تمثلت باندلاع الحرب العالمية الثانية والتي نتج عنها انحسار دور الدول التقليدية العظمى في الساحة الدولية كبريطانيا وفرنسا وألمانيا الأمر الذي استغلته الولايات المتحدة جيداً وقامت بملء هذا الفراغ الذي تركته تلك الدول. وافق ذلك بروز الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى هي الأخرى على المسرح الدولي، الأمر الذي عدته الولايات المتحدة خطراً على الأمن الدولي، حسب وجهة نظرها، لتساهم كل تلك التطورات في إعلان الولايات المتحدة الأمريكية تخليها نهائياً عن سياسة العزلة والدخول بقوة إلى المسرح الدولي لمواجهة الخطر السوفيتي من جهة، ولتوسيع نفوذها في مناطق وأجزاء عديدة في العالم من جهة أخرى لاسيما بعد إحساسها بالتفوق نتيجة امتلاكها السلاح النووي.

- يمكن القول إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد تبنت سياسة العزلة خلال تلك المدة بصورة متباينة، فتارة تضعها موضع التطبيق نتيجة لظروف داخلية معينة، ولمبادئ آمن بها عدد من السياسيين الأمريكيين، وتارة تستخدمها كدعاية أمريكية تحاول من خلالها ان تغطي على طموحاتها التوسعية في مناطق العالم المختلفة.

هوامش البحث:

(1) الثورة الأمريكية: ثورة قام بها سكان المستعمرات البريطانية في الأراضي الأمريكية نتيجة الإجراءات والقوانين الاقتصادية التي فرضتها السلطات البريطانية الحاكمة بحق سكان تلك المستعمرات الذين رفضوا تطبيق تلك الإجراءات وقاموا بالثورة ضد الوطن الأم (بريطانيا) للمدة من عام 1776 حتى عام 1783. إذ تمكن الجيش القاري الأمريكي، الذي كان يمثل سكان تلك المستعمرات، من تحقيق الانتصار على القوات البريطانية. الأمر الذي أنهى الحرب وأجبر بريطانيا على الاعتراف باستقلال المستعمرات الأمريكية عام 1783؛ للمزيد راجع: دان ليسبي، الثورة الأمريكية (دوافعها ومغزاها)، ترجمة: سامي ناشد، الجزء الأول والثاني، القاهرة، 1966؛

Petaer Cole. The War of Independence: The British Army in Worth America (1773-1783)، London, 2001.

(2) تجدر الإشارة إلى أن الولايات الأمريكية كانت قد عاشت النظام الكونفدرالي منذ عام 1778 حتى عام 1789. إلا أن ذلك النظام كان قد فشل نتيجة الثغرات والنواقص الموجودة في دستوره، والتي أدت إلى تناحرات ومشاكل عديدة بين الولايات الأمريكية. الأمر الذي شخصه الزعماء الأمريكيين وقاموا بكتابة الدستور الفدرالي الذي تأسست بموجبه دولة الولايات المتحدة الأمريكية الحديثة عام 1789، للمزيد راجع: لاري الويتز، نظام الحكم في الولايات الأمريكية، ترجمة: جابر سعيد عوض، الجمعية المصرية للنشر والمعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1995.

(3) تشارلز وماري بيرد، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ج2، منشورات مؤسسة أطلس، القاهرة، 1946، ص114.

(4) جورج واشنطن: ولد في ولاية فرجينيا عام 1732. عمل مساحاً للأراضي في بداية حياته بعدها أصبح ملازماً في الجيش ليشارك في صفوف الجيش البريطاني في الأراضي الأمريكية وشارك في حرب السبع سنوات (1763-1756). وعندما اندلعت الثورة الأمريكية عام 1775 أصبح واشنطن قائداً للجيش القاري الذي كان يمثل المستعمرات الأمريكية ضد القوات البريطانية، وبفعل انتصاراته على البريطانيين انتهت حرب الاستقلال الأمريكية عام 1783 والتي أجبرت بريطانيا على الاعتراف باستقلال المستعمرات الأمريكية عام 1787،

اختير رئيساً للجنة كتابة الدستور الأمريكي (الفدرالي). وفي عام 1789 انتخب أول رئيس للولايات المتحدة لدولتين رئاسيتين حتى عام 1796. توفي عام 1799، للمزيد راجع: عباس علوان الشويلي، جورج واشنطن مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية، دار صفحات، دمشق، 2013.

- (5) بيرد، المصدر السابق، ص 121.
- (6) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 85.
- (7) محمد محمود النيرب، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ج 1، دار الثقافة الجديد، القاهرة، 1997، ص 211.
- (8) عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص 88.
- (9) النيرب، المصدر السابق، ص 213.
- (10) حسين شريف، الولايات المتحدة من الاستقلال والعزلة إلى سيادة العالم (1783-2001)، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص 47.
- (11) للإطلاع على خطاب الوداع لواشنطن، راجع: بيرد، المصدر السابق، ج 2، ص 347-345.
- (12) المصدر نفسه، ص 123.
- (13) J.W. Partt, A History of United States Foreign Policy (Second Edition), Boston, 1965, P.12.
- (14) عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص 90.
- (15) بيرد، المصدر السابق، ص 126.
- (16) عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص 90.
- (17) حسين شريف، المصدر السابق، ص 139.
- (18) بيرد، المصدر السابق، ص 127.
- (19) حسين شريف، المصدر السابق، ص 140.
- (20) Partt, Op. Cit., P.33.
- (21) Ibid., P.24.
- (22) حسين شريف، المصدر السابق، ص 147.
- (23) جيمس مونرو: الرئيس الأمريكي الخامس، ولد في نيويورك عام 1758، بدأ حياته ضابطاً في حرب الاستقلال الأمريكية، بعدها تحول إلى السياسة التي من خلالها أصبح رئيساً للولايات المتحدة للمدة (1817 1825)، أعلن (مبدأ مونرو) عام 1823 الذي أرسى مونرو من خلاله أسس سياسة الولايات المتحدة الخارجية، توفي عام 1831، للمزيد راجع: حسن عطية عبد الله، مبدأ مونرو وأثره على السياسة الخارجية الأمريكية (1823 1865)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2006.

- (24) للتفاصيل أكثر من مبدأ مونرو، راجع المصدر نفسه.
- (25) المصدر نفسه، ص 188 190.
- (26) Alexander Deconde. A History of American Foreign Policy, New York, 1971, P.22.
- (27) Ibid., P.23.
- (28) حسين شريف، المصدر السابق، ص 156.
- (29) Deconde, Op. Cit., P.31.
- (30) العزلة اليابانية: سياسة انتهجتها اليابان طيلة قرنين ونصف من الزمن (1868-1633)، وذلك لحماية نفسها من مخاطر تدخل الدول الأوروبية في شؤونها الداخلية. للمزيد راجع: فوزي درويش، الشرق الأقصى (الصين واليابان)، 1853-1972، مطابع غباشي، القاهرة، 1997، ص 7.
- (31) فيكتور بيرلو، أعمدة الاستعمار الأمريكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1952، ص 34.
- (32) فوزي درويش، المصدر السابق، ص 11.
- (33) Deconde, Op.Cit., P.37.
- (34) فوزي درويش، المصدر السابق، ص 12.
- (35) الحرب الأهلية الأمريكية: أو ما يطلق عليها أيضاً بـ(حرب الأشقاء) نتيجة قيام تلك الحرب بين سكان الولايات المتحدة في الجنوب وسكانها في الشمال للمدة (1861 1865)، وذلك لأسباب عديدة أهمها نظام الرق أو العبيد الذي كانت تعمل به الولايات الجنوبية الزراعية بينما كانت الولايات الشمالية (الصناعية) ترفض العمل بهذا النظام العبودي، وقد انتصرت الولايات الشمالية في تلك الحرب وفرض قوانينها على الولايات الجنوبية، أهمها إلغاء نظام الرق. للمزيد راجع: حيدر طالب الهاشمي، الحرب الأهلية الأمريكية 1861 1865، اطروحة، غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ص 2006.
- (36) بيرلو، المصدر السابق، ص 42.
- (37) Deconde, Op. Cit., P.88.
- (38) ريتشارد بارنت، حروب التدخل الأمريكية في العالم، ترجمة: منعم النعمان، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص 34.
- (39) Deconde, Op. Cit., P.89.
- (40) ميثاق شيال زورة، الحرب الأسبانية- الأمريكية (1898-1904)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2005، ص 256.
- (41) Donald Stoker. The American Way of Strategy: U.S. Foreign Policy and The American of Life. Oxford University Paress, New York, 1989, P.11.
- (42) عبد الغزيز نوار، المصدر السابق، ص 128.

- (43) حسين شريف، المصدر السابق، ص 215.
- (44) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، ط4، الكويت، 1984، ص 22.
- (45) هنري كيسنجر، مفهوم السياسات الخارجية الأمريكية، إعداد وترجمة: حسين شريف، القاهرة، 1973، ص 18.
- (46) تمثلت تلك الأسباب بخروج روسيا القيصرية من تحالف دول الوفاق وبالتالي خروجها من الحرب العالمية الأولى، نتيجة ثورة أكتوبر عام 1917، الأمر الذي عدته الولايات المتحدة الأمريكية إخلالاً بتوازن القوى في أوروبا لصالح المانيا في الحرب. أما السبب الآخر فيعزى إلى أن الإدارة الأمريكية قامت بنشر برقية التقطتها أجهزة الاستخبارات الأمريكية كانت موجهة من وزير الخارجية الألماني (زيمرمان) إلى سفير بلاده في المكسيك يطلب من الأخيرة التعاون معها لضرب الولايات المتحدة، ما أثار نشر تلك البرقية الرأي العام الأمريكي بشكل كبير، بما فيهم الانعزاليين داخل المؤسسات التنفيذية والتشريعية في الولايات المتحدة الأمريكية. فرحان زيارة وإبراهيم فريحي، تاريخ الشعب الأمريكي، مطبعة جامعة برنستون، بيروت، 1946، ص 299.
- (47) صبري مقلد، المصدر السابق، ص 25.
- (48) حسين شريف، المصدر السابق، ص 266.
- (49) Oscar Theodora Barck, Meridian of American history, New York, 1961, P.161
- (50) Ibid., P.163.
- (51) حسين شريف، المصدر السابق، ص 267.
- (52) جاء في خطاب ويلسن في الكونغرس «أنه لأمر محزن ان نقود هذا الشعب المسالم [الأمريكي] إلى الحرب، وإلى أفصح الحروب جميعها وأحفلها بالدمار... إلا أن الحق أعلى وأثمن من السلام، وسنقاتل من أجل المبادئ التي اعتدنا ان نعز بها دائماً ومن أجل الديمقراطية». مقتبس من: Barck, Op. Cit., P.169.
- (53) من هؤلاء الأعضاء المعارضين السناتور الجمهوري جورج نوريز George Nures الذي خطب في الرابع من نيسان في مجلس الشيوخ قائلاً: «إن الحرب لن تجلب الرفاهية إلى الجنود الأمريكيين الذين يتم إعطائهم ستة عشر دولاراً شهرياً كتعويض عن حمل البندقية والذهاب إلى القتال ليموت إذا كان ذلك ضرورياً... بل ان الحرب تجلب الرفاهية لمقامري السندات المالية، ولولئك الذين جاهزون دائماً لامتلاك المزيد من الثروة، حتى لو كانت على حساب شباننا». مقتبس من: Policy, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1999, P.32.
- (54) Ibid., P.33.
- (55) هنري كسنجر، المصدر السابق، ص 26.
- (56) حسين شريف، المصدر السابق، ص 276.

- (57) صبري مقلد، المصدر السابق، ص 28.
- (58) حسين شريف، المصدر السابق، ص 277.
- (59) Barck, Op. Cit., P.183.
- (60) Lindsay, Op. Cit., P.41.
- (61) Deconde, Op. Cit., P.109.
- (62) Ibid., P.111.
- (63) Barck, Op. Cit., P.187.
- (64) Lindsay, Op. Cit., P.44.
- (65) Quotid in: Ibid., P.45.
- (66) Lindsay, Op. Cit., P.46.
- (67) Deconde, Op. Cit., P.113.
- (68) حسين شريف، المصدر السابق، ص 281.
- (69) ريتشلد بارنت، المصدر السابق، ص 159.
- (70) فوزي درويش، المصدر السابق، ص 178.
- (71) الأزمة الاقتصادية العالمية: بدأت مع الانهيار السريع والمفاجئ الذي حدث داخل الولايات المتحدة الأمريكية في تشرين الأول عام 1929 في سوق الأسهم والبورصات المالية، بفعل سيطرة فئة قليلة من الرأسماليين على الاقتصاد الأمريكي، مما أدى إلى انعكاسات اقتصادية وسياسية وحتى اجتماعية على الشعب الأمريكي. وقد سميت بالأزمة العالمية لامتدادها إلى الدول الرأسمالية الأخرى في العالم. للتفاصيل أكثر راجع: إيمان متعب التميمي، الأزمة الاقتصادية في الولايات الأمريكية (الأسباب والنتائج) 1929-1933، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2003.
- (72) عبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص 182.
- (73) Deconde, Op. Cit., P.121.
- (74) هنري كيسنجر، العقيدة الاستراتيجية الأمريكية ودبلوماسية الولايات المتحدة، ترجمة: حازم مشتاق طالب، مطابع الدار العربية، بغداد، 1987، ص 22.
- (75) حسين شريف، المصدر السابق، ص 302.
- (76) Lindsay, Op. Cit., P.61.
- (77) Ibid., P.63.
- (78) هنري كيسنجر، مفهوم السياسات الخارجية الأمريكية، المصدر السابق، ص 88.
- (79) عبد الرزاق حمزة عبد الله، مرسوم الإعارة والتأجير الأمريكي في سنوات الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2006، ص 54.

- (80) مقتبس من: المصدر نفسه، ص76.
- (81) Lindsay, Op. Cit., P.69.
- (82) عبد الرزاق حمزة، المصدر السابق، ص142.
- (83) Deconde, Op. Cit., P.128.
- (84) فوزي درويش، المصدر السابق، ص134.
- (85) إسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص164.
- (86) Stoker, Op. Cit., P.243.
- (87) حسين شريف، المصدر السابق، ص264.
- (88) هنري كيسنجر، مفهوم السياسات الأمريكية الخارجية، المصدر السابق، ص114.
- (89) إسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص167.
- (90) فوزي درويش، المصدر السابق، ص142.
- (91) للتفاصيل أكثر عن مؤتمر بوتسدام راجع: روبرت بيتزل، مقررات مؤتمرات طهران، يالطا، بوتسدام، ترجمة: عبد الرحمن رهيكتي، القاهرة، بلا.
- (92) إسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص203.
- (93) حسين شريف، المصدر السابق، ص266.
- (94) إسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص204.
- (95) Deconde, Op. Cit., P.156.
- (96) Stokerm Op. Cit., P.248.

قائمة المصادر

أولاً المصادر والكتب العربية والمعربة:

- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، ط4، الكويت، 1984.
- تشارلز وماري بيرد، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الأول، منشورات مؤسسة أطلس، القاهرة، 1946.
- حسين شريف، الولايات المتحدة من الاستقلال والعزلة إلى سيادة العالم (1783-2001)، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001.
- دان ليسبي، الثورة الأمريكية (دوافعها ومغزاها)، ترجمة: سامي ناشد، الجزء الأول والثاني، القاهرة، 1966.
- روبرت بيتزل، مقررات مؤتمرات طهران، يالطا، بوتسدام، ترجمة: عبد الرحمن رهيحتي، القاهرة، بلا
- ريتشارد بارنت، حروب التدخل الأمريكية في العالم، ترجمة: منعم النعمان، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، بيروت، 1974.
- عباس علوان الشويلي، جورج واشنطن مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية، جار صفحات، دمشق، 2013.
- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
- فرحات زيارة وإبراهيم فريحي، تاريخ الشعب الأمريكي، مطبعة جامعة برنستون، بيروت، 1946.

- فوزي درويش، الشرق الأقصى (الصين واليابان) 1853 1972، مطابع غباشي، القاهرة، 1997.
- فيكتور بيرلو، أعمد الاستعمار الأمريكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1952.
- لاري الويتز، نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة: جابر سعيد عوض، الجمعية المصرية للنشر والمعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1995.
- محمد محمود النيرب، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الأول، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1997.
- هنري كيسنجر، مفهوم السياسات الخارجية الأمريكية، إعداد وتقديم: حسن شريف، القاهرة، 1973.
- —، العقيدة الاستراتيجية الأمريكية ودبلوماسية الولايات المتحدة، ترجمة: حازم مشتاق طالب، مطابع الدار العربية، بغداد، 1987.

ثانياً المصادر والكتب الإنكليزية:

- Cole, Peter. The War of Independence: The British Army in Worth America (1773-1783), London, 2001.
- Deconde, Alexander, A History of American Foreign Policy, New York, 1971.
- Lindsay, James M., Congress and The Politics of U.S. Foreign Policy, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1994.
- Partt, J.W., A History of United States Foreign Policy (Second Edition), Boston, 1965.
- Stoker, Donald, The American Way of Strategy: U.S. Foreign Policy and The American of Life, Oxford University Pares, New York, 1989.
- Theodora Barck, Oscar, Meridian of American History, New York, 1961.

ثالثاً الرسائل والأطاريح الجامعية:

- إيمان متعب التميمي، الأزمة الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية (الأسباب والنتائج) 1929 1933، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2003.

- حسن عطية عبد الله، مبدأ مونرو وأثره على السياسة الخارجية الأمريكية (1823 1865)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2006.
- حيدر طالب الهاشمي، الحرب الأهلية الأمريكية 1861 1865، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، 2006.
- عبد الرزاق حمزة عبد الله، مرسوم الإعارة والتأجير الأمريكي في سنوات الحب العالمية الثانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2006
- ميثاق شيال زوره، الحرب الأسبانية - الأمريكية (1898 1904)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، 2005.

الكاظمية المقدسة بين النكبات والاعتداءات خلال العصر العباسي

(العصر العباسي، النكبات، الكاظمية المقدسة)

م.د علي إبراهيم عبيد الموسوي (البصير)

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم التاريخ

Holy Kadhimiya between Calamities and Attacks during the Abbasid Era

(Abbasid Era، Calamities ،Holy Kadhimiya)

Asst. Dr. Ali Ibrahim Obaid Al-Moussawi (Al - Basser)

Mustansiriya University/ College of Literature/ Department
of History

المخلص :

تعتبر مدينة الكاظمية المقدسة احد اقرب المدن جغرافياً الى مدينة بغداد، وايضاً زمنياً من حيث ظهورها كمدينة سكنية عامرة، الا ان هذه العوامل المشتركة لم تُكسبها من المزايا بمثلما عادت عليها من المآسي والكوارث، حيث كان هذا هو الدافع لكتابة هذا البحث المتواضع، والذي قسمناه الى مبحثين رئيسيين تناولنا في الاول الفتن والكوارث الطبيعية التي اصابته هذه المدينة المباركة وقد قسمنا هذا المبحث الى محورين

الاول: - استعرضنا فيه فتنه سنة (353هـ، وسنة 354هـ) والتي كانت بسبب تعطيل الاسواق والحياة العامة لأقامة مراسيم عاشوراء فثار اولي الاغراض واهل الشقاق والنفاق فوقعت في تلك الفتن خسائر كبيرة، اما المحور الثاني فقد استعرضنا فيه ما تعرضت له المدينة من فيضانات وكوارث طبيعية والتي بلغت تسعة فيضانات رئيسية مدمرة، اما المبحث الثاني فقد خصصناه لجملة الاعتداءات التي تعرضت لها مدينة الكاظمية خلال العصر العباسي والتي بلغت بمجملها ثلاثة عشر اعتداءً، وقد توصلنا في نهاية دراستنا الى ان احد واهم اسباب تلك الاعتداءات كانت اسباباً عقائدية ومذهبية وحتى عدائية، واما اهم اسباب ارتفاع الخسائر البشرية والمادية فيرجع الى عدم تسوير المدينة وتحصينها كغيرها من المدن.

Abstract

The holy city of Kadhimiya is considered one of the closest towns to the city of Baghdad, and also in terms of time as a residential inhabited city. But these common factors did not earn Kadhimiya benefits as the number of tragedies and disasters that it confronts. This reason is what gives the motivation to write this modest research which is divided into two major sections. In the first section, the researcher dealt with the conflicts and natural disasters that hit the blessed city and divided this section into two parts:

In the first part, the researcher reviewed the conflict which happened in years (353-354 A.H). This conflict happened because of the disabling markets and public life in order to make the ordinance of Ashura. So, people of schism and hypocrisy rebelled. As a conclusion, big losses occurred in these conflicts. While in the second part, the researcher reviewed what has happened in the city from floods and natural disasters which were nine major destructive floods.

The second section was dedicated to review the attacks on Kadhimiya city during the Abbasid age were thirteen attacks. At the end of the current study, the researcher concluded that the most important reason for these attacks was ideological, sectarian and even hostile reason. While the most important reason for the elevation of human and material losses were attributed to the lack of fencing and the lack to fortify the city like other cities.

المقدمة

تعتبر مدينة الكاظمية المقدسة احد المدن العريقة في بلاد وادي الرافدين، ومن بين اهم المدن المقدسة في هذه البلاد، وحتى على مستوى بلدان المنطقة والعالم، اذ مثلت اراضيها قديماً الحدود الفاصلة بين الدولة الاشورية من الشمال والكيشية من الجنوب، ولأستراتيجية هذه المنطقة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية اتخذها الكيشيون عاصمة لهم بعد ان زحفوا شمالاً حيث ما زالت اثارهم شاخصة للعيان، لاسيما شمال مدينة الكاظمية، اي مدينة عقرقوف، وكون ان ارض هذه المدينة كانت ترتفع قليلاً عما يجاورها فقد أخذت كمقبرة حيث اشتهرت قديماً بمقبرة الشوينزي نسبة لأحد المشاهير الذي دفن فيها، كما عرفت بعد ذلك بمقبرة باب التبن، وقد اشارت المصادر الى ان بعض جرحى معركة النهروان (38هـ) ممن قاتل في جيش امير المؤمنين قد وافاه الاجل في هذه البقعة من الارض فدفن فيها، وقد عرفت مقبرتهم بمقبرة الشهداء، وقد عرفت فيما بعد بمقابر قريش كونها اصبحت مدفناً للعوليين والعباسيين بعد قيام دولة بني العباس، ولكن ما زاد في شرف هذه المدينة وسموها ورفعتها وارتفاع شأنها هو احتضانها لجسدين طاهرين هما الامام موسى بن جعفر وحفيده الامام محمد الجواد (عليهما السلام) حيث بدأت المدينة عهداً جديداً بعد ذلك تمثل في مسكن اتباع اهل البيت وشيعتهم ومحبيهم حول المرقد الطاهر، وبقيام هذه المدينة وبروزها كحاضرة مقدسة من حواضر اهل البيت واتباعهم ازدادت اهميتها ومكانتها، وبمقدار هذه الاهمية والمكانة اجتهد اعدائها للنيل منها، حيث تعرضت الى جملة من الاعتداءات خلال العهد العباسي، وفضلاً عن تلك الاعتداءات تعرضت تلك المدينة الى جملة من النكبات والكوارث الطبيعية، لذا رأينا من المناسب جمع تلك الاعتداءات والنكبات في هذا البحث المتواضع، لكي يتسنى لكل مهتم ومتابع معرفة تاريخ هذه المدينة وما جرى عليها، وايضاً لكي تتبين اهميتها من خلال اجتهاد اعدائها في الاضرار بها من جهة وصمود اهلها واستبسالهم في الدفاع عنها من جهة اخرى،

ومن ثم شموخها وظهورها بحلة زاهية رغم الخطوب والمحن حيث يبين قدسيته وعمق أهميتها من جهة ثالثة .

تعتبر مدينة الكاظمية المقدسة احد اقرب المدن جغرافياً الى مدينة بغداد، وايضاً زمنياً من حيث ظهورها كمدينة سكنية عامرة، الا ان هذه العوامل المشتركة لم تُكسبها من المزايا بمثلما عادت عليها من المآسي والكوارث، حيث لم تنتفع اقتصادياً من ذلك القرب بقدر ما حل بها من الضرر، اذ لم تكن بمنأى عما اصاب بغداد من الاهوال والاطار الخارجية، وايضاً كانت اول محطة لنقمة اكثر خلفاء بني العباس لما يجدون فيها من تشيع وولاء لآل البيت عليه السلام، فضلاً عما كانت تتعرض له من الاعتداءات والفتن لأسباب مذهبية وعقائدية بين الحين والآخر، لكن رغم كل هذا لم تتأخر مدينة الكاظمية عن التطور والازدهار الذي شهدته مدينة بغداد او غيرها من المدن لما لهذه المدينة من ارث ديني وتاريخي واجتماعي، لذا سنتعرض الى بيان ما لحق بهذه المدينة من اضرار واطار خلال العهد العباسي مستعرضين اولاً ما اصاب المدينة من نكبات تمثلت بالفتن والكوارث الطبيعية، ومن ثم ما اصاب المدينة من اعتداءات همجية ووحشية وعلى النحو الاتي

المبحث الاول: الفتن والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها مدينة الكاظمية المقدسة

اولاً: الفتن

لقد كانت السياسة والتطرف المذهبي وما زالتا مصدراً رئيسياً لتمزيق الشعوب وتحطيم البنى الاجتماعية، والاواصر المجتمعية استغلها اولي الاغراض والغايات السيئة وذلك لرعاية مصالحهم وتوسيع نفوذهم لما لهما من اثار عظيمة لتلك المصالح، واضرار جسيمة على المجتمعات، وقد اخذت مدينة الكاظمية المقدسة نصيبها من تلك الانواع من الفتن، لأعتبرها مركزاً مهماً من مراكز التشيع لآل البيت عليه السلام اولاً، ولخوف الخلفاء والحكام من نقمة اهلها ثانياً، لقرب هذه المدينة من مراكزهم، ولما لأهلها من خلاف واضح لتوجهاتهم وسياساتهم، ومن بين اهم ما كان يخالف توجهات اولئك الخلفاء والحكام هي الشعائر الحسينية التي تميزت في اقامتها مدينة الكاظمية المقدسة، لما لأهلها من ارتباط روحي وعقائدي بتلك الشعائر المباركة، حيث كانت وما زالت لهذه الشعائر والمراسيم

من القدسية ما تدفع الناس لتعطيل مصالحهم واغلاق اسواقهم وتغيير احوالهم بشكل ملحوظ يختلف كثيراً عن غير ايام عاشوراء.

فقد روى المؤرخون في احداث سنة (353هـ): «عمل في تعطيل الاسواق واقامة النواح فلما اضحى النهار وقعت فتنة عظيمة في قطيعة ام جعفر⁽¹⁾ وطريق مقابر قريش بين السنة والشيعه ونهب الناس بعضهم بعضاً ووقعت بينهم جراحات»⁽²⁾ وكذلك في العام التالي اي سنة (354هـ) «تسلطت اهل السنة على الروافض فكبسوهم في مسجد براهنا الذي كان مقر الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة»⁽³⁾.

ان مثل هذه الاحداث تؤكد دور السياسة والتطرف الطائفي في تمزيق وحدة المجتمعات، حيث يُعول عليهما كثيراً من قبل حكام الظلم والجور، لما ينتابهم من رعب شديد من اقامة تلك الشعائر والطقوس حيث يدركون مدى تأثيرها البالغ في نفوس الناس من خلال اثاره حماسهم وحميتهم في رد الظلم ودحر الطغيان، وكون ان اولئك الحكام مصدراً من مصادر الظلم والطغيان فمن الطبيعي ان تكون تلك الشعائر خطراً حقيقياً يقظ مضاجعهم ويهدد مصالحهم، وهكذا كان حال الفتن الاخرى التي حدثت في ذلك العصر.

ثانياً: الكوارث الطبيعية.

ان مدينة الكاظمية المقدسة هي احدى المدن التي كان يجتمع عليها في بعض الاحيان قسوة الزمان مع قسوة اهله، فالطبيعة واحوالها كانت احدى مصادر المأسي التي عانت منها هذه المدينة الكريمة، حيث روى المؤرخون:

1 - لقد تعرضت مدينة الكاظمية في سنة (367هـ) الى فيضان مدمر اجتاح اجزاء واسعة من المدينة حيث ذكروا: «وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة وغرقت كثيرا من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضا مقابر باب التبن⁽⁴⁾ بالجانب الغربي منها وبلغت السفينة أجرة وافرة وأشرف الناس على الهلاك ثم نقص الماء فامنوا»⁽⁵⁾.

2 - وفي سنة (401هـ) لخمس بقين من رجب زادت دجلة وامتدت الزيادة إلى رمضان، فبلغت إحدى وعشرين ذراعاً، ودخل الماء أكثر الدور الشاطئة، وقطيعة الدقيق⁽⁶⁾، وباب التبن، وباب الشعير⁽⁷⁾، وباب الطاق⁽⁸⁾، وفاض على مسجد الكف⁽⁹⁾ بقطيعة الدقيق فخره واحتمل أجدعه وسقوفه، وتفجرت البثوق وغرقت القرى والحصون⁽¹⁰⁾.

- 3- وفي سنة ست وستين وأربعمائة زادت دجلة وجاءت السيول حتى غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي ودخل الماء إلى المنازل من فوق ونبع من البلاليع وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد بن حنبل ومشهد باب التبن وهلك في ذلك خلق⁽¹¹⁾ ووصلت مياه الفيضان إلى مشهد الإمامين الكاظم والجواد (عليهما السلام)، فتهدّم سورته، وحدثت به أضرار أخرى، فبذل شرف الدولة⁽¹²⁾ مبلغ ألف دينار لعمارتته⁽¹³⁾.
- 4- وفي سنة (544هـ) زادت دجلة فبلغ الماء إلى باب المدرسة⁽¹⁴⁾، ومنع الجواز من طريق الرباط ودخلت السفن الأزقة⁽¹⁵⁾.
- 5- وفي سنة (554هـ) في ربيع الثاني طغى ماء دجلة أيضاً، فغرقت بغداد ومقابرها، ومنها مقبرة أحمد بن حنبل وغيرها من الأماكن والمقابر، حتى إن بعض القبور انخسفت، وطفحت أجساد الموتى على سطح الماء، إلا مشهد الإمامين والحربية⁽¹⁶⁾، وقال ابن الجوزي، وكانت آية عجيبة⁽¹⁷⁾.
- 6- وفي سنة (569هـ) فاضت دجلة، وزاد الماء زيادة لم يسبق بمثلهما، فسرى الماء إلى مقابر قريش، حتى دخل إلى الروضة المقدّسة، فتهدّمت بعض الأبنية فيها، وتهدّم أكثر سور المشهد المقدّس⁽¹⁸⁾.
- 7- وفي سنة (614هـ) زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد في قديم الزمان مثلها وأشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة الأمراء والأعيان وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعانوا الهلاك واعدوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل وكان مما قال لهم لو كان يفدى ما أرى بمال أو غيره لفعلت ولو دفع بحرب لفعلت ولكن أمر الله لا يرد ونبع الماء من البلاليع والآبار من الجانب الشرقي وغرق كثير منه وغرق مشهد أبي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقربة الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان وأما الجانب الغربي فتهدم أكثر القرية ونهر عيسى وخربت البساتين ومشهد باب التين ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الظاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى وأكثر محلة قطفنا⁽¹⁹⁾.
- 8- في سنة (622هـ) في أيام الظاهر بأمر الله، الذي لم يحكم أكثر من سنة واحدة، وقع حريق هائل في مشهد الكاظمين، فأتى الحريق على الأثاث والفرش، والمصاحف،

والكتب، وسرت النيران إلى الصندوقين في القبة الشريفة، فأمر الظاهر وزيره مؤيد الدين القمي بتعمير المشهد وإعمارهِ، وفي أثناء ذلك مات الظاهر سنة (623هـ/1226م)، فتولّى الحكم من بعده ولده المستنصر بالله المنصور بن الظاهر الحاكم العباسي السادس والثلاثون المتوفى سنة (640هـ) فأكمل البناء والتعمير بأروع مما كان قد ابتدأ، وأمر بعمل صندوق خشبي من الساج، هو اليوم في المتحف العراقي، وهو آية في الحسن والفن في النقش والترصيع والتذهيب، وعليه كتابات جميلة، واسم المستنصر بالله، وتاريخ صنعه سنة (624هـ) كما وضع من قناديل الذهب والفضة، والشمعانات، والمعلقات النفيسة، والستائر الشيء الكثير وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية في بغداد⁽²⁰⁾.

9- وفي سنة (646هـ/1249م) وعلى إثر أضرار غزيرة في شوال امتلأت بها الشوارع والدور، فغرقت القرى، وتهدمت المساكن، وتلفت المزارع، وتعطل على الناس معظم أعمالهم، وكان من نتيجتها أن زادت دجلة في ذي الحجة زيادة عظيمة، فطغى الماء على الضريحين المشرفين، بحيث لم يبق بينهما سوى رؤوس رمانات البنيات التي كانت عليهما⁽²¹⁾.

وهكذا لم تكن المدينة المقدسة عرضة للفتن أو نقمة المعتدين فحسب، وإنما تركت الطبيعة من آثار الحزن والأسى على أهلها ما ملئ صفحات تاريخها فيما بعد، ويبدو أن من أهم أسباب تلك الكوارث والفتن هو عدم وجود ما يحمي المدينة من الأسوار، وإيضاً العنوان الواضح والبارز لهذه المدينة وأهلها وهو التشيع والولاء لآل الرسول ﷺ، إذ كان ذلك سبباً في النقمة عليها أحياناً من جهة، ومن جهة أخرى عدم اهتمام الخلفاء أو الولاة في تحصينها أو تسويرها بسبب ولائها وتشيعها ذلك، وما بين هذه الكوارث الطبيعية وبين الفتن أو الغزو الأجنبي ومخلفاته عانت المدينة المقدسة وأهلها في تلك الحقبة أشد المعاناة، وإذا أمكن الإنسان الصبر على

الجوع والحرمان وتحمل المرض والوباء واقتنع في حكم الله لفقدانه أهله وأحبائه، فأنا له أن يتحمل الظلم والعدوان وضغط المحتل والإساءة للحرمان والمقدسات والاعتداء على الأنفس والأعراض، وقد اجتمع على أهل ذلك المجتمع في كثير من الأحيان أغلب تلك الظروف وتبعاتها .

المبحث الثاني:- الاعتداءات والمصاعب التي تعرضت لها مدينة الكاظمية المقدسة خلال العصر العباسي .

ان الاسباب السالفة الذكر هي نفسها التي ادت الى تعرض المدينة لجملة من الاعتداءات الوحشية والتي كانت الطائفية والهمجية اساسها الاول حيث يمكن معرفة ذلك من خلال اثارها الدموية البالغة، وايضاً من خلال مواقيتها حيث كانت بالجملة في المناسبات الدينية وعلى وجه الخصوص عند احياء ذكرى عاشوراء ومن اهم تلك الاعتداءات

1- في سنة (363هـ) قام امير جيش الخليفة الطائع لدين الله (363هـ-393هـ) سبكتكين (22) بأرتكاب احدي المجازر الطائفية عندما: «ثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لأنه كان يتسنى فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء وأحرق الكرخ حريقاً ثانياً وظهرت السنة عليهم»⁽²³⁾.

2- وفي سنة (398هـ) حدثت فتنة بين السنة والشيعة ووقع القتال بينهم وبين اهل باب البصرة وباب الشعير ونهر القلائين وقد ساهم الخليفة القادر (393هـ-422هـ) بنفسه في هذه الفتنة حيث انفذ فرسان على بابه لمعاونة اهل السنة فأنكسرت الشيعة⁽²⁴⁾ وذهب ابن الاثير الى ذكر هذه الحادثة في سنة 391هـ⁽²⁵⁾.

3- وفي سنة (422هـ) تجددت الفتنة بين السنة والشيعة بسبب منع زيارة مرقد الامامين الكاظم والجواد وحدثت نتيجة ذلك عدة معارك بينهما وزادت عندما اعترض اهل باب البصرة قوم جاءوا قاصدين الكاظمية للزيارة⁽²⁶⁾.

4- وفي سنة (441هـ) منع ابي القاسم بن مسلمة⁽²⁷⁾ وزير القائم بأمر الله (422-467هـ) ابناء الكاظمية من اقامة مراسيم في عاشوراء لأنه كان شديد التعصب على الشيعة⁽²⁸⁾.

5- وفي سنة (443هـ) هجم اهل الكرخ على الكاظمية فصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه فنقبوا في سورها وتهددوا فخافهم وفتحوا الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ونظهبوا ما في التراب والدور وأدركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثر الجمع فصدوا المشهد وأحرقوا جميع التراب والأراج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجوار والقبستان الساج اللتان عليهما واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معن الدولة وجلال الدولة من قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبي جعفر

- المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الأمر الفظيع ما يجر في الدنيا مثله فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر إلى جانبه⁽²⁹⁾.
- 6 - وفي سنة (449هـ) وفي صفر هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ، وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام، وأضيف إليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديما يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة، فأحرق الجميع⁽³⁰⁾.
- 7 - وفي سنة (483هـ) هجم أهل البصرة على الكرخين وقتل خلق كثير وقصدوا مشهد باب التبن فوقفوا بوجههم الهاشميين فقام المقتدي بحملة ضد الكرخين فاستكانت الشيعة واذعنوا بالطاعة تقية⁽³¹⁾.
- 8 - وفي سنة (517هـ) زار الخليفة الكاظمية فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة إلى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فأنكر الخليفة ذلك وأمر نظر أمير الحاج⁽³²⁾ بالركوب إلى المشهد وتأديب من فعل وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفي الباقي عليه⁽³³⁾.
- 9 - وفي سنة (622هـ) قام بعض أهل بغداد بشن هجوم على الكاظمية وعلى مرقد الامامين وقد تم نهبهما بالكامل.
- 10 - وفي اواخر سنة (641هـ) امر المستعصم بمنع الشعائر الحسينية في جميع الامكنة وبعد فترة اضطر ان يسمح بها داخل المرقد الكاظمي فقط⁽³⁴⁾.
- 11 - وفي سنة (654هـ) حدثت معركة بين السنة والشيعة فأرسل الخليفة ابنه الأكبر ليقضي على الفتنة فأحرق محلة الكرخ حيث يسكنها الشيعة واحرق مشهد الامام الكاظم وارتكب فظائع كثيرة⁽³⁵⁾.
- 12 - وفي سنة (656هـ) حصلت فتنة اخرى بين السنة والشيعة وتجادلوا بالسيوف وقتل جماعة ونهبوا وشكا أهل السنة الى الامير ركن الدين الدويدار⁽³⁶⁾ والامير ابا بكر بن الخليفة⁽³⁷⁾ فهجموا على الشيعة ونهبوا محلاتهم وارتكبوا فيهم امور عظام⁽³⁸⁾.
- 13 - وفي سنة (656هـ) امر هولاءكو بنهب الكاظمية واضرام النار فيها اثناء حصار بغداد غير انه اعيد تشييدها في الحال⁽³⁹⁾.

الخاتمة

ان المتعمق في دراسة تراث مدينة الكاظمية المقدسة واهميتها ومكانتها يجد ان هذه المدينة مع عراققتها وضخامة تراثها لم تصل الى ما وصلت اليه من المكانة والاهمية لولا احتضانها لجسدي الامامين الهمامين موسى بن جعفر وحفيده محمد الجواد (عليهما السلام)، اذ لولاهما لكانت كغيرها من المدن الاثرية يحكي تاريخها واثارها ما جرى عليها من الاحداث والوقائع، ولكن بمقدار ارتفاع شأنها وسمو مكانتها بوجود هذين الامامين الكريمين كانت ايضاً عرضة لكثير من الاهوال والمحن، اذ اصبحت بهما عنواناً بارزاً للتشيع والتبعية لأهل البيت عليهم السلام، فكانت لذلك غرضاً ومقصداً لكثير من المعتدين والظالمين ممن جاهر بعدائه لآل الرسول واتباعهم، حيث اعتدوا على حرمة هذه المدينة او حرضوا على العدوان عليها من جهة، او اهملوا رعايتها وتحصينها لكي تكون عرضة لعاديات الزمن وكوارث الطبيعة من جهة اخرى رغبة منهم في النيل من هذه الحاضرة المقدسة عسى ان تشفي نفوسهم المريضة ما يحل بها من اضرار واطوار، ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾ المعكرونة ⁽⁴⁰⁾، وقد اعز الله سبحانه هذه المدينة المقدسة ورفع ذكرها في الافاق، فهي مقصداً لملايين الزائرين، ومأوى لأفئدة الحائرين، وملاذاً لأصحاب المسائل والحاجات بما شرفها الله من الكرامات الباهرات على يد ائمة الطهر والهدى ابواب الحوائج الى العلي الاعلى ابي الرضا موسى والجواد ابن الرضا (عليهم السلام جميعاً).

قائمة الهوامش

- (1) قَطِيعَةُ أُمِّ جَعْفَرٍ: هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور أم محمد الأمين: وكانت محلة ببغداد عند باب التين وهو الموضع الذي فيه مشهد موسى بن جعفر، قرب الحريم بين دار الرقيق وباب خراسان وفيها الزبيدية وكان يسكنها خدام أم جعفر وحشمها، وقطيعة أم جعفر بنهر القلابين ولعلها اثنتان، وقد نسب إلى هذه القطيعة إسحاق بن محمد بن إسحاق أبو عيسى الناقد. ينظر: ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي، (ت: 626هـ)، معجم البلدان، ط2، (بيروت: دار صادر، 1415هـ)، ج4، ص376.
- (2) ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ)، ج14، ص155.
- (3) ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1408هـ)، ج11، ص288.
- (4) باب التبن: بلفظ التبن الذي تأكله الدواب: اسم محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر، وهي الآن خراب صحراء يزرع فيها، وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل دفن هناك بوصية منه، وذلك أنه قال: قد صحَّ عندي أنّ بالقطيعة نبياً مدفوناً، ولأن أكون في جوار نبيّ أحب إليّ من أن أكون في جوار أبي، وبلصق هذا الموضع مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم ويعرف قبره بمشهد باب التبن. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص306.
- (5) ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت: 630هـ)، الكامل في التاريخ، ل.ط، (بيروت: دار صادر، 1385هـ)، ج8، ص694.
- (6) قطيعة الدقيق: وهي قطيعة ببغداد، ينسب إليها أبو بكر أحمد ابن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي مات في سنة (368هـ). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص377.
- (7) باب الشعير: محلة ببغداد فوق مدينة المنصور، قالوا: كانت ترفأ إليها سفن الموصل والبصرة والمحلة التي ببغداد اليوم، وتعرف بباب الشعير، هي بعيدة من دجلة، بينها وبين دجلة خراب كثير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص308.

(8) بابُ الطّاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي، تعرف بطاق أسماء، وقد ذكرت في موضعها، واجتاز عبد الله بن طاهر فرأى قمرية تنوح فأمر بشرائها وإطلاقها، فامتنع صاحبها أن يبيعهما بأقل من خمسمائة درهم،

(9) فاشترها بذلك وأطلقها، وأنشد يقول:

فجرت سوابق دمعي المهراق	ناحت مطوّقة بباب الطاق
كانت تغرّد في فروع الساق	كانت تغرّد بالأراك، وربما
فأصبحت بعد الأراك تنوح في الأسواق	فرمى الفراق بها العراق
إن الدموع تبوح بالمشتاق	فجعت بأفرخها فأسبل دمعها
وسقاه من سمّ الأسود ساق	تعس الفراق وبّت حبل وتينه
لم تدر ما بغداد في الآفاق؟	ماذا أراد بقصده قمرية
من فكّ أمرك أن يحلّ وثاقي	بي مثل ما بك يا حمامة فاسألني

وقد روي أن صاحب القصة في إطلاق القمرية هو اليمان بن أبي اليمان البندنجي، الشاعر الضرير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 308 .

(10) لم اعثر على ترجمة له.

(11) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 77؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 397 .

(12) ابي الفدا، ملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، (ت: 732هـ)، المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابي الفدا)، ل. ط، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ج 2، ص 190؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: 733هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، ل. ط، (القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي، د.ت)، ج 23، ص 239.

(13) شرف الدولة أبو الفضل ابن منقذ إسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، بن أبي العساكر الكناني الشيزري الأمير كان فاضلاً شاعراً، وكان أبوه صاحب شيزر وابن صاحبها، فلما مات أبوه وليها أخوه تاج الدولة، وأقام هو تحت كنف أخيه إلى أن خربتها الزلزلة، ومات أخوه وطائفة تحت الردم، وتوه نور الدين فتسلمها، وكان إسماعيل غائباً عنها، فانتقل إلى دمشق وكانت الزلزلة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ومات إسماعيل بدمشق سنة إحدى وستين وخمسمائة. ينظر: ابن شاعر الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاعر بن هارون، (ت: 764هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، ط 1، (بيروت: دار صادر، 1974م)، ج 1، ص 178.

(14) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 91.

(15) لم اعثر لها على ترجمة.

(16) ابن الجوزي، المنتظم، ج 18، ص 77 .

(17) الحريرية: محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن

- حنبل وغيرهما، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قواد أبي جعفر المنصور، وكان يتولى شرطة بغداد. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص237.
- (18) المنتظم، ج18، ص135 .
- (19) الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة، ط1، (قم: نشر الهادي، 1419هـ)، ج13، ص510.
- (20) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج12، ص332.
- (21) الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة، ج13، ص511.
- (22) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1409هـ)، ج47، ص38؛ الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة، ج13، ص512.
- (23) محمود بن سبكتكين أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين، الملقب أولاً سيف الدولة، ثم لقبه الإمام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه " يمين الدولة وأمين الملة " واشتهر به وآخر الأمر أن الأمير سبكتكين كان قد وصل إلى مدينة بلخ من طوس فمرض بها، واشتاق إلى غزنة فخرج إليها في تلك الحال، فمات في الطريق قبل وصوله، وذلك في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة، ونقل تابوته إلى غزنة. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط1، (بيروت: دار صادر، 1994م)، ج5، ص175 .
- (24) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص637.
- (25) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص58-59.
- (26) الكامل في التاريخ، ج9، ص168؛ الطائي، علي حسين صادق، الكاظمية مدينتي دراسة وثائقية عن الكاظمية واحداثها السياسية، ط1، (بغداد: زرقاء اليمامة، 2014م)، ص152.
- (27) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص418.
- (28) ابي القاسم بن مسلمة: لم اعثر على ترجمة له
- (29) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص213؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص419 .
- (30) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص575-577 .
- (31) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص16؛ الكوراني، علي العاملي، عصر الشيعة، ط1، (د.م: ل.ن، 1430هـ)، ص172.
- (32) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص281-283 .
- (33) لم اعثر له على ترجمة .
- (34) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص609.

- (35) الطائي، الكاظمية مدينتي، ص155.
- (36) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، (ت: 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف (بتاريخ ابن خلدون)، ل.ط، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1291هـ)، ج3، ص537.
- (37) لم اعثر له على ترجمة
- (38) لم اعثر له على ترجمة
- (39) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج48، ص34.
- (40) الطائي، الكاظمية مدينتي، ص157.
- (41) القران الكريم، سورة الانفال، اية 30.

قائمة المصادر

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت: 630هـ).
- 3 - الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، 1385هـ.
- 4 - ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: 597هـ).
- 5 - المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ.
- 6 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، (ت: 808هـ)
- 7 - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف (بتاريخ ابن خلدون)، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1291هـ.
- 8 - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت: 681هـ).
- 9 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار صادر، 1994م.
- 10 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ).
- 11 - تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1409هـ.
- 12 - ابن شاکر الکتبي، صلاح الدين محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون، (ت: 764هـ).
- 13 - فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار صادر، 1974م.
- 14 - ابي الفدا، ملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، (ت: 732هـ)

- 15 - المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابي الفدا)، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- 16 - ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت: 774هـ)
- 17 - البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار احياء التراث العربي، 1408هـ.
- 18 - النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: 733هـ)
- 19 - نهاية الارب في فنون الادب، القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي، د.ت .
- 20 - ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي، (ت: 626هـ) .
- 21 - معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1415هـ .

قائمة المراجع

- 1 - الشاكري، حسين .
- 2 - موسوعة المصطفى والعترة، قم: نشر الهادي، 1419هـ .
- 3 - الطائي، علي حسين صادق
- 4 - الكاظمية مدينتي دراسة وثائقية عن الكاظمية واحداثها السياسية، بغداد: زرقاء اليمامة، 2014م.
- 5 - الكوراني، علي العاملي
- 6 - عصر الشيعة، د.م: ل.ن، 1430هـ .

**من رواد النهضة القومية في العراق
خالد الهاشمي أنموذجاً
1908 1985
سياسياً ثقافياً دبلوماسياً**

**أ.م.د. علياء محمد حسين الزبيدي
جامعة بغداد كلية التربية / ابن رشد للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ**

**Of the pioneers of the national renaissance in Iraq,
Khalid al-Hashemi model
1908-1985
Politically - culturally diplomat**

**Assistant Prof. Dr. Alia Mohammed Hussein al-Zubaidi
Baghdad University - Faculty of Education / Ibn Rushd Human Sciences
Department of History
dr.aliaa_m@yahoo.com**

الملخص

شهد العراق في تاريخه المعاصر رجالاً تبوءوا مراكز عليا في البلاد لفترات عديدة وطويلة وتركوا أثراً واضحاً وبارزاً في السياسة العراقية وظل التاريخ يذكرهم بالثناء والإعجاب ومن هؤلاء شخصية خالد الهاشمي الذي يُعد من الشخصيات العديدة القومية التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الحركة القومية في العراق في ظروف بالغة الدقة وبالغة التعقيد .

وقد وجدت من خلال مطالعاتي ودراستي ان هذه الشخصية جديرة بالدراسة والبحث لما قدمته من جهد وفكر مع نخبة طيبة من رفاقه. لذلك تناولت ادوار خالد الهاشمي سياسياً وثقافياً ودبلوماسياً واجتماعياً .

Summary

Iraq has seen in its modern history, men Tbuua senior positions in the country, many for long periods and left a clear and significant impact on Iraqi politics remained history reminds them of praise and admiration and of these personal Khaled al-Hashimi, one of several national figures who played a major role in the history of the nationalist movement in Iraq in extremely conditions precision and extremely complex.

I have found through my studies Mutalati and that these personal worthy of study and research for their effort and think with a good group of his companions. So Edouard Khaled al-Hashemi addressed politically and diplomatically, culturally and socially.

المقدمة

في مستهل النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذت البلدان العربية التابعة للإدارة العثمانية تطالب بالاستقلال والانفصال، ولاسيما بعد أن أطلع نفر من مفكري سوريا والعراق على الحركات التحررية التي اجتاحت أوروبا الغربية وتدعوا إلى الإصلاح الدستوري.

لقد كان العديد من العناصر الشابة المثقفة العراقية المولد قد رفدت التيار القومي العربي الجديد الذي تعالت أمواجه قبل الحرب العالمية الأولى. لقد انغمز هؤلاء في النضال من أجل حرية العرب واستقلالهم. ولم يكن هذا الأمر مهماً من الناحية السياسية فحسب، إن الأهم من ذلك هو أن هذا الاتجاه يعبر عن تطور فكري خطير لأنه جاء غداة استبداد الدعوة للجامعة الإسلامية أولاً، ثم محاولات الصهر القومي التي انتهجتها جمعية الاتحاد والترقي في وقت لاحق بعد انقلاب عام 1908 في تركيا.

وعلى الرغم من القرون الطويلة التي خضع فيها العراق للاحتلال والسيطرة الأجنبية، وعلى الرغم من حالة الجمود والجهل والتخلف التي آلت إليها البلاد خلال العهد العثماني فإن المحاولات الرامية لجعل الولاء السياسي للعراق ولغيره من أقطار العروبة مظهر من مظاهر الارتباط بالخلافة العثمانية بكل ما ينطوي عليه ذلك من مناشدة للمشاعر الدينية والروحية .

لذلك سوف نتناول في هذا البحث شخصية قومية لامعة من الشخصيات العديدة التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الحركة القومية في العراق في ظروف بالغة الدقة وبالغة التعقيد تلك هي شخصية خالد الهاشمي .

لقد أسهمت هذه الشخصية في تأسيس جمعية الجوال العربي عام 1933 التي عملت على توعية الشباب العربي في العراق وتعميق الفهم القومي في جيل الثلاثينيات.

كما أسهمت في تأسيس نادي المثني بن حارثة الشيباني عام 1935 وقامت مع رفاقها على مكافحة الأمية التي استشرت أوصلها في البلاد بتلك الحقبة من الزمن.

أولاً: الحركة القومية العربية في مرحلة النهوض :

شهدت السنوات الأخيرة من العهد العثماني تنامي الوعي القومي في المشرق العربي عامة وسوريا والعراق خاصة. ويعزى الفضل الأكبر في ذلك إلى جهود عدد من رواد النهضة الفكرية العربية الذين ساهموا مساهمة فعالة في إحياء التراث العربي وعملية البعث القومي. وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين انطلق العمل القومي في صيغة جمعيات أدبية وسياسية ذات أهداف قومية واضحة⁽¹⁾.

والواقع أن هذا التطور يرتبط بظاهرتين سارتا متلاحقتين بحكم الفاصل الزمني والسياسي. الظاهرة الأولى هي مبادرة "عثمانية" لاحتواء فكرة الجامعة الإسلامية من أجل مواجهة خطط القوى الأوروبية لتمزيق الدولة العثمانية خاصة والعالم الإسلامي عامة⁽²⁾. والثانية محاولات "اتحادية" اعتمدت صيغة التريك أو الصهر القومي من أجل مواجهة النزوع القومي للشعوب المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية⁽³⁾.

انطلق الصوت الأول من جريدة (لسان الحال) في بيروت لخليل سركيس، التي نشرت خلال عام 1878م عدة مقالات تطالب بتحقيق الإصلاح، فسارع السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909 إلى تعيين مدحت باشا والياً على سورية ليحقق هذه المطالب، لأنه كان دستورياً متيناً في عقيدته، ورجل دولة داعية وواقعياً، وكان يعلم أنه لن ينقذ الأمبراطورية العثمانية الآخذة بالانهيار مما يترتب بها⁽⁴⁾.

لقد تركز النشاط السري داخل البلاد خلال حكم مدحت باشا (1872-1869م) الذي غض الطرف عن هذه الحركات التحررية حتى أتهم بتشجيعها، فبادر السلطان عبد الحميد الثاني إلى خلعه. خوفاً من أن ينتزع منه الأقطار العربية ويستقل بها أيضاً، كما استقل محمد علي باشا في مصر، ووضع البلاد تحت الرقابة الشديدة، فاتجه الى مصر عدد من اعلام الحرية آنذاك كالشيخ إبراهيم اليازجي، والدكتور فارس نمر، والدكتور يعقوب صروف، والدكتور خليل سعادة، وشاهين مكاريوس وغيرهم⁽⁵⁾.

كانت باريس آنذاك من أهم مراكز النشاط العربي خارج الدولة العثمانية، حيث يقيم

عدد من الطلاب العرب، يواصلون دراساتهم العليا ويراقبون بقلق شديد ما تكابده بلدانهم تحت النير العثماني، ومن هؤلاء شاب لبناني يدعى نجيب غازوري، أنشأ عام 1904م جمعية وطنية عربية في باريس سماها (رابطة الوطن العربي) غايتها تحرير بلاد الشام والعراق من الحكم العثماني وسلخها عن الإمبراطورية العثمانية، وقد وجهت عدداً من النداءات الملتهبة تحث فيها العرب على النهوض والاستيقاظ، وإشعال شرارة الثورة⁽⁶⁾.

إلا أن هذه الحركة، وأن كانت ضعيفة الأثر في تحريك الهمم وأثارة الشعوب العربية، لبعدها عن ساحة التوتر، فأنها كانت البادرة الأولى التي تجسدت فيها آمال العرب وأمانهم بشكل واضح خارج البلاد العربية ونقلت القضية الى عالم الغرب⁽⁷⁾.

أوضح نجيب غازوري في بياناته المتعددة أن الغاية من هذه الحركة العربية التي تمتد من الفرات إلى السويس، ومن شواطئ البحر المتوسط إلى ساحل عُمان، هو تأسيس دولة عربية مستقلة ذات نظام ملكي دستوري مقيد، على أن تؤلف الحجاز خلافة مستقلة بالمسلمين فيتم بذلك فصل الدين عن الدولة⁽⁸⁾.

لقد كان الحدث التاريخي الأبرز هو الانقلاب التركي عام 1909-1908 كما هو معروف فأن النتيجة المنطقية تبدو في أن الوعي القومي كان حالة مترامنة لشعوب " الإمبراطورية العثمانية " دون أن تكون هناك ضرورة للبحث عن السبق التاريخي، إن هذا القليل يعني التأكيد على أهمية التطورات الاقتصادية التي شهدتها الشرق الأدنى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر⁽⁹⁾.

لقد امتاز عقد الثلاثينيات في العراق تطورات سياسية وفكرية فقد استقل العراق عن بريطانيا ودخل عصبة الأمم المتحدة. وكانت هذه التطورات قد شجعت القوى القومية والوطنية على العمل بجهد وفاعلية كبيرة. وشهد هذا العقد في الوقت نفسه ظهور جيل جديد من الشباب أحس بوعي الأمة وإدرك حقيقة الأوضاع في العراق والأمة العربية التي كانت بالغة الدقة وبالغة الخطورة وصار العمل له بجهد واجتهاد وتطلع في الوقت نفسه الى مستقبل زاهر تبلغ فيه الأمة العربية المكانة التي احتلتها في الأمس القريب كما صار يسعى الى غدٍ مشرق عزيز وإلى أمة عربية موحدة مستحضراً في ذلك كل القيم العربية الأصيلة⁽¹⁰⁾.

ونظر جيل الثلاثينيات نظرة أعجاب إلى الأمم التي استطاعت ان تتجاوز مرحلة التمزق

والانحطاط بصدق وإخلاص كالأمة الألمانية التي تجاوزت مرحلة التمزق والتفكك الذي أحل بها بعد الحرب العالمية الأولى والتي كادت أن تقضي عليها إلى الأبد. وكذلك الأمة الإيطالية التي كانت تعمل جاهدة لإعادة ماضيها التليد. والأمة التركية التي أخذت تخطو خطوات واسعة متجاوزة حالة التمزق والتشردم التي أصابها بعد الحرب. والأمة الروسية التي القت عن كاهلها أوزار حكم بالي متهرئ حكم القيصرية الذي دام أعواماً طوال. والأمة العربية صانعة الحضارة والامجاد حاملة لواء الإسلام خفاقاً في سماء المجد وبانية حضارة وامجاد بغداد ودمشق والقاهرة خليقة بأن تعيد أمجادها التليدة وتؤد رسالتها إلى الإنسانية. وهذا أمرٌ لا يمكن تحقيقه إلاً بوحى من تراث الأمة العربية⁽¹¹⁾.

وما يمنع الأمة التي كانت هادية للعالم بان تعيد سيرتها الأولى فننشأ للحضارة والعلم والفن مائر عالية يستضيء بها البشر ولها من المواهب الكافية ومن اندفاعاتها الروحية وتجدد نشاطها المستمر بموجات البشر من الصحراء إليها جيلاً بعد جيل ومن موقعها الجغرافي خير مؤمل لأن تتبوأ مركزاً ثقافياً عالياً بين الأمم إن لم تظفر بمركز القيادة بها⁽¹²⁾.

أدرك جيل الثلاثينيات الشباب بعد التجربة القاسية والمريرة التي خاضها من سبقوهم من العاملين في الحقل القومي أن طموحهم وطموح الأمة العربية لا يتحقق بفلسفة الغرب الديمقراطية المزيفة ولا بنازية الألمان العنصرية ولا بفاشية الطليان العدوانية ولا بشيوعية الروس المناقضة لعقيدة الأمة العربية وتقاليدها الموروثة، وإنما بفكرة نابعة من تراث الأمة وتجاربها عبر الزمن ومعبرة عن وجدانها وضميرها. وهكذا جاء الجيل الأول للشباب القومي بتأسيس جمعية (الجوال العربي) فكال تعبيراً صادقاً عن العاطفة القومية الجياشة ودليلاً ساطعاً على الإرادة القومية التي لا تنثني ولا تلين في وجه الصعاب⁽¹³⁾.

وجاء الاجتماع الثاني موثقاً برباط (المثنى بن حارثة الشيباني) وناديه الذي أنشأ يحمل فكرة شريفة عادلة لخير الأمة العربية ووسيلة لتحقيق التضحية وانكار الذات والعمل، والاستجابة لصوت الضمير ونداء الواجب المقدس والدعوة إلى القومية العربية بحيث ترفع فوق كل شيء وتقدم عمل كل شيء⁽¹⁴⁾.

وهكذا نجد أن يقظة الشعور القومي في العراق متكاملة منذ ثلاثينيات القرن الماضي تواكب يقظة الشعور القومي في أوروبا ولكنها يختلف عنها في إنها ثقيلة الخطأً وثيدة الحركة مترددة متشعبة⁽¹⁵⁾.

ثانياً: خالد الهاشمي النشأة وبناء الذات الاجتماعية :

يرجع السيد خالد بن السيد محمود بن السيد هاشم بن السيد جمعة الهاشمي في نسبه الى عشيرة الحيايين التي سكنت لواء الموصل واستقرت به منذ زمن بعيد⁽¹⁶⁾.

نرح السيد هاشم مع أخاه السيد حسين من لواء الموصل إلى بغداد في وقت مبكر واستقر في محلة الشيخ صندل بجانب الكرخ وعاشت هذه الأسرة في هذه المحلة سنوات طويلة⁽¹⁷⁾.

كان والد خالد الهاشمي السيد محمد معلم أسس له مدرسة صغيرة على طراز كتاتيب (مئة) ذلك العصر، وصار يعلم فيها الأولاد قراءة القرآن الكريم مع شيء من الكتابة العربية حتى وفاته في عام 1991م. ولا ندري ماذا حل بهذه المدرسة الصغيرة بعد وفاة صاحبها السيد محمود وأغلب الظن أنها أُغلقت⁽¹⁸⁾.

ولد خالد الهاشمي في خريف عام 1908 في محلة الشيخ صندل. وعندما بلغ الثالثة من عمره توفي والده السيد محمود فحرم من نعمة الأبوة، وقد أدخل السيد خالد الهاشمي إلى مئة (مهينة) في المحلة المذكورة آنفاً وهي المجاورة لمحلة الشيخ بشار وهي أحد كتاتيب الكرخ وكانت مشهورة في المنطقة حيث أقامت دعوى على دار تقيم فيه جماعة من فرقة (البابيه) المجاورة لدارها وأدعت بأن هذا الدار تعود لها وقد توكل للدفاع عنها المحامي داوود السعدي والمحامي علي محمود الشيخ علي، وبعد إبراز الأوراق الثبوتية والمستندات الأصولية حصلت مئة (مهينة) على هذه الدار فجعلتها مدرسة تُدرس فيها أولاد المحلة فخرجت أجيالاً من الأولاد برز منهم: توفيق السويدي، احمد السعدي، شاكِر الوادي وعلاء الدين محمود وعند بلوغه العاشرة من عمره دخل مدرسة الكرخ الابتدائية وقد برز اقرانه في الدراسة وكان الأول على طلاب صفه دائماً، وعندما أنهى الدراسة في الصف الخامس اشترك في القبول للدخول في المدرسة الثانوية فنجح بتفوق ووفر بذلك سنة دراسية كاملة⁽¹⁹⁾.

في هذه المدة شاهد دخول الانكليز الى بغداد وهو يذكر معاكسته إلى جنود الاحتلال والهرب منهم في إزقة الكرخ ويذكر كذلك قصيدة ألقاها في جامع حنون في جانب الكرخ إبان ثورة العشرين حيث كانت الجوامع يومها كجامع الحيدر خانة وجامع السيد سلطان علي وجامع الأمام الاعظم وغيرها، مراكز ثورية تلقى فيها الخطب والقصائد التي تحث

الناس على الثورة على الاحتلال البريطاني والمطالبة بحقوق الشعب العراقي في الحرية والاستقلال ولعل هذه النوازع الوطنية والقومية المبكرة التي ظهرت في شخصية خالد الهاشمي منذ الصغر هي التي كونت شخصيته القومة والوطنية فيما بعد والتي ظلت طابعه المميز حتى وفاته⁽²⁰⁾.

دخل خالد المدرسة الثانوية في عام 1918 وقد برز في صفه وتقدم على زملائه في الدراسة. وأُعفي في عدة صفوف من الامتحانات لان معدلات دروسه كانت عالية قضى في هذه المدرسة أربع سنوات تخرج فيها عام 1924م بتفوق فنال بعثة علمية للدراسة خارج العراق على نفقة وزارة المعارف (التربية) وأرسل الى الجامعة الامريكية في بيروت والتقى هناك بعدد من الطلاب العراقيين منهم: محمد فاضل الجمالي وحكمت عبد المجيد وثابت نعمان⁽²¹⁾.

انتسب خالد لعدد من الجمعيات الثقافية في بيروت وصار عضواً فعالاً كالعروة الوثقى التي انتخب لهيئتها الإدارية وتولى إصدار بعض أعداد في مجلتها الخطية. كما أنتخب رئيساً للجمعية العراقية في الجامعة لستين متتاليتين. تخرج في الجامعة الأمريكية عام 1927 1928 وحصل على شهادة البكالوريوس في التربية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية⁽²²⁾.

وبعد عودة الهاشمي إلى بغداد تم تعيينه مدرساً بدار المعلمين الابتدائية في ايلول عام 1928⁽²³⁾.

رشح خالد الهاشمي في عام 1929 لتدريس الامير غازي بعض الدروس الخاصة وعندما سأل عن رأيه في الموضوع، كان جوابه بالقبول، لكن فيما بعد صرف النظر عن الموضوع من قبل الديوان الملكي باعتبار ان الملك غازي قد ارهق في السنة الدراسية وهو يحتاج إلى عطلة ترفيهية⁽²⁴⁾.

وفي عام 1932 أرسل الهاشمي ممثلاً للعراق ثم إلى مؤتمر التربية والتعليم الذي انعقد في مدينة (نيس) بفرنسا وهو مؤتمر عالمي أشبه بمنظمة اليونسكو، وعلى أثر رجوعه من هذا المؤتمر في نهاية العطلة الصيفية عُين مدير لثانوية البصرة وقد خدم بحماس شديد فنشطت الفعاليات المنهجية الاضافية بصورة خاصة من سباقات رياضية وتمثيل وتدريب عسكري وغيرها⁽²⁵⁾.

وقبل إجازة جمعية الجوال العربي نقل خالد الهاشمي عام 1933 من إدارة مدرسة ثانوية البصرة إلى مديراً لمعارف لوائي العمارة والكوت. وكان مركز عمله في لواء العمارة وقد قدم خالد الهاشمي الى اللوائين أقصى الخدمات الممكنة في ظروف صعبة وامكانيات مالية شحيحة، وعلى الرغم من ذلك فتح عدداً غير قليل من المدارس الريفية فيها لأول مرة في تاريخ هذين اللوائين وذلك بمساعدة وموازرة متصرف لواء العمارة مصطفى العمري يومها ومتصرف لواء الكوت خيرى الهنداوي ووجه التعليم توجهاً نافعاً عن طريق التفتيش والارشاد وعقد المؤتمرات للمعلمين. كما نشطت حركة مكافحة الأمية لدى البالغين وطبع كراساً خاصاً بذلك وقد مكث في هذه الوظيفة حوالي السنة والنصف، بعدها عُين خالد الهاشمي مديراً لدار المعلمين الابتدائية ببغداد عام 1934 ثم نقل مديراً لثانوية البصرة للمرة الثانية عام 1935م وصار يعمل بجهد ونشاط بالرغم من إصابته بمرض الملاريا⁽²⁶⁾.

عُين مديراً لدار المعلمين الريفية عام 1936 في الرستمية بضواحي بغداد، ويقول خالد الهاشمي في ذلك الصدد: «نهضت بهذا المعهد النهضة التي يستحقها ووجهت النشاط إلى النواحي الخدمية الطبية والصحية والاجتماعية عن طريق تنظيم السفرات القصيرة للطلبة للقرى القريبة وذلك بإشراف طبيب المعهد وأساتذة الاجتماع ونشطت التطبيقات الزراعية وتربية الطيور الداجنة في مزارع الرستمية الواسعة، وشجعت التدريب العسكري والفعاليات الإضافية إلى العناية برفع المستوى العلمي والمهني للطلبة»⁽²⁷⁾.

وأضاف قائلاً: «أعيد تعيني لإدارة دار المعلمين الابتدائية في بغداد عام 1936 واعتقد أن الذين يعرفون تاريخ هذه المؤسسة المهمة في بغداد يذكر الأثر الطيب والقدر المهم الذي ساهمت فيه بتوجيه هذه المؤسسة الوجهة المهنية الصحيحة ورفع المستويات فيها بموازرة طائفة من الأساتذة الأفاضل أمثال الدكتور عبد الحميد كاظم والدكتور محمد ناصر والدكتور بديع شريف وأمثالهم»⁽²⁸⁾.

لم يطل المقام بخالد الهاشمي في بغداد فقد تقدم إلى وزارة المعارف (التربية) بطلب الالتحاق بالبعثة العلمية التي أعلنت الوزارة عنها فأوفد الى أمريكا عام 1939 لنيل شهادة الماجستير في التربية والتعليم بكلية المعلمين التابعة لجامعة كولومبيا وحصل في نهاية عام 1941م على شهادة الماجستير في فلسفة التربية، وبعد قيام الحرب العالمية الثانية تعذر عليه الرجوع الى العراق وقد انتهز هذا الظرف لمواصلة الدراسة فثبث لدى وزارة

المعارف بالموافقة على الاستمرار لغرض حصوله على شهادة الدكتوراه فوافقت الوزارة على الحاقه بالبعثة العلمية فدرس سنة أخرى في كولومبيا ثم نقل دراسته الى جامعة اوهايو الرسمية فحصل على شهادة الدكتوراه في فلسفة التربية⁽²⁹⁾.

وبعد أن انهى خالد الهاشمي دراسته العالية قرر العودة الى العراق فشد الرحال في عام 1942 ورجع بطريق الجو الى امريكا الجنوبية فأفريقيا الغربية ثم القاهرة فلبنان وسورية فالعراق براً وكانت الحرب العالمية الثانية لازالت مستمرة الأوار⁽³⁰⁾.

لم يشهد خالد الهاشمي حركة رشيد عالي الكيلاني عام 1941 أو يساهم فيها على الرغم من اشتراك أعضاء نادي المثنى وجمعية الجوال في الحركة. وقد وجد الهاشمي ان الجمعية والنادي أغلقتا، كما اعتقل معظم الأعضاء وارسلوا الى معتقلات الفاو والعمارة وغيرها وقد عُين خالد الهاشمي في العام نفسها وحين وصوله الى بغداد عين استاذاً مساعداً في التربية بدار المعلمين العالية. وبعد التدريس سنتين أي في عام 1944 عُين وزيراً للتعليم الثانوي بوزارة المعارف وأمضى عام كاملة في وظيفته هذه، ثم عُين وكيلاً لعمادة دار المعلمين العالية عام 1945 بدلاً من الأستاذ متي عقراوي الذي عُين في منظمة اليونسكو في 24 أيلول 1945 وبعد عام عُين عميداً بالأصالة في 11 حزيران 1946⁽³¹⁾.

لم يطل المقام بخالد الهاشمي في عمادة الدار حيث نقل مديراً ثقافياً في السفارة العراقية في القاهرة في نهاية عام 1948، وبعد ستة أشهر على عمله هذا نقل بنفس الوظيفة إلى السفارة العراقية في لندن مدرساً للملك فيصل الثاني في الوقت نفسه الذي كان يواصل فيه الملك تحصيله العلمي في بريطانيا آنذاك واستمر في تدريسه للملك أكثر من ثلاث سنوات⁽³²⁾.

بعدها انتخب من قبل مجلس الكلية وتأييد وزارة المعارف عميداً لدار المعلمين العالية للمرة الثانية عام 1953. وظل خالد الهاشمي يتنقل في الوظائف التربوية حتى عُين في 4 أيلول 1966 رئيساً لجامعة بغداد، وقد عمل بكل جهد وأخلاص للنهوض بواقع التربية والتعليم في الكليات والمعاهد العالية. وكان الهاشمي مندوب العراق وممثله في العديد من المؤتمرات الدولية في أقطار الوطن العربي وجميع انحاء العالم. وشغل مناصب مهمة في السلك الدبلوماسي فكان الملحق الثقافي في السفارات العراقية في القاهرة ولندن

وكان سفيراً للعراق في فينا والنمسا. أما عمله في الإمارات من المدة (1968 1970)، شغل فيها منصب مدير التربية في أبو ظبي في دولة الإمارات⁽³³⁾.

ثم أحيل الهاشمي على التقاعد عام 1970 بعد رحلة طويلة من المناصب التي شغلها. وفي يوم 21 أيلول 1985 طوى الموت ذلك السجل الحافل بالنضال الوطني والقومي وخدمة التربية والأجيال الصاعدة حتى أسهمت تلك الخدمة في تخريج الآلاف من الطلاب والمربين. توفي رحمه الله في لندن ونقل جثمانه إلى وطنه العزيز ووارى جثمانه ثرى العراق الذي طالما ضحى من أجله بكل غالٍ ونفيس ودفن في مقبرة الكرخ في بغداد⁽³⁴⁾.

ثالثاً: خالد الهاشمي ومسار التوجهات القومية في العراق :

بدأت النوازع القومية والوطنية عند خالد الهاشمي في فترة مبكرة من حياته تعود إلى عام 1918. وعندما قامت ثورة العشرين عام 1920 كان خالد الهاشمي لا يزال صغيراً ولكنه ساهم بالقاء قصيدة كما ذكرنا سابقاً كانت من أهم الذكريات التي ظل يخترنها طوال حياته فقال عنها: «أن لأبرز ذكرى عالقة في ذهني كتلميذ هي عندما كنت طالباً في الصف الخامس الابتدائي في مدرسة الكرخ الابتدائية أعددت خطاباً وطنياً ضمته قصيدة حماسية للشاعر خيرى الهنداوي والقيته في إحدى الاجتماعات العامة في جامع حنون. وهي جزء من الاجتماعات التي كانت تقام في الجوامع الكبيرة في بغداد. عن الثورة العرقية عام 1920»⁽³⁵⁾.

ظلت النوازع الوطنية والقومية تنمو وتكبر معه وتتطور بالعلم والثقافة التي اكتسبها في دراسته العالية حتى أصبحت عقيدة سياسية راسخة ظلت طابع شخصيته المميزة حتى آخر يوم من حياته. وقد امتحنت هذه العقيدة في ظروف كثيرة فما هانت ولا وهنت وكانت صلبة قوية وقفت في مهب الريح العاتي والاعاصير الشديدة⁽³⁶⁾.

وفي أثناء السنة الدراسية 1929 1930 فكر جماعة من الأساتذة القوميين العرب بتكوين جمعية قومية في بغداد منهم: درويش المقدادي وناجي معروف وسليم النعيمي ومزاحم الشابندر وعبد القادر القوغولي ورشيد علي العبيدي وعارف ظاهر واحمد عزت محمد (صاحب جريدة الصرخة) وحكمت عبد الرحمن (صاحب مخزن الاعظمية). وأطلق على هؤلاء فيما بعد جماعة الرصافة⁽³⁷⁾.

وفي الوقت ذاته كان كثير من طلاب دار المعلمين الابتدائية في جانب الكرخ والذي كان يدرسهم خالد الهاشمي يفكرون بالموضوع نفسه وقد أطلق عليهم فيما بعد جماعة الكرخ. وكان أنشطهم: محمد ناصر وجابر عمر وعبد المجيد عباس وتوفيق منير وفخري محمد سعيد الشيخ وجاسم محمد الباقلاني وسعدي خليل وعبد الجبار نوفان ومحمد القدسي ومحمد سعيد جمعة وسليمان قدوري. وقد أسس هؤلاء تنظيمًا سرياً عرف بتنظيم الكرخ⁽³⁸⁾.

وفي العام الدراسي 1930 1931 قام خالد الهاشمي بتنظيم سفرة لطلبة دار المعلمين الابتدائية خلال عطلة نصف السنة إلى البصرة بالسيارات عن طريق الكوت - العمارة. عند العودة ركبوا القطار من البصرة الى بغداد وفي أثناء هذه السفرة وربما في القطار فاتح عبد المجيد عباس ومحمد ناصر بقية زملائهم بفكرة تأسيس جمعية قومية مذكرين زملائهم بما قام به الطلاب العرب في تأسيس الجمعيات العربية في استانبول وباريس وبيروت والشام والقاهرة في أوائل هذا القرن. لعبت دوراً كبيراً في استقلال البلاد العربية حتى أن أحد هذه الجمعيات ساهمت بشكل كبير في الشؤون العربية الكبرى وهي الجمعية العربية الفتاة فوافق معظمهم⁽³⁹⁾.

عرضت فكرة تأسيس جمعية على الاستاذين خالد الهاشمي ومتي عقراوي فأيدوا الفكرة وشجعوهم على المضي في سبيل تحقيق ذلك الهدف السامي النبيل وانضموا إليهم أيضاً. وكون هؤلاء تنظيمًا سرياً أول أمرهم. وأقسم الأعضاء المنتسبين إلى الجمعية على القرآن والسيف بالكتمان والتضحية في سبيل أهداف الجمعية واتخذوا العلم العربي (ذو الألوان الأربعة) علماً لهم عاقدين العزم ومصممين على العمل من أجل القومية العربية والوحدة العربية عن طريق بث الافكار القومية ونشر الثقافة العربية والنهوض بالتربية والتعليم واتخاذها وسيلة لنشر الأفكار بها والنهوض لأن معظمهم يعملون في سلك التعليم⁽⁴⁰⁾.

تخرج طلاب دار المعلمين الابتدائية وتوزعوا على مدن العراق وقراه يعملون في مدارسها ويكسبون من يتوسمون به الخير من طلاب المدارس. وقد اجتمع هؤلاء الخرجين في العطلة الصيفية في مدرسة تطبيقات دار المعلمين حيث عقدت وزارة المعارف دورة صيفية لتجديد معلومات هؤلاء المعلمين وتطويرها واطلاعها على أهم

التطورات التربوية التي وصلت العراق⁽⁴¹⁾.

ثم تداولت أمور التنظيم السري وتمت مناقشتها وبيان سبل تطوره ومن الجدير بالذكر كانت مدرسة تطبيقات دار المعلمين مدرسة ابتدائية نموذجية يعين فيها أفضل المتخرجين في دار المعلمين ومعلمو هذه المدرسة بعد ان يدرسوا سنة أو سنتين فيها يرسلون في بعثات الى خارج العراق للتخصص بمواضيع متعددة ومنها موضوع التربية. وقد اختار خالد الهاشمي ومتي عقراوي عدداً من هؤلاء المعلمين البارزين للتدريس فيها منهم: محمد ناصر وعبد الحميد كاظم وعبد المجيد عباس واحمد صفي الحلبي وسليمان قدروي وسعدي خليل وجابر عمر وطاهر يحيى وتوفيق منير⁽⁴²⁾.

وفي عام 1932 عرف جماعة (تنظيم الكرخ) وجود جماعة في الرصافة تحمل نفس أفكارهم ومبادئهم لذلك تم الاتصال بهذه الجماعة واتفقا معهم على الاندماج معاً في تنظيم واحد وتم ذلك خلال اجتماع عقد في دار المحامي احمد عزت محمد وصار جماعة الكرخ يشكلون الأكثرية المطلقة في التنظيم. وكان من المقرر وجوب حصول الرئيس على ثلثي أصوات الحاضرين ومن المرشحين لهذا المنصب هما: خالد الهاشمي وناجي معروف، ولما أجري التصويت لم يفز أي منهما بعدد الأصوات المطلوبة وفي الاجتماع الثالث أجري انتخاب آخر فاز فيه الهاشمي بمنصب الرئاسة بعدها تقدم خالد الهاشمي وجماعته بطلب الى الحكومة على تأسيس الجمعية⁽⁴³⁾.

رابعاً: الهاشمي ونشاطه في جمعية الجوال القومي والثقافي :

أجيزت الجمعية رسمياً في بغداد في صيف عام 1934 باسم (جمعية الجوال العربي) وقد اختير هذا الاسم لأن أعضاء الجمعية من دعاة القومية العربية (سيتجولون) في أنحاء العراق والوطن العربي لنشر أفكارهم ومبادئهم ولبعث الفتوة العربية الإسلامية. وكلمة (جوال) ارفع مستوى من كلمة كشاف، وصار الجوالون يستذكرون تاريخ الأمة العربية وقيمها في العمل وتخطي الصعاب⁽⁴⁴⁾.

وعرفت الجمعية بأنها تنظيم قومي ذو صفة عسكرية بنيت من الشبيبة وهدفه تعزيز الشعور القومي العربي، ويمكن اعتبار جمعية الجوال ونشاطها خلال السنوات القليلة التالية لنشأتها أول وأبرز مظهر من مظاهر العمل القومي في تاريخ العراق المعاصر⁽⁴⁵⁾.

نشطت الجمعية خلال السنوات الأولى من تأسيسها نشاطاً بارزاً في المجالات العلمية والقومية والثقافية فأصدرت مجلة ثقافية باسم (الفتوة) واشترت لذلك مطبعة الكرخ لصاحبها عبود الكرخي بمبلغ ستمائة دينار بأقساط عديدة، وسجلت باسم خالد الهاشمي وقد أسهم الأعضاء بدفع ثمنها على ان يدفع العضو مبلغاً يساوي نصف دخله الشهري وأطلق عليها اسم (مطبعة الجزيرة) واختير لها محلاً مناسباً عند مدخل جسر الأحرار في جانب الكرخ واتخذت المجلة من دار المطبعة مقراً لإدارتها. وصدر العدد الأول منها في شباط 1936. وقد تولى إدارتها أول الأمر سعدي خليل ثم تولاها بعده محمد علي فارس ثم عبد الحميد الهلالي وعبد الله السامرائي ثم عهدت إدارتها إلى زيدان خليفة. ولكن المطبعة بيعت إلى محمد مهدي الجواهري بسبب بعض الخلافات التي دبت بين أعضاء المجلة حول إصدارها. ووزع ثمن المطبعة على الأعضاء⁽⁴⁶⁾.

وأما بشأن مجلة (الفتوة) فقد اتخذت الجمعية واسطة للاتصال بينها وبين الجماهير ووسيلة للتعبير عن آرائها وبث أفكارها وأهدافها القومية والوطنية. وصدرت باسم صاحبها سعدي خليل وإشراف مديرية دار المعلمين الابتدائية ولهذا اتخذها المعلمون منبراً لمخاطبة شباب الأمة ووسيلة لتوعية الشباب وتعريفهم بتاريخ الأمة العربية من تراثها الإسلامي وكتب خالد الهاشمي في افتتاحية أول عدد من المجلة مقالة بعنوان (نحو المجد) والمقالة الثانية التي تليها بقلم متي عقراوي⁽⁴⁷⁾.

ثم نشر خالد مقاله أخرى في العدد الثاني عنوانها (القوه هدف ومطمح الامم الحية)... وغيرها من المقالات الهادفة التي تتحدث عن متطلبات الجيل وواجباته، كما أخذت المجلة تنشر صوراً لقادة العرب والملك غازي باعتباره رمز الشباب العراقي وصوراً أخرى لشباب الفتوة⁽⁴⁸⁾.

أسهم في تحرير المجلة عددٌ كبيرٌ من أعضائها كان في مقدمتهم خالد الهاشمي وكذلك جابر عمر ومحمد ناصر ومتي عقراوي واكرم زغير وابراهيم شوكت وناجي معروف واكرم فهمي وفاضل الجمالي وغيرهم⁽⁴⁹⁾.

ومن نشاط الجمعية الآخر أنها أصدرت كراساً قومياً ذات طابع سياسي عنوانه (المنهج العربي القومي) في 13 حزيران 1935 وحث معتمد الجمعية خالد الهاشمي الاعضاء مطالعة كراس (المنهج القومي العربي) بأمعان وبشكل يجعل العضو مستعداً للاجابة عن

كل نقطه من نقاطه⁽⁵⁰⁾.

وكما ركز معتمد الجمعية خالد على تسليح العضو بالمطالبه المستمره والتتبع الثقافي ومساعدته بالاطلاع على قسم من التراث العالمي. كما وطلب من الأعضاء مطالعة عدد من الكتب العربية التاريخية المهمة منها: كتاب على هامش السيرة لطف حسين وكتاب محمد لمحمد حسنين هيكل وكتاب النفط مستعبد الشعوب ليوستيف ابراهيم يزبك وكتاب سيد قريش لمعروف الأرنؤطي وكتاب الثورة العربية لأمين سعيد وغيرها. وكذلك طلب عميد الجمعية من كل عضوان يكتب مقاله سنويه في موضوع قومي أو وطني وحثهم في الوقت نفسه على الاسهام بالكتابه في الصحف القوميہ داخل العراق وخارجه⁽⁵¹⁾.

وفضلاً عن ذلك كانت (الوحدة العربية) مدار إيمان أعضاء الجوال ومناقشاتهم وقد أشبع بالبحث والتفكير وطرح الآراء والحلول حولها⁽⁵²⁾.

فقد رأى فريق أن يأخذ العراق على عاتقه قيادة الأمة العربية كما قادها المسلمون الأوائل في العصر العباسي وان يكون العراق للعرب كما كانت بروسيا بالنسبة لتوحيد ألمانيا. ويديمونت لتوحيد ايطاليا وان تكون الوسائل السياسية والدبلوماسية السبيل المناسب في تحقيق الوحدة⁽⁵³⁾.

كما رأى فريق آخر، ان القوه العسكرية هي الوسيلة الناجحة لتحقيق الوحدة. وعلى الجيش العراقي ان تعاونه وتسانده القوى العربية الأخرى- كما تحمس السوريون والفلسطينيون واللبنانيون من أعضاء الجوال وغيرهم للملك فيصل الأول في أول الأمر ووجدوا فيه الزعيم العربي المؤهل لتحقيق الوحدة العربية لماضيه الوطني وجهاده في سبيل أهداف الأمة العربية بينما تحمس آخرون للملك غازي واعتبروه الزعيم المنتظر ولاسيما بعد مطالبته بإعادة الكويت الى العراق⁽⁵⁴⁾.

وكان خالد الهاشمي عميد النادي يغذي الاتجاهات الوحدوية هذه وينميها ويدعو لها ويدعو بعض السياسيين الوطنيين لإلقاء محاضرات في ندوات يعقدها لهذا الغرض ويعاونه في ذلك محمد يونس السبعوي. ويقول جابر عمر: دعا يونس السبعوي الأستاذ المصري محمود عزمي لإلقاء محاضرة عن (الوحدة العربية) في حفلة افتتاح (نادي المشنى) وقد طرح الدكتور عزمي في محاضرتة مشروعاً جديداً للوحدة العربية يعتمد على أربع مراحل

لتحقيقها :

- المرحلة الأولى: وحدة دول المغرب العربي (تونس، الجزائر، مراکش).
 - المرحلة الثانية: وحدة مصر والسودان وليبيا.
 - المرحلة الثالثة: وتتكون من وحدة الجزيره العربية واليمن وأمارات الخليج.
 - المرحلة الرابعة: وحدة سوريا والعراق ولبنان وفلسطين والاردن، مع الأخذ بنظرة إلى الواقع السياسي والاقتصادي والثقافي القائم في الوطن العربي يومها. بعد ذلك يمكن تحقيق الوحدة بتوحيد كيانين أو أكثر وهكذا يتم تحقيق الوحدة العربية. وقد اثار اقتراحات الدكتور محمود عزمي استياءً كبيراً بين القوميين بصوره عامه واعضاء جمعية الجوال بصوره خاصه لانه يدعُ الى تحقيق الوحده العربية الشاملة⁽⁵⁵⁾.
- لم يقتصر نشاط الجمعيه على المجالات السياسيه والقوميه وإنما تعداها الى مجالات اخرى فقد وجد خالد الهاشمي انه لا بد للجمعية ان تعمل في المجال الاجتماعي، فنشطت في سنواتها الاولى في خدمته وأقاموا الاحتفالات العامة في المناسبات الوطنية والقومية وأقاموا المبارات الخطابية والتمثيلية فألفت للإشراف على ذلك، وكانت باكورة اعمال الجمعيه هي:

(1) أقام طلاب دار المعلمين الابتدائية تمثيلة (اهدافنا) كان قد ألفها عبد المجيد عباس، تدور احداث التمثيليه حول تاريخ العرب والمسلمين وخروجهم من الجزيره العربية للفتح الإسلامي ونشر الدعوة الاسلاميه. وازهار إسهامات العرب في الحضارة العالمية والانسانية، وقد حضر حفل الافتتاح الملك فيصل الأول وقد اعجب الملك بما شاهده ولقاه، واثنى على جهود المسؤولين وطلب منهم المزيد من هذا النشاط المفيد والممتع.

(2) أقامت جمعية الجوال في عام 1933 في المدرسه المأمونيه حفلاً تكريمياً للوفود العربية التي جاءت لتأبين الملك فيصل الاول في بغداد.

(3) أقام مدير دار المعلمين الابتدائية متى عقراوي حفلة تكريمية للعرب الوافدين الى العراق أمثال عادل ارسلان واحسان الجابري وفوزي القاوقجي وأمين روعه واكرم زغيتر وفريد زين الدين ومحمد علي علوية وغيرهم القى في هذا الحفل عدد من

الطلاب كلمات بالمناسبة منهم محمد ناصر وعلى الطائي⁽⁵⁶⁾.

(4) في ربيع 1935 أقيمت مباراة خطايه بين طلاب دار المعلمين الابتدائية وطلاب الثانويه المركزية بتوجيه من جمعية الجوال ورئيسها. وقد أدار المباراة خالد الهاشمي بنفسه كما حضرها رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ووزير الخارجيه نوري السعيد، وروفائيل بطي من اصحاب الصحف وكان موضوع المبارات الخطايه هو (أيهما أفضل للنهوض بالعراق الطفرة أم التطور) وقد مثل دار المعلمين الابتدائية ثلاثة طلاب منهم صالح أحمد العلي ولم يكن من جمعية الجوال وثلاثة من طلاب الثانويه المركزيه منهم نائل كميري. وبعد انتهاء المحاضره اجري خالد الهاشمي التصويت واخذ رأي الحاضرين في موضوع مظهر وإن الاكثرية تؤيد (الطفرة) وعندما قام نوري السعيد واعلن على الحاضرين بأنه الطريق الأمثل للنهوض هو إقتباس الثقافة الغربية⁽⁵⁷⁾.

(5) أقامت إدارة المعلمين الابتدائية في عام 1935 حفله لتخرج وجبه من طلاب بتوجيه من جمعية الجوال حضرها رئيس الوزراء ياسين الهاشمي وعدد من الوزراء والمسؤولين منهم: الشيخ محمد رضا لشبيبي وزير المعارف (التربية) وافتتح الحفلة خالد الهاشمي مدير دار المعلمين الابتدائية، وتحدث في كلمة الافتتاح عن القومية العربية والوحدة العربية وسبيل تحقيقها، وأغاضت هذه الكلمه المسؤولين واغضبتهم الصراحة التامة التي تحدث فيها الهاشمي واعتبروا ذلك تحدياً لهم⁽⁵⁸⁾.

وفي رواية نقلها للباحثة وليد خالد الهاشمي: لقد نقل والدي (خالد الهاشمي) على اثر ذلك الى مدير في ثانويه البصره وعندما ذهب إلى طه الهاشمي رئيس اركان الجيش ووكيل مدير المعارف العام يسأله عن سبب نقله فقال له الهاشمي: «انني على الرغم من منصبني الكبير لا اجرؤ على التحدث عمّا تحدثت انت عنه في الحفلة»⁽⁵⁹⁾.

وقد انضم الى جمعية الجوال العربي عدداً كبيراً من اساتذة الجامعه والمدرسين والمعلمين والطلاب وغيرهم منهم :-

ابراهيم شوكت والدكتور جابر عمر وعبد الرحمن البزاز ورشيد العبيدي وحسن موسى وراسم الخالدي وسليم النعيمي وسلمان الصفواني وصديق سنشل وطه باقر الحلبي وعبد الحميد الهلالي ومحمد ناصر ومجيد خدوري وناجي معروف ونهاد عبد المجيد وحسن

الدجيلي وبديع شريف ودرويش المقدادي⁽⁶⁰⁾.

إما الأعضاء العسكريون في جمعية الجوال فقد ضمت إليها عدداً منهم وكان بعض هؤلاء طلاباً أو معلمين دخلوا الجيش بعد إنقلاب بكر صدقي عام 1936 حينما سمح لخريجي دار المعلمين الابتدائية والأولية بالدخول الى المدرسة العسكرية فتخرجوا ضباطاً في الجيش وظلوا على اتصالهم بالجمعية ووجد التنظيم القومي طريقة نحو العشرات من ضباط الجيش الذين حظرت القوانين العسكرية العراقية عليهم الانتماء إلى الأحزاب والتكتلات السياسية⁽⁶¹⁾.

ويبدو إن أهداف الجمعية ومبادئها وجدت هوى لدى العسكريين فانتمى بعضهم سراً إليها. وقد أكد هذا الانتماء اللواء المتقاعد إبراهيم الراوي قائلاً: «أنه انتسب إليها باسم مستعار»⁽⁶²⁾.

ويقول أيضاً الدكتور فاضل حسين بهذا الصدد: «أنه تم العثور على وصلات كثيرة تبرعات قدمها العديد من العسكريين حتى أنه حصل لديه التباس وصعوبة في التفريق بين الأعضاء الحقيقيين في جمعية الجوال من الضباط، وبين الضباط المتعاطفين معها وكانوا يرسلون إليها التبرعات حيث وجدت قائمة باسماء (34) ضابطاً قال عنهم أنهم اسهموا في التبرعات لجمعية الجوال ونادي المثني»⁽⁶³⁾.

ومن هؤلاء العسكريون ناجي طالب⁽⁶⁴⁾ ورجب عبد المجيد⁽⁶⁵⁾ وخير الله طلفاح وظاهر يحيى وعبد اللطيف جاسم الدراجي والدكتور محمد صبري مراد والدكتور أمين رويحه وشاكر سعيد ومحي الدين النقاش وحقي توفيق المفتي ومحمد حسن عبد علي الطائي وعبد الحق عبد المجيد العزاوي⁽⁶⁶⁾.

كلفتم الجمعية سليم النعيمي ان يكون حلقة الاتصال بين الجمعيه والضباط، وخير الله طلفاح يقوم بجمع الاشتراكات والتبرعات من الاعضاء العسكريين. وكان يونس السبعواوي من انشط المدنيين الذين لعبوا دوراً بكسب الضباط وضمهم الى الجمعية⁽⁶⁷⁾.

خامساً: خالد الهاشمي ودوره في تأسيس نادي المثني بن حارثه الشيباني:

تأسس في بغداد أوائل شباط 1935 نادي باسم (نادي المثني بن حارثه الشيباني)

نسبه الى القائد العربي، وقد أسهم خالد الهاشمي مع مجموعه من المعلمين والمدرسين في تأسيسه. وتشكل نادي المشنى من فئتين عقائديتين، الأولى كانت تتألف من القوميين التقليديين أمثال صائب شوكت وسعيد الحاج ثابت ممن تعاونوا مع الملك فيصل الأول في السابق، والثانية تتألف من عناصر شابة متحمسة من أمثال محمد مهدي كبة ومحمد حسن سلمان ويونس السبعواوي⁽⁶⁸⁾.

ولما كانت أهداف الجوال العربي متشابهة مع اهداف نادي المشنى القومية، قررت جمعية الجوال الانضمام الى نادي المشنى مع الاحتفاظ بكيانها من داخل النادي .. وقد استأجر النادي له داراً في جانب الكرخ في أحد البيوت في الشارع العام بمنطقة الصالحية مقابل بناية المتحف وقد بلغ أعضاء النادي حوالي المائة والثلاثين عضواً يدفعون اشتراكاتهم البسيطة بانتظام. ثم انتقل النادي الى محلة العيواضية في جانب الرصافة ثم منح الملك غازي قطعة أرض في محلة الوزيرية مساحتها 4445م من المزرعة الملكية، لبناء مركز للنادي في 31 آذار 1938⁽⁶⁹⁾.

أصدر النادي مجلة أسبوعية بعنوان (مجلة المشنى بن حارثة الشيباني) وكانت ناطقة باسمه وملزمة بأرائه وأفكاره وأهدافه. وقد صدر العدد الأول في 27 آب 1936، طبعت إعداد المجلة في مطبعة الجزيرة مطبعة الجوال، ونشرت المجلة في صفحاتها الأولى العديد من المقالات التي اختصت بالقضايا القومية وقضايا الأمة العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية التي نالت القدر المعلى من اهتمام النادي وجهوده نظراً للمخاطر الجسيمة التي كانت تهدد القطر العربي الفلسطيني وبسبب استمرار السياسة البريطانية الاثيمة لتهويد فلسطين⁽⁷⁰⁾.

أقتصر نشاط النادي في بداية امره على نشر الوعي القومي والدعوة إلى الوحدة العربية ومكافحة الصهيونية والاستعمار من خلال المقالات التي ينشرها في مجلة النادي أو الندوات والحفلات التي كان يعقدها للوفدين العرب أو الشباب العراقي⁽⁷¹⁾. فقد أقام النادي حفلاً تكريمياً لوفد النادي العربي الدمشقي برئاسة الدكتور سعيد فتاح الامام وقد القى سكرتير النادي الدكتور عبد المجيد القصاب خطاباً قومياً ضمنه رثاء بحق لواء الاسكندرونة. واسهم النادي في مساعدة الثورات العربية والانتفاضات الوطنية خاصة في فلسطين وسوريا كما عمل في كل مناسبة الاتصال بالجمعيات والنوادي القومية المماثلة

في الأقطار العربية الأخرى واستضافة الزوار من رجالات العرب القوميين⁽⁷²⁾.

وكان من نشاط النادي الاجتماعي أيضاً، الاهتمام بأحوال سكان الصرائف الذين كانوا ينتشرون آنذاك حول بغداد (شرقي سدة ناظم باشا وسكان الصرائف في الشالجية). كذلك أهتم بوضع المرأة العراقية والعمل على إنقاذها من حالة الجهل والتخلف التي خلفتها لها القرون السابقة. كما أولى النادي اهتماماً بالاحتفالات الخاصة بالأيام القومية والمناسبات الوطنية كيوم (9 شعبان) ويوم (وعد بلفور) وثورة العشرين وغيرها⁽⁷³⁾.

ومن الجدير بالذكر إن من أهم الأعمال القومية الجريئة التي قاتم بها أعضاء النادي هو ارسال السلاح الى الثوار السوريين في سوريا وقد ألقى الدكتور محمد حسن سلمان الضوء على ذلك فقال: «كلف في عام 1936 من قبل النادي بمهمة توصيل الأسلحة الى رجال الثورة في سوريا فكنت أصل بسيارتي ما كان يقدمه لنا المرحوم طه الهاشمي من بنادق وعتاد نقلت عن طريق الرمادي وأصدر المحامي ناظم حميد مدير كمرك الرمادي أمراً يقضي بعدم خضوع الأسلحة إلى التفتيش، واعتبر واجب وطني ثم يتم نقل الأسلحة إلى الرطبة على الطريق الخارجي غير المبلط، لاسلمها الى مندوب الثورة الذي يكون في الانتظار، وقد تكرر هذا عدة مرات حتى أصبح الطريق غير أمن والعملية مخاطرة غير مأمونة العاقبة»⁽⁷⁴⁾.

وعندما قامت الحرب العراقية- البريطانية في 2 مايس/ ايار 1941 (حركة رشيد عالي الكيلاني) انضم عدد كبير من أعضاء جمعية الجوال والنادي الى كتائب الشباب التي تولى قيادتها يونس السبعوي والتي قاتلت الى جانب الجيش العراقي. وعندما انتهت الحرب اعتقلت السلطات العراقية المدعومة بحراب الانكليز الكثير من القوميين المؤيدين والمتعاونين مع الحركة ومنهم أعضاء الجمعية وساقتهم الى السجون والمعتقلات. وصادرت بناية النادي وأمواله المنقولة وغير المنقولة، وكانت أيام حزيران من عام 1941 آخر أيام حياة الجمعية والنادي وآخر عنفوان أمجاده⁽⁷⁵⁾.

سادساً: الهاشمي ومشروع معاهدة بورتسموث 1948 :

عقدت وزارة صالح جبر في عام 1948 معاهدة بورتسموث مع بريطانيا فأستنكر الشعب العراقي هذه المعاهدة غير المتكافئة وطالب بإلغائها لانها لا تحقق أماني الشعب العراقي

في الحرية والاستقلال. فخرجت المظاهرات الشعبيه تطوق شوارع بغداد والمدن العراقيه الأخرى معلنه استنكارها لهذا العمل الجائر. فقامت السلطات العراقيه - كعادتها - في التصدي لهذه المظاهرات وحاولت تفريقها بالقوة فأطلقت النار على المتظاهرين، فقتلت أعداد وجرحت أعداداً أخرى، واعتقلت الكثير من جميع قطاعات الشعب وشملت هذه الاعتقالات مجموعة من أساتذة دار المعلمين العاليه⁽⁷⁶⁾.

استنكر خالد الهاشمي، عميد دار المعلمين اعتقال عدد من اساتذة الدار وعده انتهاكاً لحرمة الكلية وكرامة العلم فقدم مذكرة سريعة الى وزير التربية (المعارف) يتوسط فيها لاطلاق سراح أساتذة الكلية المعتقلين واعتبر توقيف بعض الأساتذة لمجرد الشك أمرًا لا يصح الركون اليه دون دليل ثابت وبينه مشهودة لإدانتهم. وأشار بهذا الصدد: «إن توقيفهم ليس في مصلحة المعاهد وليس من صالح الطلبة. وإن إعادة الطلبة الى الدوام المنتظم أمرٌ في غاية الأهمية»⁽⁷⁷⁾.

وختم مذكراته قائلاً: «يقبول رجائه بالتوسط والكفالة لإطلاق سراح هؤلاء الأساتذة، وإلا فانه يرجو انقاذ هذا الموقف الحرج بقبول استقالته»⁽⁷⁸⁾. واستشهد بموآزره معاون العميد لشؤون الطلبة بهذا الرجاء نفسه⁽⁷⁹⁾.

سابعاً: الهاشمي وموقفه من العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 .

تعرضت مصر في 29 تشرين الثاني 1956 لعدوان وحشي غادر بدأته إسرائيل وتلتها أساطيل انكلترا وفرنسا بدخول المستعمرين الى مصر وقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر بقوله: (سنقاتل ولن نسمح بدخول المستعمرين الى مصر) فهب الشعب العربي من المحيط الى الخليج لنصرة مصر والدفاع عنها وكان الشعب العراقي في مقدمة الشعوب التي هبت لنصرة مصر⁽⁸⁰⁾. بجميع فئاته من عمال وأساتذة ومحامين وأطباء وفي طليعتهم طلاب الكليات والمعاهد العليا والثانوية وقاموا بمظاهرات عارمة عبروا فيها عن تدمرهم وسخطهم على الانكليز وشركائهم في تلك الجريمة النكراء⁽⁸¹⁾. وراحت العناصر الوطنية بعد ان هزها الشعور بالانتقام لكرامتها المهانة تدعو الشعب الى الثأر لما أصاب شعب مصر الشقيقة لذلك عمت المظاهرات مدن العراق، وخرجت جميع الكليات في بغداد والمدارس الثانوية في مظاهرات صاحبة تهتف بسقوط العملاء والخونة والاستعمار

وبحياة الشقيقة مصر وسارت هذه المظاهرات الى السفارة المصرية في بغداد وسجل قسم كبير منهم في سجل التطوع. هاجمت الشرطة جموع المتظاهرين لتفريقهم فأطلقت الرصاص عليهم فوقع عدد من القتلى والجرحى في صفوفهم وهاجم رجال الشرطة الكليات وانتهكوا حرمتها⁽⁸²⁾.

وفي ذلك الوقت لم يكن يومها في البلاد صحافة حرة تعبر عن مشاعر الشعب العراقي من خلال اسماع صوته للعالم أو نشر معارضته لمواقف الحكومة التي تقف ضد رغبات الشعب على هذا فقد قام خالد الهاشمي ومع نخبة كبيره من أساتذة الجامعة بتقديم عريضة احتجاج الى الملك فيصل الثاني يوم 10 تشرين الثاني 1956 وعددهم خمس وخمسون استاذاً. منهم:

الدكتور عبد الرحمن البزاز والدكتور جابر عمر والدكتور فيصل الوائلي والاساتذ حسن الدجيلي والدكتور محمد عليس البصام والدكتور عبد القادر أحمد والدكتور عباس الصراف والدكتور عبد الجليل الطاهر والدكتور أحمد عبد الستار الجوارى والدكتور فاضل حسين والدكتور مصطفى كامل ياسين وخضر عبد الغفور وغيرهم⁽⁸³⁾.

وقد استعرضت المذكرة الوضع السياسي والاقتصادي في العراق وأشارت الى انعدام الديمقراطية في البلاد وحرمانها من الاحزاب والمنظمات النقابية ومن الصحافة الحرة السليمة. وأشارت المذكرة الى: الاضطراب في توجيه السياسة العامة التي أدت الى الحالة الأليمة التي نقاسي منها اليوم والتي تسوقنا الى الهاوية والدمار حتى ان رجال التعليم لم يعودوا قادرين على أداء رسالتهم الفكرية في التوجيه والاسهام في بناء الأمة وطالبت المذكرة في ختامها:

- 1 - احترام المعاهد ورجال التعليم ومنع الشرطة من القيام بأي عمل يشير الاشمئزاز في نفوس الاساتذة والمجتمع كله.
- 2 - اطلاق سراح الموقوفين .
- 3 - ضمان الحرية الفكرية لرجال التعليم .

وقد حمل هذه المفكرة الى البلاط الملكي الدكتور خالد الهاشمي والدكتور عبد الرحمن البزاز والدكتور محمد ناصر والدكتور جابر عمر⁽⁸⁴⁾ فقابل الوفد عبد الآله⁽⁸⁵⁾، وشرح له سوء الحالة في البلاد وتعنت الحكومة وموقفها المخجل من قضية العدوان الثلاثي على

مصر وقضايا العروبة واستنكر الوفد اعتداء الشرطة على حرمة المعاهد العالية، كما قال الوفد لولي العهد بصراحة، إن البلاط بموقفه الحالي (يعرض العرش للخطر) وقد خاطب الدكتور عبد الرحمن البزاز الوصي قائلاً له: «ان حكومة نوري السعيد وسياسة العراق لن تكون خطراً وبالأعلى شخص نوري السعيد والحكومة العراقية كلها بل انه خطر أساسي على نوع الحكم في العراق»⁽⁸⁶⁾. وأضاف البزاز قائلاً: «إن الشعب ساخطاً على هذه السياسة أشد السخط وأن وزارئك قد لا ينقلون إليك حقيقة شعور العراقيين ونحن رجال التعليم نرى من واجبنا ان نقول الحقيقة كاملة كما تبدو لنا. إن الشعب حينما ينفجر لن يقف عند حد الانفجار» وقال أيضاً: «لقد امتنع لون الأمير عبد الإله من صراحتي هذه وألمته أقوالي العنيفة التي لم يتعود على سماعها من وزرائه المستخدمين وبطانته الفاسدة وقديماً قال العرب من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء»⁽⁸⁷⁾.

وختم قوله: «وعندما انتهت مقابلة الوفد مع الوصي دون جدوى طلب رئيس الديوان منا مقابلة نوري السعيد الذي جاء خصيصاً لرؤيتنا وعندما دخلنا عليه انتفض كالمجنون وأخرج من جيبه ورقة»، وقال لنا: «اقرأوا هذا التصريح الذي أطلب فيه إزالة إسرائيل من الوجود»، ولما سأله كيف تستطيع التوفيق بين تصريحك هذا وبين التصريح الذي نشرته قبل أسبوع وفيه تطالب بالصلح مع إسرائيل، واستوضحه عن الوسيلة التي سيزيل بها إسرائيل فاكنتني بالقول: «الحقيقة أننا نريد الآن ان نعرف من هم اصدقائنا من الدول الكبرى» ويقصد الدول الكبرى التي توافق عن إزالة إسرائيل»⁽⁸⁸⁾.

وقد اعقب هذه المقابلة فصل التسعة الأولى من هذه المجموعة من وظائفهم وأحيل منهم خمسة الى المجلس العرفي العسكري وهم: عبد الرحمن البزاز والدكتور جابر عمر والدكتور محمد علي البصام والدكتور فيصل الوائلي وحسن الدجيلي. ولكن الدكتور جابر عمر اختفى وهرب الى سورية. وقد وجهت إليهم تهمة الانتماء إلى الشيوعية والتحريض على اختراق أمن الدولة لذا حكم عليهم بالأبعاد لسنة واحدة ونفوا إلى (بنجوين) ثم (تكريت)⁽⁸⁹⁾.

وصف عبد الرحمن البزاز المقام في بنجوين⁽⁹⁰⁾ بأنه مزري وذأ منظر كئيب علماً أن البناية شيدت عام 1927 لتكون مسكناً لمدير الناحية لكنها أهملت. فضلاً عن ذلك رداءة مصادر المياه ولذلك أعدت مشكلة لعدم صلاحيتها⁽⁹¹⁾.

وفي أثناء مكوثهم في بنجوين جاءتهم الأخبار بضرورة عودتهم الى السليمانية ومن ثم إلى تكريت، وعند انتقالهم إلى تكريت اختلف الوضع تماماً عن بنجوين حيث كانت الأقامة هناك مريحة بالنسبة لهم حيث لقوا حفاوة من اهالي تكريت، وعرضت عليهم بعض المساعدات المالية وكانوا يقابلوها بالاعتذار⁽⁹²⁾.

ويقول عبد الرحمن البزاز في هذا المضممار: «لقد اخذ طابع الاكرام في تكريت طابعاً آخر، فصار الشباب يكتبون بعض عبارات التقدير على الحيطان في الشوارع التي كنا نمر بها، ويكتبون بجوارها عبارات النقد اللاذع للحكومة وسياستها. و اشار بان هذا الحفاوة كانت تزيدنا إيماننا بان أبناء العروبة في كل جزء من أجزاء الوطن العربي»⁽⁹³⁾.

وأضاف قائلاً: «أنه في أحد الأيام جاءنا القائم مقام زائراً وأخبرنا بأن وزير المالية خليل كبة (ووزير المعارف بالوكالة) في الوقت نفسه سيزور تكريت وأنا مدعون معه على الغداء... وبقينا ننتظر لنرى ما وراء هذه الزيارة»⁽⁹⁴⁾.

وعند وصول الوزير وبعد جلوس كلاً من الاستاذ حسن الدجيلي والدكتور فيصل الوائلي والاستاذ عبد الرحمن البزاز مع الوزير، حيث كان الدكتور محمد علي البصام قد نقل الى بغداد على أثر حادث وقع له وبسبب رضوضاً في احدى قدميه. دار حديث طويل فيما بينهم وأخذ الوزير يلومهم على عملهم هذا ثم شرحوا له أن رئيس الوزراء نوري السعيد السبب في كل ما يحدث، وفي ضوء ذلك قال البزاز: «طلبت إذناً من الوزير للحديث بصراحة. فاجاب الوزير نعم أني أرغب بذلك كثيراً، فقال له البزاز أن سياسة نوري السعيد هي مشكلة المشاكل أنت تراها سياسة قومية سليمة، ونحن نراها سياسة اقليمية قائمة على أسس خاطئة أنت تراها حرية بان يلتف القوميون حولها، ونحن نراها معارضة لقوميتنا، وحرية بالمقاومة»⁽⁹⁵⁾.

وفي نهاية الحديث الذي استمر ساعات طويلة فيما بينهم قرر الوزير الإفراج عنهم وعودتهم إلى بغداد⁽⁹⁶⁾.

من ناحية أخرى عبر البزاز في معرض حديثه عن الحفاوة والتقدير الذي لقوه من اهالي تكريت وختم بقوله: «في تلك اللحظة انتهى مقامنا الإجباري في تكريت، ولكن ذكراها ستبقى عميقة في نفوسنا»⁽⁹⁷⁾.

ثامناً: خالد الهاشمي ورؤيته في إصلاح القطاع التربوي والتعليمي في العراق:

رشحت وزارة المعارف خالد الهاشمي لتولي إدارة دار المعلمين الابتدائية في شهر ايلول 1934. وقبل ان يياشر الهاشمي وظيفته قدم تقريراً مفصلاً ضمنه تصوراته في كيفية اصلاح هذا المعهد حتى يستطيع ان يؤدي دوره الثقافي والعلمي على ضوء تطور الانظمة التربوية الحديثة وحتى ينهض بسمو ولياته⁽⁹⁸⁾.

كانت الفكرة السائدة في ذلك الوقت ان غاية المدرسة الابتدائية الاساسية هي محو الأمية بين طبقات الشعب الدنيا والاقصار على تعليم مبادئ المعرفة البسيطة كالقراءة والكتابة والمبادئ الاولية للحساب، وفي مقابل ذلك فان المعلم الابتدائي لا يحتاج الى اكثر من معرفته في كيفية اعطاء هذه المعلومات شيئاً من طرق تدريسها⁽⁹⁹⁾.

غير ان التقدم الاجتماعي وورقي المؤسسات التربوية والمهنية قد تظافرتا على تغيير هذا الاعتقاد حيث اصبح من المعتقد في مطلع العشرين ان الغاية الأساسية من المدرسة الابتدائية ليست مجرد تعليم القراءة والكتابة والحساب ومبادئ المعرفة العامة فحسب وانما تعدها الى الغايات التربوية الواسعة التي تهدف أول ما تهدف الى وضع الأسس الصحيحة لخلق جيل جديد ناهض متحد بأفكاره ومشاعره القومية العامة قادراً على النهوض بوظائفه ومسؤولياته الاجتماعية ومتطلعاً الى العمل والابداع والتفكير المستقل⁽¹⁰⁰⁾.

وفضلاً عن ذلك أن المدرسة الابتدائية هي مدرسة الشعب العامة بجميع طبقاته وليست لطبقة خاصة دون الأخرى وان مهنة التعليم لا تقل أهمية عن بقية المهن الأخرى كالمحاماة والطبابة وغيرها. وان المعلم «كما ايدت ذلك العلوم التربوية والنفسية الحديثة يحتل مركزاً مهماً إذ يجب عليه ان يدرك جيداً أهداف التربية العامة وأهداف مجتمعة وأهمية كل درس يدرسه من حيث خدمته وعلاقته بالأغراض التربوية والاجتماعية وكما يعرف نفسيات طلابه وحاجات محيطه والطرق الصحيحة المؤدية الى تحقيق كل ذلك وان لا يقتصر على مجرد كسب المهارة في تعليم بعض القواعد فحسب بل يجب ان يتعداها الى فهم المبادئ العامة التي تنطوي عليها هذه القواعد والأحوال كي يستطيع من استعمال ذهنه وابداعه الذاتي. لذا صار الزاماً على المسؤولين في الحقل التربوي والتعليمي ان

ما يفكرون بضرورة رفع مستوى المعلم الابتدائي الى المستوى اللائق كما عمدت اليه بقية أقطار العالم المتحدث، بحيث ان لا يختلف مستوى اعداد معلمي الابتدائيات عن المتوسطات والثانويات إلا في نوع الاختصاص⁽¹⁰¹⁾.

هذا فقد طالب خالد الهاشمي برفع مستواها الى ثلاث سنوات بعد الدراسة الثانوية ووضع منهاجها التربوي والتعليمي وملاك رواتب اساتذتها وخريجها على هذا الأساس. وانتقد النظام السنوي الذي كانت قد سارت عليه وهي نظام السنتين. ووضح ان ذلك لا يعطي الوقت الكافي للتأكيد على مستوى عميق وواسع من الثقافة العامة والاعداد المهني في النظريات التربوية والنفسية والطرق العامة والتطبيقات العملية⁽¹⁰²⁾.

وطالب خالد الهاشمي برفع مستوى دار المعلمين الابتدائية الى مستوى مدرسة عالية وسوف يؤدي الى رفع مستوى التعليم في جميع مراحل التعليم العراقي الابتدائي والثانوي والعالي وان ذلك ستعطي دفعا قويا لمعنويات معلمي الابتدائيات ويفتح أمامهم أبواب المستقبل والأمل وسيتيح لهم فرصة التمتع برواتب وترقيات مشجعة الى المستوى المالي والاجتماعي والثقافي اللائق. وعم شعور معلمي المدارس الابتدائية في العراق بعد اليوم بأن وظائفهم اقل أهمية وخطورة عن وظائف معلمي مدارس المتوسطة والثانوية⁽¹⁰³⁾.

وقدم مقترحات عدة منها الآتي:

- 1- أقتراح اسم كلية المعلمين الابتدائية أو كلية المعلمين للابتدائيات تميزاً عن كلية المعلمين للثانويات والمتوسطات وربطها بوزير المعارف أسوة ببقية الكليات .
- 2- اقترح أن يكون راتب خريجي هذه الكلية خمسة عشر ديناراً بعد جعل الدراسة 2، 3 سنوات.
- 3- وقدم رأياً مفاده تخصيص ميزانية خاصة بها اسوة بدار المعلمين العالية وتخويل مديرها حق الاشتراك بتحضيرها وتنفيذها وذلك لضمان سياسة ثابتة وتقديم مطرد لإدارة شؤون هذا المعهد وتحرير إدارتها من المراجعات الطويلة.
- 4- اقترح ان تكون للكلية نظام خاص بها يبنى على حاجتها واغراضها .
- 5- وتخويل مدير هذه الكلية سلطة ترشيح ملاك كلية وكافة موظفيه نظراً للمسؤولية الكبيرة المترتبة على مدير هذه الكلية وضرورة ضمان التعاون التام بينه وبين هيئة أساتذتها .

6- ومن حق مدير الكلية الترشيح لملاك المدرستين للتطبيقات والتجارب التربوية والتعليمية وربط مسؤوليتهما الفنية والادارية به .

7- وبالنظر لضرورة اتصال مدير كلية المعلمين الابتدائية بسير المعارف وسياستها لربط التعليم في هذه الكلية بحسب حاجات واغراض المعارف العامة ويقترح اطلاقه على كل ما يهم سياسة التعليم الابتدائي واعداد المعلمين وإشراكه بجلسات مجلس المعارف العام⁽¹⁰⁴⁾.

وفي شهر اذار عام 1958 اوفدت وزارة المعارف الدكتور خاد الهاشمي الاستاذ بدار المعلمين العالية الى بريطانيا لمدة شهر لدراسة (اعداد المدرس الثانوي وعلاقة ذلك بالجامعة). وشملت الدراسة الاعداد في الجامعات التي يختلف فيها برنامج الأعداد وفقاً للأنظمة التعليمية كادبره في اسكتلندا أو اختلاف مفردات المناهج التعليمية في جامعة لندن واكسفورد. كما تناولت الدراسة الاختلاف في طبيعة المبادئ الموجهة لهذا الاعداد واهميته وفق ما جاء في هذه المناهج التعليمية⁽¹⁰⁵⁾.

أن اهتمام خالد الهاشمي في مجال التعليم ومكافحة الأمية جعله يردد دائماً وفي كل المناسبات قوله: «إن أعلى أمنية ليّ ارجو تحقيقها ان ارى التقدم العلمي والثقافي يعم أجزاء من العراق والوطن العربي وان يصبح امة من الأمم الراقية في ركب الحضارة تستطيع ان تقدم الى نفسها والى الحضارة الانسانية من الخدمات ما يبرر بقائها وما يبرر مساهمتها في حضارة القرن العشرين»⁽¹⁰⁶⁾.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع البحث توصلنا إلى النتائج الآتية :

- 1- يعد خالد الهاشمي من الشخصيات القومية والوطنية البارزة، التي أدت دوراً مهماً في تاريخ العراق في مختلف المجالات سواء كانت السياسية، والثقافية والتربوية في ظروف عاشها العراق اسهمت في تأخره وتخلفه في ظل الدولة العثمانية .
- 2- بدأت النوازع القومية لدى الهاشمي في فترة مبكرة من حياته، فعند قيام ثورة العشرين كان صغيراً في السن وساهم في القاء قصيدة حماسية، عندما كان يرتاد الجوامع التي تجتمع فيها الناس لالقاء الكلمات والخطب المساهمة بالثورة ضد الاحتلال الانكليزي .
- 3- أسهمت هذه الشخصية في تأسيس جمعيات سياسية قومية، منها جمعية الجوال ونادي المثني بن حارثة الشيباني، حيث ساهمت هذه الجمعيات في توعية الشباب العربي في العراق وتعميق الفهم القومي لجيل الثلاثينيات، وكذلك مكافحة الأمية التي استشرت أوصالها في البلاد .
- 4- تقلد الهاشمي العديد من المناصب المهمة في الدولة وأدى من خلالها دوراً فاعلاً ومهماً وخدم بحماس شديد من خلال موقعه .
- 5- كما مثلت هذه الشخصية العراق في الكثير من المؤتمرات الدولية لأقطار الوطن العربي وجميع انحاء العالم وشغل مراكز عديدة في السلك الدبلوماسي فكان خير مثل لذلك .
- 6- أهتم الهاشمي بالنهوض بواقع التربية والتعليم بكل جدٍ واخلاص في الكليات والمعاهد العالية وعمل على مكافحة الأمية منذ وقت مبكر، وكان يردد دائماً بأنه يتمنى ان يرى التقدم العلمي يعم أجزاء من العراق والوطن العربي .

هوامش البحث

- 1 - ساطع الحصر، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1960، ص 106
107 ؛ سليمان موسى، الحركة العربية سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة -1908
1924، دار العلم للملايين، بيروت، 1970، ص 85.
- 2 - أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، المكتب المصري الحديث،
القاهرة، 1982، ص 247 253، وانظر التباين في فهم مضمون الجامعة الإسلامية لدى كل
من السلطان عبد الحميد وغيره من العثمانيين من جهة والذي كان يعني معارضة الاستقلال
والانفصال عن الدولة العثمانية ومضمون الجامعة الإسلامية عند مصطفى كامل وغيره من
الزعماء في العالم الإسلامي من جهة أخرى. محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة
القومية عند مصطفى كامل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1976، ص 45
وما يليها وص 82 بشكل خاص .
- 3 - توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري 1914-1918، مطبعة المجلة الجديدة،
القاهرة، 1960، ص 295.
- 4 - قدري قلعي، مدحت باشا ابو الدستور العثماني وخالع السلاطين، دار العلم للملايين،
بيروت، 1951، ص 30، Ghassn. R. Atiya، Iraq 1808-1921 Asocio- political study،
.Beir، ut، 1973، P77
- 5 - Rodric Davison m reform in the ottoman empire 1856-1816، London، 1963، P.44 ؛
جورج انطونيوس، يقظة العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1962، ص 128-129 ؛ ايناس
سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث 1258 1918، دار عدنان للنشر، بغداد، 2014، ص 442
؛ مذكرات مدحت باشا، ترجمة: يوسف كمال حتاتة، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، 1913،
ص 55 .
- 6 - محمد إبراهيم محمد، مقاومة العرب للاضطهاد العثماني، دار الجواهري، بغداد، 2011،
ص 52. Edward Greasy، History of the ottoman Turks، New york، 1977، p11.
- 7 - أسعد داغر، على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، بلا-ت، ص 64.

- 8 - زي.ه. شلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، دار العلم للملايين، بيروت، 1973، ص 43، 48، 49.
- 9 - أحمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، 1948، ص 90
- 10 - توفيق علي برو، المصدر السابق، ص 300 .
- 11 - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص 253 .
- 12 - جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 132 .
- 13 - مقدمة النظام الداخلي لنادي المثني بن حارثة الشيباني، مطبعة الفرات، بغداد، 1935، ص 4 .
- 14 - عماد أحمد الجواهري، صفحات من تاريخ الحركة القومية في العراق 1935-1941. نادي المثني بن حارثة الشيباني، مجلة آفاق عربية، العدد الخامس، 1982، ص 2.
- 15 - مقابلة مع وليد خالد الهاشمي نجل خالد الهاشمي، بغداد، بتاريخ 20 تشرين الأول 2004.
- 16 - مقابلة مع السيد إسماعيل السعيد من الشخصيات ذات الصلة المباشرة بخالد الهاشمي، بغداد، بتاريخ 23 آذار 1992، من محفوظات د. محمد حسين الزبيدي.
- 17 - مقابلة مع وليد خالد الهاشمي، بتاريخ 20 تشرين الأول 2004.
- 18 - جريدة الجمهورية، العدد 8157، 1 نيسان 1992، ص 5 .
- 19 - حديث مع خالد الهاشمي لجريدة الحرية، العدد 551، 3 نيسان 1956، ص 3، من محفوظات الباحثة.
- 20 - المصدر نفسه.
- 21 - مجلة العروة، لندن، العدد الرابع، شباط 1968، ص 5 .
- 22 - مقابلة مع وليد خالد الهاشمي، بتاريخ 20 تشرين الأول 2004.
- 23 - جريدة الجمهورية، العدد 8157، 1 نيسان 1992، ص 6.
- 24 - الجريدة نفسها.
- 25 - مجلة العروة، المصدر السابق، ص 5.
- 26 - جريدة الحرية، العدد 551، 3 نيسان 1956، ص 3
- 27 - محمد شكري العزاوي، مجمع الاثار العراقية، بغداد، 1947، ص 139 .
- 28 - مقابلة مع وليد خالد الهاشمي، بتاريخ 20 تشرين الأول 2004 .
- 29 - المقابلة نفسها .

- 30 - الملفة الشخصية للدكتور خالد الهاشمي، كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم م64، ب64 .
- 31 - الملفة نفسها .
- 32 - جريدة الجمهورية، العدد 8157، 1 نيسان 1992، ص6.
- 33 - مجلة العروة، المصدر السابق، ص6.
- 34 - جريدة الجمهورية، العدد 8157، 1 نيسان 1992، ص6.
- 35 - جريدة الحرية، العدد551، 3 نيسان 1956، ص3
- 36 - عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المكتبة العصرية، صيدا، 1972، ص32.
- 37 - جريدة الجمهورية، العدد 8157، 1 نيسان 1992، ص6.
- 38 - مقابلة مع وليد خالد الهاشمي، بتاريخ 20 تشرين الأول 2004 .
- 39 - مقابلة مع عبد الحميد الهاللي، بتاريخ 3 حزيران 1990، من محفوظات محمد حسين الزبيدي.
- 40 - المقابلة نفسها .
- 41 - جريدة الحرية، العدد551، 3 نيسان 1956، ص3
- 42 - الجريدة نفسها .
- 43 - عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية 1918 1958، مركز الأبجدية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص44 .
- 44 - فاضل حسين، جمعية الجوال. فصل من تاريخ الحركة القومية العربية في العراق، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد الثالث والثلاثون، كانون الأول 1982، ص249 .
- 45 - عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي 1958-1908، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص143 .
- 46 - مجلة الفتوة، بغداد، السنة الثانية، العدد السابع، 18 أيار 1936، ص21
- 47 - نجدة فتحي صفوة، خواطر وأحاديث في التاريخ، بغداد، 1983، ص22
- 48 - فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر 1914 1985، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، 1984، ص57 .
- 49 - جريدة الإخاء الوطني، العدد 318، 28 آذار 1933، ص4.
- 50 - جريدة صدى العهد، العدد 542، 29 حزيران 1932، ص2 .
- 51 - الجريدة نفسها.

- 52 - جريدة الإخاء الوطني، العدد 318، 28 آذار 1933، ص 5.
- 53 - عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية، ص 47 .
- 54 - F.O. 317 /23213، XIP02647، Annual Report Of Iraq، P. 15
- 55 - عماد احمد الجوهرري، نادي المثني. وواجهات التجمع القومي في العراقي 1934-1942، دار الجاحظ، بغداد، 1984، ص 84-85 .
- 56 - جريدة الطريق، العدد 92، 17 تموز 1933، ص 3 .
- 57 - جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق 1941-1953، النجف الاشرف، 1976، ص 114-115 .
- 58 - مجلة المثني بن حارثة الشيباني، العدد الخامس، 24 أيلول 1936، ص 2.
- 59 - نشره جمعية الجوال العربي بغداد، (عن أعمالها من أول نيسان عام 1940 إلى نهاية تموز 1940).
- 60 - المصدر نفسه .
- 61 - ينظر: عتراض وزارة الدفاع على أسماء العسكريين في الهيئة التي قدمت طلب تأسيس نادي المثني. تقرير مديرية التحقيقات الجنائية السري للغاية رقم ش خ/ 1227 في 5 نيسان 1942، ملفه نادي المثني رقم 45-41. مقتبس عن جعفر عباس حميدي، المصدر السابق، ص 114-115 .
- 62 - عبد الأمير هادي العكام، تاريخ حزب الاستقلال العراقي 1946-1958، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980، ص 21 .
- 63 - فاضل حسين، جمعية الجوال، ص 229 ؛ عادل غفوري خليل، الاتجاهات الفكرية والمواقف السياسية لأحزاب المعارضة العراقية العلنية 1946-1954، المكتبة العالمية للنشر، بغداد، 1984، ص 38-39 .
- 64 - انضم ناجي طالب الى الجمعيه عندما كان طالباً في الصف الثاني في متوسطة الناصريه، كسبه المعلم عبد الله سعد من اهل الناصريه، الذي انضم الى جمعية الجوال العربي عندما كان طالباً في دار المعلمين الابتدائية عام 1931. مقابلة مع ناجي طالب، بغداد، بتاريخ 8 شباط 2010 .
- 65 - يقول رجب عبد المجيد جاءني رسالة الى وحدتي العسكرية تطلب مني الحضور الى نادي الجمعية الواقع في شارع الزهاوي في عصر احد الأيام عام 1941 وذهبت في الموعد، وقد وجدت هناك شخصان هما درويش المقدادي وعبد الهادي المختار حيث تلقا دعوة مثل دعوتي. ينظر: الملحق رقم (1) نص الرسالة.

- 66 - فاضل حسين: جمعية الجوال. ص 292.
- 67 - المصدر نفسه .
- 68 - محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الأحداث 1958-1918، دار الطليعة، بيروت، 1965، ص 54 ؛ محمد عزة دروزة، حول الحركة القومية العربية الحديثة، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، 1950، ص 30 .
- 69 - محمد حسن سلمان، صفحات من حياة محمد حسن سلمان، الدار العربية، بيروت، 1985، ص 40 ؛ طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1967، ص 269 .
- 70 - مجلة المثنى بن حارثة الشيباني، العدد الثامن، 15 كانون الثاني 1936، ص 7 .
- 71 - علي جودت الأيوبي، ذكريات 1958-1900، دار العلم للملايين، بيروت، 1967، ص 35 .
- 72 - مجلة المثنى بن حارثة الشيباني، العدد التاسع عشر، 9 كانون الثاني 1937، ص 9 .
- 73 - فائق بطي، صحافة الأحزاب وتاريخ الحركة الوطنية، مطبعة الأديب، بغداد، 1969، ص 33 .
- 74 - محمد حسن سلمان، المصدر السابق، ص 41 .
- 75 - محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية 1941، دار الطليعة، بيروت، 1970، ص 5 ؛ وليد محمد سعيد الاعظمي، انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية البريطانية 1941، الدار العربية، بغداد، 1987، ص 73 ؛ عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني 1941، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت، ص 84 .
- 76 - عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج3، ط7، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988، ص ؛ فيليب ويلارد إيرلند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، 1949، ص 55 .
- 77 - الملف الشخصية لخالد الهاشمي .
- 78 - ينظر: الملحق رقم (2) .
- 79 - ينظر: الملحق نفسه .
- 80 - أحمد حسن البدوي وفطين فريد، حرب التواطؤ الثلاثي العدوان الصهيوني الانجلو فرنسي على مصر، المكتبة الاكاديمية للنشر، القاهرة، 1997، ص 31 .
- 81 - د. و.ع، ملفات العالم العربي، م1/1717-1، مصر / 24 حزيران 1981 .
- 82 - د.ك.و.، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 311/4801، تقرير المفوضية العراقية في القاهرة، المرقم 1/736/22 آب 1956، ص 2 .

- 83- فاضل حسين، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي 1958-1946، مطبعة الشعب، بغداد، 1963، ص 385؛ نوري عبد الرزاق حسين، تيارات سياسية في الحركة الوطنية العراقية، القاهرة، 1958، ص 33.
- 84- المصدر نفسه، ص 386.
- 85- كان الملك فيصل الثاني يومها في بيروت .
- 86- عبد الرحمن البزاز، صفحات من الأمس القريب، دار العلم للملايين، بيروت، 1960، ص 41-42 .
- 87- المصدر نفسه.
- 88- عبد الرزاق النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1987، ص 60.
- 89- عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص 146.
- 90- بنجوين: وهي منطقة بركانية تقع على الحدود العراقية الايرانية في مرتفع شاهق، وتبعد نحو (550) كيلو متر عن بغداد. ينظر: عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص 146.
- 91- المصدر نفسه، ص 147-148 .
- 92- المصدر نفسه، ص 149-150 .
- 93- المصدر نفسه، ص 158 .
- 94- المصدر نفسه، ص 159 .
- 95- المصدر نفسه، ص 160-164 .
- 96- المصدر نفسه، ص 165 .
- 97- المصدر نفسه، ص 166-167 .
- 98- جريد الطريق، العدد اربعمائة واربعة، 27 تشرين الأول 1934 .
- 99- الجريدة نفسها .
- 100- جريدة الحرية، العدد خمسمائة وواحد وخمسون، 3 نيسان 1956، ص 3 .
- 101- مقابلة مع ناجي طالب، بتاريخ 5 تموز 2010 .
- 102- المقابلة نفسها .
- 103- جريدة الحرية، العدد خمسمائة وواحد وخمسون، 3 نيسان 1956، ص 3 .
- 104- مقابلة مع ناجي طالب، بتاريخ 5 تموز 2010 .
- 105- ينظر: الملحق رقم (3) .
- 106- محمد حسين الزبيدي، السياسيون المنفيون الى جزيرة هنجام 1922، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985، ص 19 .

ملحق رقم (1)

حضرة السيد رجب عبد الحميد الفاعور المحترم

السلام عليكم: وبعد

فيسر الهيئة الإدارية أن تخبرك بأنها قررت في جلستها المنعقدة في 19 / 4 / 1941 قبولك
عضواً عاملاً في جمعية الجوال العربي

عن السكرتير

سري ملحق رقم (2)

س/7

21/1/1948

معالي وزير المعارف المحترم

تحية واحترام ..

لما كنت معتقداً أن توقيف بعض أساتذة المعهد لمجرد الشك لا يصح الركون إليه أو الاعتماد عليه كمبرر لهذا التدبير إن ذلك كما صرحت به للسلطات المسؤولة لا يكون كافياً لادانتهم. ولما كان بعض هؤلاء الزملاء من الأساتذة قد طلب توسطي لدى المقامات المسؤولة لاطلاق سراحهم. ولما كنت اعتقد ان توقيفهم ليس في صالح المعهد وارجاع طلبته الى الدوام المنتظم لذا جئت إلى معاليكم وأنا الحريص على أداء واجبي في خدمة هذا المعهد راجياً منكم بالحاح قبول وساطتي أو كفالتي لاطلاق سراحهم وإلا فأرجو انقاذ هذا الموقف الذي اخرجت فيه بقبول استقالتي⁽¹⁾.

وتفضلوا بقبول خالص الاحترام

عميد دار المعلمين العالية

التوقيع

خالد الهاشمي

ملاحظة:

- إن المعاون لشؤون الطلبة قد أيديني في هذا الموقف وهو يتقدم بنفس الرجاء.
- ان الذين يعتقدون فيهم الكفاءة لمستوى هذه المسؤولية في حالة قبول استقالتنا من المصريين: محمد كامل النحاس والدكتور مصطفى زيادة. ومن العراقيين الأساتذة: محمد حسين آل ياسين وعبد الحميد كاظم والدكتور زكي صالح .

(1) الملفة الشخصية للدكتور خالد الهاشمي .

ملحق (3)

خالد الهاشمي

شهادة دار المعلمين العالية
بمستواه
١٩٧٧
التاريخ
٥٧/٧/٤٤
(عادي)

السفارة العراقية - لندن
وزارة المعلمين العراقيين
العدد / ثقافته / ١٤٩٠
التاريخ / ١٧ / ٣ / ١٩٥٨
الإدارة -

CULTURAL ATTACHE
TO THE
IRAQI EMBASSY
22, QUEEN'S GATE,
LONDON, S.W.7.
KNIGHTSBRIDGE 7141.
IN REPLY PLEASE QUOTE
OUR REF:
YOUR REF:

الى / وزارة المعارف

الموضوع/ تمديد ايفاد الدكتور خالد الهاشمي

إشارة الى كتابكم الرقم ٥٩٦٦٦ والورق ١٩٥٧/١٢/٢٤ .
تثبت لكم ادناء صورة طلب الدكتور خالد الهاشمي الاستاذ في دار المعلمين العالية والموافق
الى انكثروا لدراسة (اعداد الدروس الثانوي وعلاقة ذلك بالجامعة) والذي يبين فيه "مصر المدة المعطاة
لدراسة هذا الموضوع والذي يروج فيه تمديد ها الى اكثر من ذلك .
اننا نعتقد في وجاهة الطلب ونرجو التفضل بتمديد ايفاده لتكون القائدة التي

الملحق الثقافي

نسخة الى -
• السفارة العراقية - لندن
• رئاسة جامعة بغداد
• عمادة دار المعلمين العالية
صورة الطلب

الى / معادة الملحق الثقافي (لندن) المحترم

تعلّمون ان الامر الوزاري الرقم ٥٩٦٦٦ والورق ١٩٥٧/١٢/٢٤ قد نص على ان ادرس
" السهامة المنبحة في انكثروا في اعداد الدروس الثانوي وعلاقة ذلك بالجامعة " .
ولما كان لا بد لهذه الدراسة ان تشمل الاعداد في الجامعات التي يختلف فيها الاعداد بالنسبة
لاختلاف الانظمة التعليمية كما هو كاد نيره في اسكتلندا او لاختلاف المناهج التعليمية مثل جامعة لندن
او احدى جامعتي اكسفورد وكيمبرج على الاقل وان تتناول الاختلاف في المنهج التعليمية لهذا الاعداد
واهم ما تتطلب عليه المناهج التعليمية ونظرا لخطورة هذا الموضوع التربوي ولاهيمته الخاصة بالنسبة للعراق
اقترح ان تطلب الى الجهات المسؤولة في وزارة المعارف تمديد مدة مكثي في انكثروا حيث لم يبق لي من
ايفادي الا اسبوعين والمجلس الثقافي البريطاني لم ينظم مشجع الزيارة بعد راجيا ان يكون هذا التمديد
لشهر واحد على الاقل ولكم خالص التقدير والاحترام .

التوقيع/ الدكتور خالد الهاشمي
الاستاذ بدار المعلمين العالية في بغداد
١٩٥٨/٣/١٢

٥٧/٧/٤٤

قائمة المصادر

أولاً: الوثائق الغير منشورة

- 1 - F.O. 317/23214، X 1 Po 2، 47، Annual Report Of Iraq
- 2 - د. ك. و. ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 4801 / 311، تقرير المفوضية العراقية في القاهرة، المرقم 22 / 736 / 1 آب 1956 .
- 3 - د. و.ع، ملفات العالم العربي م-1/1717، مصر، 24 حزيران 1981
- 4 - الملفة الشخصية للدكتور خالد الهاشمي، كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم 64م، ب.64.

ثانياً: المصادر

- 1 - أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، 1948.
- 2 - أحمد حسن البدوي وفطين فريد، حرب التواطؤ الثلاثي. العدوان الصهيوني الانجلو فرنسي على مصر، المكتبة الأكاديمية للنشر، القاهرة، 1997 .
- 3 - أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1982.
- 4 - أسعد داغر، على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، بلا- ت .
- 5 - ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث 1258-1918، دار عدنان للنشر، بغداد، 2014.
- 6 - توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري 1914-1918، مطبعة المجلة الجديدة، القاهرة، 1960.

- 7 - جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق 1941-1953، النجف الأشرف، 1976 .
- 8 - جورج انطونيوس، يقظة العرب، دار العلم للملايين، بيروت 1962 .
- 9 - ز. ي. شلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، دار العلم للملايين، بيروت، 1973 .
- 10 - ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1960 .
- 11 - سليمان موسى، الحركة العربية، سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، دار العلم للملايين، بيروت، 1970 .
- 12 - طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1967 .
- 13 - عادل غفوي خليل، الاتجاهات الفكرية والمواقف السياسية لأحزاب المعارضة العراقية العلنية، ج3، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988 .
- 14 - عبد الأمير هادي العكام، تاريخ حزب الاستقلال العراقي 1964-1958، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980 .
- 15 - عبد الرحمن البزاز، صفحات من الأمس القريب، دار العلم للملايين، بيروت، 1960 .
- 16 - عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، المكتبة العصرية، صيدا، 1972 .
- 17 - عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية 1918-1958، مركز الأبجدية للطباعة، بيروت، 1983 .
- 18 - عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج3، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1984 .
- 19 - عبد الرزاق النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1987 .
- 20 - عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني 1941، المكتبة العصرية، صيدا،

د.ت .

- 21 - علي جودت الأيوبي، ذكريات 1900-1958، دار العلم للملايين، بيروت، 1967.
- 22 - علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
- 23 - عماد أحمد الجواهري، نادي المثني وواجهات التجمع القومي في العراق 1934-1942، دار الجاحظ، بيروت، 1984.
- 24 - فائق بطي، صحافة الأحزاب وتاريخ الحركة الوطنية، مطبعة الأديب، بغداد، 1969.
- 25 - فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر 1914-1958، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، 1984 .
- 26 - فاضل حسين، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي 1946-1958، مطبعة الشعب، بغداد، 1963 .
- 27 - فيليب ويلارد ايرلند، العراق، دراسة في تطوره السياسي. ترجمة جعفر الخياط، دار الكشاف للنشر، بيروت 1949 .
- 28 - قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، بيروت، دار العلم للملايين، بيروت، 1951 .
- 29 - محمد إبراهيم محمد، مقاومة العرب للاضطهاد العثماني، دار الجواهري، بغداد 2011.
- 30 - محمد حسن سلمان، صفحات من حياة محمد حسن سلمان، الدار العربية، بيروت، 1985.
- 31 - محمد حسين الزبيدي، السياسيون المنفيون إلى جزيرة هنجام 1922، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985 .
- 32 - محمد سعيد الاعظمي، انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية البريطانية 1941، الدار العربية، بغداد، 1987.
- 33 - محمد شكري العزاوي، مجمع الاثار العراقية، بغداد، 1947 .

- 34 - محمد عزة دروزة، حول الحركة القومية العربية الحديثة، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، 1950.
- 35 - محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1976.
- 36 - محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الأحداث 1918-1958، دار الطليعة، بيروت، 1965.
- 37 - محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية 1941، دار الطليعة، بيروت، 1970.
- 38 - مذكرات مدحت باشا، ترجمة. يوسف كمال حتاتة، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، 1913.
- 39 - مقدمة النظام الداخلي لنادي المشي بن حارثة الشيباني، مطبعة الفرات، بغداد، 1935.
- 40 - نجدة فتحي صفوة، خواطر وأحاديث في التاريخ، بغداد، 1983.
- 41 - نشرة جمعية الجوال العربي، بغداد، (عن أعمالها من أول نيسان 1940 إلى نهاية تموز 1940).
- 42 - نوري عبد الرزاق حسين، تيارات سياسية في الحركة الوطنية العراقية، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، 1958.

ثالثاً: المقابلات الشخصية

- 1 - مقابلة مع وليد الهاشمي 2004.
- 2 - مقابلة مع إسماعيل السعدي 1992.
- 3 - مقابلة مع ناجي طالب، 2010.
- 4 - مقابلة مع عبد الحميد الهلالي، 1990.

رابعاً: البحوث والدراسات المنشورة

- 1 - عماد أحمد الجواهري، صفحات من تاريخ الحركة القومية في العراق 1935-1941. نادي المشي بن حارثة الشيباني، مجلة آفاق عربية، العدد الخامس، 1982.

2 - فاضل حسين، جمعية الجوال. فصل من تاريخ الحركة القومية العربية في العراق، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد الثالث والثلاثون، كانون الأول 1982.

خامساً: المصادر الأجنبية

- 1 - Ghass.R.Atiya, Iraq 1808-1927 Asocio political study, Beirut, 1937.
- 2 - Albert Lybyer, The Turkish parliqment, Bultimore, 1970.
- 3 - Edwar Greasy. History of the Ottoman Turks, New york 1977 .
- 4 - Rodric Davison, Reform in the ottoman Empire 1856-1876, London 1963 .

سادساً: الجرائد العراقية

- 1 - جريدة الحرية، 1956 .
- 2 - جريدة الجمهورية، 1992 .
- 3 - جريدة الإخاء الوطني 1993.
- 4 - جريدة صدى العهد 1932.
- 5 - جريدة الطريق، 1934-1933 .

سابعاً: المجلات

- 1 - مجلة العروة، 1986.
- 2 - مجلة الفتوة، بغداد، 1936.
- 3 - مجلة المثني بن حارثة الشيباني 1936 .

دراسة موضوعية للمديح النبوي في شعر ابن مليك الحموي

اياد نيسي^(*)، الدكتور محمود آبدانان مهدي زاده⁽¹⁾

1. طالب ماجستير بفرع اللغة العربية وآدابها في جامعة الشهيد تشمران الأهوازية - الجمهورية الإسلامية الإيرانية
2. أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الشهيد تشمران الأهوازية - الجمهورية الإسلامية الإيرانية

الملخص

تطور المديح النبوي تطوراً ملحوظاً مع انطلاق الدعوة الإسلامية، وشغل حيزاً كبيراً في الأدب العربي وتاريخ الدراسات الأدبية بعد الفتوحات الإسلامية، فهو من الأغراض القديمة التي اهتم به شعراء العرب وعبروا من خلالها على حبهم للنبي الأكرم ﷺ وذلك من أجل خدمة الإسلام وتوعية المسلمين. يعتبر المديح النبوي لون من الشعر الديني الذي يدور حول شخصية الرسول ﷺ الكريمة، وباب من أبواب الأدب الرفيع الذي يُعبر الشعراء من خلاله عن عواطفهم الدينية الصادقة إذ روافد هذا الأدب الرفيع تندفق ينباعها من قلوبهم المفعمة بالحب والعقيدة الإسلامية النزيهة والمخلصة، والمعرفة الإيمانية الكامنة في أعماقهم.

سنحاول من خلال موضوع بحثنا هذا أن نسلط الأضواء على أبرز الملامح والظواهر المختلفة للمديح النبوي في شعر ابن مَلِيك الحموي، الذي كان له باع كبير في هذا الفن من الأدب، ونعالج هذه الدراسة بمنهج يتصف بطابع وصفي تحليلي مراعين فيها جوانب التحفظ والحيطه في البحوث الدينية، وقسمنا جوانب المديح في شعره، ثم استخرجنا جمالياتها الفنية والتعبيرية، وأشرنا إلى الميزات البارزة والأساسية لصورة المديح النبوي في شعر ابن مَلِيك الحموي. ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة أن الشاعر صَوَّرَ لنا بصورة واضحة جلية شخصية النبي ﷺ بصورة حسنة، مشيراً إلى معجزاته، وفضائله وشمائله المثلى وسيرته الحميدة، وأشاد الشاعر أيضاً بمكانة رسول الله ﷺ المرموقة والسامية بين الأنبياء وسائر الخلق راجياً شفاعته بالثناء عليه ﷺ في يوم لا ينفع مال ولا بنون.

الكلمات الدلّيلية: المديح النبوي، النبي الأكرم ﷺ، العصر المملوكي، ابن مَلِيك الحموي.

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَصَفْوَةِ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي قَالَ فِيهِ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾.

مما يجدر بالذكر قبل كل شيء هو أنَّ موقف الإسلام والقرآن الكريم من الشعر هو موقف إيماني أخلاقي، فإننا لو تأملنا في آيات القرآن الكريم لوجدنا أنَّ القرآن لم يحرم الشعر في ذاته بل أراد أن يكون الموقف الجمالي خاضعاً للموقف الديني متأثراً بالمثل الجديدة التي جاء بها الإسلام وحاول أن يُوقِّق بين الموقف الجمالي وبين الموقف الديني، حتى لا يجد الفتنان وجود خصومة بين الدين الجديد والجمال الفني⁽²⁾ كما وصف الله عز وجل هؤلاء الشعراء الذين يقولون من لغو وباطل في مدح وذم يؤذي الله ورسوله، بصورة مخزية مشجية يندى لها الجبين قائلاً سبحانه وتعالى بأنَّ أتباع هؤلاء الشعراء هم النحرفون عن صراط الحق، ثم يشير الله عز وجل إلى هؤلاء الشعراء الذين ينهون الآخرين عن أشياء يرتكبونها، فقال الله عز وجل في آيات بينات، وحجج نيرات، وبراہین ساطعات: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾. ومن هذا المنطلق حثَّ النبي الأكرم ﷺ عامة الناس في المجتمع على التصدي لهذا الصنف من الشعراء والذين قد عرفوا بتشجيعهم وتبريرهم للفساد وقول الكذب، في قوله: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»⁽⁴⁾، وروي عن

(1) القلم، آية 4.

(2) الدكتور علي صابري، النقد الأدبي وتطوره في الأدب العربي، الطبعة الأولى، طهران، دار نشر سمت،

1384 هـ.ش، ص 33.

(3) الشعراء، آية 224 - 226.

(4) الحافظ نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق محمد عبدالقاهر أحمد عطا، ج 8، الطبعة

الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، ص 150.

رسول الله ﷺ في بيان موقف الإسلام من الشعر أنه قال: «إِنَّمَا الشُّعْرُ كَلَامٌ مُؤَلَّفٌ فَمَا وَافَقَ الْحَقَّ مِنْهُ فَهُوَ حَسَنٌ، وَمَا لَمْ يُوَافِقِ الْحَقَّ مِنْهُ فَلَا خَيْرَ فِيهِ»⁽¹⁾.

مِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيءَ عَلَيْهِ أَنْ دَرَسْتَنَا هَذِهِ سَتُكُونُ مَقْصُورَةً عَلَى دَرَاةِ الْأَشْعَارِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي نَظَّمَتْ فِي مَجَالِ مَدْحِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ فِي شِعْرِ ابْنِ مَلِيكِ الْحَمَوِيِّ، وَقَدْ سَارَ الْبَحْثُ وَفَقَّ الْمَنْهَجُ الْوَصْفِيِّ التَّحْلِيلِيِّ.

يَهْدَفُ هَذَا الْمَقَالُ إِلَى الْإِجَابَةِ عَلَى هَذَيْنِ السُّؤَالَيْنِ:

1. ما هو الدافع الأساسي الذي حث الشاعر ابن مَلِيكِ الْحَمَوِيِّ عَلَى أَنْ يَخْصِصَ مَعْظَمَ أَغْرَاضِ شِعْرِهِ لِلْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ؟

2. ما هي أبرز جوانب المديح النبوي في شعر الشاعر ابن مَلِيكِ الْحَمَوِيِّ؟

وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الشَّعْرَ الْمَمْلُوكِي لَمْ يَزَلْ مَعِينًا لِلدَّارِسِينَ لَا يَنْضَبُ، يَتَّخِذُونَ مِنْ مَادَتِهِ أَصُولًا لِدَرَاةِهِمْ، وَمَا زَالَتْ ثَمَّةُ جَوَانِبِ مَهْمَّةٍ فِي هَذَا الشَّعْرِ لَمْ يَكْشِفِ النُّقَابَ عَنْهَا بَعْدَ، وَتَحْتَاجُ مِنْ يَعْنِي بِهَا. وَمِنْهَا مَوْضُوعُ هَذَا الْبَحْثِ، لِذَا إِنَّا نَطْمَحُ مِنْ خِلَالِ دَرَاةِنَا لِهَذَا الْبَحْثِ بِأَنْ نُضَيِّفَ شَيْئًا مَفِيدًا إِلَى مَا كُتِبَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَهْدِ الْمَمَالِيكِ، وَلِذَلِكَ أَنَّ الدَّرَاسَاتِ الَّتِي عُرِضَتْ لِشِعْرِ الدِّينِيِّ فِي هَذَا الْعَصْرِ، لَمْ تَوْفِّ مَوْضُوعَ هَذَا الْبَحْثِ حَقَّهُ مِنَ الدَّرْسِ، فَبِالرَّغْمِ مِنْ تَعَدُّدِ الْأَبْحَاثِ وَالدَّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ الْمَدَائِحَ النَّبَوِيَّةَ فِي عَهْدِ الْمَمَالِيكِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ تَتَمَّ دَرَاةٌ سَابِقَةٌ مُوسِعَةٌ وَشَامِلَةٌ - مِنْ بَحُوثِ وَرِسَالَتِ جَامِعِيَّةٍ - الَّتِي تَوَقَّفَتْ عِنْدَ دَرَاةِ الْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ فِي شِعْرِ ابْنِ مَلِيكِ الْحَمَوِيِّ، مِمَّا صَعَّبَ مَهْمَتَنَا. لِذَا الْوُقُوفُ وَالنَّظَرُ فِي الْأَشْعَارِ الَّتِي نَظَّمَهَا ابْنُ مَلِيكِ الْحَمَوِيِّ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، يَفْتَحُ لَنَا بَابَ جَدِيدٍ مِنَ الْوُلُوجِ إِلَى هَذَا الْأَدَبِ الرَّفِيعِ. وَيَجِبُ أَنْ لَا نَنْسَى بِأَنَّ هَذَا الْبَحْثَ يُعَدُّ وَسِيلَةً مِنَ الْوَسَائِلِ الْمَعِينَةِ لِلْمُتَطَلِّعِينَ وَالْبَاحِثِينَ عَنِ مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ وَفَضَائِلِهِ.

2. المدح

المدح لغة؛ نقيض الهجاء وهو حُسنُ الثناء؛ يقال: مَدَحْتُهُ مِدْحَةً وَاحِدَةً وَمَدَحَهُ يَمْدَحُهُ

(1) أبو علي الحسن ابن رشيقي القيرواني، العُمدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشَّعْرِ، وَأَدَابِهِ وَنَقْدِهِ، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، ج 1، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الجليل، 1981م، ص 27.

مَدْحًا وَمِدْحَةً⁽¹⁾. أما المدح في الأدب؛ فَهُوَ فَنٌّ من فنون الشعر الغنائِيّ يقوم على عاطفة الإعجاب، ويعبّر عن شعور - تجاه فرد من الأفراد، أو جماعة أو هيئة - مَلَكَ على الشاعر إحساسه، وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه⁽²⁾. فإنّ المديح فن أدبي طغى على جميع الفنون العربية الثرية والشعرية قديماً، إنّه نزعة داخلية تنشأ مع الإنسان بالفطرة وتنساب في دمه جاريةً بعروقه فتخفق مع كلّ نبضة من نبضات قلبه وروحه⁽³⁾.

تعوّد العرب منذ العصر الجاهلي أن ينوّها في أشعارهم بأشرافهم وذوي النباهة منهم ويتحدثوا عن خصالهم النبيلة من الكرم والشجاعة والحلم والوفاء وحماية الجار، وكان لا يُعدُّ السيد فيهم كاملاً إلا إذا تغنى بنبأته ومناقبه غير شاعر، ومضوا على هذه السنّة في الإسلام، فكل سيد فيهم وكل ذي مكانة يودّ لو يحظى بشاعر يُشيدُ به، حتى يسير الركبان بذكره⁽⁴⁾.

مع الإسلام طرأ تطور على شعر المديح لأنّ الفضائل التي كان الجاهلي يتغنى بها دخل عليها التعديل من وجهة النظر الإسلامية، وبما أنّ القيم الإسلامية جاءت لتحل مكان القيم الجاهلية فقد كانت بحاجة إلى من يعززها ويتغنى بها، فقام الشعراء بهذا الدور يمدحون الرسول ﷺ ويدافعون عن الإسلام⁽⁵⁾. فإذا أردنا أن نتكلم حول نشوء المديح النبوي في الشعر العربي يجب أن نقول بأنّه عندما بعث الرسول ﷺ اتجهت إليه أنظار العرب في الجزيرة العربية، وانقسموا اتجاه رسالته السماوية ما بين مؤيد لها ومؤمن بها، ومنتكر لها كافر بها، فالجاحد لهدي النبي الأمين هاجمه وأظهر الخوف على القيم الجاهلية التي تحفظ امتيازاته، والمصدق المؤمن توجه بالمدح إلى الرسول الكريم ﷺ. ومن هنا نشأ المدح النبوي، وافترق عن غيره من المدح لأنه مرتبط بذات النبي المصطفى والنبي ﷺ يختلف عن غيره من البشر⁽⁶⁾. وفي هذا السياق يرى الدكتور غازي شبيب بأنّه بتشجيع من

(1) محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج 2، بيروت، دار صادر، بلاتا، ص 589.

(2) إميل ناصيف، أروغ ما قيل في المديح، بيروت، دار الجيل، بلاتا، ص 9.

(3) غازي شبيب، فن المديح النبوي في العصر المملوكي، أشرف عليه وراجعه الدكتور ياسين الأيوبي، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1998م، ص 33.

(4) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي؛ العصر الإسلامي، الطبعة السابعة، القاهرة، دار المعارف، بلاتا، ص 215.

(5) سراج الدين محمد، المديح في الشعر العربي، بيروت، دار الراتب الجامعية، بلاتا، ص 18.

(6) محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1996م، ص 48.

الرسول ﷺ هبَّ شعراء المسلمين يُبَيِّنون الفضائل ويدافعون عن العقيدة وراية الدين، وعن صاحب الرسالة، ويقارنون وضع العرب قبل الإسلام وما هم عليه من جاهلية عمياء وفتنة جهلاء، وما ألوا إليه بعد الإسلام وفضله، إذ أصبحوا بنعمته إخواناً. كان طبيعياً أن يتعرض شعراء الإسلام لشخصية الرسول مادحين ومثنيين بوصفه حاملاً لواء الدين صابراً على أذى المشركين⁽¹⁾.

فإنَّ الشاعر عادةً في مدحه للنبي الأكرم ﷺ يأتي بأبياتٍ من النسب النبوي في مقدمة القصيدة ومن ثم يذكر نماذج شتى في مجال مدح صفات النبي ﷺ الخُلُقِيَّة وصورته الخُلُقِيَّة الجسمية، ومنها تحدث الشاعر عن مولد رسول الله ﷺ، فضائله، معجزاته المادية والمعنوية، الإشادة بجهاده وغزواته، ومنزلته بين الأنبياء وسائر الخلق، ومن ثم يذكر الشاعر ذنوبه التي اغترفها طوال حياته، ويطلب من الله أن يغفر له ذنوبه متوسلاً بالنبي الأكرم ﷺ. كما يقول الشاعر ابن حجة الحموي بأنَّ الغزل الذي يصدر به المديح النبوي، يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب، ويتضائل ويتشبه مطرباً بذكر سلع ورامه وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع وأكناف حاجر، وي طرح ذكر محاسن المرد، والتغزل في ثقل الردف، ورقة الخصر، وبياض الساق، وحُمره الخد، وخضرة العذار، وما أشبه ذلك⁽²⁾.

اهتم الشعراء بالمديح في مختلف العصور الأدبية وذلك لما له من مكانة مرموقة في الساحة الأدبية، ولذا يكاد لا يوجد شاعر لم ينظم في المديح، ومما يسترعي الإنتباه هو أنَّ عامة الناس على مرِّ العصور اهتموا أيضاً إلى هذا الفن الشعري اهتماماً ملحوظاً. يعتبر المديح أبرز الفنون الشعريَّة عند العرب على الإطلاق، رافق الشعر منذ نشأته الأولى كما يرافق الوتر العود. فعلى الرغم من التطوُّرات التي طرأت على العمليَّة الشعريَّة ومن التبديل الذي أصاب الشعر من حيث المفاهيم والمقاييس، فإنَّ المديح لم يغيب في يوم من الأيام عن مسرح الشُّعر، بل ظلَّ هو الأصل وسائر الفنون الشعريَّة هي الفرع⁽³⁾.

(1) شبيب، المصدر السابق، ص 38.

(2) عمر موسى باشا، تاريخ الأدب العربي؛ العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1989م، ص 652.

(3) ناصيف، المصدر السابق، ص 11.

قد نُظِمَت المدائح النبوية غالباً بعد وفاة رسول الإسلام ﷺ ويُدعى الشعر الذي قيل في ميّت «رثاء» ولكنه في الرسول ﷺ مديح. وفي استخدام المديح بدلَ الرثاء إشارة إلى أنّ النبي ﷺ كأنه موصول الحياة نظراً لأنّ شريعته حيّة. أو قد يقال إنّ شعر الرثاء لا يسمّى رثاءً إلا إذا قيل في أعقاب الموت. أمّا إذا قيل بعده بزمان طويل فهو مديح. ومن هنا يمكن أن نقول إنّ حسان بن ثابت رثى الرسول ﷺ وإنّ البوصيري مدّحه. والسبب في اختلاف التسمية أنّ الأول نَظَمَ قصائده بُعيد وفاة الرسول ﷺ وأنّ الثاني قالها بعد وفاة محمّد ﷺ بقرونٍ عدّة⁽¹⁾.

شب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلّؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حساباً وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال⁽²⁾.

اهتم الشعراء في صدر الإسلام بالصفات الخلقية أو المعنوية لشخصية الرسول الأكرم ﷺ اهتماماً ملحوظاً أكبر من اهتمامهم بجانب صورته الخلقية الجسمية، موكلين الاهتمام بهذا الجانب للسيرة النبوية الشريفة.

فمن أجمل وأشهر الآيات التي تحدثت حول صفات النبي ﷺ الخلقية الجسدية هي القصيدة التي قالها أبي طالب، والتي يقول في مطلعها:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ⁽³⁾

أشار أبي طالب بن عبد المطلب بكلمات جميلة وواضحة جليلة إلى صورة وجه النبي ﷺ المبارك مؤكداً على بياض بشرته.

وقال شاعر الرسول ﷺ - حسان بن ثابت - أيضاً بعباراته العذبة والسلسة وأسلوبه الرصين وديباجته المطبوعة في هذا الحقل:

(1) محمد زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، الطبعة الثانية، دمشق، مكتبة الشرق الجديد، 1997م، ص 18.

(2) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج 1، بيروت، دار الجبل، 1411هـ، ص 323.

(3) أبي طالب بن عبد المطلب، الديوان، جمعه وشرحه محمد التونسي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، 1994م، ص 67.

مُبَارَكٌ، كضياءِ البدرِ صُورَتُهُ مَاقَالَ كَانَ قَضَاءً غَيْرَ مَرْدُودٍ⁽¹⁾ ومما يجدر بالذكر أن شعراء العرب تحدثوا كثيراً عن الصفات الخُلُقِيَّة أو المعنوية لشخصية الرسول الأكرم ﷺ، فمن هذا المنطلق نشير إلى أحد جوانبها؛ ولتأخذ الشجاعة نموذجاً، فقال البوصيري في مطلع قصيدته وهو يمدح بسالة النبي ﷺ في إقدامه على الأعداء إذا حمي الوطيس:

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَ بَعَثَتْهُ كَنَبَاءٍ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ⁽²⁾
وَصَوَّرَ لَنَا الشَّاعِرُ مَالِكُ بْنُ النَّمَطِ هَذَا الْأَمْرَ بِصُورَةٍ أُخْرَى، قَائِلاً:

فَمَا حَمَكْتَ مِنْ نَائِقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ⁽³⁾
ومما يسترعى الانتباه هو ما تشتمل عليه كل هذه الأبيات من الرقة والإنسجام والألفاظ العذبة الخلاصة والعبارات السلسلة التي بعيدة عن الركافة، قريبة من أفهام الجميع.

3. نظرة عابرة على فنّ المديح النبوي في الأدب المملوكي

شهد العصر المملوكي نشوء وشيوع فن جديد في الشعر العربي سمي بـ «البديعيات» وهي قصائد طويلة في مدح النبي الأكرم ﷺ والغالب كل بيت من أبيات هذه القصيدة يشتمل على فن من الفنون البديعية كالتورية والجناس ومراعاة النظير والطباق وغيرها من الفنون. كما يقول الدكتور عمر فروخ في هذا المضممار بأنّ البديعيات عنوان يطلق على قصائد يأتي الشاعر في كل بيت من أبياتها بصناعة من الصناعات البلاغية وكثرت البديعيات في عصر المماليك كثرة ملحوظة وكانت البديعيات في هذا العصر غالباً في مدح النبي ﷺ وعلى رويّ الميم ووزن البسيط تقليداً لقصيدة البردة التي أنشدتها البوصيري⁽⁴⁾. إهتم الشعراء في عهد المماليك بالإكثار من المحسنات البديعية في شعرهم، والسبب في ذلك أن الموضوع الهام الذي كان يقصده الأديباء من أدبهم هو

(1) حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، راجعه وفهرسه يوسف محمد البقاعي، بيروت، دار الكتاب العربي، 2006م، ص 87.

(2) عمر موسى باشا، المصدر السابق، ص 642.

(3) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج 5، بيروت، دار الجيل، 1411هـ، ص 300.

(4) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 3، الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، 1989م، ص 773.

تسليط الضوء على الملوك والأمراء وانجازاتهم القيمة والمثيرة للإعجاب في مجال الجهاد وتحرير البلدان الإسلامية من دنس التتار والصليبيين الهمجيين فكان لزاماً أن يكون أدبهم مشحوناً بالصنع المزخرفة والمزركشة والسجع والزينة البديعية لما قدّم لهم السلاطين لهؤلاء الأدباء من دعم ورعاية وإغداق الماديات عليهم. ومن هذا المنطلق يَمّم الأدباء وجوههم شطر المحسنات البديعية واستعمالها بكثافة في شعرهم فدبجوا آثارهم الأدبية بألوان شتى المحسنات البديعية، حيث عني الأدباء عنايةً شديدةً في تنميقهم للشعر العربي. لذا كانت الصنعة البديعية وسيلة لتزيين الشعر وإغناء معانيه وشحنه بالإيحاءات والدلالات، فأضحت غاية عند كثير من الشعراء، ينظمون الشعر من أجلها، ويجعلونه حاملاً للبديع⁽¹⁾. ويقول أيضاً الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي في هذا المضمار بأنه كانت مدرسة البديع تؤثر الإغراق في المحسنات البديعية، وكان زعيمها هو القاضي الفاضل، ونشأت طبقة من تلاميذه عنوا بالبديع عناية فائقة، ومنهم: ابن سناء الملك وابن الفارض وابن النبيه قبيل عصر المماليك، ثم محيي الدين بن الظاهر وابن نباتة في العصر المملوكي. وكان إلى جانب هذه المدرسة مدرسة أخرى تعني بالمعنى قبل عنايتها بالتحسين البديعي، ومنها: السراج الوراق، ونصير الدين الحمامي وسواهما. وأعلام هذه المدرسة لم يسرفوا في البديع إسراف المدرسة الفاضلية⁽²⁾.

أن المديح النبوي قد اتسع ورسخ واتضح معالمه في العصر المملوكي، وأضحت له تقاليد وأصوله، وظهر الشعراء الذين اشتهروا به وأجادوه، فشغلت المدائح النبوية قدراً كبيراً من دواوين الشعراء، ثم استقلت بدواوين خاصة بها. إن السيورة التي رزقها فن المدائح النبوية، لم تنهت في العصر المملوكي لفن شعري آخر، فنكاد لا نجد شاعراً من هذا العصر لم تكن له مشاركة في هذا الفن الشعري، وبلغ من الانتشار والكثرة والاتساع حداً استعصى معه على الحصر، وأي نظرة على فهرس مخطوطات أية مكتبة تثبت ذلك، وتجعل المرء في عجب من مشاركة معظم الشعراء في هذا الفن⁽³⁾.

إن كثرة الحروب الصليبية والمغولية جعلت من أدب العصر المملوكي أدباً نضالياً قومياً،

(1) سالم محمد، المصدر السابق، ص 132.

(2) محمد عبد المنعم الخفاجي، الحياة الأدبية في مصر؛ العصر المملوكي والعثماني، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1984م، ص 23.

(3) سالم محمد، المصدر السابق، ص 18.

فتعنى الشعراء في هذا العصر بانتصارات قادة المسلمين على التتار والصليبيين الهمجيين، مما أدى إلى شيوع لون آخر من الشعر في عهد المماليك وهو الشعر الحماسي الذي كان يحث المقاتلين للمشاركة في ساحات الوغى لمواجهه الأعداء كما شاعت النزعة والعاطفة الدينية في أدب هذا العصر والتي تحمل بين طياتها طابعاً دينياً تدعو من خلالها الناس إلى مكافحة قادة الطغاة والهيمنة ونصرة المضطهدين. وفي هذا المضمار يقول محمود رزق سليم أن العصر كان تعصب إسلامي وغيره دينية واسعة بسبب حروب الصليبيين والتتار وطمعهم في أملاك المسلمين والقضاء عليهم وعلى دينهم، ومنها أن العصر كان عصر ظلم وإرهاق وإستبداد من الحكام، فلاذ الشعب ببث آلامه وبالتوسلات إلى الله سبحانه أن يكشف عنه الغمة، وأشرف ألوان التوسلات ذكر النبي الكريم والتشفع به إلى الله⁽¹⁾.

ومما هو جدير بالذكر أنه كان لقسم من الناس في المجتمع المملوكي نزعة إباحية بحيث إنغمسوا في الشهوات وشرب الخمر، وكان للقسم الآخر نزعة دينية فإنقطعوا إلى عبادة الله والتمسك والإستجداد بأهل بيت النبوة = لمواجهة هذه المحن والآلام وضنك العيش فكان لكل هذه النزعات والاتجاهات أثرها في الشعر المملوكي. فقد أدت هذه النزعة الإباحية إلى شيوع شعر المجون والخلاعة من الغزل المؤنث والمذكر والخمر والفكاهة كما أدت النزعة الدينية إلى نشوء الشعر الديني من المدائح النبوية والشعر الصوفي وشعر التوسل والإلتجاء⁽²⁾.

اتسعت المدائح النبوية في العصر المملوكي اتساعاً كبيراً، وانتشرت بين الأدباء والعلماء، يتنافسون في نظمها، ويذهبون بها كل مذهب، ويسارعون إلى إنشادها في المجالس الخاصة والمحافل العامة، وفي المناسبات الدينية المختلفة التي كثر في هذا العصر كثرة مفرطة⁽³⁾.

4. نظرة عابرة على حياة ابن مليك الحموي وشخصيته في شعره

علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن مليك الحموي ثم الدمشقي الفقاعي الحنفي الشاعر، وُلِدَ بحماة سنة أربعين وثمانمائة، وأخذ الأدب عن الفخر عثمان بن العيد

(1) محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه؛ في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، 1957م، ص 69.

(2) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، طهران، دار نشر طوس، 1387هـ.ش، ص 860.

(3) سالم محمد، المصدر السابق، ص 17.

التنوخي وغيره. وأخذ النحو والعروض عن بهاء الدين بن سالم⁽¹⁾. ثم انتقل إلى دمشق وهو في ريعان الشباب، وعمل أول أمره في بيع الفُقَّاع، لذا لقب بـ «الفُقَّاعي»، ولعل دراسته للأدب والنحو وغيرهما دفعته إلى ترك عمله في بيع الفُقَّاع، إذ لم يجد نفسه فيه⁽²⁾. وهكذا أخذ يمدح الأعلام في عصره، والملاحظ من النظر في شعره أنه كان على صلة ببعض ملوك عصره وسلاطينه، والأمراء المشهورين، ولكن صلته كانت في أغلب الأحيان موجّهة نحو الأعلام من القضاة والشيخ والنواب وأمناء السر وغيرهم، وهكذا أصبح الشعر سبيلاً للرزق، بعد أن هَجَرَ حرفته التي اعتمد عليها في مطلع حياته⁽³⁾. وصار يتردد إلى دروس الشيخ برهان الدين بن عون، وأخذ عنه فقه الحنفية، وصارت له فيه اليد الطولى، وشارك في اللغة والنحو والصرف، وكان له معرفة بكلام العرب⁽⁴⁾ فتفقه واشتغل بالأدب وبرع في الشعر⁽⁵⁾.

كما يقول الدكتور عمر موسى باشا في هذا السياق أنّ الشاعر كان يتميز بأنّه قد تثقف ثقافة أصيلة، ولذلك نجد كثيراً من المعاني مستمدة من المعاني القديمة الماثورة، ولا يعني هذا أنّه لم يبتكر ويجدد فيها، فالملاحظ أنّه كان يحاول أن يبرز هذه المعاني بما ينسجم والفنون البلاغية والبديعية التي كانت المعيار الذي يقوم به الشعراء في هذا العصر⁽⁶⁾. وقال نجم الدين الغزي بأنّه جَمَعَ لنفسه ديواناً في النحو خمس عشرة كراسة، وخمّس المنفرجة، ومدح النبي ﷺ بعدة قصائد⁽⁷⁾ وله «النفحات الادبية من الرياض الحموية - ط» ديوان شعره⁽⁸⁾. وكانت وفاته في شوال سنة سبعة عشرة وتسعمائة، ودفن بمقبرة باب الفراديس رحمه الله تعالى رحمةً واسعة⁽⁹⁾.

- (1) شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حَقَّقَهُ عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ج 10، الطبعة الأولى، دمشق، دار ابن كثير، 1993م، ص 115.
- (2) علي بن محمد بن علي ابن مليك الحموي، ديوان النفحات الادبية من الزهور الحموية، تقديم وتحقيق إسماء أحمد فوزي الهيب، بلاتا، ص 7.
- (3) باشا، المصدر السابق، ص 392.
- (4) محمد بن محمد الغزي نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، حَقَّقَهُ خليل المنصور، ج 1، بيروت، دار الكتب العلمية، بلاتا، ص 262.
- (5) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 5، الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، 2002م، ص 11.
- (6) باشا، المصدر السابق، ص 398.
- (7) الغزي نجم الدين، المصدر السابق، ص 262.
- (8) الزركلي، المصدر السابق، ص 11.
- (9) الغزي نجم الدين المصدر السابق، ص 264.

5. جوانب المديح النبوي في شعر ابن مليك الحموي

5-1. في التحدث عن الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج هي من أبرز وأهم الفضائل التي اختص الله عز وجل بها رسول الله ﷺ، إذ قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽¹⁾. تحدث الشاعر عن ليلة الإسراء ثم صَوَّرَ لنا في هذه الأبيات مكانة النبي ﷺ المرموقة والعظيمة عند الله عز وجل وما ناله رسول الله ﷺ من الفضائل والدرجات ليلة الإسراء والمعراج، معبراً عن عواطفه الملتهبة وأحاسيسه الجياشة تجاه الرسول الكريم ﷺ، وذلك لأن الله عز وجل كرمه بما يليق بمقامه السامي، وأشار أيضاً الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثالث إلى أن الله عز وجل أكرم النبي ﷺ بهاءٍ ورفعةٍ وعزةٍ لا تُقصد.

وَمَنْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ قَدْ أُسْرِيَ بِهِ وَظِلَامُ اللَّيْلِ مَنْسَدُلٌ
وَصَارَ يَعْرُجُ جَبْرِئِلُ الْأَمِينُ بِهِ إِلَى سَمَاءِ سَمَاءٍ ثُمَّ يَنْتَقِلُ
وَقَابَ قَوْسِينَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ دَنَا وَنَالَ مَا لَا إِلَيْهِ غَيْرُهُ يَصِلُ (2)

ومما يجدر ذكره أن البيت الثالث مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (3). ففي هذا البيت لم يغير ابن مليك الحموي سوى بعض الكلمات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشاعر في شطر من حياته الأدبية يقلد القدماء في أساليبهم.

وأنشد الشاعر مرةً أخرى في هذا المضمون، مشيراً إلى الفضائل المخدلة والمكارم التي حاز الرسول الأكرم ﷺ عليها في ليلة الإسراء والمعراج، فيذكر من هذه الفضائل معراجه من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى، وتعظيم جبرئيل له وترحب الملائكة بقدمه، قائلاً:

(1) الإسراء، آية 1.

(2) ابن مليك الحموي، المصدر السابق، ص 64.

(3) النجم، آية 8 - 10.

وَمَنْ مِثْلُهُ أُسْرِي إِلَى الْعَرْشِ رَاكِبًا وَكَانَ لَهُ جَبْرِيلُ بِالسَّيْرِ يَخْدُمُ⁽¹⁾

2.5. الرحمة

أشار الشاعر هنا إلى الرحمة النبوية، هذه الصفة الطيبة التي سايرته في جميع مراحل حياته الشريفة في تعامله مع الناس والتي شملت الجميع في هذا الكون، فكما نعلم بأن الرحمة هي الصورة الواضحة الجليلة في حياة الرسول الأكرم ﷺ المباركة، فهي من الصفات والشمائل التي برزت في شخصيته الكريمة على نطاق واسع، فكانت عاملاً أساسياً في التفات الناس حول النبي ﷺ وكان لها الدور الكبير والفعال في استمرار هذه الدعوة المحمدية وتفوقها على الأديان السماوية الأخرى لإحتواءها على جميع الفضائل إلا جاءت بها الرسالات السماوية المنصرمة. روافد هذه الرحمة كانت تتدفق ينابيعها من قلب النبي ﷺ الرقيق والمفعم بالحب والإخاء الذي أزال الضغينة والظلم الموجود في قلب الإنسان تجاه أخيه. وهذا هو ما أكد عليه الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾⁽²⁾.

وهو الذي رحمةً للعالمين أتى مبشراً وبه قد بشرَ الرُّسُلُ
وهو الذي جاء بالقرآن فاتسخت بحكم آياته الأديانُ والمملُ
وهو الرؤوفُ بنا البرُّ الرحيمُ وذو الـ مجدِ الذي بعلاه يُضربُ المثلُ⁽³⁾

3.5. في التحدث عن شوقه لزيارة النبي ﷺ

يعبّر الشاعر في هذه الأبيات عن مشاعره العارمة ونوازع حنينه وتشوقه إلى أرض الحجاز متمنياً زيارة قبر رسول الله ﷺ ومن ثم يتحدث الشاعر عن الأسباب التي شغلته عن القيام بزيارة قبر الرسول الأكرم ﷺ، مشيراً إلى أن هذا الإبتعاد كان قسرياً وذلك بسبب عدم مقدرته الجسدية وبالأخص المالية لإنجاز هذا الأمر واصفاً فقره وسوء حاله.

يا سيدَ الرسلِ سوءَ الحظِّ أحرني وعاقني المقعدانِ العجزُ والكسلُ
فليت شعري هل في العمرِ يؤذُنُ لي بزورةٍ قبل أن يغتالني الأجلُ

(1) يوسف بن اسماعيل النهاني، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ج 4، بيروت، دار الفكر، بلاتا، ص 146.

(2) آل عمران، آية 159.

(3) ابن مليك الحموي، المصدر السابق، ص 65.

فقبلها كان بالأهلين لي سُغِلُّ واليوم أصبحتُ لا أهلٌ ولا شغلٌ
وما مقامي بأرضٍ لا أنيسَ بها وليس لي ناقةٌ فيها ولا جملٌ⁽¹⁾

ومن الملاحظ أنَّ الأدباء بشكلٍ عام والشعراء بشكلٍ خاص فقدوا دعم أكثر السلاطين لهم في العصر المملوكي وذلك بسبب جهل معظم المماليك لمكانة وقيمة الأدب العربي وعدم تذوقهم للشعر ومن هذا المنطلق فإنهم لم يقدِّروا الشعراء كما هو حقُّهم. مما أدى إلى بطالة أكثر الأدباء عن العمل في المجتمع المملوك، فساهمت هذه المجريات في اضطراب جُلِّ الشعراء للإنصراف عن قول الشعر فإمتهنوا بمهن أخرى تساعدهم في كسب قوتهم حفظاً للرمق وستراً للحياة. من أبرز هؤلاء الشعراء الذين تحملوا مشقة ضنك وشظف العيش في هذا العصر هو أمير الشعراء، ابن نباتة المصري، ومن مظاهر شكوى الشاعر من بؤسه وسوء حالته المتردية، هو قوله:

لا عارَ في أدبي إن لم ينل رُتَبَا وإِنَّمَا العارُ في دهري وفي بلدي
هذا كلامي وذا حظِّي فيا عَجَبَا مِنِّي لِثَرَوَةٍ لَفْظٍ وافْتِقَارٍ يَدِ⁽²⁾
الشاعر من خلال إكثاره لإستعمال الياء المتكلم في هذين البيتين أراد أن يعبر عن مدى حزنه ومعاناته من الفقر الذي أثقل كاهله.

ومما يجدر بالذكر هو وصف الشاعر لحاله قبيل الموت متمنياً زيارة قبر الرسول الأكرم ﷺ، واختتمها واصفاً حاله قائلاً:

فليت شعري متى يوماً أراه وهل لي قبل موتي بذاك الترابِ تقبيلٌ
وأكحلُ العين من رِيَّا ثراه ولو ميلاً وما بيننا من بعدها ميلٌ⁽³⁾
و أشار إلى هذا الموضوع مرةً أخرى، قائلاً:

فيا سيدَ الرسل الكرامِ ومَن غدا عليه لواءُ الحمدِ بالنصرِ يُرَقِّمُ
متى ابنُ مليكٍ منك يُشفى بزورةٍ يزول بها عنه الشقاءُ وينعمُ⁽⁴⁾

(1) المصدر نفسه، ص 65.

(2) جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة المصري، الديوان، بيروت، دار احياء التراث العربي، بلاتا، ص 125.

(3) يوسف بن اسماعيل النهاني، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ج 3، بيروت، دار الفكر، بلاتا، ص 161.

(4) ابن مليك الحموي، المصدر السابق، ص 35.

مما يسترعي الإنتباه أن الشاعر يكثر من النداء الاستعطافي في قصائده وكان حريصاً لذكر اسمه في ختام هذه القصيدة من باب التأكيد في طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ، فوجه الشاعر كلامه إليه مباشرة دون التمهيد بذكر الحبيبة، مكتفياً بذكر شوقه لزيارة قبر النبي ﷺ.

4-5. في التحدث عن منزلة النبي ﷺ بين الأنبياء وسائر الخلق

اهتمَّ الشعراء في العصر المملوكي بذكر أبياتٍ في تفضيل النبي ﷺ على الأنبياء الآخرين، وخاصةً ابن مليك الحموي، فأشار الشاعر هنا إلى هذا جانب من الصفات النبوية، ويبيِّن من خلال مدحته النبوية أنَّ رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء وأنَّ رسالته هي خاتمة الرسالات السماوية مشيراً لما للنبي الكريم ﷺ من مكانة سامية ومروقة عند الله [تفوق منزلة سائر الأنبياء، كما وصفه الله سبحانه وتعالى بذلك في آيات بينات، وحجج نيرات، وبراهين ساطعات، ومنها قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (1).

خاتم الأنبياء والرسول حقاً من أتى بالهدى وأدى الرِّسالة
ناسخ بالكتاب أمي خطِّ ليس يحوي لوح الوجود مثاله
من سما قدره ونال مقاماً لم يكن غيره من الرسل ناله (2)

و كرَّر الشاعر ابن مليك الحموي تصوير الروائع من هذه الصفات النبوية في قصيدة أخرى، مظهراً حبّه وولعه بمدح النبي ﷺ، قائلاً:

نبيُّ له جَاهٌ عَظِيمٌ وَرَفَعَةٌ هُوَ الْفَاتِحُ الْمَبْعُوثُ وَالْخَاتَمُ الَّذِي هُوَ الْبَحْرُ إِلَّا أَنْ مَوْرَدُهُ حَلَا وَإِنْ يَكُ عَنْ مُوسَى وَعِيسَى زَمَانُهُ
فَقُلْ مَا تَشَافِي وَصْفِهِ فَهُوَ أَعْظَمُ بِهِ كَنْزُ أَسْرَارِ النَّبُوءَةِ يُخْتَمُ هُوَ الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي لَا يُقْسَمُ تَأَخَّرَ فَهُوَ السَّابِقُ الْمَتَقَدِّمُ (3)

وفي موضع آخر نجد الشاعر يُصوِّر لنا المميزات البارزة التي تميز بها رسول الله ﷺ عن باقي الأنبياء والمرسلين، قائلاً:

(1) الأحزاب، آية 40.

(2) ابن مليك الحموي، المصدر السابق، ص 57

(3) النهاني، المصدر السابق، ج 4، ص 145.

خَيْرُ النَّبِيِّينَ فِي فَضْلٍ وَفِي كَرَمٍ
 مِنْ قَدْ تَرَقَّى إِلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ إِلَى
 وَمَنْ لَهُ الْأَسَدُ ذَلَّتْ عِنْدَ مَبْعَثِهِ
 وَمَا سِوَاهُ فَمَرْجُوحٌ وَمَفْضُولٌ
 أَنْ نَالَ مَا نَالَ مِيكَالٌ وَجَبْرِيلُ
 وَقَبْلَ مَوْلِدِهِ قَدْ خَافَهُ الْفَيْلُ⁽¹⁾

5-5. في التحدث عن جهاده وشجاعته

إنَّ جهاد الرسول الأكرم ﷺ من أهم وأبرز الموضوعات التي عالجها شعراء المديح في عهد المماليك. وتعتبر الشجاعة والمهابة من الصفات الطيبة والحميدة التي كان رسول الله ﷺ يتحلى بها طوال حياته الشريفة، فاهتم الشعراء على مرِّ العصور بتمجيد هذه الصفة اهتماماً ملحوظاً. وفي هذا المشهد قد استلهم الشاعر من شجاعة الرسول الأعظم ﷺ صوراً رائعة خلابة مؤثرة صادقة بألفاظٍ رقيقة، ومن هذا المنطلق أشار ابن مَلِيك الحموي إلى أَنَّ النبي ﷺ صاحب القوة القاهرة والمثل الأعلى في الشجاعة، أخرج أمته من الظلام إلى النور وكان دائماً متأهباً لقهَر أعداء الإسلام لذلك وقف طوال حياته المباركة كالجبل أمام الأعداء في أصعب الأوقات وملاذاً يلجأ إليه الناس المسالمة والقوة القاهرة التي تقمع تطاول العدو وتزجر المتعدي في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل:

وحمى الدين بالسيوف المواضي
 ولأهل القلب أزرى ببدر
 وأتى الفتح آية النصر يتلو
 ومحا عصبه الهوى والضلاله
 ولكل مناهم أراه وبأله
 عندما عاينت قريش قتاله⁽²⁾

كما أنشد الشاعر مرةً أخرى بصدق في هذا الحقل مبيناً إقدام رسول الله ﷺ على أعداء الإسلام وصلابته في مواجهتهم، قائلاً:

إلى أن أتى بالسيف للشرك باتراً
 فأقبل صبح الدين والرشد مشرقاً
 وداعي الهنا بالبشر والنصر يقدم
 وأدبر ليل الكفر والغى مظلم⁽³⁾

(1) ابن مَلِيك الحموي، المصدر السابق، ص 67.

(2) المصدر نفسه، ص 57.

(3) النبهاني، المصدر السابق، ج 4، ص 146.

6-5. في التحدث عن معجزاته

كما نعلم بأن المعجزة هي أمر خارق للعادة، لإثبات وتصديق نبوة نبي من الأنبياء الله، لتؤكد صدق ادعائه وحقانية نبوته ورسالته السماوية، فلا يستطيع أي أحد من البشر حتى النوابع والعباقرة على المحييء بمثلها بدون الاستعانة بالقوة الإلهية لأنها من عند الله سبحانه وتعالى. كان هناك اقبال كبير من قبل شعراء المديح النبوي في العصر المملوكي على ذكر هذه المعجزات النبوية في ثنايا قصائدهم، واتسع هذا اللون من الشعر اتساعاً كبيراً وذلك بسبب كثرة الأحاديث حول معجزات النبي الكريم ﷺ والتأليف فيها، وقد عنى ابن مليك الحموي عناية كبيرة بذكر هذه المعجزات والكرامات في عدة مواضع في قصائده، من ذلك قوله:

وله البدرُ شُقَّ نصفين جهراً وكفى آيةً بها ودلاله
واحتشاماً لأجله الشمسُ رُدَّتْ بعدما أسبل الظلامُ حباله
والعصاُ أورقتْ بلمس يديه وزها عودُها ومدّ ظلاله
وكذا الماءُ فاضَ من إصبعيه وسقى الجيشَ عذبهُ وزلاله
وأنته الأشجارُ حين دعاها وسعت عاجلاً بغير إطاله⁽¹⁾

وأنشد الشاعر مرةً أخرى في هذا المضمار، قائلاً:

وشمسُ الضحى في الأفق رُدَّتْ لأجله وفي النصفِ إجلالاً له البدرُ يُقسَّمُ
ووحشُ الفيافي والغزاةُ سلَّمتَ عليه ومنه نورها يتقسَّمُ⁽²⁾

وإيكم مثلاً آخر منه في هذا الحقل:

هذا جرى الماءُ عذباً من أصابعه فما الفراتُ وما سيحونُ والنيلُ⁽³⁾

ومما يسترعي الإنتباه أن الشاعر اهتم بسررد الجوانب الهامة والبارزة من معجزات النبي الكريم ﷺ في هذه القصائد، منها: «معجزة انشقاق القمر»، «معجزة رد الشمس للإمام علي»، «معجزة إضاءة عصا النبي لبعض أصحابه»، «نوع الماء من بين أصابعه الشريفة وتكثير الماء حتى يشرب منه جميع الجيش ويتوضؤون»، «انقياد الشجر لرسول الله

(1) ابن مليك الحموي، المصدر السابق، ص 58.

(2) النبهاني، المصدر السابق، ج 4، ص 146.

(3) النبهاني، المصدر السابق، ج 3، ص 160.

فانتقلت من مكانها ثم رجعت»، «معجزة تأدب الحيوانات المفترسة مع النبي ﷺ وتكلمها معه» و«معجزة نطق الغزالة ووافؤها للرسول الأكرم ﷺ».

5-7. في التحدث عن كرمه وجوده

إنَّ السخاء والكرم من الأخلاق الكريمة والفضائل المحمودة عند العرب بشكل خاص والبشرية بشكل عام على مرِّ العصور. وقال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁽¹⁾. ومن هذا المنطق اهتم الشعراء من قبل مجيء الإسلام وحتى الآن بمدح هذه الشيمة الطيبة لما فيها من علو الهمم والإيثار. ولقد كان الكرم والجود وسخاء النفس من أبرز صفات رسول الله ﷺ طوال حياته المباركة، فكان النبي ﷺ يحثُّ الناس على هذه القيم النبيلة، منها النفقة والعتاء وذلك لما فيها من خيرٍ لهم. رسم الشاعر ابن مَلِيك الحموي صورة شامخة في البذل والكرم مادحاً الرسول الأكرم ﷺ، قائلاً بأنَّ النبي ﷺ لا يبخل على أحدٍ في عطائه وأنَّ الرسول ﷺ كان المثل الأعلى في الكرم والجود، مشيراً إلى أنَّ لسخاء النبي ﷺ مكانة سامية عند الناس وأن رحمته وسعت كلَّ البشرية، فالبحر الذي هو رمز للعتاء والبذل لا يستطيع حتى أن يكون قطرة أمام بحر جود النبي ﷺ الزاخر بالعتاء. قال الشاعر مشيداً بهذه الشيمة الطيبة التي امتاز بها الرسول الأكرم ﷺ:

وهو بنا رؤوفٌ رحيمٌ ومِن الجودِ أن يبرَّ عياله
لا تقسه بالبحرِ يومَ نوالٍ يعجزُ البحرُ أن يضاهي نواله
وإذا ما شكاه الفقرَ راجٍ قال لا فقرَ تختشي وأناله⁽²⁾

وقال أيضاً في قصيدةٍ أخرى:

إذا عُدَّ جودُ الأكرمينَ فقطرةً وجودُ أياديهِ مِنَ الغيثِ أسجَمٌ⁽³⁾

(1) آل عمران، آية 75.

(2) ابن مَلِيك الحموي، المصدر السابق، ص 58.

(3) النبهاني، المصدر السابق، ج 4، ص 146.

5-8. في التوسل به وطلب الشفاعة

اهتم الشعراء في العصر المملوكي اهتماماً كبيراً بهذه الميزة البارزة التي شَرَفَ اللهُ عز وجل بها الرسول الأكرم ﷺ. وفي هذا السياق يرى الدكتور محمود سالم محمد بأنه إلى جانب الحكم والمواعظ والتذكير بالموت وطلب التوبة، افتتح شعراء المديح النبوي بعض المدائح النبوية بالدعاء إلى الله تعالى، وطلب مغفرته، وكشف الكرب والغم، والتشفع برسول الله ﷺ، تمهيداً لمدحه (1).

و مما يسترعي الإنتباه في هذه الآيات أن ابن مَلِكِ الحموي بقلبه المملوء بالإيمان العميق بالله وبرسوله واليوم الآخر نجدهُ في سياق امتداحه للنبي ﷺ يرجو شفاعة رسول الله ﷺ بلهفة عالية وحرارة شديدة وذلك لأنه يشعر بأهمية الشفاعة وحاجته الماسة إليها حتى يخفف عن ظهره أعباء الذنوب والخطايا التي تثقل كاهله ويجد وسيلة للتخلص منها لكي يقف أمام ربِّه في يوم الدين وهو مطمئن إلى عظيم عفوه وغفرانه له. وكما نعلم بأن هذه الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، ومنها قوله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (2). فأشار الشاعر إلى هذه الفضيلة والمكرمة التي تستحق عليها الثناء أثناء مدحه للنبي الكريم ﷺ بصورة واضحة جلية، قائلاً:

واغفر ذنوبي وزلاتي التي عظمت وحمّلتني ما لا كنتُ أحتملُ
فإنَّ جودك يمحوها وإن كثرت لو أنَّ عنها يضيقُ السهلُ والجبلُ
وقد تشفعتُ بالمبعوثِ من مضرٍ فهو الشفاءُ الذي تُشفى به العللُ (3)

فأكّد ابن مَلِكِ الحموي على هذه القضية مرةً أخرى في قصيدةٍ أخرى لبيان أهمية الموضوع، قائلاً:

يا خاتمَ الرُّسلِ يا كهفَ الأنامِ ومَن عليه للأنبياء في الحشرِ تعويلُ
كُن لي إذا ما بيومِ العرضِ لي عُرضتُ جرائمي وغدا في موقفي طولُ
والمتمنُّ مني عظيمُ الذنبِ أثقله ممَّا جنيتُ وشرحي فيه تطويلُ

(1) سالم محمد، المصدر السابق، ص 329.

(2) البقرة: آية 255.

(3) ابن مليك الحموي، المصدر السابق، ص 63.

... منك الشفاعة أرجو في المعاد غداً في يومٍ لا نافعُ قالٌ ولا قيلٌ⁽¹⁾
وقوله أيضاً:

كُن شفيعي مما جنيْتُ قديماً زمنَ اللهورِ والصبأ والجهالة⁽²⁾
هذه إضمامة من أهم جوانب المديح النبوي في شعر ابن مَلِك الحموي، والشاعر
تحدث فيها عن مدى تأثيراته بحبِّ رسول الله ﷺ مشيراً إلى جهاده وغزواته، ومعجزاته،
وفضائله وشمائله المثلى وسيرته الحميدة، وأشاد الشاعر أيضاً بمكانة النبي ﷺ العظيمة
بين الرُّسل وسائر الخلق راجياً شفاعته بالثناء عليه ﷺ.

(1) النبهاني، المصدر السابق، ج 3، ص 161.
(2) ابن مَلِك الحموي، المصدر السابق، ص 58.

الخاتمة

الخصائص التي إتضحَت من خلال دراستنا على ما تقدّم للمديح النبوي في شعر ابن مَلِيك الحموي هي كالتالي:

1. إذا عرضنا مفردات قصيدة الشاعر على المعجم لا يمكن لنا أن نجد حتى ولو خطأً واحداً وهذا إذا دل على شيء فإنه يدل على أنه كان شاعراً مجيداً باللغة العربية الفصحى غاية الإجابة بحيث أنه يتعاطى مع الألفاظ ببراعة مما يزيد إعجاب ذواق الشعر العربي الفصيح بذلك.
2. من خلال قراءة لقصائد ابن مَلِيك الحموي حول المديح النبوي تبين لنا أنه أحاط بهذا الموضوع من جميع جوانبه وزواياه المختلفة وذلك يدل على إطلاعه تاريخياً وعلمياً على ما كُتِبَ في فضائل ومناقب رسول الله ﷺ وما نتج عنها من قضايا.
3. تأثر الشاعر في مدائحه النبوية تأثراً ملحوظاً، فكان أسلوبه في قصائده النبوية أسلوباً مألوفاً عند جميع الشعراء في العصر المملوكي.
4. ومما يجدر بالذكر أن ابن مَلِيك الحموي في إنشاده للمدائح النبوية كان متأثراً بالقرآن الكريم، وقد أجاد في استخدامه للأسلوب القرآني في شعره.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. صابري، علي (1384هـ.ش)، النقد الأدبي وتطوره في الأدب العربي، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر سمت.
3. شبيب، غازي (1998م)، فن المديح النبوي في العصر المملوكي، أشرف عليه وراجعهُ الدكتور ياسين الأيوبي، الطبعة الأولى، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
4. الهيثمي، الحافظ نور الدين (2001م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق محمد عبدالقاهر أحمد عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
5. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (1981م)، العُمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عليه محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الجيل.
6. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (بلاتا)، لسانُ العرب، بيروت: دار صادر.
7. ناصيف، إميل (بلاتا)، أروغُ ما قيل في المديح، بيروت: دار الجيل.
8. ضيف، شوقي (بلاتا)، تاريخ الأدب العربي؛ العصر الإسلامي، الطبعة السابعة، القاهرة: دار المعارف.
9. محمد، سراج الدين (بلاتا)، المديح في الشعر العربي، بيروت: دار الراتب الجامعية.
10. سالم محمد، محمود (1996م)، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر.
11. باشا، عمر موسى (1989م)، تاريخ الأدب العربي؛ العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر.
12. زكي مبارك، محمد (1997م)، المدائح النبوية في الأدب العربي، الطبعة الثانية، دمشق: مكتبة الشرق الجديد.

13. الحميري المعافري، عبد الملك بن هشام بن أيوب (1411هـ)، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل.
14. ابن عبد المطلب، أبي طالب (1994م)، الديوان، جمعه وشرحه محمد التونجي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي.
15. ابن ثابت، حسان (2006م)، الديوان، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، راجعُه وفهرسُه يوسف محمد البقاعي، بيروت: دار الكتاب العربي.
16. فروخ، عمر (1989م)، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين.
17. الخفاجي، محمد عبد المنعم (1984م)، الحياة الأدبية في مصر؛ العصر المملوكي والعثماني، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
18. رزق سليم، محمود (1957م)، الأدب العربي وتاريخه؛ في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، بيروت: دار الكتاب العربي.
19. الفاخوري، حنا (1387هـ.ش)، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الخامسة، طهران: دار نشر طوس.
20. الزركلي، خير الدين (2002م)، الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين.
21. ابن مليك الحموي، علي بن محمد بن علي (بلاتا)، ديوان النفحات الادبية من الزهور الحموية، تقديم وتحقيق إسراء أحمد فوزي الهيب.
22. ابن العماد العكري، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي (1993م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حَقَّقَهُ عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثير.
23. الغزي نجم الدين، محمد بن محمد (بلاتا)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، حَقَّقَهُ خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية.
24. ابن نُبَّاتَة المصريّ، جمال الدين محمد بن محمد بن محمد (بلاتا)، الديوان، بيروت: دار احياء التراث العربي.
25. النبهاني، يوسف بن اسماعيل (بلاتا)، المجموعة النبهاية في المدائح النبوية، بيروت: دار الفكر.

النشاط الدبلوماسي العراقي في السودان

1956 - 1963

دراسة تاريخية

الكلمات المفتاحية (النشاط، العراقي، السودان)

م. قاسم خليف عمار	أ.م. حسين علي مهدي
كلية التربية	كلية التربية الأساسية
الجامعة المستنصرية	الجامعة المستنصرية

Iraqi diplomatic activity in Sudan

1956 - 1963

Historical Study

key words (Activity, Iraqi, Sudan)

M. Dr. a. M. Qassem Khalif Ammar	Hussein Ali Mahdi
Faculty of Education	Faculty of Basic Education
Mustansiriya University	Mustansiriya University

المستخلص

يعد النشاط الدبلوماسي للبلدان احد اهم اوجه النشاط السياسي وانعكاساً لواقعه السياسي، فضلا عن توجهات النظام السياسي لذلك البلد، هذا بالاضافة الى ان استقرار الدول ينعكس على حسن تنظيم وثبات بعثاتها الدبلوماسية التي تضم على راس قائمتها السفراء، كما ان النشاط الدبلوماسي العراقي خلال الفترة المحصورة بين عامي (1956-1958) اتسم بالجدية والحكمة السياسية وسعى السفراء جاهدين الى تثبيت مبدأ ان العراق بلد محوري واساسي في صنع القضايا العربية ورسم ملامحها على وفق ما يخدم مصالح البلدان العربية، اما خلال فترة الحكم الجمهوري الاول كان يوصف بالمرحلة الذهبية وذلك نظرا لما قدمه السفراء العراقيون من جهد واضح على الصعيد الخارجي ولا سيما في السودان التي واجهت حينها الدبلوماسية العراقية المد الناصري المعادي للحكومة وتوجهات الزعيم عبد الكريم قاسم فضلا عن الاوضاع السياسية غير المستقرة في السودان.

Abstract

The diplomatic activity one of the most important countries aspects of political activity and a reflection of political reality, as well as the political system approaches to that country, in addition to the stability of States reflected on the well-organized and the stability of its diplomatic missions, which includes the top of its list of ambassadors, and the diplomatic activity of Iraq during the period confined between Ami (1956-1958) was marked by seriousness and political statesmanship and sought ambassadors strive to install the principle that Iraq is a central and essential in making the country the Arab issues and drawing on her features according to what serves the interests of the Arab countries. But during the period of Republican rule first it was described as the golden phase, due

for his Iraqi ambassadors of a clear effort on the external level, particularly in Sudan, which faced the then Iraqi diplomatic tide of Nazareth anti-government tendencies leader Abdul Karim Kassem, as well as the unstable political situation in Sudan.

المقدمة

يعد النشاط الدبلوماسي للبلدان احد اهم اوجه النشاط السياسي وانعكاساً لواقعه السياسي، فضلا عن توجهات انظمة الحكم لتلك البلدان، هذا بالاضافة الى ان استقرار الدول ينعكس على حسن تنظيم وثبات بعثاتها الدبلوماسية التي تضم على راس قائمتها السفراء الذين يجب أن يكونوا من ذوي الكفاءة والقدرة العاليتين، ذلك لان توفر مثل هذا الكادر يجعل من الدولة قوة سياسية ذات شأن كبير بين الدول.

ومن هذا المنطلق تم تسليط الضوء على النشاط الدبلوماسي العراقي في السودان منذ افتتاح أول سفارة للعراق هناك بعد حصوله على الاستقلال عام 1956. ووصولاً نهاية العهد الجمهوري الأول في 8 شباط 1963

إذ أدت البعثة الدبلوماسية العراقية دوراً كبيراً في تقريب وجهات النظر بين العراق والسودان ونجحت في مسك العصي من المنتصف لاسيما بعد حدوث القطيعة بين بغداد والقاهرة بسبب حلف بغداد. فلم تثنى التصريحات السياسية والإعلامية المصرية من عزيمة الدبلوماسية العراقية بل بالعكس زادت قوة وحماسة. واستطاعت تذليل العقبات التي واجهت العمل الدبلوماسي حتى وصلت إلى بر الأمان. وكذلك الحال بالنسبة لفترة حكم الزعيم عبد الكريم قاسم، إذ أسهمت البعثات الدبلوماسية دوراً هاماً على صعيد توثيق العلاقات بين العراق والسودان بالرغم من سائر التحديات السياسية وأهمها المد الناصري المعادي لتوجهات حكومة العراق خلال تلك الفترة .

اعتمدت الدراسة بالدرجة الأساس على بعض الوثائق العراقية المحفوظة في دار الكتب والوثائق في بغداد وبعض الكراسات الدبلوماسية الموجودة في مكتبة معهد الخدمة الخارجية التابع لوزارة الخارجية العراقية، التي نظم بين طياتها (نتائف) من معلومات قيمة أفادتنا كثيراً في معرفة الظروف والملابسات التي واجهت البعثة الدبلوماسية العراقية في الخرطوم.

وعلى وفق طبيعة الموضوع ومعطيات المصادر التاريخية التي توافرت تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين عني المبحث الأول بدراسة النشاط الدبلوماسي العراقي منذ عام 1956 وهو تاريخ افتتاح أول سفارة عراقية في الخرطوم حتى الرابع عشر من تموز عام 1958، في حين اهتمت الدراسة في المبحث الثاني على النشاط الدبلوماسي منذ عام 1958 وحتى انقلاب 8 شباط عام 1963، إذ حدثت تغيرات كبيرة على مستوى التمثيل الدبلوماسي العراقي.

والله ولي التوفيق

المبحث الاول

النشاط الدبلوماسي العراقي في السودان 1956 14 تموز 1958

أعلنت الحكومة العراقية في أكثر من مناسبة الدفاع عن أهداف الشعب والأمة العربية، وان سياسة العراق الخارجية تدعم التوجهات التحررية للدول العربية⁽¹⁾. ففي خطاب العرش الذي ألقاه الملك فيصل الثاني⁽²⁾. في الأول من كانون الأول 1954 أوضح فيه أن سياسة العراق الخارجية تقوم على «حفظ السلم وسلامة العراق وبناء علاقاته السياسية على قواعد لا تتعارض مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة وتنسجم مع ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الضمان الجماعي وتوثيق الأواصر مع الدول العربية والمجاورة والمحبة للسلام»⁽³⁾.

كما أكد في خطاب آخر أن الحكومة العراقية متمسكة بميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية وأنها بذلت جهودها بمختلف السبل الودية لتوحيد الصف العربي واتجاهاته في السياسة الخارجية»⁽⁴⁾.

اذ تبنى العراق سياسة خارجية واضحة الأهداف منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921، تتلخص في المبادئ التي تدعم استقلال العراق والعمل في سبيل تحرير البلاد العربية وتوحيدها وإقامة العلاقات الطبيعية مع الجيران⁽⁵⁾.

ومن هذا المنطلق أدت الدبلوماسية العراقية دوراً متميزاً في تطبيق تلك المبادئ، وكانت حجر الزاوية في علاقات العراق الخارجية وجسدت أفضل تجسيد صنع السياسة الخارجية العراقية مع بلدان العالم عموماً والدول العربية على وجه الخصوص، ومن تلك الدول السودان الذي حصل على استقلاله في الأول من كانون الثاني 1956⁽⁶⁾. بعد حكم ثنائي بريطاني مصري دام 57 عاماً⁽⁷⁾.

لقد كان استقلال السودان نبأ ساراً أبتهج به العراقيون، وسلطت الصحافة العراقية

الضوء على ذلك الخبر المفرح للشعب العراقي والعربي⁽⁸⁾. ثم انتقلت الإخبار إلى مجلس النواب العراقي إثناء انعقاد المجلس صباح يوم الخميس 5 كانون الثاني 1956⁽⁹⁾. فاقترح مجلس النواب إرسال برقية تهنئة للمجلس النيابي السوداني باسم أعضاء مجلس النواب العراقي بمناسبة إعلان استقلال السودان فوافق المجلس على هذا المقترح⁽¹⁰⁾. وخلال الجلسة وجه عضو لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب النائب عن ديالى، محمد فخري جميل⁽¹¹⁾ السؤال التالي إلى وزير الخارجية برهان الدين باش أعيان⁽¹²⁾، «سيادة الوزير بعد أن استكمل السودان عناصر سلطاته وسيادته واعترف العراق بكيانه الدولي، فهلا تنوي وزارة الخارجية إقامة علاقات سياسية وتبادل دبلوماسي مع السودان تماشياً مع سياسة العراق التقليدية بهذا الشأن»⁽¹³⁾. فأجاب وزير الخارجية «نأمل ذلك أن شاء الله، والعراق عازم على اتخاذ خطوات جدية لتعزيز التبادل الدبلوماسي مع السودان»⁽¹⁴⁾.

وفعلاً تم ذلك في 19 كانون الثاني 1956، حيث أرسلت وزارة الخارجية العراقية بعثة خاصة إلى الخرطوم لإجراء محادثات حول إقامة علاقات دبلوماسية بين العراق والسودان، وترأس هذه البعثة أحد كبار موظفي وزارة الخارجية⁽¹⁵⁾.

وفي 29 كانون الثاني من العام نفسه، قرر مجلس الوزراء العراقي الموافقة على فتح المفاوضات الملكية العراقية في السودان، اذ رصدت وزارة الخارجية في ميزانيتها المبالغ اللازمة لإنشاء مفوضية العراق في الخرطوم⁽¹⁶⁾. وقد سبق أن تم الاتفاق بين وزارتي الخارجية العراقية والسودانية على أن يكون التمثيل الدبلوماسي بينهما بدرجة سفارة، وذلك استجابة لطلب الحكومة العراقية بهذا الشأن⁽¹⁷⁾.

وإثناء انعقاد جلسة مجلس النواب العراقي في 3 آذار 1956، أجاب وزير الخارجية عن أسئلة بعض النواب حول إقامة علاقات دبلوماسية مع السودان قال: «سبق للحكومة العراقية ووزارة الخارجية أن عينت سفير العراق في القاهرة»⁽¹⁸⁾، سفيراً في السودان مؤقتاً إضافة لوظيفته الأصلية في القاهرة، ونأمل أن يتم قريباً تعيين سفير دائم وقائم بالإعمال⁽¹⁹⁾. كما وطلب النواب أن يتحقق وعد وزير الخارجية ويكون تمثيل العراق في السودان مستقلاً بالنظر للأهمية التي يعلقها العراق على هذا البلد⁽²⁰⁾.

وفي ضوء ذلك، صدرت الإرادة الملكية في 29/ تموز عام 1956 بتعيين ياسين

العمر⁽²¹⁾ المشاور القانوني في السفارة العراقية في بيروت قائماً للأعمال، ليتولى فتح السفارة العراقية في السودان والقيام بإعمالها⁽²²⁾.

وقبيل سفره اجتمع العمر مع نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي ووزير الخارجية، وقد تحدث نوري السعيد عن العلاقات بين العراق والسودان قائلاً «كانت حكومتنا قد أنشأت منذ فترة علاقات دبلوماسية مع السودان تماشياً مع سياسة العراق الخارجية في دعم الأواصر الأخوية مع بقية العالم العربي وعينت الحكومة سعادة نجيب الراوي سفيرنا في مصر، سفيراً في الخرطوم بالإضافة إلى منصبه، وكان الراوي من العناصر الفعالة التي عملت على تعزيز الأواصر الأخوية وكان وجوده في القاهرة خير وسيلة لتوثيق الصلات بين بغداد والقاهرة ومع أن علاقتنا بالسودان كانت إلى حدٍ ما محدودة وخاصة في الميادين الاقتصادية، ألا أن السياسة المرسومة تقوم على التوسيع في جميع المجالات وسيكون في وسع العراق إنماء حركة التبادل التجاري إلى جانب الصلات السياسية والثقافية»⁽²³⁾.

بالمقابل رحبت الحكومة السودانية بقرار الحكومة العراقية القاضي بتعيين ياسين العمر قائماً لإعمال السفارة العراقية في الخرطوم وقدمت له التسهيلات كافة وذلكت العقبات لفتح سفارة العراق في الخرطوم وكخطوة مماثلة لتوطيد العلاقات الدبلوماسية وافق مجلس الوزراء السوداني بجلسته المنعقدة في 27 تموز 1956 على إنشاء سفارة للسودان تشرف على علاقات السودان مع البلاد العربية كسوريا ولبنان والأردن ويكون مقرها في بغداد، إذ رشحت وزارة الخارجية السودانية جمال محمد احمد ليكون سفيراً لها في العراق إضافة إلى مهامه في البلدان العربية الأخرى⁽²⁴⁾.

واجهت الدبلوماسية العراقية في السودان عدة عقبات، كان من أهمها ما نشرته بعض الصحف السودانية من إنباء عن نية رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد زيارة السودان، لكن السفارة العراقية نفت بشدة هذا الخبر وأكدت عدم وجود ما يستدعي هذا السفر أو تحديد موعده، لكن ما أثار الرأي العام العراقي تصريحات الرئيس المصري جمال عبد الناصر بجريدة الأهرام المصرية التي قال فيها ما نصه « ان مصر ترفض بشدة أي تدخل في شؤون السودان أو إدخالها طرفاً في خلافاتنا مع بعض الدول العربية»⁽²⁵⁾.

وعلى ما يبدو، إن القيادة السياسية في مصر عدت خطوات الحكومة العراقية في مجال التمثيل الدبلوماسي بين العراق والسودان خطوة من نوري السعيد لكسب السودان إلى

جانبه، لاسيما بعد الحملات الدعائية المضادة بين بغداد والقاهرة التي نشبت بسبب حلف بغداد، هذا فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي في السودان المستقل حديثاً الذي عصفت به خلافات الأحزاب السياسية التي كانت تطمح للوصول للسلطة مما دفع إلى إجراء انتخابات مبكرة، فاز بها عبد الله خليل⁽²⁶⁾. مرشح حزب الأمة⁽²⁷⁾. بـ (60) صوتاً متقدماً على باقي الأحزاب التي شاركت بالانتخابات كحزب الشعب الجمهوري وحزب الأحرار الجنوبي والحزب الشيوعي السوداني⁽²⁸⁾.

كان تأليف عبد الله خليل لوزارته في 7 تموز 1956 بمثابة منعطف جديد في الدبلوماسية العراقية في السودان كونها تدرك أن رئيس الوزارة عبد الله خليل هو من حزب الأمة المعروف بعلاقاته الحميمة مع بريطانيا ويتمتع بعلاقات حسنة مع الوصي ونوري السعيد منذ فترة طويلة، لذلك كان على وزارة الخارجية أن ترفع درجة التمثيل الدبلوماسي وتغير الكادر القديم للسفارة، فعهد إلى الدبلوماسي هاشم خليل⁽²⁹⁾ إدارة شؤون السفارة ورفقي إلى درجة وزير مفوض، وكلف بالعمل على تعزيز العلاقات بين الجانبين من جهة والحد من تأثير الحكومة المصرية عبر اذاعة (صوت العرب) التي تهاجم العراق وقياداته ليل نهار من خلال كسب الأحزاب السودانية وبعض الشخصيات المؤثرة في المجتمع لصالح العراق من جهة أخرى، لذلك ابرقت وزارة الخارجية العراقية الى سفارتها في الخرطوم، ان توجه دعوة رسمية بأسم رئيس الوزراء العراقي الى رئيس وزراء السودان لزيارة العراق وقد قابل هاشم خليل الوزير المفوض عبد الله خليل في القصر الجمهوري وسلمه الدعوة، حيث فهم السفير العراقي من رئيس الوزراء السوداني ان زيارته لبغداد ستتم في طريق عودته من المملكة العربية السعودية والكويت «وانه يأمل ان تكون حوالي 18 اذار 1957»⁽³⁰⁾. اذ شكر عبد الله خليل السفير العراقي ورحب ترحيباً شديداً بهذه الدعوة⁽³¹⁾.

في السياق ذاته، صرح عبد الله خليل لبعض الصحف المصرية بأنه وافق على الدعوة الموجهة اليه من الحكومة العراقية لزيارة بغداد ولقاء نوري السعيد والمسؤولين العراقيين، واكد ان الغرض من هذه الزيارة هو العمل على تعزيز الصلات بين البلدين الشقيقين العراق والسودان⁽³²⁾.

في حين ان اغلب الدوائر الصحفية ذهبت إلى إن المشروع وضع أسس لمعاهدة اخوة وصداقة بين العراق والسودان ستكون مدار بحث خلال زيارة عبد الله خليل الى العراق

ويتنظر ان تضع هذه المعاهدة اسساً لمعاهدة التعاون المتبادل وتوحيد الجهود من اجل مكافحة الصهيونية والشيوعية⁽³³⁾.

كانت وزارة الخارجية العراقية تخشى من ان تؤدي الضغوطات المصرية على رئيس الوزراء السوداني الى الغاء زيارته لبغداد، لذلك حثت سفيرها في الخرطوم لزيارة السيد عبد الرحمن المهدي⁽³⁴⁾ زعيم حزب الامة الذي ينتمي اليه عبد الله خليل، وتمت الزيارة بالفعل في 15 تشرين الاول 1956 في دار السيد المهدي الذي استوضح «عن صحة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وحضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم»⁽³⁵⁾. وفي ذلك اللقاء وعد السفير العراقي بتقديم كل مساعدة ممكنة يحتاجها السودان، «ونقل تحيات صاحب الجلالة وولي العهد وفخامة نوري باشا السعيد الى السيد عبد الرحمن المهدي»⁽³⁶⁾. كما وحضر السفير العراقي احتفالية افتتاح (الجمعية الخيرية للاوقاف الاسلامية)، في العاصمة الخرطوم⁽³⁷⁾.

لكن يبقى النشاط الابرز للدبلوماسية العراقية هي الوساطة التي قامت بها السفارة العراقية في الخرطوم، اذ توسط السفير العراقي بين عبد الله خليل رئيس الوزراء والسيد اسماعيل الازهري⁽³⁸⁾ رئيس الوزراء السابق، عندما نشبت خلافات بين الطرفين عقب الانتخابات التي فاز بها عبد الله خليل، اذ تمكن السفير العراقي من جمع الطرفين في داره واصلح بينهما⁽³⁹⁾.

وفي شباط 1957، عقد السفير العراقي مؤتمراً صحفياً في مقر السفارة العراقية اوضح فيه عن عمق العلاقات الاخوية بين بغداد والخرطوم كما اوضح لبعض الصحف ان زيارة مرتقبة لرئيس الوزراء السوداني الى بغداد ستتم في اذار من العام نفسه، ومن المؤمل عقد اتفاقية صداقة وتجارة ستعقد في بغداد مع المسؤولين هناك⁽⁴⁰⁾.

وبحكم ذلك يمكن القول بان النشاط الدبلوماسي العراقي خلال تلك الفترة اتسم بالجدية والحكمة السياسية وسعى السفراء جاهدين الى تثبيت مبدأ ان العراق بلد محوري واساسي في صنع القضايا العربية ورسم ملامحها على وفق ما يخدم مصالح البلدان العربية، وانه جزء مهم وصانع لقرارات السلام ونيل الاستقلال لسائر البلدان التي كانت تحت هيمنة الاستعمار واتضح جليا في نشاط دبلوماسيتها في السودان خلال الفترة ما بين عامي 1956 وحتى انهيار النظام الملكي في 14 تموز 1958.

المبحث الثاني

النشاط الدبلوماسي العراقي في السودان

خلال المده 14 تموز 1958 8 شباط 1963

واجهت الدبلوماسية العراقية تحدياً جديداً عقب ثورة 14 تموز 1958 حيث كان لزاماً عليها الحصول على اعتراف الدول العربية بالثورة والحكم الجديد، وكانت البعثة العراقية في الخرطوم سبّاقة في هذا المجال، حيث نجحت البعثة في اقناع الحكومة السودانية بالاعتراف رسمياً بالجمهورية العراقية، فبعد اسبوع واحد اعترفت جمهورية السودان رسمياً بالجمهورية العراقية في 21 تموز 1958، اعربت وزارة الخارجية السودانية «عن املها بان يتم توثيق علاقات المودة والاخاء بين البلدين الشقيقين»⁽⁴¹⁾.

كما اثمرت الجهود الدبلوماسية من اقناع الحكومة السودانية بارسال سفيراً لها في بغداد، وهذا ما اكدته البرقية التي بعثت بها السفارة العراقية في الخرطوم الى وزارة الخارجية العراقية التي جاء فيها « ان الحكومة السودانية رشحت السيد خليفة عباس العبيد⁽⁴²⁾ ليكون سفيراً لها في بغداد، نرجو التفضل بعرض ذلك على سيادة رئيس مجلس السيادة واعلامنا بما يتقرر، علماً ان سفارتنا قد ابانت ان الموما اليه هو الان سفير السودان في الحبشة، وقد شغل من قبل منصب نائب الوكيل الاقدم لوزارة الخارجية السودانية وهو اديب وشاعر معروف»⁽⁴³⁾.

كما وقدمت السفارة العراقية في الخرطوم التسهيلات لسفر وفدين سودانيين الى بغداد لتقديم التهاني للشعب العراقي، الوفد الاول كان رسمياً برئاسة اسماعيل الازهري والثاني شعبي⁽⁴⁴⁾.

كانت السفارة العراقية في الخرطوم تراقب الاوضاع العامة في السودان عن كثب، فقد جاء في التقرير السياسي الذي تعده السفارة وترسله الى وزارة الخارجية ان الاوضاع

العامه هنا غير مطمئنة، والتذمر من سياسات رئيس الوزراء عبد الله خليل وحزب الامة قد وصلت الى درجة لا تطاق، وان هناك تحركات داخل الجيش السوداني تنذر بخطر شديد»⁽⁴⁵⁾.

واضاف التقرير « أن اغلب القوى السياسية بدأت تدعو الى اجراء انتخابات مبكرة ويقود هذا الاتجاه اسماعيل الازهري بوحي من القيادة السياسية في مصر التي ترى ان مجيء الازهري للسلطة خير من بقاء عبد الله خليل فيها»⁽⁴⁶⁾.

وبالفعل حدث ما توقعته السفارة العراقية، ففي الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم 17 تشرين الثاني 1958 وقع انقلاب عسكري في السودان⁽⁴⁷⁾. إذ أعلن القائد العام لجيش السودان من المحطة الاذاعية بأمر درمان⁽⁴⁸⁾ بياناً أكد فيه على ان الجيش أطاح بحكومة رئيس الوزراء عبد الله خليل وانه سيطر على البلاد⁽⁴⁹⁾.

أبرقت السفارة العراقية في الخرطوم برقية تعلم بها وزارة الخارجية أن انقلاباً عسكرياً أطاح بحكومة عبد الله خليل، وان بيان الانقلاب أكد على «حل الاحزاب السياسية، ومنع المظاهرات والتجمعات الشعبية وتعطيل الدستور المؤقت وحل البرلمان وخول الحكام العسكريين في المديرية سلطات وصلاحيات ادارية خاصة»⁽⁵⁰⁾.

وجاء في البرقية « ان قائد الانقلاب الفريق ابراهيم عبود باشا، ولد في مدينة (سواكن)⁽⁵¹⁾ يبلغ من العمر الثامنة والخمسين، وقد تلقى علومه بمدرسة بورسودان الوسطى ثم انتقل الى قسم المهندسين في كلية غوردون وتخرج فيها، ثم التحق بالاشغال العسكرية بالجيش المصري بالسودان برتبة ملازم ثان وقد اشترك الفريق عبود في الحرب العالمية الاخيرة في اريتريا وشمال افريقيا، ثم عمل (قومنداناً) للأسلحة ثم كاتماً للأسرار الحربية وعقب الاستقلال عام 1956 عين نائباً للقائد العام للجيش السوداني برتبة لواء ثم عين قائداً عاماً للجيش السوداني خلفاً للواء احمد محمود باشا»⁽⁵²⁾.

لم تبد السفارة العراقية اية تحركات ولا تصريحات صحفية مؤيدة للانقلاب او رافضة له، ولعل ذلك يعود الى عدم وضوح الرؤية السياسية، فضلاً عن الاوضاع غير المستقرة في السودان عقب الانقلاب، لكن حكومة الانقلاب بادر باستدعاء سفراء الدول المعتمدين لدى السودان وكان عددهم اثنتين وعشرين دولة الى مقر وزارة الخارجية الساعة الثانية

عشر ظهر يوم 19 تشرين الثاني 1958، وقد طلب الفريق ابراهيم عبود قائد الانقلاب من السفراء ومنهم السفير العراقي الاتصال بحكوماتهم للاعتراف بالحكومة السودانية الجديدة⁽⁵³⁾.

استجابت الحكومة العراقية لطلب السفارة العراقية في الخرطوم، فقد قرر مجلس الوزراء العراقي في جلسته المنعقدة بتاريخ 19 تشرين الثاني 1958 الاعتراف بالحكومة السودانية الجديدة، فبرقت وزارة الخارجية العراقية الى السفير العراقي في الخرطوم لابلغ هذا الاعتراف الى الحكومة السودانية الجديدة⁽⁵⁴⁾.

كان من رأي وزارة الخارجية العراقية ان ترفع مستوى التمثيل الدبلوماسي في السودان الى مستوى سفير مفوض وذلك تماشياً مع الحكومة السودانية الجديدة التي اعلنت « ان سياسة السودان الخارجية تؤكد على ضرورة تعزيز الروابط القومية والاخوة العربية وتوجيه علاقاتها وتقويتها مع الدول العربية والاسلامية خلال فترة قصيرة تنسجم مع مصالحها المتبادلة»⁽⁵⁵⁾.

وبناءً على هذه المعطيات صدر القرار الجمهوري بتعيين منير رشيد⁽⁵⁶⁾ سفيراً مفوضاً للجمهورية العراقية لدى السودان، وقد قدم السفير الجديد اوراق اعتماده للفريق ابراهيم عبود في 25 كانون الاول 1958، وقد نقل السفير العراقي الجديد تحيات القيادة في بغداد للاشقاء في السودان بالمقابل تمنى الفريق ابراهيم عبود للسفير العراقي الجديد طيب الاقامة والنجاح في مهمته الجديدة⁽⁵⁷⁾، كما وبدأ السفير منير رشيد نشاطه الدبلوماسي بلقاءات عديدة مع سفراء فرنسا والاتحاد السوفيتي والنمسا وبلجيكا وتركيا ويوغسلافيا وقد شرح لسفراء تلك الدول اهداف ثورة 14 تموز والرؤى السياسية لقادة الثورة⁽⁵⁸⁾.

لكنه واجه مشكلة سياسية كادت ان تطيح بالعلاقات بين العراق والسودان وهي رفض الحكومة السودانية استقبال وفد شعبي عراقي كان ينوي زيارة الخرطوم⁽⁵⁹⁾ بذريعة ان الوفد سياسي وليس شعبي فتدخلت السفارة العراقية وبعد لقاءات بين المسؤولين في وزارة الخارجية السودانية تمت تسوية الأمور وعاد الوفد العراقي إدراجه إلى بغداد⁽⁶⁰⁾.

مما لاشك فيه أن الوفد كان سياسياً أكثر من كونه شعبياً فالأسماء التي ذكرت اغلبها هي شخصيات شيوعية معروفة وموالية للزعيم عبد الكريم قاسم. وان سبب رفض الجانب

السوداني استقبال الوفد هو الخشية من إثارة حفيظة الحكومة المصرية والرئيس جمال عبد الناصر الذي بدأت علاقاته تسوء مع القيادة في بغداد لاسيما وان إذاعة صوت العرب من القاهرة كانت قد بدأت بشن حملات إعلامية ضد الحكومة العراقية في بغداد.

وعلى ما يبدو ان مسالة رفض الجانب السوداني استقبال الوفد العراقي لم تكن مقنعة لوزارة الخارجية العراقية. التي أمرت سفيرها في الخرطوم إلى مغادرة السودان والتوجه سفيراً للعراق في الهند⁽⁶¹⁾. في حين تمت إعادة السفير هاشم خليل مرة أخرى كسفيراً للعراق في السودان في 5 كانون الثاني 1961⁽⁶²⁾.

مما لاشك فيه أن وزارة الخارجية العراقية قد شخصت نوعاً من التقصير في أداء السفير منير رشيد وعدم قدرته على التعامل مع الأزمة في حينها. إذ بدأ هاشم خليل مشواره الدبلوماسي بلقاءات متعددة مع المسؤولين في السودان كان ما اهم نتج عنه تمثل منح سمات الدخول لبعض الطلبة السودانيين الذين حصلوا على مقاعد دراسية في كليات جامعة بغداد والذي صدر بتاريخ 13 كانون 1961⁽⁶³⁾.

وبالرغم مما تقدم ذكره، بقيت العلاقات السياسية بين العراق والسودان على حالها لكن أصابها نوعاً من الجمود، وفي ذلك المجال صرح السفير العراقي لوسائل الأعلام « ان العلاقات الاخوية بين الأشقاء هنا في السودان لا يمكن أن يعكر صفوها احد، والحكومة العراقية متفهمة جدا حيال العديد من القضايا المشتركة»⁽⁶⁴⁾.

بقيت العلاقات بين الجانبين على حالها لحين حدوث انقلاب 8 شباط 1963 وانهار نظام عبد الكريم قاسم .

وبحكم ما تقدم ذكره، يمكن القول ان النشاط الدبلوماسي العراقي خلال فترة الحكم الجمهوري الأول كان يوصف بالمرحلة الذهبية وذلك نظرا لما قدمه السفراء العراقيون من جهد واضح على الصعيد الخارجي ولا سيما في السودان التي واجهت حينها الدبلوماسية العراقية المد الناصري المعادي للحكومة وتوجهات الزعيم عبد الكريم قاسم فضلا عن الأوضاع السياسية غير المستقرة في السودان.

الخاتمة

نستنتج مما تقدم أن النشاط الدبلوماسي العراقي في السودان كان نشاطاً متميزاً ويعود ذلك إلى طبيعة الدبلوماسيين العراقيين الذين خدموا في الخرطوم، فقد كانوا على مستوى عال من الثقافة والدراية والحنكة السياسية واستطاعوا إن يؤثروا بالمجتمع السوداني الذي عايشوه.

كذلك يتضح لنا ومن خلال التقارير السياسية التي كانت تصل الى وزارة الخارجية العراقية أن الدبلوماسي العراقي كان ملماً بكل صغيرة وكبيرة تحدث في السودان بل ويتمتع بعلاقات فاخرة، مع قادة وسياسيين وزعماء دينين وهذه الميزة انفرد بها الدبلوماسي العراقي عن غيره من الدبلوماسيين العرب والأجانب العاملين في الخرطوم.

وبحكم ماتقدم ذكره، يمكن القول ان النشاط الدبلوماسي العراقي خلال فترة الحكم الجمهوري الاول كان يوصف بالمرحلة الذهبية وذلك نظرا لما قدمه السفراء العراقيون من جهد واضح على الصعيد الخارجي ولا سيما في السودان التي واجهت حينها الدبلوماسية العراقية المد الناصري المعادي للحكومة وتوجهات الزعيم عبد الكريم قاسم فضلا عن الاوضاع السياسية غير المستقرة في السودان.

هوامش ومصادر البحث

- 1 فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية 1953 1958، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1981، ص231.
- 2 آخر ملوك العراق، ابن الملك غازي الاول بن فيصل الاول، ولد في بغداد في 2 آيار 1935، توفي والده في 4 نيسان 1939، فخلفه على عرش العراق تحت وصاية خاله عبد الاله بن علي، تتلمذ على يد اساتذه خصوصين منهم د. مصطفى جواد وعبد المطلب الامين ود. خالد الهاشمي، بعدها ارسل الى انكلترا فدخل مدرسة ساندر ويد عام 1947 ثم اكمل دراسته في كلية هارو حتى عام 1952، بعدها عاد الى العراق وبلغ سن الرشد في 2 ايار 1953 فتسلم سلطاته الدستورية، قتل في بغداد في قصر الرحاب مع افراد اسرته الهاشمية صباح يوم 14 تموز 1958 ينظر د. لطفي جعفر فرح، الملك فيصل الثاني آخر ملوك العراق، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2001.
- 3 الزمان، جريدة، بغداد، 2 كانون الال 1954.
- 4 الاخبار، جريدة، بغداد، 2 كانون الاول 1955.
- 5 السفير بهاء عوني، مبادئ الدبلوماسية العراقية، سلسلة محاضرات مطبوعة بالرونيو، 1957، ص13.
- 6 ج، ب، دروزيل، التاريخ الدبلوماسي، ترجمة د. نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، 1966، ص367.
- 7 روبرت، كولنز، تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى مجدي الجمال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص28.
- 8 للمزيد من التفاصيل عن موقف الصحافة العراقية ينظر: حسين علي مهدي، استقلال السودان في الصحافة العراقية 1كانون الثاني 1956، مجلة الدراسات التاريخية، كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، العدد 7، 2009، ص407 420.
- 9 دار الكتب والوثائق، بغداد (سنرمز لها لاحقاً د، ك، و)، محاضر مجلس النواب، دوره الانتخابية الخامسة عشر، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1956، محضر الجلسة السابعة، في 5 كانون الثاني 1956، ص72.

- 10 المصدر نفسه، ص73.
- 11 ولد عام 1911، درس الحقوق ومارس المحاماة وعين سنة 1949 في وزارة الخارجية، وكان قائماً بأعمال المفوضية العراقية في روما 1950، فسكرتير ثان في مدريد عام 1953، انتخب نائباً عن المقعدية في حزيران 1955 ثم جدد انتخابه في ايار 1958، اقام بعد ثورة 14 تموز 1958 في بيروت، ثم عاد الى بغداد وتوفي في حزيران 1980، ينظر: مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، ج1، دار الحكمة، لندن، 2005، ص30.
- 12 برهان الدين الشيخ احمد نوري باش اعيان العباسي، ولد في البصرة عام 1914، خريج كلية الحقوق ببغداد عام 1937، حصل على شهادة الماجستير في القانون الدولي من جامعة لندن والدكتوراه من كلية الحقوق العربية، يحسن اللغة الانكليزية والفرنسية واحد مؤسسي حزب الجبهة الشعبية، تزوج من ابنة عمه السيده خديجة كريمة المرحوم ياسين باش اعيان، وله ولد واحد عمل ممثلاً دبلوماسياً في كل من تركيا وايران والقاهرة والقدس ولندن أصبح وزيراً بلا وزارة عام 1954 ثم وزيراً للخارجية عام 1955 ووزيراً للانباء والتوجيه عام 1958، بعد قيام ثورة 14 تموز 1958 مثل امام القضاء وحكم عليه بالاعدام بتهمة التآمر على سوريا ثم اطلق سراحه عام 1961، سافر الى بيروت ثم انتقل الى المملكة العربية السعودية عمل هناك مستشاراً في وزارتي الخارجية والدفاع، توفي في المانيا عام 1975، ودفن في المدينة المنورة. ينظر: وزارة الخارجية، مكتب الوزير، الدائرة الادارية، أضاير الوزراء، الاضبارة المرقمة ذ/ 203/1 برهان الدين باش اعيان؛ د. علاء جاسم محمد الحربي، وزراء خارجية العراق في العهد الملكي، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد4، سنة 2001، ص49.
- 13 البلاد، جريدة، بغداد، 6 كانون الثاني 1956.
- 14 البلاد، جريدة، بغداد، 7 كانون الثاني 1956.
- 15 الحوادث، جريدة، بغداد، 21 كانون الثاني 1956.
- 16 الزمان، جريدة، بغداد، 4 شباط 1956.
- 17 الزمان، جريدة، بغداد، 4 اذار 1956.
- 18 كان سفير العراق لدى القاهرة هو السيد نجيب الراوي.
- 19 الزمان، جريدة، بغداد، 4 اذار 1956.
- 20 الحوادث، جريدة، بغداد، 7 ايار 1956.
- 21 ولد في بغداد عام 1916، دخل كلية الحقوق فحصل على شهادة القانون عين موظفاً في الدائرة القانونية في وزارة الخارجية ثم مشاوراً قانونياً في السفارة العراقية في بيروت، بعدها

- عين قائماً للأعمال في السفارة العراقية في الخرطوم حتى عام 1958. بعدها تقلد وظائف دبلوماسية في القاهرة والرباط ينظر د. ك. و. جدول كبار الموظفين الحكوميين، ج5، ص491.
- 22 الزمان، جريدة، بغداد، 13 تموز 1956.
- 23 الزمان، جريدة، بغداد، 29 اب 1956.
- 24 الزمان، جريدة، بغداد، 30 اب 1956.
- 25 اليقظة، جريدة، بغداد، 12 شباط 1956.
- 26 ولد في ام درمان عام 1892، تخرج من كلية غوردون قسم المهندسين، والتحق بالمدرسة الحربية وحصل على رتبة امير لاي، وكان اول ضابط سوداني يتقلد هذا المنصب، كان من ابرز المؤسسين لحزب الامة كحزب يحمل الشعار الاستقلالي، كان ثاني رئيس وزراء للسودان بعد الاستقلال عام 1956 وقد سلم السلطة لقيادة القوات المسلحة ممثلة بالفريق ابراهيم عبود في 17 تشرين الاول 1958 ينظر: يوسف بدري، قدر رجل، مذكرات العميد يوسف بدري، منشورات كلية افريقيا، 1982، ص103.
- 27 تأسس الحزب عام 1945 بابعاز من الادارة البريطانية في السودان وكان الغرض الاساسي من تأسيسه هو محاربة الفكرة الاتحادية التي اخذت تنتشر في ذلك الوقت وبالتالي القضاء على الحركة الوطنية التي كانت تتزعمها الاحزاب الاتحادية قام حزب الامة على اساس طائفي وهو يمثل تقليدياً طائفة الانصار التي تشكل حوالي 20% من مجموع السكان وهم اتباع المهدي قائد الثورة المهديّة. ينظر: منى حسين عبيد الشمالي، حزب الامة ودوره السياسي في الحياة السياسية السودانية 1945 - 1989، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2000.
- 28 د. ك. و. بغداد، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2699/311، الحكومة العراقية، وزارة الخارجية، الدائرة العربية، رقم الوثيقة8، رقم الصفحة19، العدد 2041 في 9/ 18 / 1956، سري وفوري، الموضوع انتخابات السودان.
- 29 ولد في بغداد عام 1913، انهى دراسته الابتدائية والثانوية فيها، دخل كلية الحقوق فحصل على شهادة البكالوريوس في القانون، عين في وزارة الخارجية فشغل مناصب دبلوماسية مهمة في بلدان عديدة كان اخرها السودان. ينظر: راقية رؤوف الجلي، سفراء العراق خلال سبعة عقود 1934 1994، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 1996، ص224.
- 30 د. ك. و. بغداد، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2697/311، الحكومة العراقية، وزارة

- الخارجية، الدائرة العربية، رقم الوثيقة4، رقم الصفحة5، العدد20/2023 في 5/3/1957،
سري للغاية، الموضوع زيارة رئيس وزراء السودان.
31 المصدر نفسه.
- 32 الحوادث، جريدة، بغداد، 12 شباط 1956.
- 33 الحوادث، جريدة، بغداد، 19 شباط 1957.
- 34 ولد عام 1899 وهو الابن الاصغر للامام محمد احمد المهدي الذي وحد صفوف الانصار بعد ان سقطت المهديية الاولى باستشهاد الخليفة عبد الله التعايشي اسس المهديية الثانية عام 1914، في عام 1945 اسس حزب الامة، شارك في عقد اتفاقية حق تقرير المصير والحكم الذاتي في عام 1952، توفي عام 1959. ينظر: خالد احمد عبد الله التطورات السياسية في السودان 1964
1968، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة بغداد 2005، ص14.
- 35 د. ك. و. بغداد، ملفات البلاط الملكي، الملفة نفسها، الحكومة العراقية، وزارة الخارجية، رقم الوثيقة8، رقم الصفحة11، العدد1206.
36 المصدر نفسه.
- 37 بهاء عوني، المصدر السابق، ص19.
- 38 ولد في ام دومان عام 1901، تعلم في المدارس الاهلية ثم التحق بكلية غوردون (جامعة الخرطوم حالياً) وانخرط في سلك التعليم تاجر باحداث ثورة عام 1924 وجمعية اللواء الابيض ساهم في مؤتمر الخريجين عام 1938 واصبح رئيساً له عام 1943 اسس في العام نفسه اول حزب سياسي في السودان هو (حزب الاشقاء) الذي كان ينادي بالاتحاد مع مصر، فاز حزبه به بعد توحيد الاحزاب السودانية في انتخابات عام 1953، اصبح اول رئيس للوزراء في السودان بعد الاستقلال عام 1956 توفي في اب 1965. ينظر: بشير محمد سعيد، الزعيم الازهري وعصره، ط1، القاهرة، د. ت.
39 بهاء عوني، المصدر السابق، ص23.
- 40 نهضة افريقيا، مجلة، العدد43، اذار 1957، ص46.
- 41 الجمهورية، جريدة، بغداد، 22 تموز 1958.
- 42 ولد في الجيلبي احدى ضواحي الخرطوم عام 1915، تلقى تعليمه العالي خارج السودان ونال الدبلوم في الاداب، اسهم في الحركات الوطنية والادبية في بلاده وبعد الاستقلال اختير سفيرا مفوضا فوق العادة في وزارة الخارجية السودانية وعمل نائبا للوكيل الدائم في رئاسة الوزارة ثم عين سفيرا للسودان في بلاد الحبشة ثم العراق. ينظر: محمود فهمي درويش واخرون، دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960، مطبعة التمدن، بغداد 1961، ص310.

- 43 د. ك. و. ملفات مجلس السيادة، وزارة الخارجية، دائرة التشريعات العدد 535/1/2 في 16/8/1958، الموضوع ترشيح سفير للسودان في العراق.
- 44 حسين علي مهدي، العلاقات العراقية السودانية 1958-1963 دراسة تاريخية، دار السياب، بغداد، 2012، ص 30.
- 45 د، ك، و. ملفات مجلس السيادة، رقم الملف 283 / 412، الجمهورية العراقية، وزارة الخارجية، رقم الوثيقة 19، صفحة 21، الموضوع/ التقرير السياسي.
- 46 المصدر نفسه.
- 47 عمر احمد امين، الانقلاب العسكري الاخير، مطبعة أقرأ، د. ت، ص 35.
- 48 تقع الى الغرب من العاصمة الخرطوم، وهي اكبر مساحة منها، وتعد مركز تجاري هام جداً مع غرب السودان. ينظر: نخبة من المؤلفين، السودان حقائق ووقائع، دار القاهرة للطباعة والنشر، د. ت، ص 8.
- 49 د. ك. و، ملفات مجلس السيادة، أملفه نفسها، الوثيقة نفسها، رقم الصفحة 22.
- 50 د، ك، و، ملفات مجلس السيادة، رقم الملف 244، الجمهورية العراقية، وزارة الخارجية، التشريعات، رقم الوثيقة 19، صفحة 16، سري للغاية، رقم س / 1442 في 19/11/1958، الموضوع الانقلاب في السودان.
- 51 تقع مدينة سواكن جنوب مدينة بورسودان وهي ميناء ثانوي. ينظر: السودان، حقائق ووقائع، المصدر السابق، ص 11.
- 52 د، ك، و، ملفات مجلس السيادة، رقم الملف 244، المصدر السابق.
- 53 حسين علي مهدي، العلاقات العراقية السودانية 1958-1963، ط 1، دار السياب، بغداد، 2012، ص 43.
- 54 د، ك، و، ملفات مجلس السيادة، رقم الملف 247، رقم الوثيقة 33، صفحة 208، مقررات مجلس الوزراء، اعتراف الجمهورية العراقية بحكومة السودان.
- 55 د. وليد محمد سعيد الاعظمي، انقلاب الفريق ابراهيم عبود في الوثائق البريطانية 1958، ط 1، بغداد، 1990، ص 57.
- 56 ولد منير رشيد في بغداد عام 1912، دخل المدرسة الابتدائية والثانوية فيها، بعدها دخل كلية الحقوق في بغداد وحصل على شهادة القانون، عين في مقر وزارة الخارجية كمستشار قانوني بعدها تقلد وظائف دبلوماسية منها سفير العراق لدى السودان والهند والصين، كان اتجاهه السياسي مستقلاً، احيل على التقاعد في 20 تموز 1967 بموجب القرار المرقم 705 والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد 1449. ينظر: راقية رؤوف الجليبي، المصدر السابق، ص 159.

- 57 البلاد، جريدة، بغداد، 27 كانون الاول 1958.
- 58 فعاليات البعثات الدبلوماسية في الخارج، كراس خاص بالذكرى الثانية لثورة 14 تموز المجيدة، مطبعة الجيش، د.ت، ص8.
- 59 كانت الحكومة العراقية تنوي ارسال وفد شعبي لزيارة بعض الاقطار العربية بهدف شرح اهداف ثورة 14 تموز 1958. كان الوفد يتألف من عبد الواحد الانصاري وعبد الحلیم آل كاشف الغطاء و ابراهيم مصطفى الايوبي و ابراهيم احمد وموسى الشيخ راضي وكاظم الدجيلي وعزيز شريف وعبد الله البستاني وزكية شاكر وسافرة جميل حافظ وحميد رشيد مندوباً عن دار الاذاعة ومرافقا صحفيا للوفد. ينظر ملفات مجلس السيادة، رقم الملف 233، رقم الوثيقة 51، صفحة 26، الجمهورية العراقية وزارة الخارجية د/ 2856م / 856 في 20 / 5 / 1959 الموضوع أنتداب وفد شعبي.
- 60 المصدر نفسه.
- 61 الوقائع العراقية، جريدة، بغداد، العدد 904 في 7 / 9 / 1960.
- 62 الوقائع العراقية، جريدة، بغداد، العدد 1279، في 3 / 10 / 1960.
- 63 للمزيد من التفاصيل ينظر بهاء عوني، المصدر السابق، ص38.
- 64 روز اليوسف، مجلة، القاهرة، 14 ايلول 1962.

«الصراع الكوني» في شعر أبي العلاء المعري

كلمات مفتاحية: (الصراع، شعر، أبو العلاء المعري)

د. كريم علي عبد علي

كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الجامعة المستنصرية

"the cosmic conflict"

in the poetry of Abu Ala Marri

Key words: the cosmic- the poetry- Abu Ala Marri

Dr. Karim Ali Abd Ali

AL-Mustansiriyah University /The Faculty of Arts/ Arabic

Language Department

خلاصة البحث

تناول هذا البحث دراسة (الصراع الكوني) في شعر أبي العلاء المعري(ت ٤٤٩هـ)، وهي ظاهرة إبداعية، وتجربة ناجزة و مكتملة تمت وأنجزت اتجه فيها الشاعر الى الكون بكل مظاهره ينتقي من مكوناته ما يشابه أو يحاكي في دلالاته، وإيحاءاته واقع حاله النفسي والذاتي، ومواقفه المتمثلة في المكابدة، والمصادمة، وغلبة صروف الدهر عليه نقشها في عدد من قصائده خلد ذاته، وحسه، وطبعه فيها بأسلوب له وقع خاص في المتلقي .

وقد تبنت الدراسة المنهج التحليلي القائم على سبر أغوار النص الشعري، والملاحظة، والإستنتاج، والإفادة من المعطيات الخارجية التي أسهمت في الكشف عن تجربته الخاصة،وعالمه الشعري من خلال التعرف على روح(النص)المدرّوس.

Abstract

This research study (the cosmic conflict) in the poetry of Abu Ala Marri (d. 449 e), which is a creative phenomenon, and experience Nadzh and incomplete has completed Turn the poet of the universe in all its manifestations selecting the components are similar to or mimics the connotations, and Aahaiath the reality of psychological self-same and positions of toil, and clash, and the predominance of the vicissitudes of age engraving in a number of his poems immortalized himself, and sense, and reprinted in a manner which has a special resonance in the recipient.

The study was based analytical method adopted to fathom the poetic text, and observation, and the conclusion, and benefit from the external data that contributed to the disclosure of his own experience, and his world of poetry by recognizing the spirit of the (text) studied.

المقدمة

إن البناء الكونني قائم على التصادم إذ يشكل الصِّراع ظاهرة مركزية في الوجود، والفن، والصراع بين الأشياء ناموس الطبيعة، وقانون الحياة الدائم، يتحرك بين محورين إحداهما نقيض الآخر، وسلوك الأشياء على إختلافها تتبلور على وفق ذلك. وبما أن الأدب يمثل صورة مهمة من صور الحياة؛ لذا فهو يعكس جانبا مهما من هذا الصراع بما يعرضه من مواقف متعددة، ومتناقضة، والنص الأدبي حاضنة لتلك الصراعات بكل متضاداتها إلا أنه يأخذ طابعا فنيا خالصا.

كانت الطبيعة بما فيها من ليل، ونهار، وسماء، وأرض، وبما في الليل من ظلام، وقمر، ونجوم، وما في الأرض من شمس مشرقة، وضياء ساطع، الملمهم الأول للشعراء؛ ذلك أن الطبيعة ترافق الشاعر بمظاهرها طوال حياته يجد في ظواهرها، وأسرارها منبعاً ثرا لأحاسيسه، وأفكاره، وتصوراته يستوحي منها عناصر تجربته الشعرية؛ لذلك حاول الشاعر النفوذ الى ما وراء هذه المظاهر مدركا إدراكا واعيا ما تنطوي عليه من صراعات تعيشها في أعماقها أفرزها في عمل فني متميز .

إتجه أبو العلاء المعري (ت 449هـ) الى الكون بكل مظاهره؛ ليكون مصدرا من مصادر إلهامه، يختار من مكوناته ما يشابه، ويحاكي في دلالاته، وإيحاءاته واقع حاله (النفسي) و(الذاتي) بأبلغ تعبير، وأدق تصوير. وحتى يؤتي البحث أكله سيمضي الى بلوغ غاياته في مسارب إثنين يسبقه تعريف لمعنى الصراع لغة، واصطلاحا:

الأول / (الصراع المعري): في محاولة منا لإستقصاء ظاهرة (الصراع) التي إنطلق منها الشاعر في المراحل الأولية التي تسبق نظم القصيدة، وهي محاولة لمعايشة تجربته الشعورية التي من خلالها تم نظم القصيدة بمكوناتها الإبداعية، وهي مرحلة تكون مشحونة بصراع (نفسي) و(ذاتي) كان لها تأثير كبير على الشاعر، وبالتالي على شعره.

والثاني/ الصراع الكوني: وتناولت دراسة تمثالات الصراع الكوني في شعر المعري، إذ تم تتبع الصور التي تجسد من خلالها الصراع، فدرس الصراع في النص الشعري بكل طرقة، وآلياته، وما تضمنه من عناصر متصارعة متضادة.

الصراع لغة واصطلاحاً:

الصراع في اللغة: الصراع كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي صرع، ومصدرها الصرع، ومعناه الطرح بالأرض، والمصارعة والصراع: معالجتها أيهما يصرع صاحبه، ورجل صريع: شديد الصرع، وصرعه: كثير الصرع لأقرانه يصرع الناس⁽¹⁾.

وفي الحديث النبوي الشريف أن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعجبه أن يستاك بالصرع، والصريع: القضيب يسقط من شجر البشام، ومعه صرعان، وقيل الصريع: السوط أو القوس الذي لم ينحت منه شيء. والصرعان: الغداة والعشي، أما الصرع، فهو المثل⁽²⁾.

الصراع في الإصطلاح: «تنشيط دافعين في آن واحد يتطلبان ضروبا متعارضة من السلوك، وقد يكون الصراع قائما بين رغبتيين أو بين هدفين أو بين وسيلتين للوصول الى الهدف»⁽³⁾، فهي عملية تنازع، وتقاتل بين طرفين سواء كان بين الناس أو بين مكونات الطبيعة نتيجة خلاف معين أو مطامع مختلفة لطرف ضد آخر، تنتهي إما بالإتفاق، والتصالح، وإما بانتصار أحد طرفي النزاع، وخسارة الطرف الآخر، ويأخذ هذا التنازع - الصراع - أشكالا، وصورا متعددة تبعا لطبيعة التنازع، وظروفه.

المحور الأول/ الصراع المعري:

قبل الولوج في الكشف عن مظاهر الصراع الكوني في شعر المعري ينبغي أن نخترق عالمه الداخلي (النفسي)؛ لأن «ينبوع الشعر من حركات النفس»⁽⁴⁾، والمعري قبل أن يخوض تجربته الشعرية مر بكثير من حالات الصراع النفسي الداخلي، ولولا هذا الصراع؛ لما تواجدت لدينا القصيدة بمكوناتها الإبداعية.

أولا/ (الأنا - الذات): عاش أبو العلاء المعري صراعا نفسيا مع ذاته؛ لما أصابه من مرض «جدر من السنة الثالثة من عمره، وعمي منه، وكان يقول لا أعرف من

الألوان إلا الأحمر؛ لأنني ألبست في الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر لا أعقل غير ذلك»⁽⁵⁾، وهو أعمق، وأقصى الجراح مغلقا، ومربكا نفسيا من الداخل، وقوله: «وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الأبصار قليل قضي علي، وأنا ابن الأربع لا أفرق بين البازل، والرابع، ثم توالى محني حتى أشبه شخصي العود المنحني»⁽⁶⁾، والألفاظ: (قضي علي، توالى محني، العمى، البصر، العود المنحني) توحى بدلالاتها المأساوية، ويبدأ صراعه مع ذاته، بقوله:

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبىث*
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسد الخبيث⁽⁷⁾
وقوله:

غدوت أسيرافى الزمان كأننى عروض طويل*⁽⁸⁾ قبضها ليس يبسط⁽⁸⁾
نلاحظ صراعا نفسيا بين الداخل والخارج، أي بين: الروح (الأنا)، والجسد (الذات)، ومصدره فقدان البصر (النور)، أي: (العمى/الظلام)، وهي علة مفروضة عليه لا قوة له في تغييرها، وما تولد عنه من عزلة نفسية (أسر الروح)، وجسدية (أسر البيت) عاشها في بيته بعيدا عن الآخرين، عازف عن الحياة عزوف من عرفها، وخبرها، وعركها، وتأملها؛ لما ألبسته من لباس اليأس، والظلمة، والحيرة أدت به إلى إعتبارها سجنا. وبذلك تكون مشكلة الروح أنها لا تأتلف الجسد، فلا تتحرر أو يعود إليها طهرها، ونقاؤها، وشفافيتها إلا بفراقها له، فالجسد (الخبيث) هو سجنه الحقيقي لا بيته أو فقدان بصره.

ويحتدم صراع (الأنا) و (الذات)، بخروج (الأنا) مستسلمة بطلبها (الموت) عن هذه (الحياة)، فهي السقم نفسه، شفاؤها الموت، إذ عده المخلص لعاهته التي طالما عانى منها وشكى، إذ يقول:

والعيش سقم للفتى منصب⁽⁹⁾ والموت يأتي بشفاء السقام⁽⁹⁾
ويؤكد فكرته، بقوله:

والعيش داء وموت المرء عافية⁽¹⁰⁾ إن داؤه بتواري شخصه حسما⁽¹⁰⁾
وقوله:

رب متى أرحل عن هذه الـ دنيا فأنى قد أطلت المقام

لم أدر ما نجمي ولكنه في النحس مذ كان جرى واستقام⁽¹¹⁾
وبعد صراع طويل بين (أنا) المعري، و(ذاته) تنصاع (الذات) لطلب (الأنا) السابق،
وهو (الموت) الذي عُد خلاصهما الوحيد من هذا العيش السقيم، إذ لم ير من هذه الدنيا
سوى السخط، والنحس، «فهو لم يعد طالبا من الحياة حظا، وقد انكشفت له حقائقها في
أشبع صورها، ولا هو كاره للون من ألوان الحياة دون لون، بل كارها للحياة، والعيش
كله»⁽¹²⁾، ويحاول المعري أن يهون صراعه مع ذاته، بقوله:

أرى كل خير في الزمان مفارقا فلا تأسفن فيها لقلّة خيركا
ودنياك سارت بالأنام مغدّة فلا فرق فيها بين سيري وسيركا⁽¹³⁾
إن إيمانه المطلق بزوال البشرية يهون عليه هذا الصراع بإنكاره أهمية البصر وفائدته،
فلا فرق في سيره في هذه الدنيا، وهو (العمى)، وسير الناس وهم (المبصرون)، إذ ينطلق
الصراع من ذاته إلى الناس بشكل عام من خلال المقارنة التي عقدها بين (أناه)، وبين
(الناس)، فعمى ذاته التي أسرت نفسه (حقيقي) أصاب ذاته لا نفسه المبصرة يوازي عمى
البشر (غير الحقيقي)، أي: عمى نفسي لا ذاتي، وبذلك تستحيل (أنا) الشاعر إلى:

1 - المرشد الناصح (المخاطب) في قوله: (لا تأسفن)

2 - المواساة (أرى كل خير مفارقا، لا فرق بين سيري وسيركا)

وترتفع (الأنا) بشكل أكبر في مخاطبة (ذاته)، بقوله:

أبأ العلاء يابن سليمان إن العمى أولاك إحسانا
لو عاينت عيناك هذا الورى لم ير انسانك انسانا⁽¹⁴⁾
بين التضاد المعنوي في العبارات (إن العمى أولاك إحسانا، لو عاينت عيناك، لم ير
إنسانك إنسانا) حجم الصراع الداخلي المكتوم في ذاته، والذي أفصح عن حال (الأنا)
القائنة بواقعها في محاولة منها لمواساة الذات الراضية لهذه الحياة بما يقدمه من سلوك
دفاعي يهون عليه الآمه، وأحزانه، وبما يضيفه عليه من محاسن منتزعة من ذهاب عينيه
إذ جعلها وقاية من الظلال، والعبث الذي يقع فيه المبصرون في الحياة. وعليه فأن هذا
التباين اللافت للنظر يكشف عما بين (الظاهر) و(الباطن) أو (الداخل) و(الخارج) من قوة
صراعية تسكنه، وفي النهاية تستسلم (الأنا) لقضاء الله تعالى، بقوله:

نرجو من الله رحبا إثر ضيقة من الأمور ونورا بعد إظلام⁽¹⁵⁾
يحاول المعري فك عقدة صراع (الظلام) الذي لازم حياته في التوجه بالدعاء الى
خالق النفس تبارك وتعالى بأن يعوضه في الحياة الآخرة (الرحب والنور) من بعد (ضيق
وظلمة).

ومن خلال هذا التصور لمعاناة الشاعر لا يستعصي علينا أن نستشعر هذه الروح
المعذبة، وهي تدب في نصوصه الشعرية في تناسق تام بين ألفاظه، ومعانيها.

ثانيا/ (الأنا - والآخر) :

تُبنى العلاقة بين (أنا) المعري، و(الآخر) على التعارض، والإنفصام، فالعلاقة التي
تحكمهما علاقة ضدية قائمة في الأساس على الرفض لقيم الآخر ومسلكه، وتتضح
الفجوى، بقوله: «أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، فقد صنع
لي وأحسن بي، إذ كفاني رؤية الثقلاء والبغضاء»⁽¹⁶⁾، إذ يتدئ الصراع بينهما في علاقة
متضادة، يجمعهما الشاعر في مفردات (غيري، رؤية الثقلاء، البغضاء)، والتي قصد
من خلالها الإساءة (للآخر)، وإعلاء من شأن (الأنا)، فعلاقة الشاعر مع الآخر
علاقة سلبية. وفي قوله:

مضى الزمان ونفس الحي مولعة بالشمر من قبل هابيل وقابيل
لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا لما تحصل شيء في الغرابيل
أو قيل للنار: خصي من جنى أكلت أجسادهم وأبت أكل السرابيل⁽¹⁷⁾
وقوله:

أقل صدودي أنني لك مبغض وأيسر هجري أنني عنك راحل⁽¹⁸⁾
يبدو التصارع، والتوتر الذي يعيشه الشاعر مع الآخر جليا في نصوصه الشعرية، إذ
تأخذ علاقة (الأنا) الضدية مع (الآخر) صفة التعميم الذي يتسع ليشمل أبناء زمانه كلهم،
فيتدرج في صراعه مع الآخر كاشفا عن بذوره الأولى، إذ استحضرت شخصيتي (هابيل
وقابيل) اللتين مثلتا الصراع الأول للبشرية بين الخير، والشر، ومع ما تشهد الأبيات من
تأكيد لقوة (الآخر) الطاغية في العبارات (ونفس الحي مولعة بالشر، لو غربلوا الناس لما
تحصلوا شيء في الغرابيل، النار أكلت أجسادهم) إلا أن (أنا) المعري كانت توقد في

صراعها مع الآخر قبس لأمل الانتصار، وهو تقديم (هايل) على (قاييل) الذي مثل الخير والصلاح على الآخر القاتل، والظالم، على الرغم مما كانت تخفيه من معاني الضعف، واليأس، تجلى ذلك في عزلتها، ووحدتها إذ لم تجد إلا ذاتها تبثها شكواها، ومعاناتها في إشارة منها إلى إنعدام الصديق كما في قوله :

أما الأنام فقد صاحبتهم زمنا فما رضيت من الخلان مصحوبا⁽¹⁹⁾
وقوله:

فاحذر من الإنس أدناهم وأبعدهم وإن لقوك بتبجيل وترحاب⁽²⁰⁾
تشكل العلاقة الضدية بين (الأنا) و (الآخر)؛ لتخذ لغة رافضة تبقي (الأنا) على مسافة بعيدة من (الآخر) الذي تمتنع عن مصالحته أو الإلتقاء به، وهذا ما يظهر في علاقة (الأنا) مع (الآخر) الحاسد على نحو قوله:

بأي لسان ذامني متجاهل علي وخفق الريح في ثناء
تكلم بالقول المضلل حاسد وكل كلام الحاسدين هراء⁽²¹⁾
تموضع (أنا) الشاعر في علاقتها مع (الآخر)؛ لتكونا على طرفي نقيض، ويتنامى الصراع بينهما؛ ليفصح عن صور واضحة من الرفض والإقصاء للآخر الذي يتجاوز التحديد السابق (الحاسدين) ليشمل الناس جميعا، بقوله :

علمت بأن الناس لا خير عندهم فجانبتهم من جائدين وبخال⁽²²⁾
وقوله:

لم تلق في الأيام إلا صاحبا تأذى به طول الحياة وتألم⁽²³⁾
وقوله:

إذا كنت قد أتيت لبا وحكمة فشمروا عن الدنيا فأنت منافها
وكونن لها في كل أمر مخالفا فما لك خير في بنينا ولا فيها⁽²⁴⁾

نلاحظ من هذه الأبيات أنها مسكونة بهاجس الثورة على الآخر، وإلغائه إلغاء تاما؛ مما يستلزم من (الأنا) وفق قناعتها في تقدير الأمور أن تشحن موقفها المضاد من (الآخر) بمزيد من أسباب القوة رغبة في إنجاح هذه المواجهة التي تكشف عن صور متباينة من الحدة، والصراع، بقوله:

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم
يهم الليالي بعض ما أنا مضمّر
وإنني وإن كنت الأخير زمانه
ولا ذنب لي إلا العلا والفواضل
بإخفاء شمس ضوءها متكامل
ويثقل رضوى دون ما أنا حامل
لآت بما لم تستطعه الأوائل⁽²⁵⁾
وقوله:

والظلم عندي قبيح لا أجوزه
ولو أطعت ما فاءوا بأجلاب⁽²⁶⁾
إستطاع المعري من خلال صراعه مع نفسه والآخر من إيجاد ذاته، وتحقيق وجوده
بطريقة تعبيرية تترجم ما مر به من صراعات.

وبذلك يكون النص إناء أو وعاء يحوي بشكل أو بآخر أصداء نفسية المعري، ومواقفه
المتمثلة في المكابدة، والمصادمة، وغلبة صروف الدهر عليه، إذ استطاع أن يحول هذا
الصراع الى ألفاظ، وتراكيب، وصور نقشها في قصائد على لوح فني خلد ذكراه على مرور
الأزمنة بأسلوب أوقع في السمع والنفس.

المحور الثاني / الصراع الكوني:

إن كل ما في الكون من عناصر بسيطة أو مركبة في صراع مستمر، فالماء والهواء،
والحرارة، وبقية العناصر كلها في صراع دائم، ومن هذه الحرب تنشأ جميع
الظواهر الطبيعية، والجغرافية التي تؤلف مسرح الحياة، فالرياح، والعواصف، والسحب،
والبرق، والرعد، والصواعق، والسيول، والأنهار هي مظهر لهذا القتال، فما من ذرة من
ذرات الكون إلا ويجرى فيها هذا الصراع⁽²⁷⁾، والأدب مرآة تعكس صور الحياة، فهو
يحتضن تلك الصراعات، ولكن بشكل فني خالص؛ لأن اللغة وسيلة الإنسان لإدراك ما
حوله من ظواهر الكون. وطالما تسكن اللغة في أعماق الشاعر، فأنها دون شك تستوعب
هذا الصراع الكوني .

صور أبو العلاء مظاهر الكون الطبيعية في صراعاتها المستمرة بصور تجسد نظرتة
الخاصة للحياة، ف«الظلمات من كل جانب، وعقل مفكر يحاول أن يرى من ورائها ما لا
يرى، فيرتد خائبا ناقما على الدهر ووجوده، ناعيا على الحياة مسراتها، مهيبا بالناس الى
الفناء، فما الوجود إلا شقاء في شقاء»⁽²⁸⁾، وفي موقف تحليلي مع النص الشعري نحاول

أن نستكشف أشكال الصراع الكوني على مستوى الصياغة الجمالية، والمحتوى معاً، والتي إستطاع الشاعر أن يسكن فيها نفساً من نفسه، وروحاً من روحه، وشيئاً من ذاته، وحسه، وطبعه.

1 صراع الليل والنهار

شكل صراع (الليل والنهار) بكل معانيه في أشعار المعري حضوراً مميزاً؛ لما يعطيه من أهمية شعرية خاصة ليس مجرد كونه حضوراً فيزيائياً طبيعياً، أو ما يخلفه من ألوان داخل اللوحة الشعرية؛ بل أن لهذا الحضور أثر بنائي خاص، ودفق تعبيرى عال إستطاع أن يحمله بتجاربه الإنسانية الكبيرة، والمعقدة، فبات الصباح رمزا شعريا إنضوت تحته كل صور الحياة، ومباهجها، ووجوهها السعيدة، في حين ظل الظلام الطرف النقيض الذي يمثل كل الصور السوداوية مثل: (الموت، والحزن، والألم، واليأس، والتشاؤم...)، إذ «ربط الشعراء الليل بالآم نفوسهم، وما تحويه من أحزان، ومتاعب حتى غدا الليل هما يرزح تحت وطأة الشاعر، فأخذ يصرخ في جوف الليل لعل الصباح يسمع شكواه، فينبج عن نوره المبين»⁽²⁹⁾، والمعري شاعر صرعه الدنيا ببؤسها، وآلامها حتى أصبحت حياته سديماً مطلقاً؛ ليصبح هذا الصراع الضوئي حقيقة متأصلة في نفسه، يقول:

ولطالما صابرت ليلا عاتما فمتى يكون الصبح والإسفار؟⁽³⁰⁾
وظف المعري صراع الليل، والنهار بما في الأول من (ظلمة وقمر ونجوم)، وبما في الثاني من (نور وشمس وصبح) كفضاء زمني؛ لما يتضمنه من دلالة شعرية يمكن من خلالها أن ينقل للقارئ صورته الداخلية.

يبدأ مشهد الصراع بين هاتين الحقيقتين الكونيتين بسيطرة الليل في قوله:

وأسود لم يعرف له الإنس والدا كساني منه حلة وخمارا
فخرقن ثوب الليل حتى كأنني أطرت بها في جانيبه شرارا
وباتت تراعي البدر وهو كأنه من الخوف لاقى بالكمال سرارا
تأخر عن جيش الصباح لضعفه فأوثقه جيش الظلام إسارا⁽³¹⁾

عمد فيها الشاعر الى تجسيد صور الصراع بين (الليل والنهار)، فالبنيات النصية (أسود ليس له أب) - اللون الأسود يعطي الليل دلالة الوحشة، والظلمة - و(خرقن ثوب الليل)

و (خوف البدر منه) و (جيش الظلام) و (أسر البدر) حملت دلالات الصراع المحتدم، فالليل مثل النواة المركزية في عملية تشكيل اللوحة الضوئية المرتكزة على الوقت (الزمن || الليل)؛ لرسم صورة تشاؤمية كئيبة ذات طابع تراجيدي يخرج بجيشه منتصرا على جيش النهار، ولا يكتفي بانتصاره على النهار إنما يشد وثاق البدر بعد ضعفه، وإستسلامه؛ ليأخذه أسيرا، إذ يقول:

كأن الزبرقان^(*) بها أسير تجنب لا يفك ولا يفادي⁽³²⁾
والذي نلحظه في هذا الشكل من الصراع عد (القمر) من جيش النهار مع أنه من آية الليل الظاهرة؛ وسبب ذلك يعود الى ضوءه المستمد من ضياء الشمس وهو (نجم النهار) لذا فهو جزء منه، ومنسوب اليه.

ويرسم لليل صورة القاتل في صراعه مع النهار في (الثبوت والدوام)، بقوله:
سرى نحوه والصبح ميت كأنما يسائل بالوخذ^(*) البرى^(**) عن رمامه⁽³³⁾
إن طول بقاء الليل أجهز على الصباح، ودفنه تحت الأرض؛ «لأن الشمس فيما يعتقدده العوام تبيت تحت الأرض، والصبح من الشمس»⁽³⁴⁾، ويدعم معناه، بقوله أيضا:
وردته ونجوم الليل وانية تشكو الى الفجر أن لم تطعم الغمضا⁽³⁵⁾
فظول الليل قد أضعف، وأتعب نجومه الساهرة مما حرى بها أن تشتكيه للفجر؛ كونه الحاكم العادل الذي يفصل بين الليل، والنهار.

وطالما كان الليل منتصرا بطوله، يتدخل المعري في عرضه لهذا المشهد، وذلك بإدخال وسيط (الدهر)؛ ليكون حاكما عادلا يحكم بالموت على هذا القاتل (الليل) الذي شبهه بالغراب، إذ يقول:

بالله يا دهر أذق غرابها موتا من الصبح بباز كرز⁽³⁶⁾
إن طول الليل سعد صراع الشاعر مع ذاته، وعمق الإحساس بغربته الظلامية، وكأن إمتداد الليل وإنتصاره على الصباح صاحب معه امتدادا لأوجاعه، وآلامه؛ لذلك يدعو الدهر بضيق الليل، وإهلاكه، ونصرة الصبح بإشراقه، وقوة الدهر أمر متعارف عليه عند العرب، فقد جاء في القرآن الكريم، قوله: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ * وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ * إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾⁽³⁷⁾. إستعار المعري ليليه

صورة (الغراب) - سواد الدجى - ؛ لما بينهما من علاقة دلالية موحية، فهو «مرتبط في أذهان العامة بالفراق والموت، وهو مرتبط بالليل، والليل مخيف، وموحش»⁽³⁸⁾؛ ليعمق الإحساس الذي يعتمل في النفس، ولم يكن تشبيهه بالغراب إلا لشدة سواده، ولأن الليل كان طويلاً قاتماً، فكأنما كان جاثماً على صدره .

الدلالة النفسية السلبية (للون الأسود) // الغراب = الليل .

وزاد لون الغراب في رسم صورة الليل من عمقها، وقوة وقعها في نفس المتلقي، والليل بسواده الطويل زمناً، ومعنواً، يحتشد فيه الهموم والإبتلاء، والعلاقة الدلالية بين الليل، والغراب هي:

أ - الليل = الظلام، والوحشة .

ب - الغراب = التشاؤم، والموت .

واستعار للصبح طائر (الباز الكرز)؛ " لأنه أعظم وأحسن لونا"⁽³⁹⁾؛ لما له من خصائص ينفرد بها عن غيره من الجوارح .. منها السرعة في صيد فريسته، والنظر الحاد.

إن اعتماد المعري في رسم دلالة الطائرين (الغراب والباز) كرموز لصراع (الليل والنهار) أفصح عن معاني عديدة تشكلت في المعادلات الآتية:

1 - اللون (الغراب = الليل) و (الباز = النهار).

2 - الحجم (الغراب = الليل) و (الباز = النهار).

3 - الضعف، والقوة (الغراب × الباز) و (الليل × النهار).

4 - الرفض، والقبول (الغراب + الليل) و (الباز + النهار).

ويسرد الشاعر الأحداث من الخارج معلناً إستسلام الليل للنهار، بقوله:

صاغ النهار حجوله فكأنما قطعت له الظلماء ثوب الأدهم⁽⁴⁰⁾

يضجر الليل، وهو تعبير عن الزمن من حلقة ظلامه، وطول بقاء ساعاته، فيعمد الى تقطيع ثوبه الأسود؛ ليجلي للنهار خيوطه، «فجعل التحجيل؛ لأنه بياض من النهار وسائره من الليل»⁽⁴¹⁾.

ويحمل البيت نسقا مضمرا يختبئ وراءه، وهو أن الليل تعبير عن (الزمن) تحل فيه الظلمات، والظلمة تعبير عن إحتجاب النور، كما أنها تعبر عن الجهل، وظلمة الفكر؛ لأن النور كاشف حجب الظلمة الوجودية بالمعنى التكويني؛ ولأنه أيضا كاشف لحجب الجهل بالمعنى العقلي، واللغوي التعبيري، فإنتصار النهار، وبزوغ خيوطه دلالة على إنتصار العلم، والفكر على الجهل، والتخلف.

ويطل النهار دعاوي الليل الكاذبة، بقوله:

وهل يدعي الليل الدجوي أنه يضيء ضياء الشمس شهب ظلامه⁽⁴²⁾
ومهما أنارت نجوم الليل من ضياء لا تتفوق على ضياء الشمس الساطعة لذلك صرح المعري عن إنهزام الليل أمام النهار بدليل حسي، وهو (البكاء) في قوله:

وقد أعتدي والليل يبكي تأسفاً على نفسه والنجم في الغرب مائل⁽⁴³⁾
ومع إشراق ضوء الصباح، وزوال الليل يبكي الليل على نفسه تأسفاً، وتألما على موته، وإنقضائه؛ «لأن الليل يشبه حين إقباله بالشاب المقتبل على الشباب، وعند إنقضائه بالشيخ المشفى على الهلاك، والذهاب»⁽⁴⁴⁾.

وموت الليل، وإنتصار الصباح يفك قيود النجوم التي أسرها الليل بطول مكوثه، ففي قوله:

أبل به الدجى من كل سقم وكوكبه مريض ما يعاد
ولو طلع الصباح لفك عنه من الظلماء غل أو صفاد⁽⁴⁵⁾

صرع الليل الطويل كواكبه بطول بقاءه؛ لأن «الضمير في كوكبه إذ انصرف إلى الليل لزم أن يكون لليل كوكب واحد، وذلك لا يكون»⁽⁴⁶⁾ إذ لم يقاومه إلا كوكب واحد أضعفه (المرض) بعد صراع طويل مع الليل لا يقدر فيه أن يسير سيره المعتاد في كل ليلة، فهو مقيد بأغلال ظلامه الشديد، و«أن الضمير في كوكبه ينصرف الى الليل مفليا عن الإصباح، وفلى الليل عن الإصباح إنما يكون في أواخره»⁽⁴⁷⁾. وبذلك ندرك أن الليل قد فرض نفوذه، وهيمنته على كل الكواكب التي تقاومه بضياءها، فتقلل من شدة ظلامه، وبهذه اللوحة الفنية (الحالكة الظلمة) يكشف المعري للمتلقي عن سراديقه المظلمة التي يعيشها في (ذاته)، ولو بزغ ضوء الصباح لقتل ذلك الظلام (الكوني) و (المعري)، وفك وثاقهما.

الليل (الكوني) // عمى (ابو العلاء)
 صرع (الكواكب) // صرع (الأمانى)
 كوكبه (المريض) // جسده (السقيم)
 طلوع الصباح // بصر (المعري)

ويرسم المعري صورة أخرى متممة لما قبلها في صراع النهار مع بقايا الليل، يعبر عنها بقوله:

أنا بدر وقد بدا الصبح في رأ سك والصبح يطرد الأقماراً⁽⁴⁸⁾
 إن بزوغ ضوء النهار (الشمس) يطرد كل نجوم الدجى (الليل) المتبقية؛ وهي وأن
 فرضت وجودها- بتألىء ضياءها- في سما دجى الليل بما إستمدته من ضياء الشمس
 يطردها النهار بنور نجمه الساطع (الشمس)، فلا يبقى منها باقٍ.

2 صراع النجوم والكواكب :

يشهد مشهد الصراع بين نجم (البدر)، وكوكب (الشمس) في شدة الضوء، بقوله:
 والبدر يحث نحو الغرب أينقه فكلما خاف من شمس الضحى ركضاً⁽⁴⁹⁾
 أضفى المعري على البدر صفات إنسانية (الخوف، والركض) في صراعه مع الشمس؛
 ليسرد قصة إنهمازه الى الغرب خوفاً من سطوة ضياء الشمس أن تغطيه، فقد اختار الشاعر
 وقت الضحى؛ لأن الشمس تكون في أوج سطوتها على الأرض، وهذه الصورة تكشف
 عن ضعف البدر، وإنكساره الناتج عن صغر حجمه، وقلة ضياءه، أمام قوة ضياء الشمس،
 ووقارها المستمد من كبر حجمها، وسطوة نورها.

ويستمر المعري في عرضه لصور إنتصار كوكب (الشمس) في صراعه مع الكواكب
 الأخرى، بقوله:

كأن الثريا والصبح يروعها أخو سقطة أو ظالع متحامل⁽⁵⁰⁾
 إن ضياء (الشمس) روع (ثريا) الليل بطلوعه، وهي صورة تجلى فيها معاني (الضعف
 والإنهزام) و(القوة والانتصار)، ودل عليها بلفظة (يروع)، فطلوع الفجر قد أخاف الثريا
 التي فوجئت ببزوغه بعد أن أنهكت، وضعفت من طول بقاءها، وسهرها.

ويحاول المعري أن يرسم مشهد لصراع (الشمس) مع الكواكب يقرب فيها الصورة،
قائلاً:

دجا فتلهب المريخ فيه وألبس جمرة الشمس الرمادا⁽⁵¹⁾
إذ استطاع بما إنتقى من أفاظ (تلهب، جمرة، الرماد) أن يصور مشهد للصراع بين
كوكبي: (المريخ) الذي إستمدت جمرته الملتهبه حرارتها، وقوة ضيائها من ظلمة الليل -
كناية عن طول الليل- و (الشمس) التي أطفأت نار جمرتها - قرص الشمس- بما ألبست
من ثوب (الرماد) كناية عن (الليل)، فطول الليل قد أقوى نور المريخ وأصرع ضياء الشمس
بإخفاها.

وقف المعري وراء هذا الصراع الكوني-إنتصار (المريخ)، وهزيمة (الشمس)- وقفة
خوف من الظلام الذي طال عهده، فلا يعرف له نهاية إلا أنه يعترف في قرارة نفسه، بقوله:
والشمس دائمة البقاء وإن تنل بالشكوفهي سريعة الإخطف⁽⁵²⁾
إن كوكب (الشمس) في كل صراعاته مع الكواكب الأخرى يخرج منتصراً دون أدنى
شك؛ لأنه أزلّي البقاء ما دامت الحياة مستمرة، وأن تقدمه كوكب الأرض في (الكسوف)
أو نجم القمر في (الخسوف)، أي: حجب ضوءها إلا أن سرعان ما تعافى، ويكتمل
نورها.

وبذلك يكون المعري قد تعاطى مع (الليل) متخذاً من لونه (الأسود) وسيلة في رسم
ملامح صورته، إذ أضفى على لوحة الليل شيئاً من ألوان (نفسه) المتأزمة التي وجدت
فيه خير ما يعبر عنها، وهذا الصراع يكشف عن أنساق أضمورها المعري في غياهب نفسه
الداخلية لم يعلن عنها صراحة، وهو إنتصار (النور) على (الظلام) مهما طال بقاءه، لذا
عرج الى الكون؛ ملتقطاً منه صوراً لـ (الظلمة) و (الضياء) جسدها في لوحاته الفنية
بأسلوب أدبي متميز.

ويرسم المعري شكلاً آخر لصراع الكون (السمائي) أقتبس مشاهدته من الأرض،
بقوله:

كأن هلالاً لاح للطعن فيهم حناه الردى وهو السنان المجرب
كأن ضياء الفجر سيف يسله عليهم صباح بالمنايا مذرب⁽⁵³⁾

أكد فيه على فكره (الفناء) معتمدا على ثنائية (الهلال والفجر) في السماء، و(السنان والسيف) التي تحكم صراعات الأرض، فالهلال الذي يلوح في السماء ليس إلا سنانا مجريا في ساحة المعركة، أما الإنحناء الملحوظ في طرفيه، فهو من صنيع (الموت) الذي يملأ الوجود، وضيء الفجر الذي يمتد مستطيلا لامعا في أفق السماء ليس إلا سيفا «في الضياء» مسموما يسله صباح الموت في وجوه ضحاياها (النجوم).

ويجعل المعري من عالم السماء سلطانا على عالم الأرض، فهو يعيش في صراع قوي معه، يرسم له صورة في تشكل جديد، يقول:

وإن زمانا فجره مثل سيفه هلال دجاه من مخالبه الحجن⁽⁵⁴⁾

إن الزمان في صراع مع الحياة ليلا كان أم نهارا، إذ يتخذ من الفجر سيفا له، والهلال مخلبا يغرسه في فرائسه، وإختياره لـ (السنان والمخلب) رمزا لـ (الهلال) قلب الصورة التي كانت عليه من (تفاؤل وسرور) الى (خوف ورهبة)، فالناظر إليه في (الدجى)، وهو يحمل (مخالب) ينزع في نفسه الخوف، والرهبة، إذ لم يكن توظيفه لها توظيفا شكليا بقدر ما تحمله من دلالات تصور نظرت له لصراع الحياة والموت.

النهار ----- الفجر ----- السيف .

الليل ----- الهلال ----- مخالب الحجن .

ولا يقف المعري عند هذا الحد من الوصف للصراع الكوني بل نجده يصطنع صراعا آخر بين عالمين (الكون) و(الحياة)، بقوله:

كأن نجوم الليل زرق أسنة بها كل من فوق التراب طعين
ولائح هذا الفجر سيف مجرد أعان به صرف الزمان معين⁽⁵⁵⁾

ينتخب الشاعر لهذا الصراع وحشين من كل عالم كفيلين بقتل الخلق، وتمزيقهم ف (النجوم، الفجر) من العالم الأول (الكون)، و(الأسنة، السيف) من العالم الآخر (الحياة)، ولما كانت الأسنة، والسيوف وسيلة للجراح، والتمزيق، والموت، فأن النجوم، والفجر لهما الوقع ذاته في فعلها ببني البشر، بل ربما تتفوق بطعنهما بدلالة العبارة (كل من فوق التراب) التي أفادت العموم.

يبث المعري بهذا المشهد الصراعي نظرتة التشاؤمية للحياة من خلال تحويل (النجوم

والفجر)، وهما رمزا التفاؤل، والبهجة الى رموزين للتشاؤم، واليأس، ويبالغ أكثر في تلوين صورته بأن جعلها وسائل مسلطة على رقاب الناس تعين صروف الدهر عليهم.

ويستمر المعري في رسم لوحات صراع النجوم بشكل فني مميز، إذ نلاحظ له صورة يتصارع فيها النجم (سهيل) مع النجوم الأخرى، وهو «كوكب أحمر منفرد عن الكواكب، ولقربه من الآفاق كأنه أبدا يضطرب، وهو من الكواكب اليمانية»⁽⁵⁶⁾، بقوله:

وسهيل كوجنة الحب في اللو ن وقلب الحب في الخفقان
 مستبدا كأنه الفارس المع لم يبدو معارض الفرسان
 يسرع للمح في احمرار كمتس رع في الملح مقلة الغضبان
 ضرجته دما سيوف الأعادي فبكت رحمة له الشعريان
 قدماه وراءه وهو في العج ز كساع ليست له قدمان⁽⁵⁷⁾

ويحاول المعري تقريب صورة الصراع السماوي الى ذهن المتلقي بما يألفه الناس من صور للصراع فيما بينهم في الحياة، إذ يشبه النجم (سهيل) في عالمه السماوي بين النجوم في طول مدة بقاءه مقارنة مع النجوم الأخرى، وشدة إحمراره، وبريق لمعانه، ب (الفارس الشجاع) الذي يمتلك من القوة، والبأس ما يجعله يقف وحيدا في موقعه مستعدا لمجابهة كتيبة من الجيش، وتحتدم هذه المواجهة بشكل أكبر حين يسלט المعري أضواءه؛ ليلتقط صوراً تكشف عن شدة إنفعال هذا النجم من خلال إحمرار عينيه، ويختتم مشهد الصراع بسقوطه في ساحة الوغى مضرجا بدمائه عقب تلك المنازلة (بزوغ الفجر) حتى بكت عليه (الشعريان) (*). وهذه السيوف أقعدته عن الحركة مع وجود قدمين له، وهما نجمان يظهران تحته كأنهما قدما له، هو ما جعل سهيل عاجزا عن الوقوف مرة أخرى.

وهذا الوصف الدقيق للنجم (سهيل) قلما نجده في نتاج الشعراء، إذ استطاع أن يؤلف بتناسب، وإنسجام في مزجه بين بعدين (لوني) و (حركي)، فالفارس في المعركة تتصاعد حماسه، وتحمر عيناه كالغضبان؛ لذا جاءت الصورتان متلاحمتين متآلفتين؛ لإنتمائهما الى عالم واحد هو عالم الحرب.

الخاتمة

- جاءت صور أبي العلاء المعري لمظاهر الكون تجسيدا لنظرته الخاصة إلى الحياة، إذ كشفت عن وجهة نظره للحياة، والمجتمع عبر صور، ودلالات إستوعبت كل ما يجول في تلك النفس المضطربة.
- إستطاع المعري برؤيته الفنية، ولمحته الإبداعية أن يرسم لوحات للصراع الكوني، والتي لم يدركها ببصره يعجز من يمتلك البصر عن الإتيان بمثل تلك اللوحات، وهذا ما يزيد من جمالية الخلق الفني .
- إتسمت علاقة (الأنا) ب (الذات) و (الأخر) في عمومها بالمواجهة، والصراع، فصراع (الأنا) و (الذات) مصدره فقدان البصر، ومشكلتها أنها لا تأتلف الجسد (الذات)، أما صراع (الأنا) مع (الأخر) مصدره التعارض والإنقسام، فالعلاقة التي تحكمهما علاقة ضدية قائمة في الأساس على الرفض لقيم الأخر، ومسلكه.
- وجدت نفس المعري (الأنا) في صراعها مع (الذات) و (الأخر) في الشعر وسيلة للتعويض يمكن أن تتجاوز به أزمتهما القائمة، وأوضاعها النفسية المؤثرة .
- تغلغله في مضامين فكرية عميقة (للظواهر الكونية) تتصل بفلسفته، ورؤيته الخاصة للحياة، والتي يغلب عليها الطابع السوداوي التشاؤمي.
- جعل الصور القائمة على ثنائية (التضاد) أساسا في بناء أشعاره؛ لما لها من أهمية كبرى في الكشف عن علاقته الخفية التي يقيمها بين عناصر الصورة، ومكوناتها المختلفة، وبين مواقفه، وفلسفته (للحياة والموت)، وأراؤه تجاه الأخر .
- إستطاع أن يحول هذا الصراع إلى ألفاظ، وتراكيب، وصور ينقشها في قصائد على لوح فني تخلد ذكره على مرور الأزمنة بأسلوب أوقع في السمع، والنفس .
- عرج المعري إلى الكون؛ ملتقطا منه صورا ل(الليل والنهار) جسدها في لوحات فنية

بأسلوب أدبي متميز متخذاً من سواد الليل وسيلةً في تحديد ملامح من ألوان نفسه المتأزمة التي وجدت في الليل خير ما يعبر عنها.

- قدرته في الربط بين الأشياء من خلال توظيفه لأسلوب (التشخيص)، وذلك في إضفاء الصفات الإنسانية على الماديات؛ لتقريب الصورة، وتوضيحها للمتلقي.

الهوامش

- (1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت 711-)، قدم له الشيخ: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت لبنان، (د.ت): 8/197، مادة: (صرع).
- (2) ينظر: م. ن: 8/199، مادة: (صرع).
- (3) الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، دار الجيل، القاهرة، 1995م: 2/1121.
- (4) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: د. إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1981م: 554.
- (5) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2000م: 64-63/7.
- (6) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت626)، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1993م: 1/342.
- (*) النيبث: الشيرير. وهو أيضا من نبث التراب: أخراه. ونبث عن السر: بحث عنه.
- (7) لزوم ما لا يلزم (اللزوميات)، أبو العلاء المعري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1961م: 1/249.
- (*) الطويل: من بحور الشعر، وعروضه المقبوضة: مفاعلن.
- (8) اللزوميات: 2/97.
- (9) م. ن: 2/484.
- (10) م. ن: 2/427.
- (11) م. ن: 2/484.
- (12) قصد أبي العلاء من رسالة الغفران، محمد الفاضل، مجلة الثريا، تونس، 1944م: 20.
- (13) اللزوميات: 2/226.
- (14) هذان البيتان لم أجدهما في شعر أبي العلاء، ولعلهما من شعره المفقود، ويشير الى ذلك أحمد تيمور باشا في كتابه (أبو العلاء المعري)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، 2012م: 20.
- (15) اللزوميات: 2/458.

- (16) تنمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبي المنصور عبد الملك الثعالبي (ت429)، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1983م: 5 / 16.
- (17) اللزوميات: 2 / 336.
- (18) شروح سقط الزند، أبو العلاء المعري (ت626)، تحقيق: مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وآخرون، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م: 2 / 520.
- (19) اللزوميات: 1 / 125.
- (20) م. ن: 1 / 157.
- (21) شروح سقط الزند: 394-393 / 1.
- (22) اللزوميات: 2 / 320.
- (23) م. ن: 2 / 411.
- (24) م. ن: 2 / 610.
- (25) شروح سقط الزند: 525-522 / 2.
- (26) اللزوميات: 1 / 155.
- (27) ينظر: الحرب على هدي الكتاب والسنة، أحمد حسين، المجلس الأعلى، القاهرة، 1974م: 11.
- (28) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ط17، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1989م: 419.
- (29) الطبيعة في شعر مصر والشام من القرن الخامس الى نهاية الدولة الأيوبية، أحمد عطية محمود أبو صغيليك، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 1997م: 60.
- (30) اللزوميات: 1 / 464.
- (31) شروح سقط الزند: 622 / 2 - 625.
- (*) الزبرقان: القمر.
- (32) م. ن: 2 / 576.
- (*) الوخذ: سير سريع .
- (**) البرى: التراب .
- (33) م. ن: 1 / 489.
- (34) م. ن: 490 / 1.
- (35) م. ن: 661 / 2.
- (36) م. ن: 1 / 423.
- (37) الجاثية: 24.
- (38) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997م: 201، 202.

- (39) شروح سقط الزند: 2/ 424.
- (40) م. ن: 1/ 343.
- (41) م. ن: 1/ 343.
- (42) م. ن: 2/ 486.
- (43) م. ن: 2/ 538.
- (44) م. ن: 2/ 539.
- (45) م. ن: 1/ 308، 310.
- (46) م. ن: 1/ 309.
- (47) م. ن: 1/ 309.
- (48) م. ن: 2/ 652.
- (49) م. ن: 2/ 658.
- (50) م. ن: 2/ 547.
- (51) م. ن: 2/ 793.
- (52) م. ن: 3/ 1304.
- (53) اللزوميات: 1/ 88. المذرب: المسموم.
- (*) مذرب: مسموم
- (54) اللزوميات: 2/ 536.
- (*) الحججن: الواحد أحجن: الأعوج .
- (55) اللزوميات: 2/ 497.
- (56) صبح الأعشى، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت821)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م: 2/ 173.
- (57) شروح سقط الزند: 1/ 433-435، 437.
- (*) الشعريان أختا سهيل، والغميصاء أحدهما، وهي في المجرة، فهي لا تنظر إليه، فقد غمصت من البكاء، أي كثر القذى في عينها، والأخرى الشعرى العبور، فقد عبرت إليه المجرة، فهي تنظر إليه، وفي عينها عبرة، أي: دمع. تنظر: الأزمنة والأمكنة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت421)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1916م: 141، وتنظر: شروح سقط الزند: 1/ 437-435.

المصادر والمراجع

أولا / الكتب:

- القرآن الكريم.
- أبو العلاء المعري، أحمد تيمور باشا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.
- الأزمنة والأمكنة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت421)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1916م.
- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ط 17، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1989م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: د. إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1981م.
- تتمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبي المنصور عبد الملك الثعالبي (ت429)، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1983م.
- الحرب على هدي الكتاب والسنة، أحمد حسين، المجلس الأعلى، القاهرة، 1974م.
- شروح سقط الزند، أبو العلاء المعري (ت626)، تحقيق: مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وآخرون، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.
- صبح الأعشى، أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت821)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.
- لزوم ما لا يلزم (اللزوميات)، أبو العلاء المعري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1961م.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711)، قدم له الشيخ: عبد الله

- العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت لبنان، (د.ت).
- اللغة واللون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1997م.
 - معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت626)، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1993م.
 - الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، دار الجيل، القاهرة، 1995م: 2/ 1121.
 - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2000م.

ثانيا / الرسائل الجامعية :

- الطبيعة في شعر مصر والشام من القرن الخامس الى نهاية الدولة الأيوبية، أحمد عطية محمود أبو صعيك، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 1997م .

ثالثا / الدوريات :

- قصد أبي العلاء من رسالة الغفران، محمد الفاضل، مجلة الثريا، تونس، 1944م

نظرية التواصل بحث في الأصول والتصورات

أ.م.د. خالد خليل هادي

أ.م.د. علي حلو حواس

جامعة بغداد - كلية التربية / ابن رشد جامعة بغداد - كلية التربية /
ابن رشد

الكلمات المفتاحية (نظرية التواصل والتصورات)

Communication theory
Research in assets and perceptions

Asst.prof.ph.D.Ali Hilo Al-Hawas
Asst.prof.ph.D.Khaled Khalil Hadi
College of Education / Ibn Rushd Human Sciences
University of Baghdad

(theory Communication -Perceptions)

This research seeks to identify the concepts of communication theory, which, as we know, have many different fields of knowledge. It tries to present the roots of the theory and its origins, especially if we know that communication was an important shift before the Second World War, as a result of cooperation and scientific partnership between mathematicians and engineers. In their first attempts to formulate the basic principles of communicative theory, they discovered that the theoretical peculiarities of each type of mark used by organisms (living or technical) had communicative purposes.

ملخص البحث

يسعى هذا البحث الى الوقوف على التصورات الخاصة بنظرية التواصل، التي تتجاذبها- كما نعلم- حقول معرفية متعددة، فحاول أن يعرض لجذور النظرية وأصولها، ولاسيما اذا ما علمنا أن التواصل عرف نقلةً مهمةً قبل الحرب العالمية الثانية، نتيجة التعاون والشراكة العلمية بين علماء الرياضيات ومهندسي الاتصالات السلوكية واللاسلكية، إذ قدّموا أولى المحاولات الخاصة بصياغة المبادئ الأساسية للنظرية التواصلية، فاکتشفوا أنّ الخصوصيات النظرية لكلّ نسقٍ من العلامات المستعملة من لدن الكائنات (حية أو تقنية) لها غاياتٌ تواصليةٌ.

وبعد الكلام على جذور النظرية حاولنا الوقوف بشكل تفصيلي على التصورات اللسانية لنظرية التواصل، بتصور فردينان دي سوسير وبوهلر ورومان ياكسون، وأخيرا تكلمنا على مفهوم القدرة التواصلية، الذي عرضته اللسانيات الوظيفية في أحدث صورها.

نظرية التواصل الأصول

تجاذب مفهوم التواصل حقول معرفية متنوعة، تشمل كلّ المنتوج الإنسانيّ، ذلك أنّ كلّ ما يمكن أن يكون رابطاً بين الإنسان ومحيطه، وكلّ الأشكال الثقافية التي تتحدّد من خلالها هويّة الأفراد، وتشي بانتمائهم إلى ثقافة بعينها (لغة، لباساً، طقوساً...) يجب النظر إليها بوصفها (وقائع إبلاغية)، تندرج ضمن حالات الاجتماع الإنسانيّ، الذي يتخلّى الفرد بموجبه عن فردانيته لصالح التوحد مع الآخرين⁽¹⁾؛ من أجل ذلك تعدّدت تعريفات التواصل وتباينت، نتيجة اختلاف العلوم التي اهتمّت به، لكننا مع ذلك يمكن تعريفه بأنّه تبادل أدلّة بين ذات مرسلّة وأخرى مستقبلية، بشرط اشتراك المرسل والمرسل إليه في السنن، حتى يتمّ الإسنان والاستنان على الوجه الأمثل، مع ضرورة وجود قناة تنقل الرسالة من الباتّ إلى المتلقّي⁽²⁾، أو هو الميكانيزم الذي توجد بوساطته ((العلاقات الإنسانية وتتطور، إنّه يتضمن كلّ رموز الذهن مع وسائل تبليغها... ويتضمن أيضاً تعابير الوجه وهيئات الجسم، والحركات، ونبرة الصوت والكتابات والمطبوعات والقطارات والتليفون...))⁽³⁾.

وعلى الرغم من الطابع الإنسانيّ لهذا النشاط نجد أنّ ميلاد هذا العلم قد ظهر في أحضان علم لا يعترف بما يمكن أن تثيره الإرساليات من انفعالات وردود أفعال عند المتلقّي، ولا يستجيب إلا للمعادلات الرياضية، التي تسعى إلى تقليص حجم الضياع المعلوماتي، الذي قد يحصل في أثناء أيّ عملية تواصلية⁽⁴⁾.

لقد عرف التواصل نقلةً مهمةً قبل الحرب العالمية الثانية، نتيجة التعاون والشراكة العلمية بين علماء الرياضيات ومهندسي الاتصالات السلكية واللاسلكية، إذ قدّموا أولى المحاولات الخاصة بصياغة المبادئ الأساسية للنظرية التواصلية، فاکتشفوا أنّ الخصوصيات النظرية لكلّ نسقٍ من العلامات المستعملة من لدن الكائنات (حية أو تقنية) لها غايات تواصلية.

ويجب التنويه هنا بأهمية التمييز بين التواصل بوصفه ظاهرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوجود الإنساني والوعي بالتواصل وأنساقه بوصفه نظرية تتأمل الفعل التواصلية، وتستخرج قواعده وتحدد عناصره «فيما تشكل معطيات التواصل وجوداً موضوعياً يمكن الإمساك به من خلال كل مظاهر السلوك الإنساني، لا تشكل النظريات التواصلية سوى فرضيات للتحليل وفهم آليات السلوك، أي يجب النظر إليها باعتبارها تجريداً قابلاً للتعديل والإضافة والحذف»⁽⁵⁾.

لقد كانت البداية الحقيقية للتواصل بوصفه علمًا يركز على العلاقة التي تربط الكائنات البشرية فيما بينها في ثلاثينيات القرن الماضي، ويرجع الفضل في ذلك إلى باحثين ينتمون إلى حوضٍ معرفي بعيد كل البعد عن التخصصات الإنسانية، قدموا خطاطاتٍ تختصر السيرة التواصلية، وتحدد أبعادها وعناصرها ومسارها وكل التأثيرات التي تعوق الإرسالية أو تسهم في إنجاحها⁽⁶⁾.

وتعدّ إسهامات نورنبيرت فينر (1894-1964) أولى الإسهامات التي عمدت إلى تحديد السيرة التي يمكن من طريقها التحكم في أشكال التواصل وتوجيهه، فضلاً عن أنه يعود إليه الفضل في تأسيس (السبرنطيقا)، وهو مبحثٌ يهتم بتنظيم الآلة ومراقبتها بطريقة تؤدي إلى المراقبة الذاتية لاشتغالها وفق الإشارات التي تدل على سير العمليات وترتيبها، كما أنّ هذه الآلة تكون خاضعة لنظام التغذية الراجعة (feed back). وكانت غايته تتركز في تحديد السبل العلمية التي يستطيع من خلالها مدفعٌ أرضيٌّ مضادٌ للطائرات أن يصيب هدفاً متحركاً يسير بسرعة فائقة⁽⁷⁾.

وفي الأربعينيات، وتحديدًا في الولايات المتحدة الأمريكية قدّم كلٌّ من كلود شانون وويفر خطاطة، تختصر من خلال خاناتها ونمط اتصالها العملية التواصلية، وكان ذلك عبر تحديد الأدوات التقنية التي تحرك السيرة التواصلية، فكلُّ بثٍّ إعلامي به حاجة إلى وجود مصدر للمعلومة، يكون هو الأساس في عملية البث مثل (الإذاعة المسموعة) إذ تقتضي عملية البث تدخل المذيع بوصفه مرسلًا، يقوم بتسنيّن الرسالة، بحسب طبيعة القناة (مكبر صوت مثلاً)، عبر إرسال سلسلة من الإشارات الفيزيائية التي تنتقل على شكل موجات ارتدادية، فتنتقل إلى الناقل/المستقبل (المذيع)، فيفكّ تسنيّناتها، ليجعلها قابلة للتلقّي من قبل المرسل إليه (المستمع)⁽⁸⁾، ونلاحظ هنا أنّ المرسل والمستقبل هما آلتان تقنيتان تحددان سيرة العملية التواصلية ضمن مجال السبرنطيقا، ويحصل ذلك في ضوء الخطاطة الآتية:

مصدر الخبر ← الباث ← الإشارة النهائية ← المتلقي ← الهدف

الإرسالية الإشارة المبتوثة الإرسالية

إنّ هذا المخطط يوضّح كيفية انتقال نسخة طبق الأصل من رسالة موجودة في مصدر محدد للمعلومات إلى جهة محددة، نتيجة لفعل التواصل، إذ يمكن أن يكون المصدر والجهة المقصودة موظفي اتصالات، وجهاز التشفير وفك الشفرة ماكنتي تلكس، وقناة الاتصال سلّكاً كهربائياً، والرسالة نصّاً، أي مجموعة من الحروف، والإشارة سلسلة من النبضات الكهربائية، فالرسالة يطبعها المصدر على لوحة مفاتيح المشفّر، والمشفّر يتوافر على شفرة تربط بين كلّ الحروف، ونسق مميز من النبضات الكهربائية، ثم يقوم المشفّر بإرسال هذه النبضات عبر القناة إلى جهاز فكّ التشفير، الذي يحتوي على نسخة طبق الأصل من شفرة المشفّر، فيستعملها لتسليم الجهة المقصودة سلسلة من الحروف والعلامات، التي تسلّمها من طريق النبضات الكهربائية، وهكذا يتحقق التواصل، من طريق تشفير رسالة أو فكرة غير قادرة على التنقل بتحويلها إلى إشارة قادرة على ذلك، ومن ثم فكّ شفرة تلك الإشارة في الجهة المتسلّمة، وإذا وافقت الإشارة ضجيجاً على طول قناة الاتصال، نحو الاضطرابات في التيار الكهربائي فيمكن أن تشوّه الإشارة، وبخلاف ذلك، أي إذا كان الجهازان غير عاطلين، والشفرة متطابقة من طرفي الاتصال، فإنّ الاتصال حينئذ سيكون مؤمناً مضموناً⁽⁹⁾.

ومن الجدير بالتنويه هنا أنّ خطاطة شانون وحيدة الاتجاه تقود من مصدر أصليّ إلى مستقبل هو غاية الاتصال، وهذا الأمر يحدّد من فعاليتها ونشاطها في ميدان التواصل الذي يتوسّل المعطيات الإنسانية، بوصفه قناة مطلقة لإنتاج وقائع تواصلية، لا يحتفظ أيّ عنصر فيه بموقع ثابت، فالمرسل قد يكون مرسلًا إليه والمرسل إليه قد يتحول إلى مرسل، كلّ ذلك يجري في دورة كلامية غير منتهية. إنّ التطورات اللاحقة في ميدان البحث في التواصل تخلّصت من اكراهات هذه الخطاطة، المتمثلة بطابعها الآلي، لصالح الانفتاح على التواصل في كلّ مناحيه الإنسانية، والتخلّي عن التعريف التقليدي للتواصل بوصفه ربطاً لفظياً بين باثّ ومتلق، ليصبح شاملاً لكلّ السيرورات الإنسانية ذات البعد التواصلية، مثل الايماءات والنظرة والمحاكاة الجسدية والفضاء الفاصل بين المتحدثين، حتى أصبح من العيب عند بعض الباحثين الفصل بين التواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي، على

الرغم من كون اللغة أرقى أنظمة التواصل، ومعيار تحليل الأنظمة التواصلية الأخرى، وما ذلك إلا لأنَّ الفعلَ التواصلِيَّ هو فعلٌ كليٌّ⁽¹⁰⁾، ينسحب على جميع أنظمة التواصل، وهو أمرٌ تؤكده الدراسات السيميائية، التي تفترض بحسب أمبرتو ايكو ضرورة ادراك الحضورَ غيرَ النمطيِّ للإنسان ضمن وضعه بوصفه مرسلًا أو مرسلًا إليه، حيث المجال الرحب لتعدد الشفرات بين المتواصلين (قد تكون الشفرة لغة، اشارات، لباسًا)، بذلك تتحول ((الشبكة التواصلية إلى سيرورةٍ دلالية، تحول الإشارة إلى شكلٍ دالٍّ يلزم تعبئتها بمدلول، وذلك انطلاقًا من السَّنن القاعدي الذي يُحتكم إليه، سَننٌ يتضمن بدوره أسنن (كذا) أخرى فرعية ذات وظيفة ايحائية في الغالب، فالظرفُ كفيلاً بتحديد اختيار السَّنن المناسب، بوصفه سياقًا للتواصل السيميائي))⁽¹¹⁾.

وعلى الرغم من كلِّ النقودات التي وجَّهت لخطاظة شانون، والتي أشرنا إلى بعضها، بقيت هذه الخطاظة حاضرةً في أغلب دراسات الباحثين الذين بحثوا في التواصل وأركانه وضوابطه، على نحو ما سيتضح لنا في النماذج التواصلية التي سنعرض لها.

التواصل في التصوُّرات اللسانية :

لعلَّ الغايةَ الأساسيةَ والوظيفةَ الرئيسةَ التي يستعمل من أجلها الإنسانُ اللغةَ تكمن في تحقيق عنصر التواصل والإبلاغ، أي نقل معلومات وتبادل آراء وتعزيز أدوار وتحقيق منافع اجتماعية، ذلك أنَّ كلَّ عملية تواصلية تصدر عن تعاون أو وهم تعاون بين متكلمين ومتلقين، يفترض فيهم الاشتراك في مفاهيم ومصاديق العبارات التي يستعملونها⁽¹²⁾.

ويكمن نجاح العملية التواصلية بضبط ميكانزمات اللغة، ومراعاة طبيعة المتلقي والتحكُّم في طبيعة المعلومات التي يتمُّ بثُّها في أثناء الحدث التواصلِي. وتكاد تجمع النظريات اللسانية على اختلاف أسهها المعرفية على أنَّ كلَّ سيرورة تواصلية تستلزم عناصرَ محدَّدة، يجب توافرها لإنجاح الحدث التواصلِي، مثل المرسل والمرسل إليه والشفرة⁽¹³⁾، لكنها-النظريات اللسانية- تختلف في مدى مراعاة طبيعة التفاعلات التي تحدث في أثناء عملية التواصل، وأشكال الاستجابة للرسالة، والسياق الذي يحدث فيه التواصل على نحو ما سيتضح لنا.

لقد وجد عددٌ من الدارسين أنَّ نموذج شانون في التواصل كانت قد سبقته ارهاصاتٌ

أولى تعود إلى لسانين، بثّوا آراء في التواصل منذ مطلع القرن الماضي، أشاروا فيها إلى التواصل وأركانه وبعض الأمور النظرية المتعلقة به، وسنعرض هنا لثلاثة نماذج لسانية قدّمت تصوراتٍ مهمةً لسيرورة الحدث التواصلية.

نموذج دي سوسير:

قد يثير الحديث عن نظرية التواصل عند اللسانيّ السويسريّ فرديناند دي سوسير استفهاماً من لدن الدارسين، مرّده إلى أنّه قد عرّف عن دي سوسير انتماءه إلى منهجٍ محايتٍ منغلق، أعني المنهج البنيوي الذي يقف في مقاربتة اللغوية عند حدود بنية اللغات الطبيعية ولا يكاد يتعداها؛ لذلك تخلّى عن البحث فيما جاوز الكينونة اللغوية بمفهومها الشكليّ، فدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وهو منهج يباين إلى حدّ بعيدٍ ما عرفناه عن التواصل، بوصفه مقارنةً منفتحةً تتجاوز بنية الكلام الظاهرة إلى مراعاة أحوال التخاطب والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز فيها الخطاب، محاولاً استثمارها في عملية فحص الخطاب وتحليله. هذا المشكل هو ما سنحاول الإجابة عنه من طريق حديثنا عن مفهوم التواصل في النظرية السويسرية.

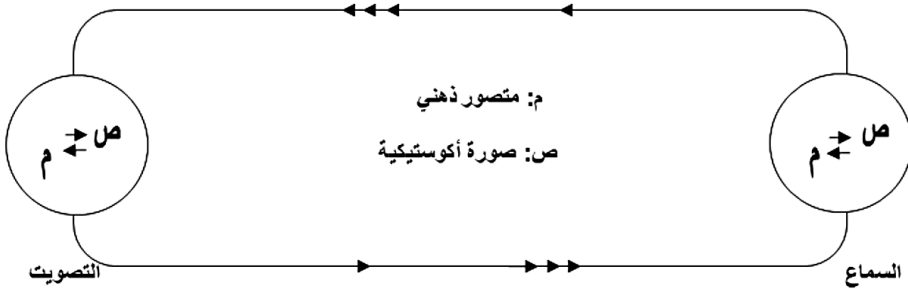
يحصل التواصل عند دي سوسير بأدلةٍ لغويةٍ وأخرى غير لغويةٍ، ووجد أنّ اللسانيات تُعنى بدراسة الأدلة اللغوية، تاركةً الأدلة غير اللغوية إلى علم آخر هو علم العلامات، بوصفه علمًا يُعنى بدراسة جميع أنظمة التواصل لغويةٍ وغير لغويةٍ⁽¹⁴⁾، معنى ذلك أنّ التواصل عند دي سوسير لا يقتصر على استعمال المتكلم لعلامات اللغات الطبيعية فقط، بل يتعدّى ذلك إلى ما هو غير لفظيٍّ، وفي هذا السياق تنبأ دي سوسير بميلاد علم جديد يدرس كلّ أنظمة التواصل اللفظية وغير اللفظية، سمّاه (علم العلامات) الذي يدرس حياة العلامات ومقوماتها في المجتمع، فضلاً عن بيان القواعد التي تتحكم فيها.

لقد جاء حديث دي سوسير عن التواصل في سياق كلامه على (دورة الكلام)، إذ يمكن لهذه الدورة أن تقودنا إلى فهم التواصل وتحديد عناصره وبيان قوانينه، وتحصل دورة الكلام هذه بين متحاورين (أ، ب)، لأنّ الحدّ الأدنى للتواصل يستلزم وجود شخصين ((وهذا أقلُّ عددٍ يقتضيه اكتمالُ الدائرة))⁽¹⁵⁾.

لقد جعل دي سوسير نقطة انطلاق دورة الكلام، هي دماغ المتكلم (أ) حيث توجد

الأفكار بما يماثلها من الأصوات اللغوية (الصورة الصوتية) التي تُستعمل للتعبير عن الأفكار «الفكرة المعينة تثير الصورة الصوتية التي ترتبط بها»⁽¹⁶⁾، وهذه العملية سايكولوجية خالصة، تتبعها عمليةً فلسجيةً، إذ ينقل الدماغ إشارة ملائمة للصورة إلى أعضاء النطق، بعده تنطلق الموجات الصوتية من فم (أ) إلى أذن الشخص (ب)، ثم تمتدُّ دورة الكلام في الشخص (ب) منطلقاً من الأذن ومنتهيّاً بالدماغ، وهي عملية فلسجية، ويحصل في الدماغ الربط السايكولوجي بين الصوت والفكرة، فاذا ماتكلم الشخص (ب) فإنه يتبع الخطوات نفسها التي وجدناها عند الشخص (أ) ابتداءً من دماغ (ب) وانتهاءً بالدماغ (أ)⁽¹⁷⁾، وهنا يتحوّل المستمع إلى باثٍّ بعد استقبال الخطاب، ومن الواضح أنّ الدماغ يحتل موقعا متميزاً في العملية التواصلية، فهو يؤدي وظيفة المرسل والمستقبل في الآن نفسه، إذ تتم فيه عملية تشفير المعلومات وتفكيكها، وفيه تُختزنُ الشفرة ومكوناتها، وبهذا يكون الدماغ المحرك الأول والأساس للعملية التواصلية⁽¹⁸⁾.

المرسل والمستقبل في العملية التواصلية (19).



ونلاحظ هنا أنّ مخطط دي سوسير التواصلي يتألف من ثلاثة عناصر هي:

- 1 - العنصر السايكولوجي الذي يتجلى كما لاحظنا بالأفكار وصور الأصوات.
- 2 - العنصر الفيزيائي، ويتمثل بالموجات الصوتية التي تنتقل من فم المتكلم إلى أذن السامع.
- 3 - العنصر الفسيولوجي، ويتضح بالعملية الصوتية والعملية السمعية⁽²⁰⁾.

ويعدُّ المرسل أساس عملية التواصل، ويمكن أن يكون فرداً أو جماعة، ويمكن أن يكون أيضاً مرسلًا ومرسلًا إليه في الآن نفسه، كما هي الحال في الكلام الداخلي (النفسي)

أو ما يُعرف بالحوار الداخلي الأحادي، في قبال الحوار المزدوج والمتعدد، وعليه فلا داعي لاشتراط دي سوسير وجود شخصين لتحقيق الحدث التواصلية⁽²¹⁾.

يتضح مما تقدّم أنّ معالجة دي سوسير للتواصل كانت معالجةً نسقيةً خالصةً، جاءت في إطار كلامه على دورة الكلام، ولم يقصد بالتواصل هنا المنهج الذي يُتكى عليه لدراسة اللغة وفحصها من خلال الانفتاح على الأمور التي تحفّ بالخطاب، على نحو ما استقرّ في الأبحاث التواصلية الحديثة، وهو أمرٌ يتفق وأصول المقاربة البنوية التي آمن بها؛ لذلك لم يُشر في أثناء كلامه على عناصر التواصل (المرسل، والمرسل إليه، والقناة، والشفرة) إلى المرجع، إذ لم يفتح نموذجهُ التواصلية الذي قدّمه على المرجع، وإنما كان نموذجاً مغلقاً لم يتجاوز حدود المتخاطبين فقط، فتأكيده على سايكولوجية العلامة اللغوية بجانبها (المدلول والمدلول) فيه نفيٌ لعلاقة الإشارة اللغوية بالمرجع والواقع الخارجي المادي، وعليه يمكن القول إنّ أهمّ نقصٍ اعترى نموذج دي سوسير التواصلية هو عدم اكتمال عناصر التواصل فيه.

وعلى الرغم من سمة الانغلاق التي طبعت نموذج دي سوسير التواصلية نجد أنّه في كلامه على دورة الكلام تمكّن من تثبيت مجموعة من العناصر الجوهرية التي بنى عليها اللغويون فيما بعد نماذجهم التواصلية (ياكسون مثلاً)، وأهمّ هذه العناصر هما طرفا التخاطب أو التواصل والشفرة، فضلاً عن قناة التواصل⁽²²⁾.

نموذج كارل بوهلر⁽²³⁾:

قدّم كارل بوهلر في كتابه (نظرية اللغة) الصادر في العام 1934 نموذجاً تواصلية سمّاه (نموذج الوسيلة أو الأداة)، يتألّف هذا النموذج من ثلاثة مكونات تظهر عند الحديث عن أيّ علامة لغوية، وهذه المكونات هي «ضمير المتكلم، وضمير المخاطب أي المرسل إليه، وضمير الغائب بأصحّ تعبير، أي (شخص ما) أو (شيء ما) نتحدث عنه»⁽²⁴⁾. ويرتبط كلُّ مكون من هذه المكونات بوظيفة محدّدة تختلف باختلاف ما يتعلّق به، ومن طريق هذه المكونات الثلاثة تتولّد ثلاث وظائف هي: الوظيفة الانفعالية، والوظيفة الإفهامية، والوظيفة المرجعية، وتقابل الوظيفة الانفعالية ضمير المتكلم (المرسل)، وتقابل الوظيفة الإفهامية ضمير المخاطب (المستقبل)، في حين تقابل الوظيفة المرجعية ضمير الغائب أو الشخص المتحدث عنه⁽²⁵⁾.

وتكمن أهمية نموذج بوهلر وقيمته في أنه أدخل المرجع إلى شبكة العملية التواصلية بعد أن أقصاه دي سوسير كما لاحظنا، فضلا عن أنه نموذجٌ كان ملهماً لرومان ياكبسون، وأثر فيه تأثيراً مباشراً، فقد بنى عليه نمودجه التواصلية ذا الوظائف الست، على نحو ما سيتضح لنا.

نمودج رومان ياكبسون:

تؤدي اللغة في نظر الوظيفيين - وياكبسون أحدهم - وظائف متعددة لا وظيفة واحدة على نحو ماتري اللسانيات التوليدية، التي تنص على أن ثمة وظيفة واحدة للغة، تتمثل بالتعبير عن الفكر⁽²⁶⁾. لقد تأثر ياكبسون في نمودجه التواصلية بطروحات بوهلر، وقد صرح بهذا التأثير حينما قال: «إنَّ النمودج التقليدي للغة، كما أوضحه على وجه الخصوص بوهلر يقتصر على ثلاث وظائف: انفعالية، وافهامية، ومرجعية... وانطلاقاً من هذا النمودج الثلاثي أمكننا مسبقاً أن نستدل على بعض الوظائف اللسانية الاضافية»⁽²⁷⁾.

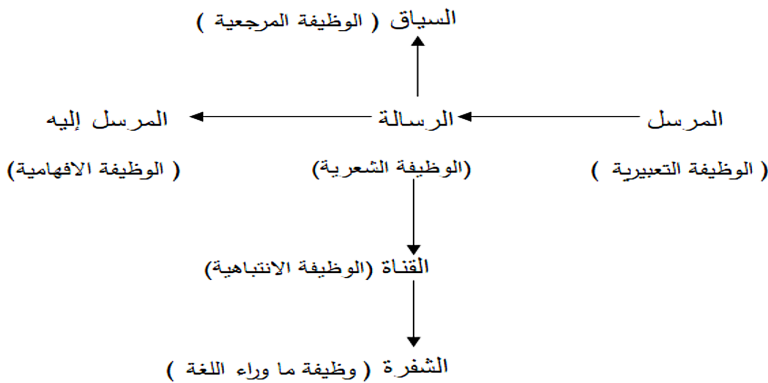
لقد وسَّع ياكبسون عناصر التواصل الثلاثة الواردة في نمودج بوهلر (المرسل، والمرسل اليه، والمرجع) إلى ستة عناصر هي: (المرسل، والمرسل اليه، والرسالة، والمرجع، والشفرة/ نظام الرموز، والقناة)، أي إنه زاد ثلاثة عناصر أخرى، ويمكن القول إنَّ ثمة عناصر رئيسة في الحدث التواصلية تجسدت في نمودج بوهلر، وعناصر إضافية أخرى عدّها ياكبسون ضرورية في الوضع التخاطبية، بمختلف مستوياته.

ووضع ياكبسون ازاء كل عنصر من العناصر الستة التي صاغها وظيفة محددة تقابلها، فأصبحت للغة بحسب ياكبسون ست وظائف، هي:

1. الوظيفة التعبيرية، وترتبط هذه الوظيفة بالمرسل/ المتكلم، وتعبّر بصفة مباشرة عن موقفه تجاه ما يتحدث عنه، ويحاول بوساطتها أن يعطي انطباً بانفعال معين (غضب، ألم، استغاثة...)، وتعدُّ صيغ التعجب في العربية، والتنغيم (طريقة أداء الكلام) خير من يمثل هذه الوظيفة.

2. الوظيفة المرجعية أو الإحالية، وهي الوظيفة المتجهة نحو السياق، التي تحدد العلاقات بين الرسالة والشئ الذي تُحيل عليه، وقد عدّها ياكبسون من أكثر وظائف اللغة أهمية، فهي الأساس في كل فعل تواصلية.

3. الوظيفة التأثيرية أو الإفهامية، وتتجه نحو المرسل إليه، وتوجد هذه الوظيفة «في النداء، أو الأمر، أو الاستفهام، أو التمني، أو في الأساليب الخبرية والإنشائية عموماً. ولنأخذ الأمر مثلاً على ذلك، فجملة الأمر لا يمكن أن يقال لقائلها صادق أو كاذب، بل هي تتطلّب إنجازاً بخلاف الجملة الخبرية، إضافة إلى أنّ فعل الأمر يتخذ دلالاته انطلاقاً من المتلقي الذي يحدد الاستلزام الحوارية للخطاب: دعاء إزام، التماس، أو غير ذلك»⁽²⁸⁾، فبوساطة هذه الوظيفة يأخذ النص قيمته التداولية.
4. الوظيفة الميتالغوية، وتقابل هذه الوظيفة الشفرة/ نظام الإشارة، وتظهر في الكتابات التي تكون اللغة مادة دراستها، أي التي تقوم بوصف اللغة، وذكر عناصرها وبيان مفرداتها، وتتجلّى هذه الوظيفة في اللغة الواصفة كلغة النحاة العرب مثلاً.
5. الوظيفة الانتباهية أو اللغوية (بفتح اللام)، تقابل هذه الوظيفة قناة الاتصال التي تُنقل عبرها الرسالة، وتهدف إلى إقامة التواصل وتمديده أو فسحه، وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل (ألو، تسمعني).
6. الوظيفة الشعرية، وهي التي تتصل بالنص نفسه بوصفه رسالة، فاللغة تقوم بوظيفة شعرية أو جمالية في حال إنتاج خطاب ذي دلالات داخلية، أي خطاب دالّ داخل نفسه⁽²⁹⁾.
- لقد وضع ياكبسون مخططاً حاول فيه بيان عناصر التواصل اللساني وما يقابل هذه العناصر من وظائف، على نحو ما يتضح لنا⁽³⁰⁾:



غير أنّ مخطط ياكبسون التواصلية تعرّض إلى انتقادات من لدن الباحثين؛ لأنّه تعامل مع عملية الاتصال اللغوي وكأنّها شيءٌ قارٌّ ثابت، على الرغم من أنّ للتواصل حركيةً مستمرةً تحمل بنية اللغة آثارها الواضحة «إنّ الجملة ليست كلماتٍ فحسب، إنّها فعلٌ

لغويّ وموقفٌ إزاء واقع معين، إنَّ الجملة تنقل تجارب الآخرين وتتموضع هذه التجارب في عملية التواصل بالقياس إلى التجارب الأخرى المعروفة لدى السامع أو التي يمكن إدراكها في إطار العلاقة التي تربط بين المتكلم والسامع»⁽³¹⁾.

وأرجع هاليداي مختلف وظائف اللغة إلى ثلاث وظائف مترابطة، هي الوظيفة التمثيلية أو الفكرية أو التصورية التي تعبّر عن تجربة المتكلم استناداً إلى الواقع، والوظيفة التعالقية أو التبادلية المعبرة عن الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم بالنسبة إلى المخاطب، كدور المخبر والسائل من جهة، والتعبير عن موقفه من فحوى خطابه كأن يكون متيقناً أو شاكاً من جهة أخرى، والوظيفة النصية التي تربط الخطاب بالطبقة المقامية التي ينجز فيها⁽³²⁾.

ويرى الباحث أحمد المتوكل أنَّه مهما تعددت وظائف اللغة وأغراضها فإنَّها آويةٌ إلى وظيفة مركزية واحدة هي تحقيق التواصل بين الأفراد⁽³³⁾، وفي هذا المعنى يقول جورج مونان: «ومهما يكن واقع بعض هذه الوظائف المختلفة على الأقل، ألسنيًا كان ذلك أو نفسيًا، فإنَّ الجميع متفقون على هذه النقطة، الوظيفة الإبلاغية هي الوظيفة الأولى الأصلية الأساسية بالنسبة إلى الكلام، وما بقية الوظائف إلا مظاهرٌ أو وضعياتٌ غيرٌ ضرورية»⁽³⁴⁾.

في مفهوم القدرة التواصلية:

يُجمع اللسانيون على أنَّ الهدفَ الأساسَ من الدرس اللغويّ يكمن في استجلاء الملكة اللسانية التي تتميز بها الكائنات البشرية، ومحاولة الكشف عن خصائص اللسان الطبيعيّ، ووصفه وتفسيره الوصف والتفسير الملائمين⁽³⁵⁾.

لقد خضعت اللغة بوصفها موضوع الدرس اللسانيّ إلى تصوراتٍ مختلفةٍ ورؤى ومناهجٍ متقاطعة، تبعاً للأسس الأبتمولوجية التي تنطلق منها، فقد نظرت اللسانيات البنيوية، وتحديدًا لسانيات دي سوسير إلى اللغة على أساس أنَّها نسقٌ مغلقٌ، يتألف من ملفوظات يسعى الباحث إلى وصفها وتصنيفها وصفًا واقعيًا، وعلى العكس من ذلك حوّلت اللسانيات التوليدية مجالَ البحث من دراسة اللغة بوصفها نسقًا خارجيًا ظاهريًا إلى دراسة نسق المعرفة اللغوية المكتسبة، والمتمثلة في دماغ المتكلم؛ لذلك شكّلت (القدرة اللغوية) موضوع البحث في اللسانيات التوليدية.

لقد نظر التوليديون إلى اللغة على أساس أنَّها ظاهرةٌ عارضة، ولكنَّها مع ذلك ذات

أهمية قصوى؛ لكونها الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من الوصول إلى معرفة كنه الملكة اللغوية: معرفة بنيتها ومكوناتها وطريقة عملها.

لقد دُرِّجَ في اللسانيات التوليدية على التمييز بين ما يشكل معرفة المتكلم/ السامع للغة، وما يمثل التحقق الفعليّ لهذه المعرفة اللغوية في مواطن تواصلية محددة، وقد أطلقوا على الأول مصطلح القدرة، وعلى الثاني مصطلح الإنجاز، وهم يعنون بالقدرة الإمكانية اللغوية التي يمتلكها المتكلم، والتي تتيح له التعبير عن نفسه والإتيان بعددٍ لانهائيّ من الجمل، وهي تتضمن مهاراتٍ ذهنيةً متعددة، لعلَّ أهمّها «التصوّر ثم التنظيم الذي يجعل كلامنا منظّمًا ثم التابع الذي يجعل المهارات الذهنية قادرة على البقاء والاستمرار ثم الاستدعاء، الذي يجعلنا قادرين على انتقاء التعبير المناسب لكل موقف ثم التقويم الذي يجعلنا نحكم على سلامة لغتنا أو خطئها»⁽³⁶⁾. أمّا الأداء اللغوي، فيقصد به الممارسة الفعلية للغة، أو التحقق العينيّ لهذا التمكّن اللغوي، أي الكلام المُنجَز بالفعل، وفيه يتحدّ الأداء الصوتي مع المضمون الدلاليّ، ويكون حينها الأداء هو الصورة الواعية التي تمثّل الصورة المعقولة من اللغة⁽³⁷⁾. لقد ركّز تشومسكي في تحليله اللساني على القدرة اللغوية دون الأداء أو الإنجاز؛ لأنّه يرى أنّ القدرة تتسم بالثبات والشمولية وعدم التأثر بالاعتبارات الصحية والنفسية، على العكس من الإنجاز الذي يختلف من شخص لآخر، وربّما يختلف عند الشخص الواحد بسبب تأثره بعوامل النسيان والإرهاق والخجل، وعاب تشومسكي على البنيويين بناءهم لوصفهم النحوي على أساس الأداء، الذي رأى أنّه تعوزه العمومية والاستقرار⁽³⁸⁾.

وهناك شبه اتفاق بين الدارسين على القول بهذا التمييز، لكنهم يختلفون في تحديد طبيعة معرفة المتكلم/ السامع للغة بتحديد نوعية القواعد اللغوية التي تجعل المتكلم/ السامع قادرًا على استعمال لغته في مواقف تواصلية فعلية⁽³⁹⁾، فلقد حصرت اللسانيات التوليدية القدرة اللغوية بقدرة نحوية تتكون من عددٍ من المبادئ والقواعد النحوية، التي تُعنى بتوليد عددٍ لا متناهٍ من الجمل السليمة تركيبًا ودلالة، ويقصد بالقواعد النحوية في هذا الصدد القواعد الصوتية الصرفية والقواعد التركيبية والدلالية، وهي قواعد مرتبطة بالدلالة اللغوية الصرف، أي القواعد المتعلقة بالصورة المنطقية للجمل. ونلاحظ هنا أنّ مفهوم القدرة اللغوية الذي جعله تشومسكي الأساس في تكوين الجمل لا يقيم وزنًا للبعد

التداولي للبنى اللغوية التي يصفها، وهو بعدُ يدخل في الإنجاز (التحقق الفعلي للقدرة اللغوية في مواقف تواصلية محددة).

لقد حاول التوليديون في مابعد تدارك هذا الخلل المنهجي من طريق الاهتمام بالجوانب التداولية للظاهرة اللغوية، وفي هذا الإطار اقترح كاتز أن يتم رصد جوانب المعنى غير المرتبطة بالدلالة اللغوية الصرف، كالقوة الإنجازية في مستوى التداول، الذي يكون في منظوره جزءاً من الإنجاز، لقد رأى كاتز أن «الدلالة دلالتان: دلالة لغوية صرف ودلالة غير لغوية، الدلالة الأولى تشكل جزءاً من القدرة في حين أن الدلالة الثانية (أي التداول) أدخل في الإنجاز منها في القدرة، بهذا المعنى يكون التداول حسب كاتز هو الدلالة في مستوى الإنجاز»⁽⁴⁰⁾.

وفي مرحلة لاحقة قدّم تشومسكي تصوراً معدلاً لمفهوم القدرة، من خلال تمييزه بين قدرتين: قدرة نحوية وقدرة تداولية، لكنه جعل القدرة الأولى مفصولة عن الثانية، على أساس أن الأولى وحدها يمكن أن تُتخذ موضوعاً للدرس، فضلاً عن أنها الأساس في إنتاج الجمل⁽⁴¹⁾.

وعرف مفهوم (القدرة اللغوية) تطوراً ملحوظاً في اللسانيات الوظيفية على صعيد المفهوم والإجراء، فقد ميّز الوظيفيون شأنهم في ذلك شأن غيرهم من اللسانيين بين النسق المجرد من القواعد اللغوية، التي تشكل معرفة المتكلم/ السامع للغته، والتحقق الملموس في شكل كلام في أثناء التواصل الفعلي، أي إنهم بنوا ثنائية تشومسكي (القدرة/ الإنجاز) لكنّ تصورهم للقدرة يباين إلى حدّ كبير تصور تشومسكي له، إذ يرى الوظيفيون «أنّ الجوانب التداولية (الوظيفية) تشكل جزءاً من معرفة المتكلم السامع المجرد للغته، أي قدرته اللغوية، وليست مجرد ظواهر انجازية، بهذا المعنى تتضمن القدرة اللغوية بالإضافة إلى القواعد المرتبطة بالخصائص الصورية (القواعد الصوتية-الصرفية والتركيبية والدلالية) القواعد التداولية، أي القواعد المتحكمة في ظواهر الاقتضاء والاستنزام الحوارية... فالقدرة اللغوية عند الوظيفيين إذن قدرة وظيفية-صورية، تشكل معرفة المتكلم/ السامع للقواعد التي تؤهله لاستعمال اللغة وسيلة لتحقيق أهداف تواصلية معينة»⁽⁴²⁾. إن القدرة اللغوية عند الوظيفيين لاتنقسم على قدرتين: نحوية وتداولية، على نحو ماذهب إليه تشومسكي، بل هي نسقٌ واحدٌ من القواعد الصورية والقواعد التداولية المترابطة، أطلقوا عليها مصطلح (القدرة التواصلية)، التي هي عبارة عن مجموعة من

القدرات التي يستطيع بوساطتها شخصٌ ما أن يدخل في سيرورة تواصلية مع الآخرين، فهي لا تقوم على القدرة اللسانية وحدها، أي القدرة على تكوين جمل صحيحة لغويًا، بل تأخذ بالحسبان قدرات أخرى تتدخل في سيرورة التواصل، وترتبط باستعمال اللغة أكثر من ارتباطها بنسق نحوي شكلي. لقد فكّك الباحثان كنال وسوام القدرة التواصلية إلى ثلاثة مكونات رئيسة، توضح المكونات التي تشكل القدرة التواصلية، وهي:

- 1 - قدرة نحوية ترتبط بمعرفة المتكلم بنسق لغته.
- 2 - قدرة سوسiolسانية تتضح في معرفة المتكلم بما هو مقبول عند الاستعمال للغة من طرف جماعة لغوية.
- 3 - قدرة استراتيجية تتعلق باستعمال اللغة من أجل الوصول إلى أهداف معينة⁽⁴³⁾.

وتعود الجذور المعرفية لمفهوم القدرة التواصلية إلى اللسانيّ ديل هايمز سنة 1971، إذ قدّم نقدًا لفكرة تشومسكي بشأن القدرة اللغوية؛ لكونها بحسب رأيه - قاصرةً وضيقةً ولا تناسب الطبيعة الاجتماعية للغة، ورأى نتيجة لذلك أنّ أيّ حديث عن قدرة المرء على اللغة يجب أن يُربط باستعمال اللغة في بيئة حضارية وثقافية محددة، لأنّ اللغة بها حاجة إلى معالجة الكفاءة التواصلية⁽⁴⁴⁾.

لقد تلقّفت اللسانيات الوظيفية مفهوم القدرة التواصلية، وعمدت إلى التقنين له وبيان حدوده وأبعاده، ورأت أنّ هذه القدرة تجمع بين القدرة اللغوية (القواعد الصوتية - الصرفية، والتركيبية، والدلالية) والقدرة التداولية، وهي تمكّن الفرد من استعمال اللغة في سياق اجتماعي قصد أداء نوايا تواصلية محددة بحسب مقام وأدوار معينة، وهي كذلك كفايةً فهم وإنتاج اللغة في ظروف تواصلية خاصة.

لقد أصبحت (القدرة التواصلية) موضوع الوصف اللغوي في اللسانيات الوظيفية، على نحو ما يرى سيمون دك، الذي حاول أن يؤطّر موضوع (القدرة التواصلية) في إطار نموذج لسانيّ أسماه (نموذج مستعملي اللغة الطبيعية)، وهو نموذج يُستغنى فيه عن مصطلحي (المرسل والمرسل إليه) اللذين أُستبدلا بعبارة (مستعمل اللغة الطبيعية)⁽⁴⁵⁾.

لقد لاحظ سيمون دك أنّ قدرة مستعملي اللغة الطبيعية لا تنحصر في معرفة القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، بل تتجاوز ذلك إلى معرفة القواعد التداولية، التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وفهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية،

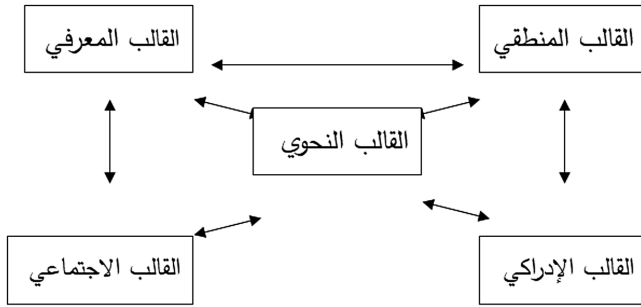
قصد تحقيق أغراض معينة، فلا وجود لقدرتين: نحوية وتداولية، على نحو ما ذهب إليه تشومسكي، بل هنالك قدرة تواصلية واحدة تجمع القدرتين معاً، ومما يؤيد التوحد بين القدرتين أنّ التداول لا يمكن عزله عن المكونات الأخرى التي يحكمها، سواء أكانت تركيبياً أم صرفاً أم دلالة⁽⁴⁶⁾.

لقد اجتهد الدارسون في تحديد مكونات القدرة التواصلية، التي تمكن الفرد من اكتساب اللغة والتواصل بها، وقد أجمعوا على أنّها تتجاوز القدرة اللغوية وحدها إلى قدرات أخرى، بعضها يتعلق بمعرفة قواعد الاستعمال ذات الطابع الاجتماعي/الثقافي، ومنها ما يتصل بمعرفة استراتيجيات التواصل اللغوي وغير اللغوي، غير أنّ أهم تحديد لمفهوم القدرة التواصلية هو الذي قدّمه سيمون دك في عدد من أعماله، وذلك في إطار برنامج نموذج مستعمل اللغة الطبيعية، إذ افترض أنّ العملية التواصلية لا تقوم بها القدرة التواصلية وحدها، بل أنّ هناك قدراتٍ أو ملكاتٍ تسهم إسهاماً مباشراً في العملية التواصلية، وهذه الملكات أو الطاقات هي خمس:

- 1- الملكة اللغوية، وهي التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من انتاج العبارات اللغوية وتأويلها، إنتاجاً وتأويلاً صحيحين، مهما اتّسمت به هذه العبارات من تعقيد صوري، وأياً كانت الأوضاع التواصلية التي تسهم في إنتاجها.
- 2- الملكة المعرفية، تمكن هذه الملكة الفرد من بناء قاعدة معرفية منظمة، واستعمالها من طريق صياغة معارفه في صورة لغوية مناسبة، ومحاولة اغنائها من خلال استخلاص المعلومات من العبارات اللغوية التي يستقبلها.
- 3- الملكة المنطقية، تمكن هذه الملكة الفرد من استخلاص معلومات جديدة من معلومات قديمة، بوساطة اجراء قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاجتماعي.
- 4- الملكة الادراكية، وهي التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من ادراك العالم الخارجي بوساطة وسائل الادراك البشري من سمع وبصر وذوق وشمّ ولمس، مع اكتساب معارف يستعملها في انتاج العبارات اللغوية وفهمها، واستعمال حركات الجسد وتأويلها في أثناء عملية التواصل.
- 5- الملكة الاجتماعية، تساعد هذه الملكة الفرد على انتاج وتأويل عبارات لغوية تتناسب وأوضاع المتخاطبين الاجتماعية وظروفهم الخاصة⁽⁴⁷⁾.

وتأسيساً على هذا الفهم اقترح سيمون دك أن يصاغ نموذج مستعملي اللغة الطبيعية على أساس أنه يتألف من خمسة قوالب تضطلع برصد الملكات الخمس التي مرّ ذكرها، وهذه القوالب هي: قالب نحوي وقالب معرفي وقالب منطقي وقالب ادراكي وقالب اجتماعي، تقابل الملكات اللغوية والمعرفية والمنطقية والادراكية والاجتماعية على التوالي⁽⁴⁸⁾، أي إنه وضع ازاء كل ملكة قالباً يوازيها، كما هو واضح في المخطط الآتي:

نموذج مستعملي اللغة الطبيعية



ويتسم هذا المخطط بخصيصتين هما:

- 1- يستقلُّ كلُّ قالب عن القوالب الأخرى من حيث مبادئه وموضوعه.
- 2- على الرغم من هذه الاستقلال نجد أنّ هذه القوالب تتعالق فيما بينها، بحيث يفضي بعضها إلى بعض، فيكون خرج بعضها دخلا في الآخر⁽⁴⁹⁾، أي إنّها تتفاعل مع غيرها تفاعلا محدداً، يستلزمه انتاج وتأويل العبارات اللغوية الواردة في مقامات تواصلية معينة. فالقدرة التواصلية في ضوء هذا الفهم هي في الحقيقة قدرات تواصلية أو ملكات تُفَعَّل وتُتفاعل في عمليتي انتاج الخطاب وفهمه، تبعاً للموقف التخاطبي ونمط الخطاب.

ومن الجدير بالتنويه هنا أنّ كلّ الكائنات البشرية لها نفس القدرة على انتاج أنماط الخطاب وتأويلها، لكنهم يتباينون فيما بينهم في تفعيل وتغذية جوانب معينة من هذه القدرة أو تلك «فالأدباء مثلاً يختلفون عن غيرهم من مستعملي اللغة الطبيعية في كونهم يفعلون الجانب (الفني) من القدرة اللغوية العامة ويغذونه، في حين أنّ هذا الجانب من

القدرة يظلُّ (كامنًا) عند الآخرين، ولكنه غير منعدم، يمكنهم من فهم وتأويل الخطاب الأديبي وإن لم ينتجوه»⁽⁵⁰⁾.

وتسنى للباحث المغربي عز الدين البوشيخي الاستدلال على وجود ملكة سادسة تُزاد على الملكات الخمس، أسماها (الملكة التخيلية) المرتبطة بالقلب الشعري، وهي ملكة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية «من اختلاق صور افتراضية تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة، ومن بناء وقائع متخيلة تنتمي إلى أحد العوالم الخيالية لتحقيق أهداف تواصلية محددة»⁽⁵¹⁾، ولا شك في أنَّ هذه المقاربة توفّر على الباحث وضع نظرية تخصُّ هذا النمط الخطابى بعينه، إذ يصبح من الممكن أن تضطلع النظرية اللسانية بوصف الخطاب الطبيعي بجميع أنماطه بتشغيل معين للقوالب التي تتضمنها⁽⁵²⁾.

وأخيرًا يمكن القول إنه بفضل القدرة التواصلية التي أسهم في بلورتها الوظيفيون يكون اكتساب اللغة واكتساب استعمالها، فضلًا عن تأويلها، لأنها قدرة تتجاوز القدرة اللغوية (القدرة على تكوين جمل صحيحة لغويًا) إلى الأخذ بالحسبان قدرات أخرى لها أهمية كبيرة في تحديد سيرورة الفعل التواصلى، لأنها ترتبط باستعمال اللغة أكثر من ارتباطها بنسقتها الشكلى الصرّف.

الهوامش

- 1 - ينظر: استراتيجيات التواصل - من اللفظة إلى الإيماءة 3.
- 2 - ينظر: اللغة والخطاب 36.
- 3 - في بعض المصطلحات التربوية المتداولة في اللقاءات التكوينية 5.
- 4 - ينظر: استراتيجيات التواصل 6.
- 5 - المصدر نفسه 5.
- 6 - المصدر نفسه 6.
- 7 - المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.
- 8 - ينظر: السيميائيات العامة، أسسها ومفاهيمها 29.
- 9 - ينظر: نظرية الصلة Relevance Theory في اللغة والتواصل والإدراك 11.
- 10 - ينظر: استراتيجيات التواصل 11.
- 11 - السيميائيات أسسها ومفاهيمها 30.
- 12 - يفرّق الدارسون بين الاتصال والتواصل من جهة الدلالة، فالأول مصدرٌ من الفعل (اتَّصل)، ومعناه أنّ فعل الاتصال والمبادرة آتٍ من جانب واحدٍ هو الفاعل، تقول: اتَّصل التلميذُ بالأستاذ، بعكس كلمة (تواصل)، على زنة (تفأخُل)، وهو وزن كما نعلم يفيد معنى (المشاركة) بين طرفين، فالمبادرة تأتي من الطرفين معاً.
- 13 - السيميائيات، أسسها ومفاهيمها 31.
- 14 - ينظر: اللغة والخطاب 43، وعلم الإشارة السيميولوجيا 9.
- 15 - علم اللغة العام 32.
- 16 - نفسه 30.
- 17 - ينظر: علم اللغة العام 30، واللغة والخطاب 40، واتجاهات الشعرية 20.
- 18 - ينظر: التواصل والتواصل السياسي 45.
- 19 - ينظر: علم اللغة العام 30، والتواصل اللساني والشعرية 18.

- 20 - ينظر: علم اللغة العام 31.
- 21 - ينظر: اتجاهات الشعرية 20، واللغة والخطاب 36 37.
- 22 - ينظر: التواصل اللساني والشعرية 19.
- 23 - هو لغويّ ألمانيّ غنيّ بالجوانب اللغوية ذات الأبعاد السايكولوجية.
- 24 - قضايا الشعرية 30.
- 25 - ينظر: قضايا الشعرية 30، والتواصل اللساني والشعرية 20-19، ودلالة السياق 173 174.
- 26 - ينظر: اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري 49.
- 27 - قضايا الشعرية 30، وينظر: التواصل اللساني والشعرية 23.
- 28 - اللغة والخطاب 50، وينظر: دراسة لسانية للمعايير النصية في مطولات السياب 173 174.
- 29 - ينظر: دلالة السياق 548 550، واللسانيات والبيداغوجيا 181.
- 30 - ينظر: التواصل اللساني والشعرية 34، ودلالة السياق 175.
- 31 - اللسانيات العربية الحديثة 253.
- 32 - ينظر: التركيبات الوظيفية 25.
- 33 - ينظر: المنحى الوظيفي 21.
- 34 - مفاتيح الألسنية 70، وينظر: دلالة السياق 559.
- 35 - ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية 15.
- 36 - اللسانيات المجال والوظيفة 177 178، وينظر: مدخل الى اللسانيات 84.
- 37 - ينظر: شظايا لسانية 61، ومباحث النظرية الألسنية 110.
- 38 - ينظر: شظايا لسانية 61، وأهم المدارس اللسانية 77.
- 39 - ينظر اللسانيات الوظيفية مدخل نظري 82-81.
- 40 - اللسانيات الوظيفية مدخل نظري 82.
- 41 - ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم 27.
- 42 - اللسانيات الوظيفية مدخل نظري 83 84.
- 43 - ينظر: في بعض المصطلحات التربوية المتداولة في اللقاءات التكوينية 7-6.
- 44 - ينظر: نظرية الفعل الكلامي 21، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة 93.
- 45 - ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي 5 6.
- 46 - ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية 19.

- 47- ينظر: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من منظور وظيفي 108.
- 48- ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية 35، ومن الجدير بالتنويه هنا أنّ إدخال فكرة القالبية الى اللسانيات يرجع إلى تشومسكي، إذ كان الطابع القالب في النحو التوليدي واضحًا منذ نماذجه الأولى، ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية 395.
- 49- ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية 36-35، وآفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي 108.
- 50- الوظيفية بين الكلية والنمطية 20.
- 51- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها 11 12.
- 52- ينظر: قضايا اللغة العربية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص 39.

المراجع

- 1 - آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، د.أحمد المتوكل، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، 1993م.
- 2 - اتجاهات الشعرية الحديثة - الأصول والمقولات، يوسف اسكندر، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2004م.
- 3 - أهم المدارس اللسانية، مجموعة مؤلفين، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986م.
- 4 - التركيبات الوظيفية - قضايا ومقاربات، د.أحمد المتوكل، ط1، دار الأمان، الرباط، 2005م.
- 5 - التواصل اللسانيّ والشعرية - مقارنة تحليلية لنظرية رومان ياكسون، الطاهر بومزبر، ط1، الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت، 2007م.
- 6 - دراسة لسانية للمعايير النصية في مطولات السيّاب، جبار سويس حنيحن، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، 2009م.
- 7 - دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ.
- 8 - السيميائيات العامة، أسسها ومفاهيمها، عبد القادر فهم شيباني، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.
- 9 - شظايا لسانية، د. مجيد الماشطة، ط1، مطبعة السلام، البصرة، 2007م.
- 10 - علم الإشارة السيميولوجيا، بيير جيرو، ترجمة د.منذر عياشي، تقديم د. مازن الوعر، دار طلاس، دمشق، 1992م.
- 11 - علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د.مالك يوسف المطليبي، آفاق عربية، بغداد، 1985م.
- 12 - قضايا الشعرية، رومان ياكسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988م.
- 13 - قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية - بنية الخطاب من الجملة الى النص، د.أحمد المتوكل، ط1، دار الأمان، الرباط، د.ت.

- 14 - اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، د.مصطفى غلفان، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، 1998م.
- 15 - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته، د.حافظ اسماعيلي علوي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009م.
- 16 - اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، د.سمير شريف استيتية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005م.
- 17 - اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي (الأسس المعرفية والديداكتيكية)، علي آيت أوشان، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1998م.
- 18 - اللسانيات الوظيفية المدخل نظري، د. أحمد المتوكل، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.
- 19 - اللغة والخطاب، عمر أوكان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001م.
- 20 - مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، د.ميشال زكريا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1985م.
- 21 - مدخل الى اللسانيات، د.محمد محمد يونس علي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.
- 22 - مفاتيح الألسنية، جورج موانان، ترجمة الطيب البكوش، تقديم صالح القرمادي، منشورات الجديد، تونس، 1981م.
- 23 - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي- الأصول والامتداد، د.أحمد المتوكل، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006م.
- 24 - نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي، هشام إ.عبد الله الخليفة، ط1، لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت، 2007م.
- 25 - نظرية الصلة Relevance Theory في اللغة والتواصل والإدراك، دان سبيربر وديدري ولسن، ترجمة إ.هشام عبد الله الخليفة، كتاب مخطوط.
- 26 - الوظيفية بين الكلية والنمطية، د.أحمد المتوكل، ط1، دار الأمان، الرباط، 2003م.

البحوث

- 1 - استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة، سعيد بنكراد، مجلة علامات، العدد21، 2002م.
- 2- تعريف في بعض المصطلحات التربوية المتداولة في اللقاءات التكوينية // <http://www.ouarsenis.com>
- 3- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من منظور وظيفي، د. عزالدين البوشيخي، <http://www.isesco.org.ma/arabe>
- 4 - التواصل والتواصل السياسي، عبد الجليل الأزدي، مجلة فكر ونقد، العدد36، 2005.

واقع التحصيل الدراسي لطلبة قسم علم الاجتماع

دراسة ميدانية

الكلمات المفتاحية

(التحصيل الدراسي، علم الاجتماع، دراسة ميدانية)

م. بروين حسين علي

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

**The reality of the educational level of sociology
Student an empirical study**

(educational level. sociology. empirical study)

Prween Hussien Ali

**University of Baghdad / college of art / sociology
department**

الخلاصة

تعد الجامعة مركزا للإشعاع العلمي والمعرفي والثقافي، فأنها توفر بعض الظروف والمتطلبات للطلاب لتزويده بالمعرفة وتنمي مهاراته وتحرص على تحصيله الدراسي الذي يعد امرا مهما لانتقال الطالب من مرحلة دراسية الى مرحلة دراسية لاحقة، فموضوع بحثنا عن واقع التحصيل الدراسي لطلبة قسم علم الاجتماع موضوع دقيق وحساس ويتعلق بمستقبل الطلبة المهني فدراسته على اساس فهم واضح وموضوعي مع الاخذ بعين الاعتبار جميع الجوانب والعوامل المحيطة بالطلاب وتحليلها من اجل الوقوف على الاسباب الحقيقية لضعف تحصيله الدراسي، فقد سعى هذا البحث تحديد اهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر على التحصيل الدراسي للطلاب سواء المرتبطة بالطلاب نفسه او الاستاذ او الجامعة، فضلا عن معرفة الفروق بين اجابات المبحوثين بشأن هذه العوامل تبعا لمتغير الجنس، ولأجل التحقق من مدى تأثير هذه العوامل، فقد قامت الباحثة باختيار عينة عشوائية طبقية بلغ قوامها (107) من طلبة قسم علم الاجتماع (ذكورا وإناثا)، واعدت استبانة صممت لهذا الغرض بوصفها الاداة الاساسية في عملية جمع البيانات، ولقد توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج ابرزها:

- 1- يؤكد أغلب المبحوثين على ان عدم توافر الجو المناسب للقراءة يؤثر على تحصيلهم الدراسي.
- 2- بينت النتائج ان الذكور أكثر من الاناث اعتمادا على الغش في الامتحانات مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي.
- 3- يتأثر التحصيل الدراسي للمبحوثين ممن يضطرون للعمل بعد الدوام واغلبهم من الذكور لتحسين وضعهم المادي، فضلا عن ان العمل يكسبهم الثقة بذاتهم والاعتماد على النفس .
- 4- يعاني اغلب المبحوثين من مشكلات اسرية تتمثل بالعراك والمشاحنات اليومية (صراع الاباء مع الابناء) مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي.

- 5 - ان الانشغال بالعلاقات العاطفية تأثير على التحصيل الدراسي وأكد على ذلك الذكور اكثر من الاناث.
- 6 - يؤكد اغلب المبحوثين ان اعتماد بعض الاساتذة على طريقة الالقاء في طرح المادة العلمية تأثير على تحصيلهم الدراسي، فأكثر المبحوثين يجدون ان طريقة عرض المحاضرة وطرح المادة العلمية بوسائل تكنولوجية حديثة من افضل الطرق المناسبة لذلك .
- 7 - اكدت النتائج ان اكثر المبحوثين يرون ان اكتظاظ القاعات الدراسية بالطلبة تأثير على تحصيلهم الدراسي.
- 8 - ان الذكور اكثر من الاناث اعتمادا على بعض القرارات الوزارية كقرار التحميل وعودة المرقنة قيودهم مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي.

Abstract

The university always regarded as a base for spreading knowledge and cultural aspects. it would provide the climate and requirement of knowledge acquisition; developing skills and transformation students from one stage to another in an accumulation process.

Our current research focused on the university student education ambition and reality, with reference to sociology students. The project seems to be very important as it closely related to the student future skills and development in order to join the work market. The procedures and methods taking into a consideration all the student aspects of their theoretical and practical aspects of their curricula as well as the other surrounding circumstances to explore the reasons behind their weakness in achieving the educational goals. The socio-economic circumstances have been considered to shed light on factors such as the students. lecturers misuse the time and efforts that could effects the acquiring convenience skills.

The study built upon a sample of 107 students from sociology department in the college of art university of Baghdad from both male and female students. A questionnaire designed for this purpose has been constructed.

The study finding can be summarized as follow:

- 1 - Most students asserted that they don't have convenience climate for revision
- 2 - The data showed that males depending on cheating in exams more than females which effect mastering their topics

- 3 - A large number of male students has jobs in the afternoon which leave them with less time for revision
- 4 - Most respondents claimed that they involving in family problems
- 5 - Male students often involving in emotional and love stories more than females
- 6 - The lectures often delivered in traditional way which is not sufficient to motivate students
- 7 - The overcrowded classrooms have negative effects
- 8 - The educational system which promote students without real efforts may have bad consequences on the mastering of topics and acquiring knowledge and skills

According to the above we concluded that education system as a whole need careful modification and revision

المقدمة

يعد التعليم بمختلف مستوياته اللبنة الاساسية في بناء اي مجتمع وتطوره من خلال استثمار الموارد البشرية اي (استثمار رأس المال البشري)، فبتقدم المجتمعات وتطورها وتقدم العلوم والتكنولوجيا في مختلف جوانب الحياة اصبحت الحاجة الى التعليم ضرورة من الضروريات الاخرى في حياة الانسان، فبها يتزود بمؤهلات من شأنها ان توسع فرص العمل له، فالفرد المتعلم يساهم في زيادة الانتاج القومي على عكس الفرد الجاهل فهو عبء على اسرته والمجتمع، من هذا حرصت المجتمعات بالتعليم واهتمامها بالتحصيل العلمي والمعرفي لأفراد المجتمع بدأ من رياض الاطفال والى التعليم العالي، فالتعليم بالعراق كان من أفضل انظمة التعليم في المنطقة الى عام 1992 بحسب تقرير لمنظمة اليونسكو، لكن فيما بعد عام 1992 بدأ التدهور واضحا في مؤسساته التعليمية لا سيما الجامعة منها والتي تمثلت بنقص المستلزمات وهجرة الكفاءات العلمية مما ادى الى هدم اهم اركان العملية التعليمية ألا وهو الاستاذ، فضلا عن انخفاض اداء الاساتذة الموجودين في البلد بسبب الافتقار فرص تطوير مهاراتهم والمتمثلة بعدم ارسالهم ببعثات خارج البلد للإفادة من خبرات البلدان المتقدمة، وكذلك الافتقار الى الدورات التدريبية والمشاركة في الندوات والمؤتمرات الدولية كل هذا ادى الى التأثير بالدرجة الاولى على التحصيل العلمي للطلاب الجامعي ايضا الذي تدهور مستواه العلمي بسبب التدهور الذي اصاب التعليم الابتدائي والثانوي وعدم وجود خطة لمواءمة مدخلات التعليم ومخرجاتها.

وقد تضمن البحث أربع مباحث رئيسة وهي :

المبحث الاول: الاطار العام للبحث

اولا: مشكلة البحث :

يعد التحصيل الدراسي من ضرورات التعليم ومهمة من مهمات المجتمع للحفاظ على

تطوره وتعد الجامعة بمن فيها من كادر تعليمي او اداري او خدمي المؤسسة الاكثر اهمية للقيام بتعليم وكفاءة الطلاب لإعدادهم للمشاركة في بناء المجتمع والمساهمة في تطويره، ومن هنا جاء الاهتمام بموضوع واقع التحصيل الدراسي لطلبة قسم علم الاجتماع/ جامعة بغداد، لذا نحدد مشكلة بحثنا انطلاقاً من التساؤل الآتي :

ما الاسباب التي يمكن ان يعدها الطالب عقبة في تحصيله الدراسي سواء تعلق ذلك بالطالب نفسه او بالأستاذ او المؤسسة التعليمية (الجامعة)؟

ثانياً: اهداف البحث:

- ان موضوع التحصيل الدراسي من المواضيع المهمة التي ركز عليها الباحثون في مجال التربية وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلى وفق ذلك تحددت اهداف البحث كما يلي :
- 1 - محاولة تقديم صورة قريبة عن البيئة المحيطة بالطالب وعن تحصيله الدراسي.
 - 2 - التعرف على تحديد اهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر على التحصيل الدراسي للطالب سواء المرتبطة بالطالب نفسه او الاستاذ او الجامعة.
 - 3 - معرفة الفروق بين اجابات المبحوثين بشأن العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي بحسب الجنس.

المبحث الثاني / تحديد مفاهيم البحث

التحصيل الدراسي: هو معلومات وصفية تبين مدى ما تعلمه الطالب بشكل مباشر من محتوى المواد التي يدرسها وذلك من خلال الامتحانات التي تطبق عليهم خلال العام الدراسي لقياس مدى استيعابهم للمعارف والمفاهيم⁽¹⁾. اما الضعف في التحصيل الدراسي فإنه ضعف او تدني نسبة التحصيل الدراسي للطالب والتي يمكن قياسها بتدني درجات الطالب دون المستوى العادي او المتوسط لمادة او اكثر وقد يكون لسبب او عدة اسباب⁽²⁾.

المرحلة الجامعية: وهي المرحلة التي تلي المرحلة الثانوية او الاعدادية للحصول على درجة البكالوريوس وتؤهل الطالب لسوق العمل وشغل المناصب والمهن بمختلف مستوياتها، وهي دراسة ذات طابع تكنولوجي او علمي او تخصصي في مجال الانسانيات ايضاً⁽³⁾.

المبحث الثالث: عوامل ضعف التحصيل الدراسي

في المرحلة الجامعية

قد تتضافر عدة تؤدي الى ضعف التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية منها :

اولا: عوامل تتعلق بالطالب وتتمثل بالآتي :

1 مشكلات أسرية:

تقوم الأسرة بوظائف عدة بوصفها مؤسسة لها مجموعة ادوار ومسؤوليات تقوم بها لصالح اعضائها وقد تتسع هذه الوظائف او تنقلص باختلاف المجتمعات، وحدث قصور في الاداء الوظيفي لها يترتب على ذلك مشكلات اسرية تؤدي الى واضطرابها وقد تتمثل المشكلات الاسرية بسوء العلاقات بين افرادها سواء كانت بين الاب والأبناء او الام والأبناء او بين الابناء بعضهم البعض، فضلا عن ذلك قد تعاني بعض الاسر من التفكك الاسري كموت احد الوالدين او كلاهما او دخول السجن او المرض او انفصال الوالدين⁽⁵⁾، او تعاني الاسرة من مشكلات عدا التي ذكرت انفا، اذ يكون التفكك مستتر اي بعدم توافق الابناء لسلطة احد ابويهم او عدم توافق الزوجة مع زوجها بسبب الخيانة الزوجية وغير ذلك من المشكلات قد يصل الى تحطيم عمارة الاسرة والى تمزقها إلا ان الخوف من نظرة المجتمع وكلام افرادها او قوة الضبط الاجتماعي عليهم او التمسك الديني وما شابه يبقي العلاقة فيما بين وبينها وهكذا اسر تكون علاقاتها الداخلية مضطربة تشوبها المشكلات المستمرة مما يشير الى تفكك اسري مستتر⁽⁶⁾. وعليه فأن الجو الاسري المليء بالمشاحنات بين افرادها او سوء العلاقة فيما بينهم وطريقة معاملة الوالدين لأبنائهم كلها تؤثر على تحصيلهم الدراسي، فيما لو كان الوالدان مهتمان بحياة ابنائهم ومستمران بمتابعتهم حتى وان كانوا طلاب في الجامعة ويشاركونهم في انشطتهم فأن ذلك يؤثر ايجابيا في تحصيلهم الدراسي، فلبينة الاسرية الدور الكبير في الاستقرار النفسي والاجتماعي للطلاب وهذا بالتالي يؤثر على المستوى العلمي او التحصيل الدراسي لديهم⁽⁷⁾.

يتضح مما تقدم ان الجو الاسري يؤثر بدرجة كبيرة على المستوى العلمي للطلاب

الجامعي فبعضهم يعانون من مشكلات اسرية تتمثل كما ذكرنا بالطلاق او العراك والمشاحنات اليومية وهذا بالتالي يؤثر على الابناء، اذ قد يعانون من حالات الشرد الذهني وعدم الرغبة في الدراسة وعدم الانتباه للشرح داخل قاعة المحاضرة، فالأبناء هم اول من يحصدون النتائج السلبية المترتبة لتلك المشكلات، فضلا عن ان بعض الاسر تتوقف عن متابعة ابنائها على الصعيدين العلمي او الشخصي بعد وصولهم المرحلة الجامعية لاعتقادهم بأنهم قادرين على الاعتماد على انفسهم بكل شيء وأنهم على دراية بمصالحهم، إلا ان هذا التفكير خاطئ، ففي هذه المرحلة العمرية والدراسية يحتاج الابناء لمتابعة من قبل اسرهم على الصعيدين الشخصي والعلمي، وقد لا تقتصر المشكلات الاسرية التي يعاني منها الطالب على ما ذكر انفا فاليوم نحن امام مشكلة اجتماعية وأسرية اكبر فكثير من الطلبة وأخص بالذكر منهم الجامعيين يعانون من مشكلات وظروف اسرية بسبب التهجير القسري لأسرهم او النزوح من محافظاتهم، اذ تزداد معاناتهم في الاماكن التي يقصدونها فتركت تلك الظروف اثارا بنيوية على الفرد والأسرة بعد ان نفذت مدخولاتها بسبب ارتفاع مستويات التضخم وقلة فرص العمل، فكثير من الاسر العراقية المهجرة والنازحة لا تجد لها المعيل الذي يؤمن اشباع حاجاتها الاساسية، فمعظم الاسر التي هاجرت كان سبب ذلك تهديد احد افرادها او اصبح احدهم ضحية للعنف الحاصل في المجتمع العراقي بسبب الظروف الامنية الغير مستقرة والتي ادت الى تداعيات تعدت اثارها الاجتماعية الى الاثار النفسية التي ولدتها الازمات في جيل كامل من المجتمع العراقي تفوق الدمار المادي الذي حدثته في العمران والاقتصاد⁽⁸⁾.

2 العامل الاقتصادي:

للجانب المادي او الاقتصادي للاسره اهمية بالغة، اذ ان توفير وتأمين هذا الجانب من الامور الحيوية في حياة الاسره وإفرادها وهي تسعى دوما لإشباع حاجاتها المادية والتي قد تكون كثيرة ومختلفة ولا تقف عند حدود، فما ان تشبع حاجة تظهر الحاجة الى اشباع حاجات اخرى، فالمسكن والمأكل والوقود والخدمات الطبية والتعليمية والدراسية والمواصلات حاجات معيشية أساسية لازمة لكل اسره⁽⁹⁾. لذا فالجانب المادي ضروري لإكمال الابناء تعليمهم سيما المرحلة الجامعية منها، فقد تعاني بعض الاسر من الفقر والذي يمكن عده وإدراجه ضمن الفقير المستتر او الفقير المكافح بحسب تصنيف العالم

رايت ميلز Wright Mills للفقراء، فالفقير المستتر هو الذي يملك دخلاً واطناً لكنه يتمتع بمشاعر متوازنة و حياة اجتماعية منتظمة بسبب انسجام افراد اسرته مع بعضهم البعض ويتمتع افرادها بمستوى تعليمي ل بأس به، اما الفقير المكافح فهو الذي يملك دخلاً واطناً ويعمل جاهدا بتحسين معيشته وبالوقت نفسه يعيش وسط اسرة متكيفة مع دخلها ومحيطها الاجتماعي⁽¹⁰⁾. في حين قد تنشأ بعض المشكلات الاقتصادية لبعض الاسر التي لم تتمكن بسد احتياجات ابنائها والمتمثلة بقصورها او سوء استخدام او نقص الموارد الاسرية وما يترتب على ذلك عدم اشباع الاحتياجات والمتطلبات الاسرية⁽¹¹⁾. وعليه فقد يضطر افراد الاسرة بالبحث عن عمل لسد احتياجاتهم الاساسية سيما وان كان ابنائها طلبة. وفي دراسة أجريت لدراسة اثر الفقر على المستوى التعليمي لإفراد المجتمع أكدت فيه ان مستوى التعليم يزيد في الفئة ذات الدخل المرتفع عنه في الدخل المنخفض⁽¹²⁾.

يستدل مما تقدم بأن للحالة الاقتصادية الاثر الكبير على الأسرة، فالأبناء من الاسر المحدودي الدخل بشكل عام والطلبة الجامعيون منهم بشكل خاص فهم بحاجة الى المال لتغطية حاجاتهم الضرورية كالغذاء والملبس ونفقات التعليم ابتداءً من مصاريف النقل ودفع اجرة الخطوط السيارات التي تقلهم من والى البيت، فضلا عن شراء الملائم والكتب الضرورية الخاصة بدراساتهم، لذا نجد ان اغلبهم يبحثون عن عمل بعد الدوام كالعامل في المطاعم او المقاهي «الكوفي شوب» او عمال بناء او في محال تجارية... الخ من الاعمال فهم بهذا يتحملون سد نفقاتهم لكن على حساب تحصيلهم الدراسي فأكثر الطلبة وأخص الذكور منهم الذين يعملون فهم يتغيبون او يتأخرون عن المحاضرة ويشعرون بالنعاس طوال مدة المحاضرة نتيجة لعملمهم بعد الدوام والمستمر لساعات الليل المتأخرة، كل ذلك يؤثر سلبا على تحصيلهم الدراسي، وعلى الرغم من ان الجامعة ليست مؤسسة أنشأت لتقديم المساعدات الاقتصادية إلا ان لبعض الحلول البسيطة يمكنها ان تساعد الطلبة في ذلك، كالمطالبة المستمرة بإعطاء جميع الطلبة ومن دون استثناء المنحة ولو بالمبلغ القليل او اليسير بشكل ثابت قد يسد على الاقل بعض من مصروفاتهم اليومية، فقيام الجامعة بهذا الدور الفاعل قد يحقق نجاحا ما.

3 الانشغال بالعلاقات العاطفية

تعد سنوات الدراسة الجامعية لأكثر الشباب بأنها من اروع وأجمل سنوات حياتهم ففي مرحلة الشباب يتمتع الانسان بالنشاط والحيوية والتعلق بالحياة وهي مرحلة الاختلاط بين الجنسين⁽¹³⁾. وقد تتكون بينهم علاقة عاطفية والتي هي ارتباط بين طرفين (الطالب والطالبة الجامعيين) وأساس استمرار هذه العلاقة هو استجابتهما لبعض، وتقاربهما بالمشاعر والأفكار، وللجوء الى العلاقات العاطفية بشكل عام وفي المرحلة الجامعية او الجو الجامعي بشكل خاص أسباب عدة تتمثل بأسباب أسرية كالشعور بفقدان الحب ولا انتماء الى الاسرة والشعور بالإهمال وعدم التفاهم لذا يبحثون عن الحب خارج الاسرة وكذلك الميل لتقليد أقرانهم في اقامة علاقات عاطفية فهم يتأثرون بتجاربيهم، فضلا عن وسائل الاتصال الحديثة وترويج الاعلام عن الاغاني العاطفية والأفلام الرومانسية فكلمات الاغاني تثير وتحرك المشاعر، فضلا عن التقدم التكنولوجي الذي ساعد وسهل العلاقات العاطفية كاستعمال الهاتف المحمول والانترنت بعد ان كانت محكومة بحواجز وقيود من قبل المجتمع⁽¹⁴⁾.

ان العلاقات العاطفية الطلابية من اكثر الظواهر انتشارا في الوسط الجامعي ويعود ذلك لعلانية هذا السلوك امام اعين المجتمع الجامعي، لكن هناك اثار متوقعة وناجمة عن سلوكيات هذه العلاقات تنال من استقرار المجتمع الطلابي بشكل عام والطلبة المنغمسين في العلاقة وإثنائها وبعد المرور بهذه التجربة العاطفية بشكل خاص تتمثل بشرود الذهن وعدم التركيز في المحاضرات، فضلا عن الغش والرسوب ليبقى بالكلية مع الطرف الاخر ومشكلات اخرى قد تسببها العلاقات العاطفية كالعراك مع الزملاء والأقران⁽¹⁵⁾.

4 الغش في الامتحان Exam cheating

ظاهرة الغش في الامتحانات كانت ولا تزال موجودة في دول العالم في معظم مؤسساتها التربوية ومنها (الجامعة)، فالغش في الامتحانات ليست وليدة اليوم بل انها بدأت مع الامتحانات التحريرية وهي منتشرة بين طلبة الجامعات، وباتت تشكل مصدر قلق وشكوى من الاساتذة وأصبح من النادر ان يخلو امتحان من محاولات للغش يقوم بها الطلبة وقد يمضي بعضهم من دون عقوبة⁽¹⁶⁾.

لقد اختلفت اساليب الغش في الوقت الحاضر بعد ان كان الطالب يعتمد على القصاصات الورقية (البرشومة) او الكتابة على الجدران او اليد او المقاعد الدراسية، فنتيجة التطور التكنولوجي الذي اثر في كل المجالات تطورت معها اساليب غش الطلبة فأصبحوا اليوم يستعملون تقنيات متطورة كالساعات الذكية او الموبايل او اخفاء الموبايل في الملابس وتوصيله بسماعات وتوصيل الاجابات عن طريق اشخاص خارج القاعة الامتحانية، وان اغلب الطلبة يمارسون الغش ذكور وإناث على حد سواء، إلا ان الذكور هم اكثر من يمارس الغش، في حين ان البعض من الطلبة يعدون الغش ذكاء ومهارة وشطارة⁽¹⁷⁾.

اكدت العديد من الابحاث العلاقة بين الشخصية والغش في الامتحانات، فالطالب الذي يقدم على الغش لديه قدره ضعيفة على تأخير المتعة ويتمتع بنزعة عالية من الاضطراب الاجتماعي، فضلا عن حاجته الشديدة للقبول الاجتماعي، فهو عديم الثقة بالنفس، غير ملتزم بأخلاقيات الامانه العلمية ولا يرغب بأداء واجباته، وأشار لوكر Lueger بأن العوامل الموقفية ومنها الاستثارة تشتت الانتباه وتجعل الفرد غير متنبه لسلوكه فعند دراسته للطلاب استنتج بأن 34% منهم غشوا في ظروف الاسترخاء في حين 70% منهم غشوا في ظروف الاستثارة مؤكداً ذلك بان الغش يزداد ان حذرت الطلاب اثناء الامتحان بالعقوبة⁽¹⁸⁾.

وبما ان الغش اصبح وباء في المؤسسة التعليمية نظرا لمفاهيم خاطئة لدى بعض الطلبة بأن من لم يغش ليس لديه قدرة او مهارة على ذلك اي من قبيل الانتقاص منه وبالأخص الذكور منهم او اتهام الطالب الذي لا يساعد على الغش بعدم معرفته لمعنى الصداقة ولا التعاون، او على العكس من ذلك ان الغش تعد من مفاهيم الصداقة، وقد لا يرى البعض ان مجاهرة الطالب في ارتكابه للغش بأنها مشكلة اخلاقية وتربوية وعلمية وإنما كثير منهم يتفاخر باحترافه الغش ويسعى بهذه الوسيلة للحصول على اعلى الدرجات⁽¹⁹⁾.

وللغش اسباب عدة منها تعود الى الطالب وأسباب تعود للأستاذ وأخرى للمؤسسة التعليمية ويمكن ذكر ما يتعلق بالمنهج والمتمثلة بكثرة المواد وصعوبة المنهاج وكثرة اعداد الطلبة في القاعة مما يصعب القدرة على المراقبة بشكل جيد، اما الاسباب التي تتعلق بالمعلم تتمثل بصعوبة الاسئلة او وجود اكثر من امتحان في اليوم نفسه او الاسلوب التقليدي للأستاذ في توصيل المعلومة او التهاون في المراقبة، وقد تكون اسباب تتعلق

بالطالب كالرغبة في النجاح او خوفه من الفشل في الامتحان او قلة تفرغ الطالب للدراسة او عدم وعي الطالب بحرمة الغش، وقد يكون عدم توافر اماكن مناسبة للدراسة في المنزل كأحدى اسباب الغش في الامتحان⁽²⁰⁾.

بناءً على ما تقدم فإن العملية التعليمية وحدة مترابطة بين اجزاء اساسية لا يمكن فصلها وهي (الاستاذ والطالب والمنهج) وأي خلل يصيب احدهم يؤثر في الاخر، فلا يمكن اعفاء او التهاون بهذه الاركان نظرا لما ذكر سابقا من اسباب الغش مما يؤدي بالتالي ضعف في التحصيل العلمي والمعرفي للطالب.

ثانيا: عوامل تتعلق بالأستاذ

يعد الاستاذ (المعلم) والخبير الذي اقامه المجتمع ليحقق اغراضه التربوية والتعليمية، اذ نادى قادة التربية بأنه العامل الاساسي الذي يؤدي دورا هاما في عملية التربية، وان المناهج وغيرها يمكنها ان تتضاءل امام هيئة التدريس، اذ انها لا تكتب حيويتها إلا من شخصية الاستاذ، فعظمة دوره المشهود بالكفاية في كل عصر تخطت حدود عصورهم وانتقلت الى عصرنا الحاضر⁽²¹⁾. ويتعامل الاستاذ سلوكيا مع طالب او طلاب عدة ويهدف الى ايجاد تغيير فيهم سواء كان هذا التغيير معرفيا او حركيا او نظريا، بحيث لا ينطبع بطابع الامر او يكون ذا اتجاه واحد وإنما ينسجم مع طبيعة المتعلم واستعداده واستيعابه وهو بهذا يلعب دور الممهّد والمساعد على هذا التغيير وليس دور الفاعل او العامل⁽²²⁾. ومن الاستراتيجيات المهمة في عملية التعليم الفعالة اعطاء اهمية لثقافة الحوار، وبهذا الصدد يشير فيكتور هيجو Victor Hugo بأن ليست هناك فكرة افضل واقوى من الفكرة التي حان وقتها اي ان تتحطم العلاقة بين الاستاذ والطالب في اطار ثقافة الحوار، فبدلا من ان يكون نظام التعليم تقليديا يسير باتجاه ذات الخط الواحد او خطية التعليم تصبح حلقة ويحل التحمل والتكرير محل التحكم والتلقين، ففي ثقافة الحوار يشيع جو تعليمي هادف يسوده الحرية والأمن والثقة المتبادلة ليكون الذهن مستعدا لإنتاج الفكر⁽²³⁾.

وطرح التربوي البرازيلي باولو فريري Paulo Freire في كتابه المضطهدين منهجين للتعليم يختلف الواحد عن الاخر فسمى المنهج الاول (النظام البنكي) وهو نظاما دكتاتوريا سلطويا وصفه فريري بأنه نظام العصور الوسطى يكون الاستاذ فيه مستبد برأيه

يقبل منه ولا يرد عليه ويقتصر دور الطالب فيه على حفظ ما يقدمه له من غير اعطائه فرصة للتعبير عن فكره الخاص، اما المنهج الثاني وهو منهج (التعليم الناقد) وهو نظام من التعليم قائم على بناء شخصية الطالب وتشجيعه على التعبير والتفكير⁽²⁴⁾.

بناء على ما تقدم نحن نتفق الى طروحات فريري بهجر النظام البنكي وإتباع نظام التعليم الناقد، فأغلب اساتذة الجامعات لحد الان يعتمدون على النظام البنكي وهذا الخطأ ليس في التعليم الجامعي فحسب، وأما في مراحل التعليم التي تسبقه، فنجد الطالب لم يستطع ان يعبر عن افكاره او حتى رأيه الخاص فأغلب الطلبة في قاعات المحاضرات يخجلون من المناقشة امام زملائهم، وما ان يطرح الاستاذ سؤالاً او موضوعاً للمناقشة فأغلبهم لا يرد ولا يود المناقشة، وفي احيان اخر قد يسخر البعض من البعض الاخر اذا ناقش، وعليه فأنا طلابنا يفتقرون الى (ثقافة الحوار) الحوار القائم بين الاستاذ والطالب وهذه المسألة نتيجة نظامنا التعليمي الذي لا يسمح للطلاب الحوار مع الاستاذ، ومن جهة اخرى اذا اتبع الاستاذ نظام التعليم الناقد او المناقشة فبعض اخر من الطلبة لا يحضر المحاضرة خوفاً من النقاش او الاحراج اما زملائه، إلا اننا لا يمكننا القاء اللوم على الطالب وإنما علينا بتغيير انماط التعليم البدائية التي هجرها العالم، فثقافة المجتمع الواعي والمتحضر تبدأ من القاعة الصفية، فالأستاذ الناجح يبني جيل وقادة يعتمد عليهم في المستقبل.

ثالثاً: عوامل تتعلق بالجامعة :

تعد الجامعة مؤسسة تعليمية بل في قمة الهرم الاكاديمي، ففي كثير من البلدان تعده معياراً لتقدم المجتمع وتحتل مكان الصدارة لأنها قادرة على احداث تغييرات اجتماعية، فهي مركز للإشعاع الثقافي لما لها من عائد في تنمية المجتمع، لذا لا بد الاهتمام بكافة بمقومات هذه البيئة: الجانب المادي (الفيزيائي) ويشمل توفير المكان المناسب والأبنية الحديثة وما يحتاجها الطالب من توفر مكتبات مجهزة بوسائل حديثة كالحاسبات وغيرها، وتوفير المساحة الخضراء (الحدائق) وغيرها من الابنية التي يحتاجها الطالب، فضلاً عن الاهتمام بالكادر التدريسي بالجامعة وتحديد نسبة عدد الطلبة للأساتذة، والاهتمام بالأستاذ الجامعي من خلال ارساله بأبحاث علمية لبلدان كافة لمواكبة التطورات الحديثة في مجال العلوم وطرق التدريس الحديثة⁽²⁵⁾. ومن جانب اخر لا بد عدم اغفال المناهج وتحديثها بشكل دائم،

فالمناهج بشكل عام والجامعية بشكل خاص من وسائل التربية المهمة فهي جوهر العملية التربوية والتعليمية نظراً لما تتضمنه من قيم ومبادئ لمختلف العلوم والمهارات وهي أساس بناء وتنمية الجانب المعرفي للطالب الجامعي، فضلاً عن هذا يجب مراعاة معرفة العقبات التي تحول من دون تطورها والمتمثلة بعدم مواكبة تطلعات المجتمع أو التي لا يمكنها أن تقدم نفعاً كافياً والإفادة منها لتطوير المهارات وتنمية العقل⁽²⁶⁾.

نستدل مما تقدم بأن للجامعة دوراً بالغاً في الأهمية التي تقدمها للمجتمع، إذ أنها صرح ثقافي ومعرفي من الضروري أن تنال من المزيد من الاهتمام، فهذه البيئة الثقافية مقومات أساسية تمثل بالطالب والأستاذ والمنهج، فلكل من هذه المقومات دورها في ازدهار هذه المؤسسة، فالطالب يعد من مخرجاتها فلا بد أن يعرف واجباته وحقوقه وكذلك الأستاذ، فقد يشكو الطلبة من ضعف الخدمات التي تؤديها الجامعة كافتقارها للقاعات الدراسية الجيدة أو اكتظاظها بالطلبة، فضلاً عن افتقار الاساتذة لوسائل حديثة تساعدهم على أداء واجبهم، وعدم ارسالهم بأيفادات علمية تطور من مهاراتهم أو مواكبه الطرق الحديثة في اعطاء المحاضرات، فأول ما عملته ماليزيا في تطوير التعليم هي تقديم جائزة لكل معلم أو استاذ يقدم اقتراح يحظى بالقبول، وتعاونها مع جامعة هارفارد لعمل قاعدة معلومات لمقارنة المناهج والتقدم في مختلف الدول^(*)، فضلاً عن ذلك فعدم توافر المرافق الصحية الكافية لأعداد الطلبة، ونظافة القاعات الدراسية ووجود مكتبات مزودة بالكتب الحديثة وغير ذلك من الاحتياجات الضرورية اللازم توفرها في هذه البيئة لتؤدي رسالتها العلمية بالشكل السليم.

الجانب الميداني:

المبحث الرابع: الاجراءات المنهجية للبحث وتضمنت:

أولاً: اداة البحث :

تم الاعتماد على الاستبانة بوصفها اداة اساسية في جمع البيانات من المبحوثين، وضمت الاستبانة⁽²⁹⁾ سؤالاً، فضلاً عن استعمال اداة اخرى إلا وهي المقابلة التي اجريت مع المبحوثين اثناء توزيع الاستبيانات.

ثانياً: مجالات البحث :

1 المجال البشري :

الذكور والإناث من طلبة قسم علم الاجتماع .

2 المجال المكاني :

بحسب متطلبات موضوع البحث كان قسم علم الاجتماع / كلية الاداب / جامعة بغداد مجالا مكانيا للدراسة.

3 المجال الزمني :

لقد تحدد المجال الزمني للبحث بجانبها الميداني من 1 / 12 / 2016 ولغاية 20 / 2 / 2017

ثالثا: نوع العينة وحجمها :

جرى الاعتماد على العينة العشوائية الطبقية، إذ تم سحب عينة عشوائية من ثلاث مراحل في القسم (المرحلة الثانية والثالثة والرابعة) وتم استثناء المرحلة الاولى لسببين: اولهما: ان مباشرة طلبة هذه المرحلة بالدوام تكون متأخرة مقارنة بالمراحل الاخرى نظرا لإجراءات التسجيل والتنقلات بين الكليات والأقسام وغير ذلك من الامور الادارية مما يؤثر في اجاباتهم لان دراستنا للجانب الميداني كان في 1/12 ومباشرة طلبة المرحلة الاولى 1/11 فهي مدة غير كافية لتكون صورة واضحة عن القسم ومناهجه وأساتذته، وثانيهما: قد تكون اجوبة المراحل الاخرى أصدق وأكثر وضوحا وموضوعية من المرحلة الاولى بحسب طبيعة الدراسة والأسئلة المطروحة بالاستبانة، لذا تم تحديد حجم العينة المسحوبة من مجتمع الدراسة الاصلي او الكلي والبالغ حجمها (371) طالب موزعين على المراحل الدراسية الثلاثة وكما موضح في الجدول الآتي:

جدول (أ)

يوضح حجم المجتمع الاصلي للبحث

المرحلة الدراسية	العدد
المرحلة الثانية	109
المرحلة الثالثة	112
المرحلة الرابعة	150
المجموع	371

وبعد احتساب حجم العينة وفق قانون الاتي⁽²⁷⁾:

$$n = Z_{\alpha/2} \sqrt{\frac{Z}{N}} + [Z/N]^2$$

إذ أن: حجم العينة $n =$

القيمة الجدولية والمساوية الى 1.964 المقابلة لجداول التوزيع الطبيعي المعياري $Z =$

مستوى الخطأ المسموح به $\alpha =$

حجم المجتمع المدروس $N =$

تم تحديد حجم العينة والمحتسبة وفق القانون اعلاه والمساوية (107) طالب موزعين

على المراحل المذكورة في الجدول (أ)، اما الجدول (ب) يوضح حجم العينة المحتسبة.

جدول (ب)

يوضح حجم العينة المحتسبة

العدد	المرحلة الدراسية
32	المرحلة الثانية
32	المرحلة الثالثة
43	المرحلة الرابعة
107	المجموع

رابعاً: الوسائل الاحصائية: استعملت وسائل احصائية عديدة في تحليل بيانات البحث

- 1- النسبة المئوية (Statistical Analysis): لمعرفة القيمة النسبية لإجابات.
- 2- قانون اختبار مربع كاي: لإيجاد الفروق المعنوية بين إجابات المبحوثين.
- 3- قانون تحديد حجم العينة: لمعرفة حجم العينة.

خامساً: فرضيات البحث :

الفرضية الاولى: (لا توجد فروق معنوية ذات دلالة احصائية للانشغال بالعلاقات العاطفية وتأثيرها على التحصيل الدراسي بحسب الجنس).

الفرضية الثانية: (توجد فروق معنوية ذات دلالة احصائية للاضطراب للعمل بعد الدوام وتأثيره على التحصيل الدراسي بحسب الجنس).

الفرضية الثالثة: (لا توجد فروق معنوية ذات دلالة احصائية بشأن عدم الاستماع لشكاوي الطلبة من قبل رئاسة القسم وتأثيره على التحصيل الدراسي بحسب الجنس).

سادسا: عرض تحليل وتفسير الجداول الخاصة بالبحث .

جدول (1)

يوضح جنس المبحوثين

النسبة المئوية	العدد	الجنس
51%	55	ذكور
49%	52	اناث
100%	107	المجموع

يتبين من الجدول اعلاه بأن عدد المبحوثين من الذكور (55) وبنسبة (51%)، في حين بلغ عدد الاناث (52) مبحوثة وبنسبة (49 %)، ويرجع هذا الاختلاف بنسب الذكور الى الاناث الى طبيعة العينة العشوائية الطبقية .

جدول (2)

يوضح المرحلة الدراسية للمبحوثين

النسبة المئوية	العدد	المرحلة
30%	32	المرحلة الثانية
30%	32	المرحلة الثالثة
40%	43	المرحلة الرابعة
100%	107	المجموع

يتبين من الجدول اعلاه بأن عدد المبحوثين من المرحلة الرابعة (43) مبحوث وبنسبة (40%)، بينما المرحتين الثانية والثالثة (32) مبحوث لكل منهما وبنسبة (30%)، وان سبب اختيار العينة من هذه المراحل تم توضيحها سابقا.

جدول (3)

يوضح مستوى الدخل للمبحوثين

النسبة المئوية	العدد	مستوى الدخل
4%	4	لا يسد الحاجة

يسد الحاجة	99	92%
يزيد عن الحاجة	4	4%
المجموع	107	100%

يتضح من بيانات الجدول اعلاه بشأن مستوى للمبحوثين بأن (92%) منهم وهي اعلى نسبة اشروا بأن مستوى الدخل يسد حاجتهم، فيما اكد (4%) بأن مستوى دخلهم يزيد عن الحاجة وبالنسبة نفسها لا يسد الحاجة.

يستدل من النسب اعلاه بأن مستوى الدخل للطلبة يسمح لهم بمواصلة دراستهم الجامعية.

جدول (4)

يوضح الشعور بعدم اهمية اختصاصهم

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	14	13%
الى حد ما	35	33%
لا	58	54%
المجموع	107	100%

يتضح من بيانات الجدول اعلاه ان (54%) من المبحوثين لا يشعرون بعدم اهمية اختصاصهم، في حين ان (33%) اشروا الى حد ما، و (30%) منهم اشروا بعدم اهمية اختصاصهم.

ونخلص من معطيات الجدول اعلاه ان اكثر المبحوثين يؤكدون اهمية اختصاصهم مقابل نسبة لا يستهان بها بين موافق والى حد ما والتمثلة بنسبة (46%) بعدم شعورهم بأهمية اختصاصهم، وعدم رغبتهم الدراسة فيه اعتقادا منهم ان قسم علم الاجتماع غير فاعل في المجتمع، فأغلب المبحوثين يلتقون بالخريجين من القسم عند مراجعتهم الكلية او عبر مواقع التواصل الاجتماعي يتحدثوا عن معاناتهم من عدم تعيينهم في المؤسسات الحكومية او المدارس بصفتهم باحثين اجتماعيين، فضلا عن هذا فعند قبولهم في الكلية يرى الطلبة الجدد ان كل قسم يحدد له درجة تفاضل تقابل موادهم في وثيقة تخرج المرحلة الاعدادية،

فعلى سبيل المثال يحدد قسم اللغة العربية القبول فيه وفقا لدرجة مادة اللغة العربية وقسم اللغة الانكليزية يحدد القبول فيه وفقا لدرجة اللغة الانكليزية وقسم التاريخ وقسم الجغرافية وهكذا وغيرها من الاقسام الاخرى في الكلية باستثناء قسم علم الاجتماع يحدد بدرجة مادة الاقتصاد والذي لا يمت بصلة لقسم علم الاجتماع، او يترك اختيار القسم بحسب رغبة الطالب، لذا قد يفسر بعدم اهمية هذا الاختصاص من قبل الطلبة.

جدول (5)

يوضح تأثير عدم الايمان بجدوى التعليم على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	30	28%
الى حد ما	39	36%
لا	38	36%
المجموع	107	100%

يتضح من الجدول (5) الخاص بعدم الايمان بجدوى التعليم وتأثيره على التحصيل الدراسي، اذ اشار (36%) من المبحوثين بـ (لا) وجاءت النسبة نفسها بالإجابة الى حد ما، و (28%) اشاروا بعدم ايمانهم بجدوى التعليم يؤثر في تحصيلهم الدراسي.

يلاحظ من النسب اعلاه ان اكثر من نصف العينة تشير الى عدم الايمان بجدوى التعليم.

جدول (6)

يوضح تأثير كراهية الطلبة لبعض المواد الدراسية على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	49	46%
الى حد ما	33	31%
لا	25	23%
المجموع	107	100%

من نتائج الجدول اعلاه نجد بأن (46%) من المبحوثين اكدوا ان كراهيتهم لبعض المواد الدراسية تمنعهم من قراءتها، لذا تؤثر على تحصيلهم الدراسي، و(31%) من المبحوثين أشروا (الى حد ما)، اي بجمعها مع من اشروا (نعم) نجد النسبة تكون (77%) فهذا سببا ذو تأثير كبير على تحصيلهم الدراسي، في حين ان (23%) منهم اشروا بـ (لا).

جدول (7)

يوضح عدم توافر الجو المناسب للقراءة وتأثيره على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	54	50%
الى حد ما	40	38%
لا	13	12%
المجموع	107	100%

يتضح من نتائج الجدول اعلاه بأن (50%) من المبحوثين اشروا ان عدم توافر الجو المناسب للقراءة يؤثر على تحصيلهم الدراسي، و(38%) منهم الى حد ما، بينما أشر (12%) منهم بعدم تأييدهم بعدم توافر الجو المناسب للقراءة عامل مؤثر على تحصيلهم الدراسي.

يلاحظ من النسب اعلاه ان أكثر المبحوثين أكدوا بعدم توافر الجو المناسب للقراءة سواء اكان في البيت ام في الكلية وبالتالي يؤثر على تحصيلهم الدراسي.

جدول (8)

يوضح الاعتماد على الغش في الامتحان وتأثيره على التحصيل الدراسي

بحسب الجنس

الجنس	الذكور	النسبة المئوية	الاناث	النسبة المئوية	المجموع الكلي	النسبة المئوية الكلية
نعم	7	13%	5	10%	12	11%

40%	43	33%	17	47%	26	الى حد ما
49%	52	57%	30	40%	22	لا
100%	107	100%	52	100%	55	المجموع

تشير النسب الكلية في الجدول اعلاه بأن (49%) من المبحوثين لا يعتمدون على الغش في الامتحانات اليومية والفصلية والنهائية، في حين اكد (40%) منهم بأنهم الى حد ما يعتمدون على الغش في الامتحان، و(11%) منهم اكدوا بأنهم يعتمدون على الغش في الامتحانات.

وعند مقارنة اجابات المبحوثين بحسب الجنس لمعرفة رأي افراد العينة بشأن الاعتماد على الغش في الامتحانات نجد ان اغلب المبحوثين يؤكدون على عدم الغش في الامتحان وكانت اكبر نسبة ممن اشر على عدم الغش هن الاناث، بجانب نسبة لا يستهان بها ممن يعتمدون الى حد ما على الغش في الامتحان وكذلك ممن اكدوا على انهم يغشون في الامتحان، ويرجع سبب الاعتماد على الغش في الامتحان الى عدم متابعة الطلبة للمواد الدراسية اليومية والواجبات المطالبين بها سوى قراءتهم لها وقت الامتحان مما يصعب عليهم ذلك، فضلا عن ذلك قد يكون عدم توافر الجو المناسب للقراءة سببا في اعتمادهم على الغش ونتائج الجدول (7) يدعم هذا الرأي، وكان لتطور الوسائل التكنولوجية دوراً في تسهيل عملية الغش في الامتحانات، فهناك بعض المكاتب المنتشرة في بغداد تعرض علنا عن وجود هذه الوسائل وكيفية استعمالها.

جدول (9)

يوضح الاضطرار للعمل بعد الدوام وتأثيره على التحصيل الدراسي بحسب الجنس

النسبة المئوية الكلية	المجموع الكلي	النسبة المئوية	الاناث	النسبة المئوية	الذكور	الجنس الاجابة
32%	34	13%	7	49%	27	نعم
17%	18	10%	5	24%	13	الى حد ما
51%	55	77%	40	27%	15	لا

المجموع	55	100%	52	100%	107	100%
---------	----	------	----	------	-----	------

يتضح من النسب الكلية في جدول (9) الخاص بعمل الطلبة بعد الدوام وتأثيره على تحصيلهم الدراسي، أن (51%) من المبحوثين غير مضطرين للعمل بعد الدوام وقد يكون هذا الجدول دعماً لجدول (3) الذي اشر فيه المبحوثين ان مستوى دخلهم يسد حاجتهم، و (32%) منهم اشرروا الى اضطرارهم للعمل بعد الدوام، و (17%) منهم اشرروا الى حد ما مضطرين للعمل.

وعند مقارنة اجابات المبحوثين بحسب الجنس لمعرفة رأي افراد العينة بشأن الاضطرار للعمل بعد الدوام وتأثيره على تحصيلهم الدراسي وجد أن اكثر من أكد الى اضطراره للعمل بعد الدوام من المبحوثين هم الطلبة الذكور وهذا طبيعياً لان الطلبة الذكور يرون ان سعيهم للعمل تكسبهم المال بالدرجة الاولى وتحسين الوضع المادي، فضلاً عن اكتسابهم الخبرات والمهارات من خلال العمل في مهنة ما، والعمل تكسبهم الثقة بالنفس والاعتماد على النفس، وبالوقت ذاته يؤثر العمل بعد الدوام على تحصيلهم الدراسي لعدم الموازنة بين العمل والدراسة وعدم تنظيم الوقت، فالعمل لساعات متأخرة ليلاً تؤثر على القابلية الفكرية والجسمية للطالب وبالتالي يؤثر على مستواه العلمي والدراسي، بينما اشرن الاناث اقل من الذكور بشأن اضطرار العمل بعد الدوام نظراً لطبيعة مجتمعنا المحكوم بالعادات والتقاليد التي لا تسمح للأثني العمل بعد الدوام ولوقت متأخر من الليل، فضلاً عن ان الاناث مسئولات من ذويهن الاب او الاخ او الزوج بشأن الانفاق عليهن.

ولأجل التعرف على الفروق المعنوية لإجابات المبحوثين بشأن الاضطرار للعمل بعد الدوام وتأثيره على التحصيل الدراسي، اجرينا اختبار (كا) بلغت قيمته (28,83) وهي اكبر من قيمته الجدولية البالغة (5,99) عند درجة حرية (2) وبمستوى دلالة (0,05) وعليه اثبتت الفرضية التي تنص (توجد علاقة معنوية ذات دلالة احصائية بين الاضطرار للعمل بعد الدوام وتأثيره على التحصيل الدراسي وفقاً للجنس).

جدول (10)

يوضح المعاناة من مشكلات اسرية

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	29	27%

27%	29	الى حد ما
46%	49	لا
100%	107	المجموع

يتضح من معطيات الجدول اعلاه بشأن معاناة المبحوثين من مشكلات اسرية وتأثيرها على تحصيلهم الدراسي أن (46%) منهم لا يعانون من مشكلات اسرية، بينما اشر (27%) منهم بأنهم يعانون والى حد ما وبالنسبة نفسها يعانون مشكلات اسرية مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي.

جدول (11)

يوضح اهم المشكلات الاسرية التي يعاني منها المبحوثين
مثلما أشرها (58) مبحوث

النسبة المئوية	العدد	اهم المشكلات الاسرية التي يعاني منها المبحوثين
7%	4	طلاق الوالدين
5%	3	الهجر
83%	48	عراك او مشاحنات يومية (صراع الاباء مع الابناء)
5%	3	نزوح الاسرة بسبب الاضطرابات الامنية في البلد
100%	58	المجموع

يوضح الجدول اعلاه اهم المشكلات الاسرية التي يعاني منها المبحوثين مثلما اشرها المبحوثين الى البدائل (نعم) و(الى حد ما) في الجدول (10)، اذا اكد (48%) من المبحوثين انهم يعانون من مشكلات اسرية تؤثر على تحصيلهم الدراسي تتمثل بصراعات ومشاحنات مع الاباء اي صراع الاجيال فعدم فهم الاباء لاحتياجات ومتطلبات ابنائهم المعنوية في هذه المرحلة العمرية قد يؤدي الى خلافات في وجهات النظر او مشاحنات وخلق جو اسري مشحون لأسباب قد تكون حلولها بسيطة لو تمكن الطرفين فهم بعض، إذ يؤثر ذلك على نفسياتهم، في حين اشر (7%) منهم الى ان طلاق والديهم وانفصالهم عن بعض سببا في عدم استقرارهم الاسري مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي، و(5%) منهم يعانون من هجر الاب للام وهو اشبه بمشكلة الطلاق وبالنسبة نفسها اكد المبحوثين

انهم من المهجرين بسبب الاضطرابات الامنية في البلد وكونهم من مناطق ساخنة ادت الى نزوحهم وترك منازلهم وأعمالهم وأموالهم مما اثر ذلك في استقرارهم الاسري وبالتالي التأثير على تحصيلهم الدراسي.

جدول (12)

يوضح الانشغال بالعلاقات العاطفية وتأثيره على التحصيل الدراسي

بحسب الجنس

النسبة المئوية الكلية	المجموع الكلي	النسبة المئوية	الاناث	النسبة المئوية	الذكور	الجنس الاجابة
29%	31	23%	12	34%	19	نعم
32%	34	31%	16	33%	18	الى حد ما
39%	42	46%	24	33%	18	لا
100%	107	100%	52	100%	55	المجموع

يتضح من النسب الكلية للعينة في الجدول (12) بأن (39%) من المبحوثين لا يعدون العلاقات العاطفية التي يقيمونها في الوسط الجامعي تؤثر على تحصيلهم الدراسي، بينما اشار (32%) منهم بأنه يؤثر عليهم الى حد ما، و(29%) اكدوا على ان العلاقات العاطفية تؤثر على تحصيلهم الدراسي.

بالنظر الى النسب الكلية ممن اجابوا بنعم او الى حد ما نجد حوالي (61%) من المبحوثين يرون ان انشغالهم بالعلاقات العاطفية التي يقيمونها في الوسط الجامعي تأثير على تحصيلهم الدراسي، فبعضهم يتغيبون من المحاضرات ولا يتابعون دروسهم بعد الرجوع للمنزل، فعلاقتهم هذه لا تقف عند حدود الوسط الجامعي فبفضل وسائل الاتصال الحديثة كالموبايل والانترنت وما فيها من مواقع للتواصل وغيرها اثرت على تحصيل الدراسي للطالب.

وعند مقارنة اجابات المبحوثين بحسب الجنس لمعرفة رأي افراد العينة بشأن الانشغال في العلاقات العاطفية وتأثيرها على التحصيل الدراسي، وجد ان نسبة الذكور اعلى من الاناث ممن يرون للعلاقات العاطفية تأثير على التحصيل الدراسي.

ولأجل التعرف الى الفروق المعنوية بين اجابات المبحوثين بشأن الانشغال بالعلاقات العاطفية وتأثيرها على التحصيل الدراسي، اجرينا اختبار (كا2)، اذ بلغت قيمته (2،68)،

وهي اصغر من قيمته الجدولية البالغة (5,99) عند درجة حرية (2) وبمستوى دلالة (0,05)، وعلية اثبتت الفرضية التي تنص (لا توجد فروق معنوية ذات دلالة احصائية بين الانشغال بالعلاقات العاطفية وتأثيرها على التحصيل الدراسي بحسب الجنس).

جدول (13)

يوضح الاقتصار على الكتب المنهجية او الملزمة وتأثيرها على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	30	28%
الى حد ما	42	39%
لا	35	33%
المجموع	107	100%

من معطيات الجدول (13) الموضح تأثير اقتصار بعض الاساتذة على الكتب المنهجية او الملزمة المعدة من قبل الاستاذ على التحصيل الدراسي، إذ اشر (39%) من الباحثين انه يؤثر على تحصيلهم الدراسي، و(33%) منهم لا يرون لذلك تأثير، بينما (28%) يؤكدون على ذلك .

يستدل من نتائج النسب اعلاه ان الاقتصار على كتب منهجية او الالتزام بمحاضرات مطبوعة مهيأة من قبل الاستاذ تسمى (الملزمة) تؤثر على التحصيل الدراسي للطلاب نظرا لان المادة العلمية موحده وجاهزة من جانب تحجيم تفكير الطالب بتقييده بهذه المادة العلمية وعدم البحث عن مصادر علمية أخرى ومن جانب اخر تساعده على تصغير حجم هذه الملزمة بمكاتب الاستسناخ لغرض الغش في الامتحان.

جدول (14)

يوضح انعدام التعاون بين الطالب والأستاذ وتأثيره على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	59	55%

27%	29	الى حد ما
18%	19	لا
100%	107	المجموع

من بيانات الجدول (14) بشأن انعدام التعاون بين الطالب والأستاذ وتأثيره على التحصيل الدراسي، إذ اشر (55%) منهم انعدام التعاون بين الطالب والأستاذ تأثير على تحصيلهم الدراسي، و (27%) اشر الى حد ما، بينما (18%) من المبحوثين لا يؤيد ذلك. يستدل من نسب الجدول اعلاه بأن انعدام التعاون بين الاستاذ والطالب تأثير على تحصيله الدراسي، هذا يأتي من عدم مراجعه الطالب للأستاذ لسؤاله عن المادة العلمية التي تطرح في المحاضره بل مراجعة الطالب في فترات استراحة الاستاذ هي لسؤاله عن درجاته فحسب وهل يمكنه النجاح ام لا؟

جدول (15)

يوضح مطالبة الاستاذ للطالب بالتحضير اليومي وغيابه خوفا من الاحراج

النسبة المئوية	العدد	الاجابة
31%	33	نعم
30%	32	الى حد ما
39%	42	لا
100%	107	المجموع

من بيانات الجدول (15) الخاص بمطالبة الاستاذ للطالب بالتحضير اليومي وغيابه عن المحاضرات خوفا من الاحراج وتأثيره على التحصيل الدراسي للطالب، اذ اشار (39%) من المبحوثين بأنهم لا يخرجون من مطالبة الاستاذ بالتحضير اليومي لدروسهم ولا يتغيبون لهذا السبب، مقابل نسبة تمثلت بـ (31%) و (30%) اشاروا بأنهم يخرجون من مطالبة الاستاذ بالتحضير للمادة العلمية في المحاضرة والمناقشة والحوار داخل القاعة الدراسية لهذا لا يحضرون للأستاذ الذي يطالبهم بذلك خوفا من الاحراج امام زملائهم ولعدم قدرتهم على المناقشة وهذا راجع الى ان الطلبة معتادين من المراحل التي تسبق

المرحلة الجامعية على تلقين المعلومات واختبارهم بعد ذلك مما اثر عليهم سلبا في المرحلة الجامعية لشعورهم بالخجل والإحراج من المناقشة.

جدول (16)

يوضح تساهل بعض الاساتذة مع الطلبة يؤثر على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	42	39%
الى حد ما	35	33%
لا	30	28%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (16) الخاص بتساهل بعض الاساتذة مع الطلبة وتأثيره على تحصيلهم الدراسي، اذ أشار (39%) و (33%) منهم بأن تساهل بعض الاساتذة مع الطلبة يؤدي الى عدم الاهتمام بالدرس والمادة العلمية ايمانا بأن الاستاذ يتساهل معهم بإعطائهم درجات النجاح، بينما (28%) منهم اشاروا ب (لا).

جدول (17)

يوضح لجوء بعض الاساتذة الى تصعيب المواد الدراسية وتأثيرها على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	71	66%
الى حد ما	22	21%
لا	14	13%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (17) لجوء بعض الاساتذة الى تصعيب المواد الدراسية وتأثيرها على التحصيل الدراسي للطلاب، اذ أشار (66%) من المبحوثين الى ان بعض الاساتذة يصعب المادة العلمية او ان طرحه للمادة يفوق مستوى استيعاب الطالب، فأغلب الطلبة الان يرى كل ما يطرح في المحاضرة ومطالبة الاستاذ بمناقشته صعبا، ويرجع هذا الى ان مدخلات الكلية (الطلبة) اصبحت ضعيفة نتيجة لمخرجات المرحلة الثانوية (الطلبة)، فعند اختبار الطلبة (الامتحان) اليومي او الفصلي او النهائي تجد اخطاء املائية وضعف بتعبيرهم او في اعطاءهم

فكرة عن المادة التي يمتحن بها، لهذا يجد الطالب كل ما يذكره الاستاذ صعبا ولا يمكنه فهمها، وافر (21%) ان ذلك يؤثر الى حد ما، بينما نسبة ضعيفة تمثلت بـ (13%) اشاروا بـ (لا).

جدول (18)

يوضح تمييز بعض الاساتذة بين الطلبة على اساس الجنس

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	50	47%
الى حد ما	32	30%
لا	25	23%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (18) تمييز بعض الاساتذة بين الطلبة على اساس الجنس وتأثيره على التحصيل الدراسي للطلبة، اذ اشار (47%) و (30%) من المبحوثين بأن بعض الاساتذة يميزون في التعامل مع الطلبة على اساس الجنس و (23%) منهم أشاروا بـ (لا).

جدول (19)

يوضح اعتماد بعض الاساتذة على طريقة الالتقاء لعرض المحاضرة

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	36	34%
الى حد ما	33	31%
لا	38	35%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (19) اعتماد بعض الاساتذة على طريقة الالتقاء لعرض وطرح المادة العلمية وتأثيره على التحصيل الدراسي للطلاب، اذ اشار (34%) و (31%) من المبحوثين بأن هذه الطريقة تؤثر في تحصيل الدراسي لان بهذه الطريقة الطالب قد يستوعب الطالب لـ (15) دقيقة الاولى من المحاضرة ومن ثم يبدأ يشعر بالملل من الاستماع، بينما اشار

(35%) من المبحوثين ب (لا) فهم يفضلون طريقة اللقاء ولا يعدوها ذات تأثير على تحصيلهم الدراسي.

جدول (20)

يوضح الطرق المناسبة لعرض المحاضرة مثلما أشرها (69) مبحوث

النسبة المئوية	العدد	الاجابة
29%	20	طريقة المناقشة والحوار
71%	49	طريقة عرض المحاضرة بوسائل تكنولوجية حديثة
100%	69	المجموع

يوضح الجدول (20) الطرق المناسبة لعرض المحاضرة بحسب ما اشار اليه في الجدول السابق (19) الى ان (69) مبحوث من المجموع الكلي للعينة البالغ حجمها (107) مبحوث، اذ أشار (71%) من المبحوثين بالاعتماد على طريقة عرض المحاضرة بوسائل تكنولوجية حديثة كجهاز (الداشيو) وغيره من الوسائل لأنها طريقة شيقة في عرض المادة العلمية وتسهل عملية ايصال المعلومة بشكل افضل لاعتمادها على حاستي السمع والبصر بآن واحد، بينما (29%) من المبحوثين اشرى بتفضيل اعتماد الاساتذة على طريقة المناقشة والحوار في المحاضرة، وهي نسبة قليلة لان البعض من الطلبة لا يحبذون مناقشة الاستاذ لهم ومطالبتهم بالتحضير اليومي للمادة العلمية والجدول (15) يدعم اجابات هذه النسبة في هذا الجدول.

جدول (21)

يوضح تطرف الاساتذة بين اسلوب اللين والشددة في معاملة الطلبة

النسبة المئوية	العدد	الاجابة
14%	15	نعم
14%	15	الى حد ما
72%	77	لا
100%	107	المجموع

يوضح الجدول (21) تطرف بعض الاساتذة بين اسلوب اللين والشدة في معاملة الطلبة وتأثيره على التحصيل الدراسي، إذ أشار (72%) من المبحوثين بالإجابة بـ (لا) فأساتذة القسم لا يتعاملون مع طلبتهم بهذا الاسلوب وإنما يتعاملون بإنسانية وموضوعية مع الطلبة نظرا لما يتمتع به الاستاذ من رقي اخلاق ومهنية، بينما اشار (14%) وبالنسبة نفسها بـ (نعم) و (الى حد ما) وهي نسبة ضعيفة.

جدول (22)

يوضح عدم توافر قاعات كافية للمطالعة في المكتبات الجامعية

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	44	41%
الى حد ما	32	30%
لا	31	29%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (22) الخاص بعدم توافر قاعات كافية للمطالعة في المكتبات الجامعية وتأثيرها على التحصيل الدراسي للطلبة، وإجابات جدول (7) و جدول (11) يدعم اجابات هذا الجدول التي تؤكد على عدم توافر الجو المناسب للقراءة والأخر يؤكد على المشاحنات والعراك في البيت، لهذا يبحث الطالب عن قاعة في الكلية للمطالعة، فمكتبة قسم علم الاجتماع تفتقر لقاعة مناسبة تتسع لطلبتها ليتسنى لهم القراءة والمراجعة فيها، بينما أشر (29%) من المبحوثين بـ (لا)، فهم يرون بأن عدم توافر قاعات في المكتبة للمطالعة لا تؤثر على تحصيلهم الدراسي.

جدول (23)

يوضح عدم تعاون موظفي المكتبات الجامعية مع الطالب

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	34	32%
الى حد ما	31	29%
لا	42	39%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (23) عدم تعاون موظفي المكتبات الجامعية مع الطلبة وتأثيره على تحصيلهم الدراسي، إذ اشار (39%) من المبحوثين بأن عدم تعاون موظفي المكتبات الجامعية مع الطالب لا يؤثر على تحصيلهم الدراسي، في حين اشار (32%) و (29%) بـ (نعم) و (الى حد ما) ان ذلك يؤثر على تحصيلهم الدراسي، إذ ان اغلب موظفي المكتبات الجامعية لا يسلمون كتب او مصادر علمية للطلاب من قسم علمي اخر او كلية اخرى بسبب التعليمات المفروضة على الموظفين التي يجب ان يتبعها الطالب.

جدول (24)

يوضح انعدام السفرات العلمية

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	43	40%
الى حد ما	33	31%
لا	31	29%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (24) الخاص بانعدام السفرات العلمية وتأثيرها على التحصيل الدراسي للطلاب، إذ اشار (40%) و (31%) من المبحوثين بأن انعدام السفرات العلمية تؤثر على التحصيل الدراسي للطلبة نظرا لدراسة قسم علم الاجتماع من الاقسام التطبيقية اي للجانب الميداني اهمية في الدراسة، لذا يسعى الطلبة للزيارات الميدانية الى المؤسسات التابعة لوزارة العدل ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية كالسجون والإصلاحات وغيرها من الدوائر التابعة لها، للإطلاع على كيفية عمل الباحث الاجتماعي، إلا ان الظروف الامنية الغير المستقرة تقف حائلا لهذا الزيارات، بينما أشار (29%) من المبحوثين بـ (لا) ان ذلك لا يؤثر على تحصيلهم الدراسي.

جدول (25)

يوضح انعدام النظافة في القاعات الدراسية

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	29	27%
الى حد ما	43	40%
لا	35	33%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (25) انعدام النظافة في القاعات الدراسية وتأثيرها على تحصيلهم الدراسي، إذ اشار (40%) و (27%) من المبحوثين بأن ذلك يؤثر عليهم، بينما أشر (33%) منهم بعدم تأثير تحصيلهم الدراسي بانعدام النظافة في القاعات الدراسية.

جدول (26)

يوضح اكتظاظ القاعة الدراسية بالطلبة وتأثيرها على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	62	58%
الى حد ما	30	28%
لا	15	14%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (26) الخاص باكتظاظ القاعة الدراسية بالطلبة وتأثيرها على التحصيل الدراسي، إذ اشار (58%) و (28%) من المبحوثين بـ (نعم) و (الى حد ما) اي (86%) يؤيدون بأن اكتظاظ القاعة الدراسية بالطلبة يؤثر على تحصيلهم الدراسي فكل قاعة دراسية في القسم يضم حوالي من (50 65) طالب وهذا يؤثر على الطلبة، فالصف النموذجي هو الذي يضم حوالي (30-25) طالب، بينما اشار (14%) من المبحوثين بـ (لا) وهي نسبة ضعيفة قياسا بمن ايدوا ذلك.

جدول (27)

يوضح عدم الاستماع لشكاوي الطلبة من قبل رئاسة القسم وتأثيرها على التحصيل الدراسي بحسب الجنس

النسبة المئوية الكلية	المجموع الكلي	النسبة المئوية	الاناث	النسبة المئوية	الذكور	الجنس الاجابة
52%	56	56%	29	49%	27	نعم
35%	37	27%	14	42%	23	الى حد ما
13%	14	17%	9	9%	5	لا
100%	107	100%	52	100%	55	المجموع

يتضح من النسب الكلية في الجدول (27) الخاص بعدم الاستماع لشكاوي الطلبة ضمن ندوات وحوارات من قبل القسم وتأثيرها على التحصيل الدراسي، إذ اشار (52%) و(35%) من المبحوثين بـ (نعم) و(الى حد ما) بأن عدم الاستماع لشكاوي ومشكلات التي يعاني منها الطلبة ضمن اجتماعات او حوارات يؤثر على تحصيلهم الدراسي، بينما اشار (13%) منهم بـ (لا).

ولأجل التعرف على الفروق المعنوية لإجابات المبحوثين بشأن عدم الاستماع لشكاوي الطلبة من قبل رئاسة القسم وتأثيره على التحصيل الدراسي، اجرينا اختبار (كا2)، اذ بلغت قيمته (3،16) وهي اصغر من قيمته الجدولية البالغة (5،99) عند درجة حرية (2) وبمستوى دلالة (0،05)، وعليه اثبتت الفرضية التي تنص (لا توجد فروق معنوية ذات دلالة احصائية بشأن عدم الاستماع لشكاوي الطلبة من قبل رئاسة القسم وتأثيره على التحصيل الدراسي بحسب الجنس).

جدول (28)

يوضح عدم الاهتمام بتتبع حالات الغياب وقبول الاعذار

وتأثيرها على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	45	42%
الى حد ما	35	33%
لا	27	25%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (28) الخاص بعدم الاهتمام بتتبع حالات الغياب وقبول الاعذار وتأثيرها على التحصيل الدراسي للطلبة، إذ أشار (42%) و (33%) من المبحوثين بـ (نعم) و (الى حد ما) بأن التساهل مع الطلبة في الغياب عن المحاضرة او عدم تتبع حالات غيابهم ايضا وقبول بعض الأعذار الغير منطقية او الصادقة تأثير على التحصيل الدراسي نظرا لعدم افادة الطالب من معلومات تلقى في المحاضرة بسبب الغياب المستمر، بينما اشار (25%) منهم بعدم تأييد ذلك.

جدول (29)

يوضح اعتماد الطلبة على بعض القرارات الوزارية كقرار التحميل وعودة

المقرنة قيودهم وتأثيرها على التحصيل الدراسي

الاجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	42	39%
الى حد ما	32	30%
لا	33	31%
المجموع	107	100%

يوضح الجدول (29) الخاص باعتماد الطلبة على بعض القرارات الوزارية كقرار التحميل (نظام المحاولات) او قرار عودة المقرنة قيودهم الى الدوام وتأثيرها على التحصيل الدراسي، إذ اشار (39%) و (30%) من المبحوثين بـ (نعم) و (الى حد ما) الى اعتمادهم على هذه القرارات وعدم الاهتمام لبعض المواد الدراسية، نظرا لاعتمادهم على

هذه القرارات، إذ يتغيب بعض الطلبة عن بعض المواد التي لا يرغب حضور محاضراتها التي قد يراها صعبة او كرهه لها بالاعتماد على هذا القرار مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي، بينما اشار (31%) منهم بأنهم لا يعتمدون على هكذا قرارات وأكثر من اشر بـ (لا) الاناث لان مستواهم العلمي وتحصيلهم الدراسي افضل من الذكور.

سابعاً: النتائج والتوصيات

اولاً: نتائج خصائص العينة :

- 1- بلغ عدد المبحوثين من الذكور (51%) و (49%) من الاناث ويرجع الاختلاف في نسب الذكور الى الاناث الى طبيعة العينة العشوائية الطبقية.
- 2- سحبت عينة البحث من ثلاث مراحل دراسية في قسم علم الاجتماع والمراحل هي (الثانية والثالثة والرابعة) واستثنت المرحلة الاولى نظرا لطبيعة متطلبات البحث.
- 3- ان (92%) من افراد العينة مستوى دخلهم يسد الحاجة، بينما (4%) منهم يزيد عن الحاجة وبالنسبة نفسها يقل عن الحاجة .
- 4- ثانياً: نتائج واقع التحصيل الدراسي لطلبة قسم علم الاجتماع :
- 5- بينت النتائج ان (58%) من المبحوثين لا يشعرون بعدم اهمية اختصاصهم (علم الاجتماع) مقابل (46%) من المبحوثين يشعرون بعدم اهمية اختصاصهم .
- 6- بينت نتائج البحث ان اكثر من نصف العينة يؤكدون عدم ايمانهم بجدوى التعليم مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي.
- 7- اكدت النتائج ان ما يقارب (77%) من افراد العينة اشاروا الى ان كراهيتهم لبعض المواد الدراسية تأثير على تحصيلهم الدراسي.
- 8- ان (88%) من المبحوثين اكدوا ان عدم توافر الجو المناسب للقراءة سواء اكان في البيت ام في الكلية تأثير على تحصيلهم الدراسي.
- 9- يؤكد (51%) من العينة الكلية ويشكل الجزء الاكبر من النسبة الذكور باعتمادهم على الغش في الامتحان، في حين يؤكد (49%) من العينة الكلية ويشكل الجزء الاكبر من النسبة الاناث بعدم اعتمادهم على الغش في الامتحان.

- 10 - تشير النتائج ان (51%) من العينة غير مضطرين للعمل بعد الدوام وأكثر من اشار الى ذلك الاناث نظرا لطبيعة مجتمعنا المحكوم بالعادات والتقاليد التي لا تسمح للأثنى العمل بعد الدوام ولوقت متأخر من الليل، فضلا عن ان الاناث مسئولات من ذويهن كالأب او الاخ او الزوج بشأن الانفاق عليهن، بينما (49%) من العينة وأكثرهم من الذكور اشاروا الى اضطرارهم للعمل بعد الدوام لساعات المساء المتأخرة لتأمين احتياجاتهم مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي.
- 11 - ان اكثر من نصف افراد العينة يعانون من مشكلات اسرية تؤثر على تحصيلهم الدراسي تمثلت بالعراك ومشاحنات بين الاباء والأبناء، بينما (46%) منهم لا يعانون من مشكلات اسرية.
- 12 - اكدت نتائج البحث ان (61%) من المبحوثين اشاروا الى الانشغال بالعلاقات العاطفية في الجامعة تؤثر على تحصيلهم الدراسي، بينما (39%) منهم لا يؤيدون ذلك.
- 13 - بينت النتائج ان (67%) من المبحوثين يؤكدون ان الاقتصار على الكتب المنهجية او الملزمة تؤثر على تحصيلهم الدراسي، فالمادة العلمية المطبوعة الجاهزة (الملزمة) قد لا تشجع الطلبة على البحث عن مصادر علمية اخرى.
- 14 - اشارت نتائج البحث ان اكثر افراد العينة يؤكدون ان انعدام التعاون بين الطالب والأستاذ تأثير على التحصيل الدراسي.
- 15 - ان (61%) من المبحوثين يشيرون الى ان مطالبة الاستاذ بالتحضير اليومي للمادة العلمية والمناقشة في المحاضرة وغيابه خوفا من الاحراج تأثير على التحصيل الدراسي.
- 16 - اكثر المبحوثين يشيرون الى ان تساهل بعض الاساتذة مع الطلبة يؤثر على التحصيل الدراسي.
- 17 - تشير النتائج الى (87%) من المبحوثين يؤكدون ان بعض الاساتذة يصعبون المواد الدراسية مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي، وهذا نتيجة ضعف الخلفيات العلمية لبعض الطلبة من المراحل التي تسبق المرحلة الجامعية فيرون كل ما يطرحه الاستاذ الجامعي صعبا عليه ولا يمكنه فهمها.

- 18- ان (77%) من المبحوثين يشيرون الى ان تميز بعض الاساتذة بين الطلبة على اساس الجنس تأثير على التحصيل الدراسي للطلاب، بينما (23%) منهم اشاروا بنفي ذلك.
- 19- يؤكد (65%) من المبحوثين ان اعتماد بعض الاساتذة على طريقة الالقاء في طرح المادة العلمية تأثير على تحصيلهم الدراسي، فأكثر المبحوثين يجدون ان طريقة عرض المحاضرة وطرح المادة العلمية بوسائل تكنولوجية حديثة من افضل الطرق المناسبة لذلك .
- 20- يشير (72%) من المبحوثين ان الاساتذة لا يعتمدون على اسلوبي اللين والشد في المعاملة، لان اساتذة قسمهم يتعاملون معهم بإنسانية وموضوعية.
- 21- ان (71%) من المبحوثين يؤكدون ان عدم توافر قاعات كافية للمطالعة في المكتبات الجامعية عامة ومكتبة قسم علم الاجتماع خاصة يؤثر على تحصيلهم الدراسي.
- 22- ان (61%) من المبحوثين اشاروا الى ان عدم تعاون موظفي المكتبات الجامعية مع الطلبة يؤثر على تحصيلهم الدراسي، إذ ان اغلب موظفي المكتبات الجامعية لا يسلمون كتب او مصادر علمية للطلاب من قسم اخر او كلية اخرى بسبب التعليمات المفروضة على الموظفين والملزمين بتطبيقها على الطالب.
- 23- يؤكد (71%) من المبحوثين ان انعدام السفرات العلمية تؤثر على التحصيل الدراسي للطلاب، نظرا لان جانب من دراسة قسم عم الاجتماع تطبيقي اي للجانب الميداني اهمية في الدراسة كالزيارات الميدانية لبعض المؤسسات الحكومية التابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووزارة العدل .
- 24- يشير (67%) من افراد العينة ان انعدام النظافة في القاعات الدراسية تؤثر على تحصيلهم الدراسي.
- 25- اكد (86%) من المبحوثين ان اكتظاظ القاعة الدراسية بالطلبة تؤثر على تحصيلهم الدراسي.
- 26- ان (87%) من المبحوثين اشاروا الى ان عدم الاستماع لشكاوي الطلبة ضمن ندوات وحوارات من قبل القسم تأثير على التحصيل الدراسي .
- 27- ان (75%) من افراد العينة يشيرون ان عدم تتبع حالات الغياب وقبول الاعذار

تأثيرها على التحصيل الدراسي للطالب لان التساهل مع الطلبة يؤدي للتغيب عن المحاضرات وعدم افادتهم من المعلومات التي تلقى في المحاضرة.

28- يؤكد (69%) من المبحوثين ان اعتمادهم على بعض القرارات الوزارية كقرار التحميل (نظام المحاولات) او قرار عودة المرقنة قيودهم تأثير على التحصيل الدراسي للطالب.

ثانياً: المقترحات والتوصيات :

في ضوء النتائج التي ذكرت آنفاً وضعنا عدداً من المقترحات والتوصيات التي نأمل الأخذ بها، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

- 1- نقترح اجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة، لكن من وجه نظر الاساتذة.
- 2- التوصية بأن يكون قبول قسم علم الاجتماع مركزياً.
- 3- اقامة رئاسة قسم علم الاجتماع ندوات وحوارات مع طلبتها ومعرفة المشكلات التي يعانون منها ووضع المعالجات لها.
- 4- نوصي بأن يكون تعيين خريجي قسم علم الاجتماع كباحثين اجتماعيين في مؤسسات الدولة كافة تعيناً مركزياً، وذلك لإعطاء هذا العلم دوراً فاعلاً في المجتمع.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

م/ استمارة استبانة بعنوان

(واقع التحصيل الدراسي لطلبة قسم علم الاجتماع)

دراسة ميدانية

تحية طيبة...

هذه استمارة مخصصة لأغراض البحث العلمي تهدف الى التعرف واقع التحصيل الدراسي لطلبة قسم علم الاجتماع، يرجى التعاون مع الباحثة بالإجابة عن أسئلة هذه الاستبانة بدقة وصراحة ولا حاجة لذكر الاسم أو العنوان، علماً بأن المعلومات التي نحصل عليها لا يطلع عليها أحد سوى الباحثة فقط.

مع فائق شكرنا وتقديرنا على تعاونكم معنا

- البيانات الاولية :

- 1- الجنس: ذكر () انثى ()
- 2- المرحلة: أولى () ثانية () ثالثة () رابعة ()
- 3- مستوى الدخل: يسد الحاجة () يزيد عن الحاجة () لا يسد الحاجة ()

- البيانات الاساسية:

- 4- هل تشعر بعدم اهمية اختصاصك؟
نعم () الى حد ما () لا ()
- 5- هل عدم ايمانك بجدوى التعليم يؤثر على تحصيلك الدراسي؟
نعم () الى حد ما () لا ()
- 6- هل كراهيتك لبعض المواد الدراسية تأثير على تحصيلك الدراسي؟

- نعم () الى حد ما () لا ()
- 7- هل عدم توافر الجو المناسب لك للقراءة يؤثر في تحصيلك الدراسي؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 8- هل تعتمد على الغش في الامتحان؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 9- هل أنت مضطر للعمل بعد الدوام؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 10- هل تعاني من مشكلات اسرية؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 11- اذا كانت الاجابة بـ (نعم) او (الى حد ما) فهل يتمثل ذلك بـ : (يمكنك اختيار اكثر من بديل)
- أ- طلاق الوالدين
- ب- الهجر
- ج- عراك او مشاحنات يومية (صراع الاباء مع الابناء)
- د- نزوح اسرتك بسبب الاضطرابات الامنية في البلد
- 12- هل انشغالك بالعلاقات العاطفية تأثير على تحصيلك الدراسي؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 13- هل اقتصار بعض الاساتذة على الكتاب المنهجي او الاعتماد على الملزمة تأثير على التحصيل الدراسي؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 14- هل انعدام التعاون بينك وبين الاستاذ تأثير على تحصيلك الدراسي؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 15- هل مطالبة الاستاذ بالتحضير اليومي يؤدي الى غيابك خوفا من الاحراج؟
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 16- هل ترى تهاون او تساهل بعض الاساتذة مع الطلبة يؤثر في التحصيل الدراسي
- نعم () الى حد ما () لا ()
- 17- هل يلجأ بعض الاساتذة الى تصعيب المواد الدراسية مما يؤثر على التحصيل الدراسي؟ نعم () الى حد ما () لا ()

- 18- هل يميز بعض الاساتذة بين الطلبة على اساس الجنس؟
 نعم () الى حد ما () لا ()
- 19- هل اعتماد بعض الاساتذة على طريقة الالقاء لعرض المحاضرة تأثير على
 تحصيلك الدراسي؟ نعم () الى حد ما () لا ()
- 20- اذا كانت الاجابة ب (نعم) او (الى حد ما) فما الطريقة المناسبة لعرض المحاضرة؟
 1- ()
 2- ()
 3- ()
- 21- هل تطرف بعض الاساتذة بين اسلوبي اللين والشدة في المعاملة تأثير على
 تحصيلك الدراسي؟ نعم () الى حد ما () لا ()
- 22- هل عدم توفر قاعات كافية للمطالعة في المكتبات الجامعية تأثير على تحصيلك
 الدراسي؟ نعم () الى حد ما () لا ()
- 23- هل عدم تعاون موظفي المكتبات الجامعية معك يؤثر على تحصيلك الدراسي؟
 نعم () الى حد ما () لا ()
- 24- هل انعدام السفرات العلمية تأثير على تحصيلك الدراسي؟
 نعم () الى حد ما () لا ()
- 25- هل انعدام النظافة في القاعات الدراسية يؤثر في تحصيلك الدراسي؟
 نعم () الى حد ما () لا ()
- 26- هل اكتظاظ القاعة الدراسية بالطلبة يؤثر على تحصيلك الدراسي؟
 نعم () الى حد ما () لا ()
- 27- هل عدم الاستماع لشكاوي الطلبة ضمن ندوات وحوارات من قبل رئاسة القسم
 تأثير على تحصيلك الدراسي نعم () الى حد ما () لا ()
- 28- هل عدم الاهتمام بتتبع حالات الغياب والتساهل بقبول الاعذار تأثير على
 تحصيلك الدراسي؟
 نعم () الى حد ما () لا ()
- 29- هل اعتمادك على بعض القرارات الوزارية او الجامعية كقرار التحميل او عودة
 المرقنة قيودهم تأثير فيع عدم اهتمامك بتحصيلك الدراسي؟
 نعم () الى حد ما () لا ()

الهوامش

- 1/ رجاء ابو علام، علم النفس التربوي، دار العلم، الكويت، 1994، ص306
- 2/ حنان كاسب، مفهوم التحصيل الدراسي، 2013، الشبكة المعلوماتية، على الرابط الالكتروني: [http / hanan398.blogspot.com](http://hanan398.blogspot.com)
- 3/ تعريف مصطلح المرحلة الجامعية، الشبكة المعلوماتية، على الرابط الالكتروني: <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 4/ د.محمد عبد الفتاح محمد، ممارسات الخدمة الاجتماعية مع مشكلات الاسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2012، ص29
- 5/ المصدر نفسه، ص156
- 6/ د.معن خليل عمر، عبد اللطيف عبد الحميد العاني، المشكلات الاجتماعية، جامعة بغداد، 1991، ص123
- 7/ بسماء ادام، النمو الاخلاقي وعلاقته بالتحصيل الدراسي والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، جامعة دمشق، 2001، ص81
- 8/ د.عدنان ياسين ود.عبد الحسن جواد، الكلفة الاجتماعية للازمات في العراق: الحاجة الى نهج تنموي تشاركي، بحث منشور في مجلة دراسات اجتماعية، العدد 28، بيت الحكمة، بغداد، 2012، ص26-27
- 9/ د.محمد عبد الفتاح محمد، مصدر سابق، ص26-27
- 10/ د.معن خليل عمر ود.عبد اللطيف عبد الحميد العاني، مصدر سابق، ص174
- 11/ د.محمد عبد الفتاح محمد، مصدر سابق، ص31
- 12/ ياسمين سعدون صليب، اثر الفقر على المستوى التعليمي للسكان، بحث منشور في مجلة وقائع المؤتمر الدولي الرابع لاتحاد الاحصائيين العرب، بغداد، 2013، ص471
- 13/ د.قاسم حسين صالح، سيكولوجية العلاقات العاطفية في الجامعات العراقية (دراسة ميدانية)، بحث منشور في الحوار المتمدن، العدد3397، 2011، على الرابط الالكتروني <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=263405>
- 14/ تعريف العلاقات العاطفية، على الرابط الالكتروني <http://htig.alafdal.net/t1335-topic>
- 15/ د.يحيى علي زهران، العلاقات العاطفية الطلابية الجامعية من المسامرة الى المخاطرة، مصر، 2012، ص16
- 16/ د.رشا سامي خابور ود.عبد الحكيم ياسين حجاري، اسباب انتشار ظاهرة الغش في

- الامتحانات لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدارس مديرية تربية لواء الرمثا، بحث منشور في مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد الثالث، العدد (10)، 2015، ص 264
- 17/ د.قاسم حسين صالح ود.علي جاسم الزبيدي، ظاهرة الغش في الامتحانات الجامعية اسبابها وأساليب معالجتها، بحث منشور في جريدة المدى صفحة الانسان والمجتمع، العدد (690)، 2006
- 18/ د.فجر جودة النعيمي، علم النفس الاجتماعي دراسة لخفايا الانسان وقوى المجتمع، ط 1، دار اوما، العراق، 2016، ص 292
- 19/ الغش في الامتحانات «تعريفه، اسبابه، علاجه، 2010، على الرابط الالكتروني:
www.jerusalemsschool.ro/index.php?action=article&id_menu=12
- 20/ د.رشا سامي خابور ود.عبد الحكيم ياسين حجازي، مصدر سابق، ص 280-283
- 21/ د.عبدالله الرشدان، علم اجتماع التربية، ط 1، دار الشروق، عمان، 1999، ص 217
- 22/ د.عبد العظيم كريمي، مرتكزات التربية والديمقراطية (العقلانية والمدنية والمعنوية)، ط 1، دار الهادي، بيروت، 2007، ص 156
- 23/ المصدر نفسه، ص 169-165
- 24/ د.ماجد مغامس، سلطوية الاستاذ الجامعي، 2016، على الرابط الالكتروني:
http://alnasnews.net/online/?p=48564
- 25/ د.شعباني مالك، الجامعة والتنمية تأثير أم تأثر؟ العدد الرابع من مجلة الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير- بسكرة، جزائر، 2009.
- 26/ يحيى صالح حسين الجادعي، المناهج الجامعية ودورها في تكوين وتنمية الشخصية القيادية، 2012، على الرابط الالكتروني:
http://www.alukah.net/publications_competitions/0/38157/#ixzz4aGCFFk7n
- 27/ صبري رديف العاني، العينات، مطبعة جامعة بغداد، 1981، ص 31
- الاعلان عن خطة لتطوير التعليم في البلاد حتى عام 2020، على الموقع الالكتروني:
alarabia-traveltours.com/vb/showthread.php?t=230

تجاوز السلطة البطرياركية في رواية (الطلياني) لشكري المبخوت

قراءة في تقويض السلطات وتحرر الذات

(سلطة، بطرياركية، تجاوز، رواية)

أ.م.د. كرنفال ايوب محسن

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

Transcend Albetriarkih authority in the novel

(the Italian) of Shukri Al Mabkhot

Keywords

Albetriarkih .authority .Transcend novel (

Assistant Professor D.r.

Carnvall ayuob muhsen

Department of Arabic Language

In the Faculty of Arts / University of Baghdad

ملخص البحث

لقد اسس الخطاب الروائي العربي المنجز بعد عام 2003 لواقعية جديدة تركز على المعطيات التي تبثها السلطات المتنوعة، حيث شكّلت نسقا مهيمنا وفضاءً دلاليا للشروخ الاجتماعية والفكرية والسياسية، وبالاحتكام الى الشروط التاريخية التي مرّ بها الخطاب التاريخي العربي، فأن هناك تأسيسا لواقعية جديدة في ظل سلطات ممتدة دفعت الفرد الى خوض صراعات مع معطيات الواقع وانقاضه، فتولد اتجاه جديد يعكس تجاوز السلطات ومحاولة تدميرها، ولعل هذا يؤصل لظاهرة جديدة تعتمد على محاربة السلطة وتجاوزها، فأخذت الرواية تنهمك في مزاولة التخلص من القوى المهيمنة، وزرع خطاب جديد يستعرض الافعال تجاه السلطات وتأثيراتها. ويبدو ان الروائي (شكري المبخوت) قد استوعب النمط السلطوي الذي يحكم الواقع، لينشئ اتجاها يقف على مبدأ تجاوز التأثير السلطوي، وروايته (الطللياني) زحرت بمجموعة من الشخصيات التي ادت اداءً خاصا تأسس على رفض فكرة التسلط وحاولت هذه الشخصيات تجاوز انواع السلطة البطيركية، التي شغلت المديات السياسية والثقافية الاجتماعية والدينية، التي تولدت بسبب ظروف الواقع العربي الابدية .

abstract

The Arab novelist achieved discourse founded after 2003 for new realism based on the data broadcast by various authorities. where formed a dominant pattern and significant space foe social, intellectual and political cracks by invoking to the historical conditions which historical Arab discourse passed. there is building of new realism in an extended authorities paid an individual to fight conflicts with realities and its ruins, generates new trend reflects bypass the authorities and the novel try to get rid of dominated powers, and plant new speech, representing the activities toward the the authorities and its effects .

it seems that novelist (Shukri Al Mabkhot) absorbed authoritarian that

governing the reality, to establish a trend stands on principle to override authoritarian influence, and his novel (the Italian) are abound with a set of characters that have a special performance founded on rejection of authoritarianism and these characters tried to exceed patriarchal authority types, Which held social, religious political and cultural dimensions, engendered by conditions of Arab eternal reality.

مقدمة

ان الهيمنة بمختلف انماطها انما تنتج عن وسائل القوتين المادية والمعنوية، وهي مصاحبة بطبيعة الحال للمجتمعات، وحياة الافراد، ولقد تعددت مظاهرها ومستوياتها ووجودها المضمّر والمعلن، وصورها التي اتخذت هيئة السلطة التي تدخل في تفاصيل التصرف والتشريع واتخاذ القرار، وهي تعمل على تهيئة الافراد للقبول بها، والاعتراف بأيدولوجيتها، وفرض ثقافتها، ولقد اتجه الخطاب الروائي واشتغالاته الى كشف هذه الهيمنات وسطوتها، خاصة بعد عقود من الاستعمار، والمهيمنات الفكرية التي نشأت لاحقا، والان وما يطال المنطقة العربية خصوصا، من حسومات مصيرية خلفتها السياسة والدين والاقتصاد، ومن ضمن النصوص الروائية التي طرحت كشوفات تتعلق بالسلطة والهيمنة ومدياتها الهائلة، كانت رواية «الطلياني» للروائي التونسي (شكري المبخوت)، الفائزة بجائزة البوكر العربية لعام 2013، وهي من الروايات التي قدمت الذات الواعية واداءها ضمن واقع الهيمنة السلطوية، وعند اقامة اشتغالات قرائية متعددة عليها وجدنا ان انماط الهيمنة فيها تقترب كثيرا من مفهوم (البطرياركية)، السلطة التي تنشأ عن مصدر قوة لطرف واحد، اي لامجال للصراع بين قوتين فيه، وهو بمعناه الاخر (السلطة الابوية)، وغالبا الذكورية، لكن يبدو ان المفهوم قد انسحب على مجموعة من المهيمنات التي تتبع الخطاب الروائي وجودها المعلن والمضمّر معا، وشددت رواية الطلياني على تأثيراتها، ومن ثم رفضها والتصدّي لها، في محاولة لفهم اثر النظام الاجتماعي وماينطوي عليه من اعراف وقيم وتقاليد، ومايؤثر فيه من انظمة اخرى، تتصل بالدين والسياسة والاقتصاد. ولم يتوقف شكري المبخوت عن الكشف عن المدركات الفكرية التي عملت عليها الشخصيات، وحاولت مجابهة مظاهر التسلط بها، طوال مسار احداث روايته.

جاءت هذه الدراسة بأربعة مسارات فضلا عن مدخل مبسط، الاشتغال الاول اختصّ بمسار تجاوز السلطة السياسية، والثاني اشتغل على تجاوز السلطة الاجتماعية، اما الثالث فقد كان عن تجاوز السلطة الدينية، في حين اشتغل الرابع على مسار تجاوز السلطة الايدولوجية. وتنتهي الدراسة بخاتمة تحمل نتائجها.

مدخل

تشكّل الهيمنة وتستمد صفتها الاعتبارية من المفاهيم الاجتماعية والدينية والسياسية، وهو كل ما يتصل بالحاكم او المهيمن او المؤثر الذي يقرر الضرورات ويطرح الاراء ويشرّع الاحكام الخاصة بالحياة، «ولقد حملت الثقافة العربية بين طياتها سيادة لمفاهيم متنوعة للهيمنة تكشف عنها تأويلية يتجذر الكثير من معانيها في الثقافة»⁽¹⁾، وهي مهيمنات سايرت الوعي العام وقدمت نتائجها وفقا لانماط التعاملات التي خصّت كل مجتمع، وتحصّلت على سلطات اصبحت الى حد ما من الثوابت التي تقود الوعي او تصدى له، ولكي نبتعد عن مفهوم الصراع بين طرفين، ونحدد بالقوة الاحادية الفاعلة، انسحب مفهوم البطرياركية وصفتها على اشكال هذه المهيمنات لتكوّن «وضعية معقدة من العلاقات في مجتمع ما، وهي علاقات تمارس من نقاط لاحصر لها، وفي اطار تناسبات متحركة غير متكافئة. فهي نتاج مباشر للتقسيمات واللاتكافؤات والاختلافات التي تقوم داخل تلك العلاقات وعلى ذلك فأن السلطة تتجسد في كل الاليات التي تتحكم في العلاقات الاجتماعية»⁽²⁾.

ويستحضر النصّ الروائي العربي مفهوم الابوية الذي يهيمن بكل تجلياته وممارساته بوصفه مفهوما للسلطة التي تتعلق بعامل المسؤولية لتدرج ضمن مواصفات (البطرياركية) الكنسية بوصفها هيمنة عليا، تأخذ على عاتقها ان تصدر التشريعات وترسم خرائط سلوك الانسان⁽³⁾.

ان أستجلاء المفاهيم الابوية واستقراءها يؤكد بالضرورة تعاليها، اذ تبرز الهيمنة البطرياركية في الخطاب الروائي العربي ضمن المستويات الاجتماعية والدينية والسياسية وهو ما حقق انطبعا عن انسحابها تحت مفهوم السلطة البطرياركية التي تتسم بالمركزية والهيمنة المقدسة، خاصة مع تأسيس المجتمع العربي على اسس متنافضة اتجهت في النهاية الى اطار الاستعلاء من مراكز القوى ومهيمنات السلطة بمختلف مستوياتها ليدعن

لها الافراد، مع التداخل الايديولوجي والفكري للسياسات الاجتماعية والدينية الهائل، فضلا عن التداخل الثقافي الذي ادى الى اعادة تشكيل الانظمة المعرفية في العقل العربي، وبالتالي اكتناز الخطاب الفلسفي، والروائي بعدها بقيم معرفية تناسب مع التغييرات المرحلية التي توالدت تباعا ضمن هواجس فردية وجماعية شكلت نوازعا فكرية خاصة تتجه نحو الفرد.

ان لتزحزح الهيمنة القديمة في المجتمع العربي، وتزحزح مفاهيمها، وتغير شكل تعاطيها، دفع الى نشوء مطالبات لتقويض السلطات المهيمنة وارساء هيمنة العقل وانشاءات حرية الفرد والمجتمع والقيم، الا ان انقسام الوعي لم يوحد العمل للتصدي للهيمنة سواء كانت دكتاتورية ام استعمارية ام دينية ام فكرية، وهو ماتبتته الرواية بوصفها جنسا معروفا بسحرته الواقعية، وميدان اشتغالها الواقع اولا واخيرا، فجاءت مضامينها نقدا للمرجعيات التي تبنت قيما سلبية، ورفضت بطرياقية السلطة وهيمنتها. ولعل ما اذكى هذه الاجتهادات التي قدمها الخطاب الروائي، هو الواقع الحديث الذي اتكأ على التغييرات الهائلة التي اجتاحت المنطقة العربية، فقد مثل المنجز الروائي العربي صخب الواقع السياسي والمعطيات الثقافية والفكرية للمجتمع، فأصبح النصّ الروائي يقدم رؤية منظورية تؤطر لاشتغالات انظمة معرفية تستند الى دلالات ومعطيات تكوّن مواقع التشخيص، خاصة في البلدان التي شهدت تغييرات في انظمتها السياسية. وشكري المبخوت قد قدّم اشتغالاته الخاصة التي حددت مواقع تشخيص الرؤى في روايته (الطلياني) التي اسست لفعل يقوم على تجاوز المهيمنات وتقويض السلطة، وقدمت خطابا واقعيا طرح اشكاليات جمّة عبر الشخصيات التي حملت وعيا خاصا وكاشفا عن مضامين سردية متغيرة تتعلق بآنتاج قراءات جديدة لتجاوز الفكر الجمعي والادوار السلطوية.

ان توظيف التمرد والتجاوز انما يؤسس لوجود اصيل للرؤى الحديثة والاحالة الى الدلائل الكبرى التي تفكك النظام الاجتماعي المشتبك والمعقد، ومواجهة مفهوم التحضر الفكري، لان شكل البطرياقية الحديثة هيمنة سياسية بمجملها، وهي تتأسس على اسلوب متميز يعتمد على الترويض وممارسة دور التسلط وذلك لان الخطاب الانساني بشكل عام يتميز بصفة التموج الايديولوجي، والايديولوجيا اكتسبت صفة التلازم للنشاطات

الانسانية، فلا يمكن للخطاب بأي مفهوم ان يفلت عنها⁽⁴⁾، والتأسيسات الايدولوجية التي يقدمها الخطاب الروائي غالبا تعد تمثيلا حقيقيا للواقع القائم، والادوار السلطوية التي سعت الى تنميط الذات شكّلت نموذج شكل الهيمنة البطرياركية الحديثة، التي ارتهنت الواقع، فأخذت الرواية تعالج حقيقة التسلط الذي يخضع الافراد لمعاييره، ومن ثم طرحت ثقافة تركز الى ترسيخ مهيمنات تنظم المؤسسات وفقا لقانون التعسف والفرض.

وهنا طرحت شخصيات داخل الرواية وقد تلت وعيا خاصا، حاولت فرض مهيمنات مغايرة لمهيمنات السلطة، تتعلق بأحياء الفرد ومنحه حريته وبالطبع هذا الوعي يرتكز اساسا الى نمط ايدولوجي جديد، ومن هنا يتحقق تجاوز المهيمنات والتصدي لها بمختلف اشتغالاتها.

أولاً: تجاوز السلطة البطرياركية السياسية

شغل الخطاب الروائي بتصوير الانتكاسات التي طالت السلطة وازدواجها وانجرافها، ولعل اكثر الفئات المتربطة بتأثيرات السلطة هي فئة المثقفين الذين كانوا اكثر التزاما امام اشكالية الالتباس الحاصل بين السلطة والعدالة⁽⁵⁾، ان القدرة على التمييز اظهرت امكانية رصد التحولات عبر مسارات معقدة تنال من الواقع الانساني الذي اصبح اكثر تفاعلا مع تحول الاستراتيجيات والكيفيات، فأتجه النصّ الروائي الى تقديم تفسيرات مهمة عن الانهزامات والانتكاسات التي تترصد المجتمع، نتيجة لسلطة سياسية تعتمد على الولاء للاعلى وتبني سلوك عبادة الاولياء السياسيين، ففي رواية (الطلّاني) طرحت صور الاسلوب القهري للسلطة واستفزازها حين يشكّل حركة وعي عكسي، حين توقف الكاتب ليرصد صدمات هائلة عند حقبة تاريخية مهمة من تأريخ تونس مثلت سيرة اليسار التونسي، الذي كان يراجع الملفات الجادة، لبيني يسارا جديدا بعد الثورة، وقد اختار مجموعة من الشخصيات اثنت النصّ الروائي بأدبياتها وافكارها، من مثل (عبد الناصر) الشخصية الرئيسية التي نشأت في بيئة تميل الى النمط الغربي وتنتهج اسلوبا يساريا ثقافيا تبدو تأثيراته في الادبيات التي تعرف اليها (عبد الناصر) في بداية فتوته، وهي ادبيات الحركات الماركسية، وطريق العمل السياسي⁶ كانت تدور بينهما نقاشات حادة في البيت اثناء الزيارات القليلة التي كان يؤديها صلاح الدين الى تونس والى العائلة، وكانت نقاشات

تنتهي بتوتر سرعان ما يقطعه صلاح الدين لانه يجزّ الى مالا يحمد عقباه. فالاخ الاصغر كان معارضا شرسا لسياسة الدوائر المالية العالمية⁽⁶⁾.

قدمت شخصيات الطلياني تجاوزا ملحوظا لشتى انواع الاستعلاء والتسلط، لانها اصلا شخصيات تمتلك مشاريع مناهضة للتبعية بامتياز، وللسلطات التي تعد الشعوب كيانات جديرة بالحصر، والروائي المبخوت مظهر السلطة على انها ممارسة تداولية تنتظم الذات المجتمعية على وفقها باتجاه سلبي، حين يصل بالفرد الى ان يكون مهيمننا عليه فيعاني من التسلط، فعمد الى اعلاء مستوى افعال واصوات الشخصيات، في مواجهة هذه الهيمنة، فعبد الناصر شكّل ذاتا واعية اسست لاشتغالات مهمة قدمته بحضور فعّال، ترتبط بالتأسيس لاهدافها.

يجسد (عبد الناصر) ذاكرة وتاريخا ومؤشرا دلاليا على العطب السياسي، وهو تعبير بشكل او بأخر عن ازمة وجودية القت بتأثيراتها على المجتمع والواقع، وهو يتجاوز السلطة السياسية عبر مساءلتها وكشف المسكوت عنه "هجم عليه عونان بعد ان اغلقا باب الشاحنة الخلفي اشبعاه ضربا. لم يسكت عبد الناصر وردّ الصاع صاعين بذاءات وسّبا وبصاقا واضعا يديه على رأسه لتجنب ضربة على الرأس قد تكون قاتلة (...). كان عبد الناصر رغم تقييد يديه الى الخلف وربطهما بظهر كرسي يسبّ بدوره ويصرخ وينعت الاعوان بالجبناء والكلاب والقردة، لم يدم هذه اكثر من بضعة دقائق، دخل عون حسن الهيئة (...). قدم اليه سجارة وهو يسأله:

- اصبحت اخوانجيا ام ساقك القدر الى منوبه؟

اجاب بلسان الواثق المحتج على تهمة:

- ((اصحاب المبادئ لا يغيرون مبادئهم))⁽⁷⁾

ان الذي يكرّس قوة الشخصية في تجاوزها للسلطة يتعلق بالالتفات الى سلطة مسكوت عنها، فضلا عن بيان موقعها الفكري من السياسة وثيمة الهيمنة التي تدعمها، هذه الثيمة التي تكون جدلية قائمة مع باقي الثيمات التي تحكم العوالم الحقيقية والمتخيلة في الخطاب الروائي، والتأسيس الذي يستدعي الانتماء الى مجموعة القيم الحاكمة، "فالساسة في المجتمع الطبقي تقتحم القانون، والاخلاق والعلم، والفن، والفلسفة،

والدين، وتظهر كقوة محددة لاتجاه التطور في المجتمع، وفي مجالات الحياة ومنها المجالات الابداعية والفكرية والايديولوجية، وهي تعبر عن مصالح هذه الطبقة او تلك⁽⁸⁾ والشخصية تقترن في مبادئها مع قيمة الحق الذي تدعمه الممارسة الفكرية الفلسفية كأتجاه انساني يسعى للتأسيس، ويبدو ان رواية (الطلياني) قد سعت بابداعها الى بيان اعطاب السلطة البطرياركية في علاقتها الصراعية مع مسألة الحق، وقد سار (عبد الناصر) ومثله (زينة) في مجال السلطة (الاکراهي)، الا انهما وفي اغلب تأسيسات احداث الرواية كانا متجاوزين لها بما قدماه من ممارسات هائلة، " ((طريقانا مختلفان ..مالذي يمكن ان يجمع شرطيا يخدم حزب الدستور بمناضل نقابي وسياسي؟))

- ((دعك من هذه الخزعبلات ... انا ادافع عن الدولة ..مشكلتك مع حزب الدستور لا معنا)).

- ((انتم اداته للحكم وقمع الجماهير ...))

- ((ظننت انضج مما تقول، التقارير عندي اذن كاذبة؟))

صمت عبد الناصر. فأردف العون مهددا :

- ((افضل ان تختار المكان والتوقيت حتى لا اضطر لجلبك بالقوة بالقوة)).

- ((افضل جلبني بالقوة ..)).⁽⁹⁾

ان انشغال النصّ بفعل السلطة السياسية العنيف، فرض عليه نوعا من الصّد والعنف، ولقد فرض التعامل بالواجهة والتجاوز انساقا من دلالية مرتبطة بالمرجعية الفكرية والعقائدية والايديولوجيا التي تستند اليها فكرة السلطة في النصّ، يؤسسها الخطاب، ف(عبد الناصر) يمثل منحىً فكريا يسير باتجاه التأثير السلطوي، يتجابه معه ويتجاوزه ليؤسس لاهدافه ولرؤيته، وكذا الامر مع (زينة) التي تبدو في مرحلة من مراحل الحكمي اكثر فعالية في التصادم والصراع، وهو ما ربطها لاحقا بعبد الناصر، اما المهيمن السلطوي الذي تمثله الحكومة، ممثلا بجهاز الاعوان، وباقي الاجهزة الرادعة الاخرى، فأن بنيته من الداخل تبدو واهية ترتكز الى التعليمات الفوقية والتصادم، مع ما يكشفه الروائي عن اشكال وطبيعة الاعتقالات، واسبابها، وهو ما يقدم تشريحات اجتماعية وتاريخية عن الضمائر التي تتجه في اغلب الاحوال الى القول بتوافقات غير مجدية مع السلطة لاتنفي الاهداف التي تبقى خيارات مطروحة كلما سنحت لها الفرصة للظهور والصراع.

لقد شكّلت الهيمنة السياسية حضور المخيف وكبر ادواره، الا ان هذا الحضور هو في الحقيقة حضور الاجهزة الايدولوجية المختلفة، مما يشكّل هاجسا للنصّ الروائي⁽¹⁰⁾ ليتخذ خطابا مخصوصا يحصره في هيمنة بطرياقية مقصودة تعبر عن الوعي بالمرحلة، وهو ما افضى الى ان يتخذ الصراع بين الذات الواعية المتمثلة بـ(عبد الناصر) ورفاقه، بكل ما يحيلون اليه من خير وصلاح ونظام، وبين المؤسسة السياسية التي تمثل، السيطرة، والقمع، والاستلاب، صورا كاشفة عن فلسفة الغاء الاخر، وفرض مهيمنات معينة لايدولوجيا معينة مفروضة، وهو مادفع (زينة) هي الاخرى ان تظهر صورا عن تجاوزها للهيمنة السياسية بموقفها التي تحدّث فيها ارغاماتها، فكانت تمارس افعالا صدامية وتكشف عن ايدولوجيا للرفض والتجاوز" كانت زينة تعارض الهياكل النقابية المؤقتة وتراها قد صادرت الحركة الطلابية ووجهتها وجهة حزبية اوصلتها الى طريق مسدود، وكم سخرت من الحديث عن القطيعة السياسية والتنظيمية التي يدعيها اليسار"⁽¹¹⁾.

لقد قام النصّ على سطوة الاعتبارات المهيمنة السياسية وحضور السلطة السياسية من جهة، وعلى اداء الشخصيات التي تنفصل عن الوعي الذي انتجها، فقد تعاطى الروائي معها كأحد اهم المداخل الحيوية التي تفصح عن اداء المهيمنات الذي يحكم الواقع.

ثانياً: تجاوز السلطة البطريركية الاجتماعية

ان الواقع الاجتماعي يتفاعل مع سمات التعبير عنه، بوصفه حاكما والاصل الذي يحكم العلاقات الانسانية، والمكون الذي يحتويها الذي يرتبط بعلاقة دائرية بأنظمة السلطة الاجتماعية تنتجها وتستبقيها، فهي تحدد وتقف مؤسسيا بوجه الخطاب والافكار التي تتعارض مع محدداتها، التي تحدد اللائق وغير اللائق، وهو ما يحدد اخيرا شكل الوعي والادراك عند العامة في حياتهم اليومية، والسلطة الاجتماعية مرتبطة بشكل او بأخر بالسلطة السياسية، الا انها تتمثل للقضايا الاجتماعية البديهية، وهي تدفع الفرد الى ان يغفل مواضيع عديدة لايسمح بتجاوزها او الحديث عنها، فتنتج افرادا يعالجون هذه القضايا بمواقف سلبية قد لاتمت بصله لافكارهم وممارساتهم، وهذا مادفع بالخطاب الروائي الى تقديم الوسائل عبر الشخصيات، لتجاوز هذه السلطة ومحاولة الانفلات عنها، والانفصال عن قوانينها، وهي اشارة تبدو ايجابية، اذ ان الانفصال وتجاوز السلطة الاجتماعية انما

يشير الى محاولة التغلب على ادوات المنع والاقصاء، ف(عبد الناصر) شخصية قدمها المبخوت متمردة على مجمل القوانين الاجتماعية التي حكمت بيته اولا، ومجمعه ثانيا، ففي بيت والده (سي محمود) التاجر البرجوازي، يحاول عبد الناصر تجاوز السلطة البطرياركية الاجتماعية والتمرد عليها بما امتلكه من مسار فكري ومرجعية واعية ترفض الهيمنة العليا التي تركز اليها البيوت العربية " خرج الاب الى وسط الدار بعد ان صلى العشاء، كان الجميع ينصت الى الاخوين ولا احد على الارجح فهم شيئا عدا توتر عبد الناصر، صرخ سي محمود في وجه ابنه الاصغر:

- ((متى ستكف عن وقاحتك، وانت تتحدث الى سيّدك خوك؟!))

اجاب عبد الناصر منفعلًا:

- ((ليس لي سيّد ولست عبدا لاحد .. لقد تركت اخلاق العبيد لكم))⁽¹²⁾

ان الامكانيات التي تحملها الشخصيات في الرواية، هي امكانيات خاصة لها القدرة على تحديد صفاتها الاخلاقية والشخصية لتقدمها، اذ ان مواقف الرفض والتجاوز تتطلب خطابا ينتج افعالا موازية لصفاتها، لذا فأن ممارسة الرفض والانفلات من المهيمنات وحواكمها وحدودها يتطلب اداءً خاصا ينتج عن شخصيات استثنائية غالبا، اذ هناك شخصيتي (زينة)، و(نجلاء) اللتين مارستا انفصالا خاصا عن المرجعية الاجتماعية وهيمنتها، اذ تبدو مواقفهما اكثر وضوحا تجاه البطرياركية الاجتماعية، ربما لكونهما امرأتين، فسطوة الواقع الاجتماعي اكثر قوة تجاه المرأة، (زينة) نشأت وسط بيئة قروية، تتعرض للاغتصاب وهي مراهقة، فتتولد لديها كراهية شديدة تجاه وسطها الذي تعيش فيه، وردة فعل عنيفة نتيجة ما اصابها، فتحاول الانفلات عن الواقع الذي يحكمها، تهرب لتعيش حياتها في درب النضال الطلابي، فتظهر قوية وذكية وحازمة في اغلب المواقف، ومتمردة بالطبع " ردت زينة على تهديده بتهديد اقوى :

- اذن ستنتقم للقيم العام الذي لا اعرف اين ذهب؟ انت اخوانجي اعرف ذلك، تكره المرأة وتعادي سياسة الدولة (...). استدعى اباها الى مكتبه.

كان الاب فلاحا يعمل في بعض المواسم (...) والولي الحقيقي هو امها التي تشتغل خادمة (...) اجاب الاب المدير بأن زينة ابنته وله كامل الصلاحيات والتفويضات لضربها

وقتلها ان شاء .. افهمه انه لا يتحكم فيها فهي ابنة بورقيبة الذي جعل النساء مستقويات على الرجال والاباء والاخوة. فكيف سيكلم ابنة متعلمة متفوقة في دراستها وهو لا يعرف، كتابة اسمه على الجرة؟ اعترف انه نفّض يديه منها ولم تعد تكلمه منذ سنوات، لاتعتبره ابا لها. اقسمت امام العائلة ان الام اكثر رجولة منه"⁽¹³⁾.

ان دراسة علاقات السلطة الاجتماعية بالشخصيات وادوارها تتطلب وعيا خاصا وتاما بالخلفيات الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي تحكم المجتمع، ويبدو ان النصّ الروائي قد كون مفهوما خاصا عن الواقع الاجتماعي وسلطاته، يرتبط بنظام العلاقات العامة والخاصة للأفراد، فالذات التي تخلص للمؤسسة الاجتماعية لا بد ان تقع تحت طائل التخوف من عدم الالتزام، وتشديد تصورات نمطية تتعلق بطريقة الحياة والتفاعل، واقامة الصلات، فالسلطة البطرياركية الاجتماعية تمتلك القوة والقدرة المعنويتان على فرض عملية المنع والرفض وفرض القواعد، في ظل التقاليد الاجتماعية، والتصورات الذهنية، وانماط العلاقات، فالسلطة الاجتماعية غالبا ما تكون محصورة في اشكال القرابة، اي ان فاعلية هذه الهيمنة تتجسد في افراد الاسرة او الاقارب و(الطلياني) قدمت خطابها ووعيتها بتناقضات السلطة الاجتماعية ومازقتها، فشخصياتها على قدر من الثقافة والتعليم والطموح، وهو ما يكشف عن تصورات خاصة عن الواقع الاجتماعي، اذ ثمة صورة اخرى عن تجاوز الهيمنة البطرياركية الاجتماعية تقدمها (نجلاء)، المطلقة التي رفضت العيش وفقا لاساليب اجتماعية سلبية وبالية "حدثته طويلا عن موقفها من الزواج قبل ان تعيش تجربتها المرّة مع ممثل الاشرطة الاباحية. فسرت له ان الزواج للمرأة حدث محرر من المجتمع وقيوده الصارمة. كانت تعرف ذلك. ولهذا فأن طلاقها بين لها ان السبيل الى حربتها الحقيقية لا يمكن ان يمرّ عبر رجل يستعبدها"⁽¹⁴⁾.

لقد سخرّ الروائي نصّه السردى ليكشف الحقيقة التي تؤثر في الفرد وضعفه ازاء البطرياركية بمفهومها الحديث، وانظمتها .

ثالثاً: تجاوز السلطة البطرياركية الدينية

ان شروط الكتابة تستوجب التركيز على مجمل التصورات المؤثرة في الواقع الحقيقي، ومن هذه التصورات تجليات الموقف الديني الخاص للأفراد، فقد اتجهت الرواية وبشكل

لافت الى رصد تجليات السلطة الدينية التي يمتلك مفاتيحها من يصل الى السلطة الرمزية الاعتبارية للموجه الديني، واستثمار المقدس، وموقع سلطته في النفوس، ورواية الطلياني تتوسم منذ بداية احداثها تقديم الافكار الانسانية بخطاب خاص بدأه الكاتب بأول مشهد، وهو مشهد هجوم (عبد الناصر) في اثناء مراسم دفن والده، على الامام الذي كان يباشر مراسم الدفن " يلعن دين والديك، يامنافق، ياندل، ياساقط، اخرج من غادي يا بن... " (15) وقد بدا حدثا جللا كما صورته المبخوت، اذ ان موقع السلطة الدينية في النفوس قد اكسبها مكانة استراتيجية مهمة في البناء المجتمعي والمؤسساتي لكونها حاضنة علم، ومعمل لبناء العقول ورجاحتها⁽¹⁶⁾، و(الطلياني) قدمت نموذج السلطة الدينية التي تتبنى قيما سالبة ممثلة في الشيخ (علالة الامام)، الذي حاول اغتصاب (عبد الناصر) صغيرا، عدة مرات، وهو مادفع عبد الناصر لاحقا الى الهجوم عليه ضربه، حين راه يقوم بدفن والده.

ان اختيار الكاتب لنموذج ديني يمتلك سلطة معنوية عليا، مهدم الاخلاق والقيم، انما هو اختيار مقصود، اذ لا يمكن ابعاد هكذا ملامح عن ساحات التواجد، فأقواله وسلوكياته انما تنبئ عن الخلل الذي اصاب مركز مهم من مراكز الاستقطاب الاجتماعي والانساني، فالسلطة الدينية بأبسط مفاهيمها، هي اتخاذ مهمة الحديث بأسم الله، وحق الانفراد بمعرفة رأي السماء وتفسيره⁽¹⁷⁾.

لقد خرجت الشخصيات في الرواية من بيئات تحتكم الى السلطة الدينية وتبجلها، الموثقة بموروثات مجتمعية بكل ما فيها من قيم وخصوصيات، ليطرحوا الاسئلة الاشكالية حول الذات المتلغفة بالسلطة الدينية، لغرض تبني قيما سالبة وهدامة، خاصة في الموقف الذي استهل به الكاتب روايته، حادث ضرب عبد الناصر، لعلالة الامام، الذي يعود (المبخوت) وي طرح اصوله في الاحداث النهائية، ليتضح انه كان ممن ينظفون الدفوف في احدى الفرق الغنائية، يتزوج (لللاجينية) ابنة الشيخ (الشاذلي)، التي فضحت عنته بعلاقتها المتعددة مع صبيان الحي.

تبدو السلطة الدينية هنا مشروخة وغير اهل للثقة، ف(علالة الامام) شخصية مشروخة وسلبية، استطاعت ان تصل الى ابنة الشيخ الشاذلي، لتستولي على الثروة والمشیخة، وصورة الهيمنة الدينية هنا مبنية على قيم واهية شخصتها (عبد الناصر) منذ صغره " ناداه علالة الدرويش كما كنا نسميه، من باب المسجد، اتجه نحوه فجذبه بقوة وادخله الى

المیضاة. فهم الصبي ان في الامر شيئا غير عادي، وضع علالة يده على فم الصبي. كان الطلياني يحاول الافلات من قبضته. احس ببصاق وبقطعة لحم صغيرة مرتخية. لم يعرف كيف تركه علالة لحال سبيله"⁽¹⁸⁾.

ان مؤشرات تخلخل قداسة السلطة الدينية ترتبط بتأثيراتها وسيطرتها، والكاتب اشار الى خلل وعطب هذه السلطة، حين واجهها عبد الناصر، وهدم قيمتها امام الناس في جنازة والده، لانه كان صبيا لا يمتلك امكانية تأشير العطب.. لكن ذاكرته حملت هذه الصور حتى يوم وفاة والده، لينهال ضربا على (علالة)، رمز السلطة الدينية المزيفة التي ينبغي ان تقيم اجراءات اخلاقية مؤثرة بدلا من تهديمها، فأنحرف رجل الدين دفع بالشخصية الى رفض هذه السلطة، وتجاوزها بمحاولة الانقراض على من يملكها وتعريته وطعن قداسته.

اما (زينة)، فقد جابهت الهيمنة الدينية بأفكارها، ورفضها لاملاءاتها التي مثلت عاملا ضاغطا متأث من مخزون ديني واجتماعي متوارث، مما وطّن في ذاتها تمردا، جعلتها تفكر بطريقة مغايرة، وتحاول الانفلات عن المهيمنة الدينية المركزية، فهي تتصدى لها وترفضها بعنف " فكرم خلطة ساذجة من اسلام الاخوان والوهابية وتأثيرات شيعية لاتميزون فيها بين البعرة والدرة اذهبوا وقرؤوا يا جهلة .

- ((لاتصنع الثورات بأفكار متكلسة الا لتنتج دكتاتورية تافهة)).

- ((انتم تقدسون الافكار المحنطة، تقدسون افكار مدرّس تربية اسلامية محدود الذكاء، او معلم من ارياف مصر، ولا تقدسون الخالق، انتم ابناء الجهل المغلف بالبحث عن اصل كاذب لو يوجد ابدا"⁽¹⁹⁾).

تحدد السلطة الدينية في الرواية بأطار اشكالي مميز تدور في نطاقه ايديولوجيا الحركة النسوية ووعيتها، ولعل هناك ما يميز شخصيات (الطلياني) في انها تتعايش مع مجموعة من القيم داخل التجربة الدينية التي انشأت هذا النوع من السلطات، فرسم النصّ حدود المعرفة الدينية المتجاوزة لهذا النوع المعايير، ووضع مفهوم اخر للسلطة الدينية ينتج من التجارب الذاتية⁽²⁰⁾، والخاصة، لأن تحقيق الوجود الذاتي وخاصة الانثوي داخل مجتمع يقوم على نظام بطرياركي صعب جدا، لذا فأن الاحتكام الى الوعي هو الذي يسهّل من تقويض الاعراف الدينية والاجتماعية السلبية .

لقد دفع المبخوت شخصياته الى تفويض السلطة الدينية عبر ابداع مفهوم جديد يتجاوز الاطر الصلبة للمركزية الدينية التي تتسم بضيق الافق⁽²¹⁾، وتكاتفها مع البطرياركية الاجتماعية لتحديد وظائف المرأة، وهذا ما دفع (زينة) الى رفض وتجاوز هذه الاعراف، وتقديم منطلقات جديدة لفهم واستيعاب الدين، فهي ترفض اشكال الممارسات الدينية، كما ترفض اشكال الممارسات الدينية الخاضعة للوصاية البطرياركية وتتصالح مع ما يشكل فائدة وقيمة للحياة الفردية " فاجأته بالقول ان تعدد الزوجات عندها اشد مناسبة للرجل من المرأة الواحدة، حاولت ان تجرد الامر من خصوصية الثقافة الاسلامية، اخذ يجادلها في امر تعدد الزوجات ومواقف الاسلاميين وضرب مكاسب المرأة. اجابته بأنه لم يفهم قصدها فالمسألة عندها لا صلة لها بالدين ولا بالدعوات ضد المساواة بين النساء والرجال. وضحت بحجج اعتبرتها انتروبولوجية، ان اشكال التملك ودوران رأس المال المادي والجنسي والرمزي متعددة. اعتبرت انه ينبغي تخليص الموضوع من المسبقات الاخلاقية وثنائية الحلال والحرام"⁽²²⁾.

تتكاتف السلطة الدينية مع السلطة الاجتماعية غالباً، لان الهيمنة المركزية الدينية تحتاج الى تأييد اجتماعي لانها مرتبطة اصلاً بالتقديس، لذا فإن السلطة الاجتماعية تحتفي غالباً بالسلطة الدينية، مما يدعم تأثيرهما معاً، وقد حاولت شخصيات الطلياني ان تعيد صياغة الاشكالية المتعلقة بالهيمنة الدينية، وكشف الازدواجية التي تجتاح الواقع الاجتماعي، وكشف العطب والعوائق التي توجه السلطات بمختلف مدياتها.

رابعاً: تجاوز السلطة البطرياركية الايديولوجية

ان حيثيات الايديولوجيا تؤطر بشكل او بأخر الخطاب الروائي، وتستجلي المهيمن البطرياركي الايديولوجي المتخفي في النصوص، وتلمس محمولاتها سواء ما يكشفه المؤلف او ما ينتقده النصّ، فيصبح لكل نصّ اتجاهه الفكري الخاص الذي يستند الى احتياجات الواقع، وافرازاته بالطبع، فالتصور السردى يضع في ثناياه الخطة الفكرية التي تحتاجها الاحداث، والواقع الذي يتناوله الكاتب، فمنذ بداية احداث (الطلياني) يتضح الخط الايديولوجي للشخصيات، يقابله الخط الفكري للاخر، وهو ما اقام الصراع الذي عرفته الرواية، نظراً لتشابك المصالح وتنافس التوجهات.

ان ثيمة الرواية في الاساس تستند الى الصراع الفكري الذي مارسه الشخصيات وبوضوح نظرا لطبيعة ثقافتها وآفاقها، فالايديولوجيات تقتحم النصّ وتعدّ من مواده الاولية المهمة، فتنشأ التصورات الخاصة التي تُستمد من الواقع بالطبع، وعلى اعتبار ان الرواية نظام من الدلائل فإنها تحدد شروط الخطاب والمتكلم في النصّ، لذا فإن الايديولوجيا تعدّ ميزة هامة تمنح للشخصيات حضورها واصواتها ووجهة نظرها، وعند (المبخوت) كانت الايديولوجيات هي الايديولوجيات الوطن المتصارعة ظهرت من خلال ارتباط بعضها بفصائل اليمين واليسار.

ان العلاقة الجدلية التي تحكم الصراع بين الايديولوجيات تؤسس للاتجاه الفكري الخاص، وللرواية في اغلب الاحوال، لانها نوع من انواع الوعي بالعالم، وهذه العلاقة توضح التباين بين مستويات والمواقف، فشخصيات الكاتب التزمت ايديولوجيتها الخاصة، وطرحت كل منها رؤاها ف(عبد الناصر) اليساري، و(زينة) التي تتقد كل ما حولها من حركات يسارية واسلامية متطرفة، ورأسمالية، ويمينية " ((حين تتقدين اليسار بهذه الحدة فإن كلامك يصبّ في مصلحة الاعداء شئت ام ابيت وبصرف النظر عن نواياك او منطلقاتك)).

- ((انا حرّة في نقد اليمين واليسار))⁽²³⁾.

ويبدو ان اتجاه الرواية الان في تفعيل العنصر الايديولوجي، قد اختلف عن ايراده سابقا، اذ تم الانتقال الى ايديولوجيا الكتابة، وهذا يعني ان كل التخطيط السردى للنصّ انما يؤشر ايديولوجيات خاصة بكل من الشخصيات والمواقف والثيمة وحتى الفضاءات، ويتجلى الصراع بينها، بأشكال العنف من مثل القتال، او السجن او المحاربة والاقصاء والالغاء، ونصّ (الطلياني) يطرح دلالات الحقيقة المخفية التي يصرّح بها من خلال توالي المواقف وتضادها الفكري ومحاولة التخلص من الفشل في فرض منطقها، يحارب (عبد الناصر) الهيمنة الايديولوجية المفروضة، برغم انه لم ينشأ بمعزل عنها، فمعطيات الواقع الذي فرض عليه، تشكل حضورا ثابتا، لذا هو يرتكن الى ايديولوجيا جديدة فرضت عليه نوعا من السلوك الفردي والطموح ضد الظروف الصانعة للهيمنة والتسلط، ولعل ذلك راجع الى تغيير الوعي والادراك الفكري، فنتج شخصيات تحمل ايديولوجيات متنوعة ومتباينة في التعامل مع الوضع السياسي، ومحاولة مواجهته⁽²⁴⁾، وكذلك التحولات التي

مثلت نقلة نوعية في مستوى الادراك المعرفي والفكري، ف(عبد الناصر) يتحمس للفكر الحر، ويرفض المهيمينات الفكرية والاقتصادية وينتقدها بشدة، وهذا الرفض يظهر في مظاهرات مختلفة تؤسس لصدمات يكشفها حضور السلطة المتحكمة في الواقع، وهو يلفت الى ان حضور السياسي في الوطن العربي حضور شكلي لمصالح ذاتية لا اجتماعية، فالهيمنة الايديولوجية تشكّل نفوذا سلطويا في انظمة الثقافة العربية "سمعت انك لاتحب الحزب. انا ايضا لا احبه ولكنني لن اترك الشعبة الدستورية للحاسنين والقوادة والوشاة. ترأستها لادافع عن ابنائي العمال وانا اعرف انني لن اصل ابدأ الى شيء. هولاء السياسيون يريدون الركوب على ظهورنا لاعتلاء المناصب ونحن ماذا سنربح منهم؟ لا اذهب الى اجتماعاتهم وحتى الانخرافات تدفعها الادارة"⁽²⁵⁾. فالسلطة الايديولوجية هي الهدف والدافع الاساس للفعل السياسي، فالشخصية قد فقدت الثقة بهذه السلطة التي لم تحقق المنجز، وهنا يحدث فعل التجاوز، تجاوز المهيمن الغائب الذي فقد تكريس مبادئه، والذي غاب عن الساحة التغييرية، فأعتمد نسقا فكريا ارتكز خطابه على ايديولوجية الرفض الذي يتميز بحضور امتدادي يصل الموقف المتجاوز والرافض بنزعة التغيير. الا ان تجاوز هذا النوع من الهيمينات انما نشأ عن مجموعة من التحولات التي سبّرت منتجات الوعي، ونشّطت طاقات اخرى تسكنها افكار ايديولوجية موجهة مغايرة .

ان بناء السلطة الايديولوجية في الرواية يتأسس انطلاقا من فكرة تصوير الهيمنة وتجلياتها التي تختلف مع الاخر، فالشخصيات تعيش تحت وطأة ارغامات وظيفتها مهيمنة وسلطوية تنتهج فكرا، وتوظف ادواتا خاصّة، جرّت الى بيان حركة الفاعلين (الشخصيات)، زينة تحتكم الى ايديولوجيا تنشئ فكرا حاسما وخصوصا، وهي توظف اراءها بفاعلية في المواقف " - ((تتحدث عن التأريخ ولا تريد ان تستنير به. هل شارك الطلبة في الثورة الفرنسية؟ في الثورة البلشفية؟ في الثورة الصينية؟ دعك من دورهم في الثورة الايرانية التي لاتعترف بها. لقد بنيتم وهما وسجنتم انفسكم فيه. ستقوم الثورة لان المجتمع يتطلبها وليس لانها نبتة نظرية في الذهن. الم يعلمك ماركس هذا الدرس المادي التأريخي؟!))⁽²⁶⁾.

ان الشخصيات التي تنتهج فكرا ايديولوجيا معينة في الخطاب الروائي يجب ان تتجاوز الفكر الجمعي للعوام من الناس، لانها تشخّص الظواهر وتستشرف المستقبل⁽²⁷⁾ وهناك

ما يتصل منها بطرياقية مؤدلجة قديمة ومؤسس لها مما يقدم تشكيلا ثقافيا للهيمنة الايديولوجية، وهي بطرياقية اشتقت من المنظومة السياسية على وفق اعرافها التي حكمت الواقع ردحا طويلا. فالثقافة العربية تتبنى اشتراطات اجتماعية وثقافية شبه ثابتة تقوم على استراتيجيات سلطوية مهيمنة، انشأت تشكيلات عقائدية وفكرية مستمدة من التاريخي والسياسي والاجتماعي، لتعرض املاءات استعلائية توقّر البطريكية وتحفز كل ما يمكن ان يعزز تبعية الفرد، والرواية حاولت الكشف عن هذه المهيمنات الراقدة في البنية الواقعية والاجتماعية، وتعريه مضامينها التي تأسست منها مهيمنات احتكمت اليها المجتمعات بأستمرار.

الخاتمة والنتائج

ان تصور الشكل السلطوي يتعلق بأدوار مختلفة، مرتبطة بالتاريخي والاجتماعي والسياسي والديني، وهو شكل اتخذ وعبر معطيات فعالة، شكل المركزية المهيمنة التي اشتبكت مع النظام الاجتماعي وسأيرت طبيعته الحركية، وهو يتأسس بوصفه هيمنة مفروضة وفقا للنظام العام، ويبدو ان الخطاب الروائي كان مخلصا في كشف الاداءات الخاصة لانظمة الهيمنات المتعددة التي تحكم الواقع، والروائي شكري المبخوت اعتمد بأدراك واع على تقديم الاشكال السلطوية عبر شخصياته التي اختبرت المفاهيم المتنوعة التي تنتجها حركة الواقع، وطرح عمق المشاكل التي تعرقل نهوض الواقع العربي .

ومع تعدد اشكال الهيمنات، طرحت الطلياني بناءاتها المؤثرة في الذوات الواعية، فتكشفت مجموعة من الحقائق تتخلص في :

- ترتبط اشكال الهيمنات، ونموها، وفعاليتها، بالنظام الاجتماعي العام والخاص للفرد والواقع، وقد حصلت على رسوخها مع تنامي مشاكل البيئات العربية خصوصا.
- ان السلطة البطرياركية قد استمدت ثباتها عبر التأسيسات الاجتماعية، التي اعلت دائما من اشكال الارغمت المتصلة بالعادات والتقاليد والدين والسياسة.
- طوَّعت شخصيات (الطلياني) الانظمة الصارمة، نظام البيت، المجتمع، المؤسسة الفكرية، وتجاوزتها بامتياز بما حملته وقدمته من اجراءات عبرت عن تأسيسات لوعي يشير الى حجم الصراعات والمشاكل.
- كان حضور المعطيات الايديولوجية وسيلة لتجاوز مجموعة الهيمنات التي حكمت الخطاب الروائي في الرواية.

الاحالات

- (1) - البنية البطرياركية في الرواية العراقية، -1965 1980، برير عادل حمزة القاسمي، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، اشراف الاستاذ الدكتور نجم عبد الله كاظم، 2015، ص12.
- (2) - الانسان والسلطة (اشكالية العلاقة واصولها الاشكالية)، حسين الصديق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص31.
- (3) - ينظر، البنية البطرياركية في الرواية العراقية، ص48.
- (4) - ينظر، مفهوم الكتابة عند جاك دريدا، الكتابة والتفكيك، محمد علي الكردي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، م، 14، العدد الثاني، 1995، ص227.
- (5) - الفن والايديولوجيا، ف، ربابوف، ت، خلق الجراد، دار الحوار، دمشق، 1984، ص14.
- (6) - الطلياني، شكري المبخوت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط5، 2015، ص15،
- (7) - المصدر نفسه، ص86.
- (8) - ينظر، المتخيل والسلطة، رؤية تأويلية لرواية دمية النار لبشير مفتي، بين الناقلين محمد معتصم، ومحمد بو عزة، د. هاجر مدقن، مجلة مقاليد، العدد9، ديسمبر، 2015، ص3.
- (9) - الطلياني، ص90.
- (10) - ينظر، تزييف الواقع في الخطاب الروائي الخليجي، عبد العزيز سعد المطيري، www.irqicp.com (11) - الطلياني، ص54.
- (12) - المصدر نفسه، ص16، ص17.
- (13) - المصدر نفسه، ص47.
- (14) - المصدر نفسه، ص189، و ص190.
- (15) - المصدر نفسه، ص7.
- (16) - ينظر، اشكالية الدين السياسة الجنس في الرواية المغاربية، 1970 1990، عبد الوهاب بو شليحة، اطروحة دكتوراه، جامعة عنابة، 2004، ص47.

- (17) - ينظر تجليات الخطاب الديني في الرواية العربية الانثوية، سهيلة السبت، موقع ديوان العرب، www.diwanalarab.com
- (18) - الطلياني، ص 318.
- (19) - المصدر نفسه، ص 57،
- (20) اشكالية الدين والسياسة والجنس في الرواية المغاربية، ص 47.
- (21) - تجليات السلطة الدينية في الرواية العربية الجزائرية، قضاة الشرق لعبد الوهاب بن منصور نموذجاً، أ عبد الله اوغرب، اعمال المؤتمر الدولي، الرواية العربية في الالفية الثالثة ومشكل القراءة الجزائرية، 2016، ص 124.
- (22) - الطلياني، ص 141.
- (23) - المصدر نفسه، ص 60.
- (24) - ينظر السلطة في الرواية العراقية، د احمد رشيد الددة، وزارة الثقافة، ط 1، 2013، ص 45.
- (25) - الطلياني، ص 167.
- (26) - المصدر نفسه، ص 125.
- (27) - ينظر، المتخيل والسلطة، في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، علال سنقوسة، منشورات الاختلاف، المغرب، 2000، ص 55.

المصادر والمراجع

- 1 - اشكالية الدين السياسة الجنس في الرواية المغاربية، 1970-1990، عبد الوهاب بو شليحة، اطروحة دكتوراه، جامعة عنابة، 2004.
- 2 - الانسان والسلطة (اشكالية العلاقة واصولها الاشكالية)، حسين الصديق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
- 3 - البنية البطرياركية في الرواية العراقية، 1965-1980، برير عادل حمزة القاسمي، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، اشرف الاستاذ الدكتور نجم عبد الله كاظم، 2015.
- 4 - تجليات الخطاب الديني في الرواية العربية الانثوية، سهيلة السبتي، موقع ديوان العرب، www.diwanalarab.com
- 5 - تجليات السلطة الدينية في الرواية العربية الجزائرية، قضاة الشرق لعبد الوهاب بن منصور انموذجا، أ عبد الله اوغرب، اعمال المؤتمر الدولي، الرواية العربية في الالفية الثالثة ومشكل القراءة الجزائر، 2016.
- 6 - تزييف الواقع في الخطاب الروائي الخليجي، عبد العزيز سعد المطيري، www.irqicp.com
- 7 - السلطة في الرواية العراقية، د احمد رشيد الددة، وزارة الثقافة، ط 1، 2013.
- 8 - الطلياني، شكري المبخوت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 5، 2015.
- 9 - الفن والايديولوجيا، ف، ريبوف، ت، خلق الجراد، دار الحوار، دمشق، 1984.
- 10 - المبنى الميتا- سردي في الرواية، فاضل ثامر، دار المدى، ط 1، 2013.
- 11 - المتخيل والسلطة، في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، علال سنقوسة، منشورات الاختلاف، المغرب، 2000.

- 12 - مفهوم الكتابة عند جاك دريدا، الكتابة والتفكيك، محمد على الكردي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، م، 14، العدد الثاني، 1995.
- 13 - مقتربات السرد الروائي، دراسات في تقنيات سردية لنصوص روائية، د سمير الخليل، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 2016.

التحليل الصوتي الأكوستيكي لـ (لا الناهية) (لا النافية) في القرآن الكريم

الكلمات المفتاحية: التحليل الأكوستيكي، لا الناهية، لا النافية.

م.د. بشرى عبد الرزاق محمد العناري

الجامعة المستنصرية/كلية التربية/قسم اللغة العربية

Voice analysis is the acoustics' s (no) prohibitive and (no) negative in The Holy Quran

key words: The acoustics 's analysis، (no)
prohibitive،(no) negative.

Dr. Bushra Abdulrazzaq mohammed

Mustansiriyah University College of Education- The
department of Arabic language

ملخص البحث

يتناول هذا الموضوع التحليل الأكوستيكي ل (لا الناهية) و(لا النافية) في القرآن الكريم من جانبها الوظيفي والفيزيائي، إذ أمكن التمييز بين (لا) النافية و(لا) الناهية أكوستيكيا عن طريق التحليل الصوتي للأداة (لا)، المتفقة في الشكل والمختلفة في المعنى،، وقد اعتمدت الدراسة التحليلية للخصائص الفيزيائية (الأكوستيكية) لهذه السورة على برنامج Praat للتحليل الصوتي، و Cool Edit pro لتقطيع المادة الصوتية ونهيئتها للبحث، وكانت العينة المدروسة بأداء الشيخ محمود خليل الحصري ت(1980م).

Research Abstract:

Addresses this topic acoustics 's analysis for (no) prohibitive and (no) negative in the Qur'an career sides functional and physicist as possible to distinguish between (not) prohibitive and (no) negative acoustics a through voice analysis tool (no) are consistent in pronunciation and different in meaning, and has an analytical study adopted the physical properties (acoustic) of this Surah on Praat voice analysis program, and Cool Edit pro for cutting art audio and configured to search, and the sample is studied the performance of Sheikh Mahmoud Khalil exclusive. (1980).

المُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد: لَمَّا كانت اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - هي الرِباط الوثيق بين أبناء الأمة، كان الحفاظ عليها واجبا مقدسا، يستدعي تظافر جهود المؤسسات العلمية، والجامعات للقيام بدورها الفاعل؛ لتبقى هذه اللغة في الصدارة، كتابة، وقراءة، وحوارا، في عصر تعصف فيه رياح الثقافات وثورة المعلومات، لذا لا بد من أن نتلمّس السبل التي تنهض باللغة العربية، لتواكب متطلبات الثورة المعلوماتية المتسارعة؛ بالانفتاح على معطياتها، والإفادة من الدراسات اللغوية المعاصرة، الأمر الذي يثري لغة القرآن ويقرّبها للناشئة، مع المحافظة على ثوابت الهوية اللغوية الأصيلة.

وفي العصر الحاضر، ساعد تقدم الدراسات اللسانية، وانتشار الابتكارات العلمية والتقنية في إثراء البحوث في اللغة العربية ومعالجتها آلياً، وقد حققت إثر ذلك العديد من الإنجازات والتطبيقات الحاسوبية التي اسهم بها باحثون عرب وأجانب، أدت للتوصل إلى نتائج دقيقة من خلال البرامج الحديثة المتطورة المتصلة بالمجالات الصوتية على مستوى الفونيتك (Phonetic) أو على مستوى الفونولوجي (Phonology)، التي لا يعتورها في غالب الأحيان التخمين والتقريب في تحديد الآلية التي تؤدي بها الوحدات الصوتية، وموضوع بحثنا من الموضوعات التطبيقية التي استفادت من البرمجيات الحديثة في خدمة اللغة العربية، وهو بعنوان: (التحليل الصوتي الأكوستيكي لـ (لا الناهية) و(لا النافية) في القرآن الكريم).

التحليل الصوتي لعينة البحث:

لقد أحدثت الصوتيات الأكوستيكية (الفيزيائية) ثورة في المجال الصوتي بتقديمها وسائل جديدة لدراسة الأصوات ووصفها ضمن طرق ثلاث:

- الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة.
- تجديد وتعديل منهاج الدراسة الصوتية وطرقها.
- تأييد بعض الحقائق الموصول إليها بطرق تقليدية.

ولا شك أننا نجد في القرآن الكريم إيقاعاً موسيقياً غير متولد عن معانقة الوزن، بل هو ناتج عن علاقات نسقية بين الألفاظ من الناحية الصوتية، وما يتخلل ذلك من الإتكاء على معطيات النبر والتنغيم عند الأداء، وهذا الإيقاع الموسيقي الناتج عن مثل هذه العلاقات النسقية لا نستطيع أن نفرصه عن ألوان الإيقاعات الأخرى داخل السياق الأدائي، لأنها جميعاً تتداخل معاً لتنتج لنا مزيجاً صوتياً عذباً، يتألف مع المقومات الأخرى للنص اللغوي كالصور والأخيلة والمعاني، وأبرز خصيصة يعتمدها السامع لتمييز الأصوات المختلفة أكوستيكيًا، هي:

الشدة (Intensity) والدرجة (pitch) والطول أو السرعة (tempo)؛⁽¹⁾ لذا غاية الباحثين في استعمال أجهزة الحاسوب في تحليل الموجات الصوتية، هي معرفة الخصائص الصوتية التي تمتاز بها أصوات الكلام كالتردد والشدة ودرجة الصوت، فضلاً عن معرفة الفروق بين الأصوات من خلال دراسة الفروقات بين تردداتها الأساسية.

فالصوتيات أو علم الأصوات العام يدرس الأصوات اللغوية دراسة علمية موضوعية مستعينا بالآلات والأجهزة الحديثة والمخابر. أي أن الصوتيات هي دراسة الوحدات الصوتية ضمن سلسلة الكلام.

(1) البنية الصوتية في شعر بدر شاكر السياب ولميعة عباس عمارة دراسة حاسوبية، بشرى عبد الرزاق محمد، اطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، اشراف أ.د. ابراهيم دسوقي، وأ.د. محسن رشوان، ص: 105.

وفي حدود موضوع بحثنا عن التحليل الأكوستيكي لـ (لا الناهية) و(لا النافية) بصوت القارئ (محمد خليل الحصري)، للآيتين:

1 - قال تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الاعراف/ 3].

2 - قال تعالى: ﴿ لَا يَتَّبِعُهُمْ مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الاعراف/ 17].

وجدت النتائج الأوكوستيكية الآتية، انظر الجدول رقم (1)

القارئ	الكلمة	المقطع	شدة الصوت (db)	درجة الصوت (Hz)	زمن المقطع (ملي ثانية)
الحصري	(لا) النافية	ص ح ح	82,57	136,2	547
الحصري	(لا) الناهية	ص ح ح	82,13	183,1	681

جدول رقم (1)

وعلى وفق هذه النتائج يمكن أن يقال:

أولاً:

إن هناك farkاً أدائياً في نطق الأداتين المتفتحتين في الشكل والمختلفتين في المعنى، بالنسبة لمعلمي درجة الصوت والزمن، عند القارئ نفسه وفي السورة ذاتها، إذ تميزت (لا) الناهية بتردد أعلى، وزمن نطقي أطول وتتابع موجي أكثر من (لا) النافية، وفي هذا بلا شك تلوين إيقاعي يتضح منه أن (لا) الناهية أكثر تمكينا في النطق من (لا) النافية؛ فارتفاع درجة الصوت ينم عنه وضوح سمعي عال من زيادة إهتزاز الوترين الصوتيين.

وينسب التفريق في هذا المقام بين (لا الناهية) و(لا النافية) إلى التفريق بين نمط الإنشاء في (لا الناهية) ونمط الإخبار في (لا النافية)⁽¹⁾، إذ جاء في كتب التراث، النهي:

(1) انظر: النبر في العربية، مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أوكوستيكية في القرآن، د. خالد عبد الحليم العبيسي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2011م، ص: 167.

هو قول القائل لمن دونه: (لا تفعل)⁽¹⁾، وقال السكاكي: ((إِنَّ أَصْلَ اسْتِعْمَالِ (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء))؛⁽²⁾ فحد النحاة النهي، بأنه القول الإنشائي الدال على طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء، وأوضح صيغته، هي: (لا تفعل)⁽³⁾.

أما أسلوب النهي، فهو أسلوب خبري، يراد به نقض فكرة وإنكارها، وهو ضد الإثبات؛ لذا حد النحاة النهي بأنه عكس الإيجاب، فالنهي قلب أحكام الجملة أو الكلام، وكل منفي إنما ينفي بعد أن كان موجبا⁽⁴⁾.

وعليه يعزى تباين النتائج الأكوستيكية لنطق (لا النافية) و(لا الناهية) في التحليل الصوتي الحاسوبي إلى الوحدات الصوتية التي تقع خارج البنية اللغوية، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة والأصوات بالوحدات غير التركيبية لأنها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية، أي الوحدات الصوتية ضمن سلسلة الكلام، وهي ملمح التنغيم (The Intonation))؛ لأن ملمح التنغيم يقع على مستوى الجملة أو ما كان في حكمها، ودلالته تركيبية تعود إلى الدلالة العامة للجملة (الإخبار، والاستفهام، والتعجب... الخ)، وله وظيفة أخرى وهي بيان مشاعر المتحدث من دهشة ورضا وسخط وازدراء، لذلك جعل بعض المحدثين التنغيم عنصراً من عناصر التحويل التي تنقل الجملة من المعنى الأساس إلى المعنى المقصود في أساليب التعبير المختلفة⁽⁵⁾ ولم يُحمل التحليل الأكوستيكي في هذا الموضوع على ملمح النبر (The Stress)؛ لأن العامل المشترك بين تعريفات النبر على تعدده، هو بروز لأحد مقاطع الكلمة، فيميزه عن غيره سمعياً⁽⁶⁾.

(1) انظر: التعريفات السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، (د.ت)، ص: 316.

(2) مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية لبنان، سنة 2000، ص: 320.

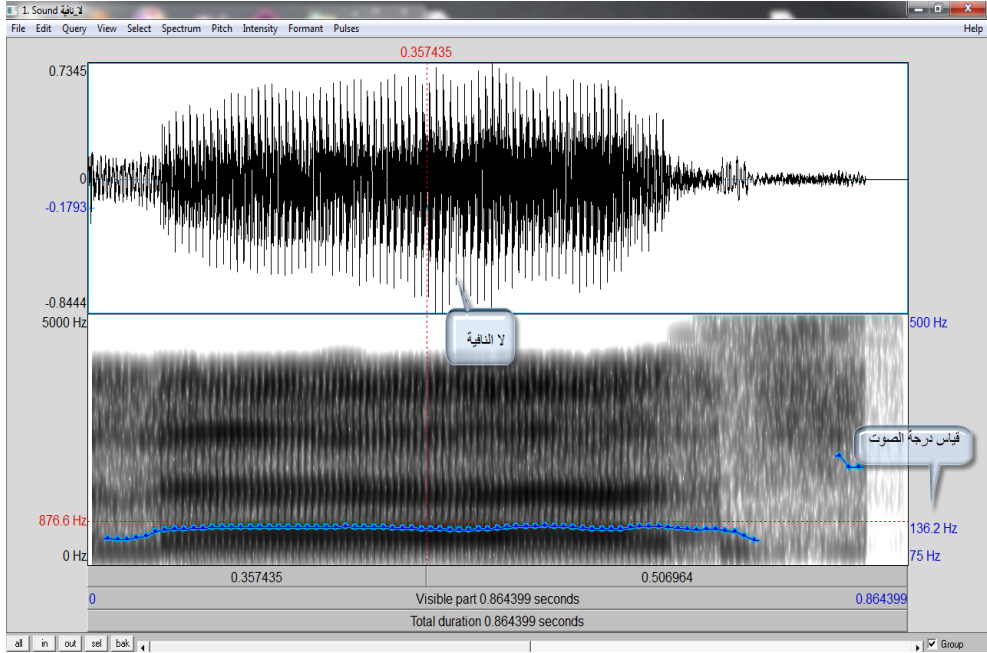
(3) انظر: التعريفات، ص: 316.

(4) انظر: المفصل في علم العربية، م دار الجيل، بيروت، ط 1 (ب:ت)، ص: 305-307، والأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، ت: فائز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، ص: 142/1.

(5) انظر: دراسات في اللسانيات العربية، المشاكلة التنغيم رؤى تحليلية، د. عبد الحميد السيد، دار الحامد للتوزيع والنشر، عمان- الأردن، ط 1، 1425، 2004-م، ص: 51.

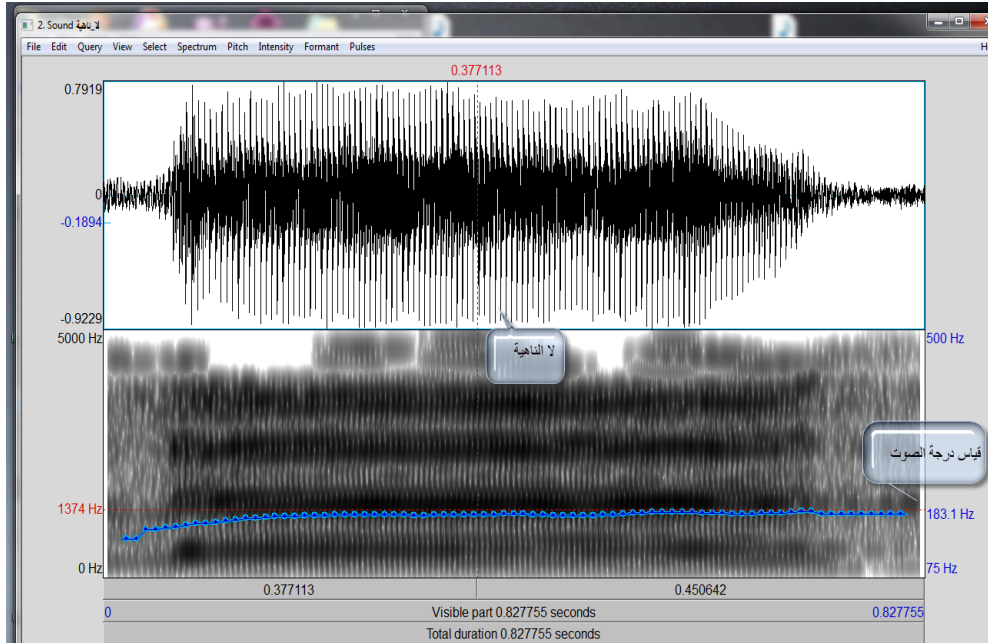
(6) انظر: الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، ص: 170، ومناهج البحث في اللغة العربية، ص: 160، واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 304، وأصوات اللغة، د: عبد الرحمن أيوب، ص: 150. والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص: 25، وعلم الأصوات، تأليف برتيل بالميرج تعريب ودراسة د: عبد الصبور شاهين، ص:

ويبدو ذلك واضحا من الجدول رقم (1)، إذ أن التمييز بين اللاتين جاء من خلال فرق القيم في درجة الصوت (Pitch)، والتي تمثل الأساس النطقي (الفيزيائي) للتنغيم الصوتي⁽¹⁾ فبلغت: (Hz) 136,2 في (لا النافية)، و (Hz) 183,1 في (لا الناهية). انظر صورة التحليل الصوتي رقم (1)، والصورة رقم (2).



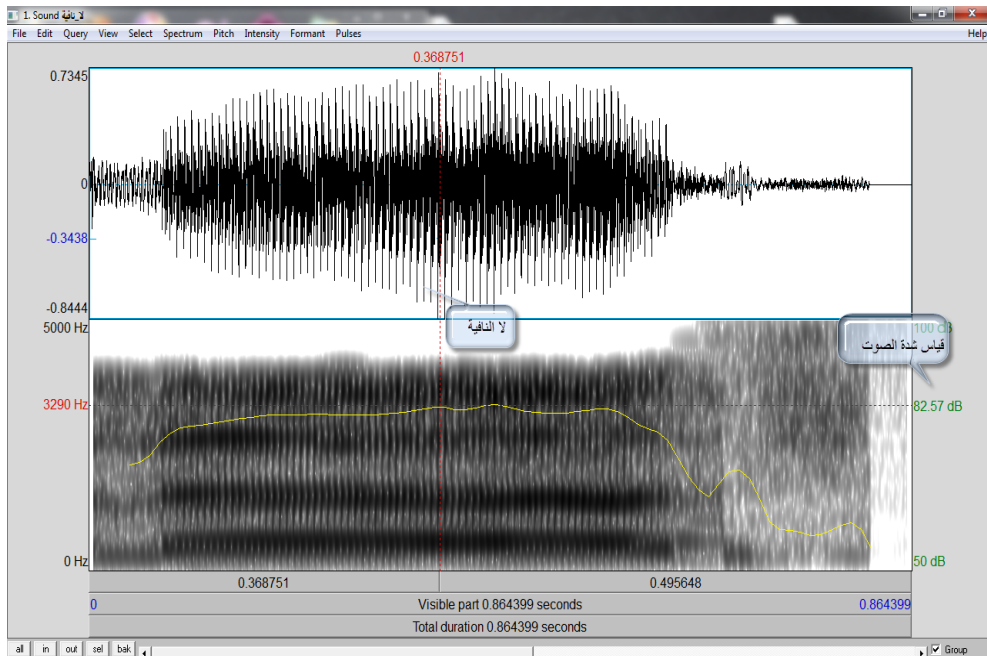
الصورة التحليلية رقم (1)

(1) انظر: دراسة السمع والكلام، ص: 217.

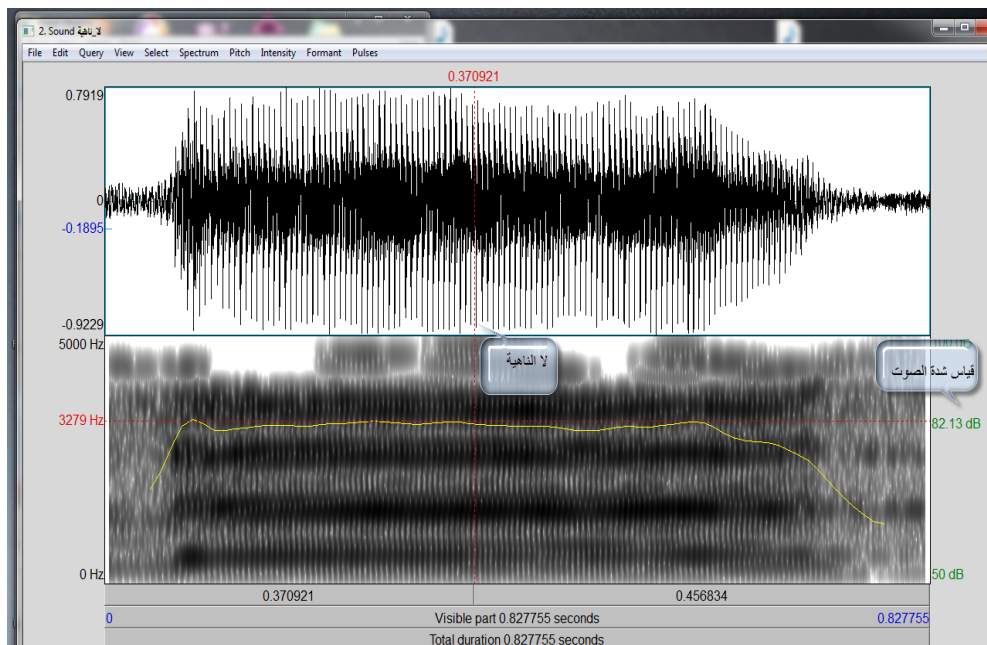


الصورة التحليلية رقم (2)

أما قيمة الشدة الصوتية في اللاتين فالفارق بينهما لا يذكر، إذ بلغت: db (82,57) في (لا الناهية)، و db (82,13) في (لا الناهية). انظر صورتَي التحليل الصوتي رقم (3) و (4).



الصورة التحليلية رقم (3)



الصورة التحليلية رقم (4)

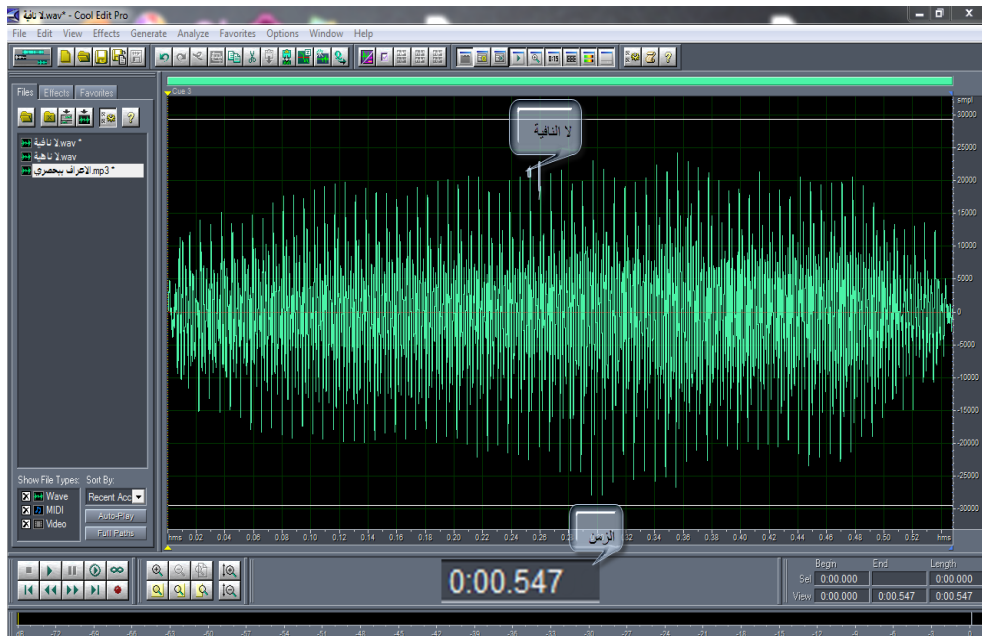
إذ تبين أن الشدة الصوتية كانت في (لا النافية) و (لا الناهية) في حكم التساوي؛ لأن الفرق أقل من واحد ديسيل، جاء في كتاب النبر في القرآن الكريم ((عد الفارق اليسير المحدد بأقل من (1) من الديسيل أو (1) من الهرتز أو (0.010) من الثانية فارقا غير مؤثر في الحكم وغير مميز لمقطع على مقطع))؛⁽¹⁾ وذلك يؤكد أن ملمح الفرق بين (لا النافية) و (لا الناهية) هو ملمح التنعيم لا ملمح النبر، ولا سيما أن الأساس الأكوستيكي لملمح النبر هو شدة الصوت (Intensity) الذي يعد السبب المؤثر في حدوث النبر.

ثانياً:

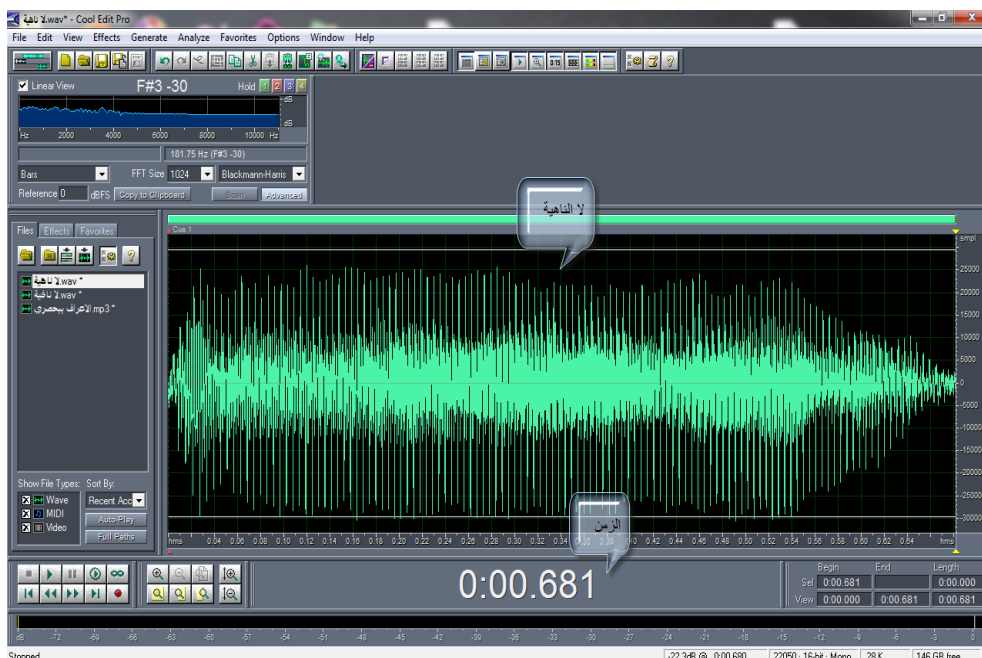
إن الحركة الطويلة (ح ح) في الأداة (لا) المتكونة من المقطع (ص ح ح)، هي أكثر الأصوات موسيقية لقبوها المدّ؛ إذ جاء الزمن النطقي لـ (لا الناهية) أطول من (لا النافية) مما ينتج عن ذلك إثارة سمعية عند نطق (لا الناهية) تستوجب انتباهها من السامع أكثر مما تحدثه (لا النافية)، إذ استغرق نطق (لا النافية) 547 ملي ثانية، بينما استغرقت (لا الناهية) 681 ملي ثانية.

انظر الصور الموجية رقم 5، 6، التي تمثل زمن نطق الأداة المتفتحتين في اللفظ والمختلفتين في المعنى.

(1) د. خالد العبسي، ص: 340.



الصورة التحليلية رقم (٥)



الصورة التحليلية رقم (٦)

الخاتمة:

لقد بات من الضروري في عصر سمته البارزة التطور العلمي والتكنولوجي أن نستعمل أقصى ما يتاح من هذه الإمكانيات الحديثة في خدمة الدرس اللغوي، فجاء البحث متكئاً على هذه التقنية في دراستنا وقد أكد حقائق، هي:

1- التنغيم سمة مميزة للجمل المتشابهة في الشكل والمتباينة في الدلالة، لكونها ظاهرة تؤثر في تغير الدلالة دون أن تتغير المفردات.

2- إن التنغيم يفرق بين الجملة الإنشائية والجملة الخبرية، مستعيناً بمعطيات الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت وزمن النطق، إذ أمكن التمييز بين (لا) النافية و(لا) الناهية أكوستيكياً عن طريق التحليل الصوتي للأداة (لا)، المتفقة في الشكل والمختلفة في الدلالة، إذ سجلت قيماً تنغيمية أعلى وزمناً أطول عند ورودها في أسلوب النهي من قرينتها في الأسلوب الإخباري التي سجلت قيماً تنغيمية أقل وزمناً نطقياً أقل.

ولله الحمد أولاً وآخراً

المصادر والمراجع:

- 1 - القرآن الكريم، برواية حفص.
- 2 - الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، ت: فائز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، ص: 142/1.
- 3 - أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مطبعة دار التأليف، مصر، ط / 1، 1963م.
- 4 - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، الأنجلو، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 5 - التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، (د.ت).
- 6 - دراسات في اللسانيات العربية، المشاكلة التنعيم رؤى تحليلية، د.عبد الحميد السيد، دار الحامد للتوزيع والنشر، عمان- الأردن، ط 1، 425 هـ- 2004م.
- 7 - دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2005م.
- 8 - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1990م.
- 9 - علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، الناشر: مكتبة الشباب، القاهرة مصر، 1984م.
- 10 - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 11 - اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1973م.

- 12 - مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: عبدالحميد هندراوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية لبنان، سنة 2000، ص: 320.
- 13 - المفصل في علم العربية، م دار الجيل، بيروت، ط 1 (ب:ت).
- 14 - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ط/ 2، 1974م.
- 15 - النبر في العربية، مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أوكوستيكية في القرآن، د. خالد عبد الحلیم العبسی، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2011م، ص: 167.

الرسائل والأطاريح:

- 1 - البنية الصوتية في شعر بدر شاكر السياب ولميعة عباس عمارة دراسة حاسوبية، بشرى عبد الرزاق محمد، اطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، اشراف أ.د. ابراهيم دسوقي، وأ.د. محسن رشوان، 2014م.

محيي الوئيد صعصعة بن ناجية المجاشعي بين المروءة وعقدة الذنب

الاسلام - الجاهلية - صعصعة

أ.م.د.

صلاح عباس السوداني

وزارة التربية / الكلية التربوية المفتوحة

**Muhiey Al-Waneed Sa'asa'a Bin Najiyya Al-Mejashiay:
Between Generosity and the Complex of Sin
Islam- the arabs before Islam - Sa'asa'a**

By

**Assist. Prof. Salah Abbas Hasan
Open Educational College Dept. of History
Open_educational2@yahoo.com**

الخلاصة

امتلك العرب قبل الاسلام من القيم والافعال ما يوحي بصدق عواطفهم ورقة احساساتهم ومشاعرهم وهذا يدل عن منظومة من القيم المبنية على الفروسية والكرم والشجاعة والايثار والكمال العقلي.

ولعل قيم الخير كانت رداً قوياً على قيم مذمومة فرضتها تلك الحياة القاسية من غزو وتأثر وقاتل وسبي وواد بنات وعلى الرغم من ان هذا الوأد مورس من قبائل عربية معينة مثل بني تميم وقيس واسد وهذيل وبكر بن وائل. وكان السبب من الوأد خوف العار من السبي وعلى الرغم من ان التاريخ صور لنا المرأة منافي لما آكل اليه حالها في الوأد فقد خلد العديد من نساء الجاهلية ممن اشتهرن بالحكمة وحدة الذكاء وقوة العقل وسداد الرأي ومنهن ابنة الخس الايادية واختها جمعة وصحر بنت لقمان وخصيلة بنت عامر بن الضرب العدواني وحذام بنت الريان. الا ان التاريخ حفظ لنا شذرة مضيئة وهي احياء الوثييدات وفارسها صعصعة بن ناجية بن عقال الذي سمي (محيي الموتى) اذ عد اول من ترك وأد البنات وفداهن بماله وكفت العرب عن وادهن من بعد الامر الذي جعل سلوكه اشبه بالقانون الواجب اتباعه.

Abstract

The Arabs before Islam had such values and actions that reflect their honest emotions, gentle senses and feelings. All these aspects of behaviour indicate a set of values which are based on chivalry, generosity, courage, altruism and intellectual perfectness.

Charity was also one of those values which reacted strongly against bad behaviours that are imposed at that time because of hard life, invasions, revenge, killing, imprisonment and homicide of daughters that was committed by certain Arab tribes such as Beni Timeem, Qays, Asad, Hadheel, Bakir and Wayil. The reason behind killing daughters was the fear of shame that may be resulted from imprisonment.

In spite of the fact that history has portrayed woman in a negative way which contradicts her situation under homicide, many women of pre-Islamic period who were famous for their wisdom, intelligence and master mind such as Ibnat Al-Khais Al-Ayadiya and her sister; Juma'a, Sahar bint Luqman, Khasila bint Aamir bin Al-Dharb Al-Idwani and Hudham bint Al-Rayyan had shown their attitude against that murder.

History, in fact, has glorified Sa'asa'a bin Najiyya who was known as (the reviver of the dead) as he is the first who refused committing homicide and paid money instead. As a result of this attitude, all the Arabs seized killing their daughters. It was really an establishment of a new law to be followed.

مقدمة

امتلك العرب في الجاهلية من القيم والأفعال تدل على صفاء نفوسهم، وصدق عواطفهم، ورقة احساساتهم ومشاعرهم، ووصول عاداتهم وقيمهم إلينا ينبيء عن منظومة من القيم الممدوحة المبنية على الحلم الفروسية والكرم والمروءة والإيثار والنضج والكمال العقلي على الرغم من حياتهم البدوية الصحراوية القاسية، فقد صوروا لنا هذه القيم العليا بشيء من الدقة والعدوبة والجمال، ولعلها تعد من أرقى درجات السلوك الإنساني الحكيم، اما السلوك الجاهل الذي ينافي الحلم، فهو موصوف بالسفه والحمق والتهور وعدم القدرة على ضبط النفس، وسرعة الانفعال، واشتداد ثورة الغضب، والاندفاع في غير تريث ولا تفكير، وهذه كلها كانت صفات منتشرة بين العرب قبل الإسلام، فكان العربي يثور لأتفه الأسباب ويشعل نار الحرب إذا توهم إساءة، أو ظن ظنًا، ولو خطأ، دون أن يتريث، أو يتحري الحقيقة، ويترك خلفه جيشاً من الأسرى والسبايا والقتلى، ووصف الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم هذه القيم بشكل دقيق بقوله :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ولعل قيم الخير المندوحة كانت رداً قوياً على قيم مذمومة فرضتها تلك الحياة القاسية والبيئة المجذبة من غزو وثأر وقتال وسبي وخمر وواد بنات، ولما كان الواد بكل مسباته من العادات المرذولة في المجتمع الجاهلي، فان الواد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة، وكان يستعمله واحد ويترك عشرة، قيل انه انتشر في بني تميم خاصة، وانه استفاض منهم في جيرانهم من قريش وقيس، واسد، وهذيل، وبكر بن وائل، وقيل ان عرب الجاهلية في الحجاز كانوا يقتلون البنات خوف العار، وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات، ولعل الواد اقتصر على البنات بشكل أكثر من البنين، على الرغم من أن التاريخ الجاهل صور لنا المرأة بشكل مناف لما آل اليه حالها في الواد، فقد خلد العديد من نساء الجاهلية ممن اشتهرن بالحكمة وحدة الذكاء وقوة العقل وسداد الرأي، ومنهن: ابنة الخُسّ

الإيادية، وأختها جُمعة، وُصَّحَر بنت لقمان، وُحْصِيْلَة بنت عامر بن الظرب العدواني، وحذام بنت الريان، وهي التي قيل فيها:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام
إلا إن التاريخ حفظ لنا واحدة من الشذرات المضيئة التي يمكن أن نصل عبرها إلى إحباطات مكبوتات المجتمع الجاهلي، وهي إحياء الوئيدات وفارسها صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي التميمي، الذي سمي (محيي الموتى) إذ عد أول من ترك وأد البنات وفداهن بماله وكفت العرب عن وأدهن من بعد، فهو الرئيس فيهم والمتقدم من رهطه، الأمر الذي جعل سلوكه هذا أشبه بالقانون الواجب الإتياع والطاعة.

ومن أجل اظهار البحث بشكله الاكاديمي رُتب على أساس العناوين لترابط محتوياته وأحداثه، فكانت العناوين على وفقاً الاسم والنسب والأسرة الكبيرة لهذا العملاق وأولاده وأخوته، للوقوف على منظومة قيم هذه العائلة، ثم مكانته الاجتماعية، يليها روايات إحياء الوئيدات، ليختتم بالإستنتاجات والهوامش والمصادر التاريخية والادبية واللغوية.

اسمه ونسبه :

هو صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم⁽¹⁾ بن مر بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر التميمي.

وكان ناجية أبو صعصعة ذا رأي وكان من رجال بني تميم في الجاهلية وكان جده سفيان بن مجاشع سيداً وأتى الشام فسمع راهباً يذكر أنه يكون في العرب نبي اسمه محمد فسمى ابنه محمد طمعاً في ذلك⁽²⁾.

والصعاصع نسبة الى صعصعة بن ناجية وولده، وتميم قبيلة كبيرة مقسمة الى بطون منها المعافير، والدوارم، ويربوع، والبراجم، وثعلبة، ونهشل، والرياح، ومجاشع، وغيرهم كثير⁽³⁾.

من أشرف مجاشع في الجاهلية والإسلام، وبيته من أشرف بيوت بني تميم ومن شرفه أنه ليس بينه وبين معد بن عدنان أب مجهول، يسمى (محيي الوئيد) وهو أول من قام في تميم بإنقاذ بناتهم من الوأد، ولما ظهر الإسلام كان عنده (104) من البنات أخذهن من

آبائهن لثلا يؤدن، وفد على النبي ﷺ ليعلن اسلامه، ولما دخل على النبي ﷺ فقال: كيف علمك بمضر؟ فقال: يا رسول الله ﷺ أنا أعلم الناس بهم: تميم، هامتها وكاهلها، وكنانة وجهها، وقيس فرسانها، وأسد لسانها، فقال: صدقت⁽⁴⁾.

أمه :

أم صعصعة قفيرة بنت سكين بن حارثة بن عبد الله بن دارم، وكانت أمها أمة وهبها كسرى لزرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، فرهنها زرارة لعمته هند بنت يثرب بن عدس، فوثب أخو زوجها، واسمه سكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم، على الأمة فأحبها، فولدت له قفيرة، فكان جرير يعيب الفرزدق بها وهي جدته، وفي رواية أخرى قيل: كانت قفيرة أم صعصعة سبية من قضاة، سبها سلمى بن جندل يوم الحرجات، فلذلك قال من قن لسلمى بن جندل⁽⁵⁾:

فُقَيْرَةٌ مَن قَنَّ لِسَلْمَى بِنِ جَنْدَلٍ أَبُوكَ ابْنُهَا وَابْنُ الْإِمَاءِ الْخَوَادِمِ
وَأورثَكَ الْقَيْنُ الْعَلَاةَ وَمَرَجَلًا وَإِلَاحَ أَخْرَاتِ الْفَوْؤُسِ الْكَرَازِمِ⁽⁶⁾

زوجاته:

لم تذكر كتب التاريخ أسماء صريحة لزوجات صعصعة بن ناجية إلا زوجته ليلى بنت حابس بن عقال التميمية، ولكن ذكرت المصادر أن لصعصعة قيون (عبيد)، منهم جبير ووقبان وديسم، وهن أم أولاده، فلذلك جعل جرير الشاعر قبيلة مجاشع قيوناً، قال جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير⁽⁷⁾:

وجدنا جبيرا أباً غالب بعيد القرابة من معبد
وأورثنا أباً ونا مشرفية تميث بأيدينا فروح الجماجم

أولاده :

لصعصعة وكعادة العرب العديد من الأبناء كلهم كان شريفاً كريماً ذوي مروءة فرسان لهم العديد من أيام العرب قبل الاسلام، والغاية من ذكرهم في موضوعة البحث هو الوقوف على سفر العائلة الكبيرة لصعصعة بن ناجية المجاشعي ومن خلالهم وسيرهم نصل الى قيم الأصالة المندوحة التي يفخر بها في الجاهلية والاسلام، وهم :

• عقال بن صعصعة: من فرسان العرب في الجاهلية والاسلام، وعقال هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يوم الجمل⁽⁸⁾، وهو صاحب يوم الصرائم، وهو يوم أغارت فيه بنو عبس، على ربيعة بن مالك بن حنظلة من تميم، وكان لتميم⁽⁹⁾، ويوم ذي طلوح وهو يوم الصمد، ويوم أود، كان لبني يربوع من تميم على بكر بن وائل، وفيه اخذت تميم بثأر جعثن المنقرية التميمية زوجة شبة بن عقال بن صعصعة التي سبتها بكر فقتلوها، وفيها قال عقال بن صعصعة⁽¹⁰⁾:

وَقَتَّ لَجِعِثْنَ دَيْنَ جِعِثْنَ مَنْقَرٍ لَا عِلَّةَ بِهِمْ وَلَا إِعْسَارُ
قَطَعُوا بِجِعِثْنَ ذَا الْحَمَاطِ تَقَحْمًا وَإِلَى خَشَاخِشٍ جَرِيهَا أَطْوَارُ
وعقال بن صعصعة ابو خطيب العرب في الجاهلية والاسلام شبة بن عقال بن صعصعة، وبه يفتخر ابن عمه الفرزدق فيقول⁽¹¹⁾.

ومنا خطيب لا يعاب وحامل أغر إذا التفت عليه المجامع
ومنا الذي أحى الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والأقارع
• هميم بن صعصعة بن ناجية: وقيل (همام) كان من الأشراف في الجاهلية والاسلام، أبو أهاب وشريك ابنا همام، به تسمى ابن أخيه الشاعر الفرزدق، كان أعرجاً، وهو الذي قال في عرجه، وعرج وهو شاب⁽¹²⁾:

أعوذ بالرحمن من سوء العرج ومن خماع وظلاع وعرج
إن القناة بالفتى جد سمج وكنت كالظبي إذا الظبي معج
وقيل هو أول من قال: (لعمر ابيك)، يروى⁽¹³⁾ انه دخل يوماً على عثمان بن عفان رضي الله عنه
وهو خليفة، قبل أن يكون من أمره ما كان، فقال: أتاني البارحة في منامي آت فقال: احفظ ما أقول لك، وما أنا بشاعر ولا راوية شعر، فقال:

لعمر أبيك فلا تعجلن لقد ذهب الخير إلا قليلا
وقد سفه الناس في دينهم وخلي ابن عفان شرا طويلا
فقال له عثمان رضي الله عنه: أكتم هذا عني، فمكث حتى إذا كان على رأس الحول حدث الواقعة.

ولشريك بن هميم بن صعصعة قصة جميلة مشهورة في الكرم، فقيل أن شريك نزل مع

بني قطن (بلصاف)⁽¹⁴⁾، فوقع بين حكيم وربيعي ابني المجشر النهشلي كلام في مفاخرة، فأمهل شريك حتى إذا وردت إبله، وكانت ثمانين، وقعدت المجالس وتجمع الناس، وشربت الإبل، أمر عبداً له خراسانياً كان راعيها، فجعل يجلسها عليه (يجلسها بقربه بحبل يربط بركبتها)، فلما اجتمعت الإبل، حمل عليها بالسيف فعقرها، فأرادت بنو نهشل أن تعقر كما عقر شريط بن هميم، وكان مجتمعون يشاهدون ما يجري، فقال لهم الناس: أتعاقرون آل صعصعة؟ والله لئن عقرتم مائة ليعقرن شريك مائة، وليعقرن الفرزدق بالبصرة مائة، وبالكوفة مائة ومائة بمكة ومائة بالمدينة ومائة بالموسم ومائة بالشام، فلتكفن بعدما تغلبون وتحزنون فكفوا.

فبينا شريك يشد على إبله بالسيف إذ وقعت رجل ناقة منها في أطاب بيت فتاة من بني نهشل فهتكته، فقالت: لعلك تظن أن عقرك يذهب لؤمك، فقال: لا أستم بنت العم ولكن دونك فكلي من هذا اللحم، وبلغ الخبر الفرزدق وهو بالبصرة فقال في قصيدة مطلعها⁽¹⁵⁾:

بني نهشل أبقوا عليكم ولم تروا سوابق حام للذمار مشهر
كريم تشكى قومه مسرعاته وأعداؤه مصغون للمتسور

• أعين بن صعصعة: أدرك الجاهلية والأسلام، قتله بنو سعد أيام فتنة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه⁽¹⁶⁾، هو أبو النوار زوجة الفرزدق، وكان قد تزوجها بقصة غريبة، يروى أن النوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي، وكانت ابنة عمه أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته وكان الفرزدق وليها فأرسلت إليه أن زوجني من هذا الرجل، فقال: لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوجتك ففعلت فلما توثق منها قال أرسلني إلى القوم فليأتوا فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم أنني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة، فنفرت من ذلك وأرادت الشخصوص إلى ابن الزبير حين أعيها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعيها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق، فأدركها وقد قدمت مكة فاستجارت بخولة بنت منظور بن زبان الفزاري وكانت عند عبد الله بن الزبير⁽¹⁷⁾.

• غالب بن صعصعة بن ناجية، أدرك الجاهلية والأسلام، قال قدمت على

رسول الله ﷺ فعرض على الاسلام فأسلمت، وعلمني آى من القرآن، كان جواداً من أشرف تميم في الجاهلية، ومن وجوهها، يلقب بابن ليلى، وهو والد الفرزدق، هو الذى قرى مائة ضيف، واحتمل عشر ديات لقوم لا يعرفهم، وكان من حديث ذلك أن بني كلب بن وبرة افتخرت ببنيها في أنديتها، فقالت: نحن لباب العرب وقلبها، ونحن الذين لا ننازع حسبا وكرما⁽¹⁸⁾.

وتشير الروايات التاريخية الى ان غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي دخل على أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام خلافته، وغالب شيخ كبير، ومعه ابنه همام وهو (الفرزدق) وهو غلام يومئذ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): من الشيخ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة، قال: ذو الابل الكثيرة؟ قال: نعم، قال: ما فعلت أهلك؟ قال: ذدعتها الحقوق، وأذهبتها الحملات والنوائب، قال: ذاك أحمد سبلها، من هذا الغلام معك؟ قال: هذا ابني، قال: ما اسمه؟ قال: همام، وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب، ويوشك أن يكون شاعرا مجيدا، فقال: لو اقرأته القرآن فهو خير له⁽¹⁹⁾.

فكان الفرزدق بعد يروى هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى الا يفكه حتى يحفظ القرآن، فما فكه حتى حفظه، وقال (عليه السلام): من أتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا⁽²⁰⁾.

وهذه إشارة الى ان أهل الكوفة لم تصرفهم المعارك والحروب عن ما كانوا فيه زمن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن رواية الشعر وإنشاده، حتى قال لهم: «إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزين، تضربون الأمثال، وتناشدون الأشعار».

وقيل في كرم غالب بن صعصعة، أجذبت بلاد تميم وأصابت بني حنظلة، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة فانتجعتها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادي وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب فنحر ناقته فأطعمهم إياها فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقه فنحرها من غد فقيل لغالب: إنما نحر سحيم مواءمة لك أي مساواة لك فضحك غالب وقال كلا ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر في ذلك فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بني يربوع فعقر سحيم ناقتين، فقال: غالب الآن علمت أنه يوائمني فعقر غالب عشرا فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشرا فلما بلغ غالباً فعله ضحك وكانت

إبله ترد لخمس فلما وردت عقرها كلها عن آخرها فالمكثر يقول كانت أربعمئة والمقل يقول كانت مائة فأمسك سحيم حينئذ ثم إنه عقر في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بكناسة الكوفة ماتت ناقة وبعير فخرج الناس بالزنايل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ورآهم علي عليه السلام، فقال: «أيها الناس لا يحل لكم إنما اهل بها لغير الله عز وجل»، قال فحدثني من حضر ذلك قال كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام فجعل غالب يقول: يا بني اردد علي والفرزدق يردها عليه، ويقول له: يا أبت اعقر قال: جهم فلم يغن عن سحيم فعله ولم يجعل كغالب إذ لم يطق فعله⁽²¹⁾.

وفي هذه الأبيات يفتخر الفرزدق بجده وبيه وعمه وخاله لما تركوه من أرث شكل منظومة من القيم المندوحة، فيقول⁽²²⁾:

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا إذا هب الرياح الزعازع
ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والاقارع
ومنا الذي قاد الجياد على الوجا بنجران حتى صبحته الترائع
ومنا الذي أعطى الرسول عطية أسارى تميم والعيون هوامع

• هنيذة وقيل (هند) بنت صعصعة بن ناجية بن عقال: امها ليلي بنت حابس بن عقال التميمية، زوجة الزبرقان بن بدر⁽²³⁾، وهي الملقبة: ذات الخمار، لقولها من جاءت يحل لها أن تضع عندها خمارها كأربعتي فلها حرمتي، أو قالت: من جاءت من نساء العرب بأربعة يحل لها أن تضع خمارها عندهم فهي خير مني: أبي صعصعة، وأخي غالب بن صعصعة، وخالي الأقرع بن حابس، وزوجي الزبرقان، وهي القائلة:

أمن عهد ذي عهد تفيض مدامعي كأن قذى العينين من حب فلفل

اخوته:

لم تذكر المصادر التاريخية وكتب الرجال أخوة لصعصعة بن ناجية إلا أخوين كانا عنواناً للشجاعة والفروسية، وهما:

• حمار بن ناجية بن عقال المجاشعي التميمي: وقيل اسمه عرفجة وحمّار لقب له، من كرماء تميم، هو أبو عياض بن ناجية بن عقال، وعياض كان صديق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية، هو الذي أهدى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يسلم ومعه نجية يهديها إليه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أسلمت؟ قال: لا. قال: إن الله نهاني أن أقبل زبد المشركين، فأسلم فقبلها منه⁽²⁴⁾.

• ضبيعة بن ناجية: من فرسان الجاهلية والاسلام، وهو والد النوار زوج الفرزدق، ووالد أعين بن ضبيعة، شهد أعين يوم الجمل مع علي عليه السلام، وهو الذي عقر الجمل الذي كانت عائشة مع عمه حمار، فيقال: إنها دعت عليه بأن يقتل غيلة، بعثه علي عليه السلام إلى البصرة فلما غلب عليها عبد الله بن الحضرمي فقتل أعين غيلة سنة ثمان وثلاثين ⁽²⁵⁾.

الوئيد:

من وأد البنات، أي قتلهن، فالعرب وتميم خصوصاً كانوا يدفنونها في الجاهلية وهي حية، إذا وُلِدَتْ بنتٌ دَفَنُوهَا حينَ وُضِعَتْ حتى تموت مَخَافَةَ العَار والحَاجَةِ، من وأدها يئدها وأدا فهي موءودة، الوَادُ والوئِيدُ: الصوت الشديد، ومشى مشياً وئيداً، أي على تُوْدَةٍ ⁽²⁶⁾.

وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات، ولم يكن هذا في جميعها إنما كان في تميم بن مرة ثم استفاض في جيرانهم، وقال قوم آخرون: بل كان في تيم وقيس وأسدٍ وهذيل وبكر بن وائل، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»، فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم، فكانوا يسمونه العلهز، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم، ودلّ على ما من أجله قتلوا البنات فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ ⁽²⁷⁾، وقال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ ⁽²⁸⁾، فهذا خيرٌ بيّن ان ذلك للحاجة، وقد روى بعضهم أنهم غنما فعلوا ذلك أنفَةً.

على الرغم من ان المرأة البدوية كانت تشاطر زوجها أعباء الحياة، فتواسي الجرحى وتقف خلف الصفوف تبعث الحمية في نفوس الرجال فيستمتتون في القتال، خوفاً على نسائهم أن يقعن في السبي، وفي السلم تنسج الخيام والملابس وتخيطنهما، وتحضر الماء وتطهي الطعام وتصنع الأقط والزبد، وكانت سافراً تقابل الضيوف وتقريهم، وتستشار في زوجها فتقبل أو ترفض، وقد كثر ذكرها في أشعارها واحتلت الذروة منها وافتتحوا بها قصائدهم، وكثيراً ما نراها واقفة في وجه زوجها تصده عن الاسترسال في الكرم والقتال ضناً بنفسه وبماله، فلا يثنيه ذلك عما ركب في طبيعته من حب السخاء والشجاعة، ولكن العرب في الجاهلية لشدة غيرتهم على نسائهم وحرصهم على أعراضهم أن تتلم، ولأن حياتهم حياة حربية وهي سمة العصر الجاهلي، ثم لفقرهم كرهوا البنات، وقالوا: دفن البنات من المكرمات، ومما يروى في ذلك، أن أبي حمزة الضبي الأعرابي كانت له

زوجتان فولدت إحداهما ابنة، فعزّ عليه، واجتنبها وصار في بيت ضربتها إلى جنبها فأحست به يوماً في بيت صاحبته، فسمعها ذات يوم تغني، وهي ترقصها⁽²⁹⁾:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا والله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا

الجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن أحياء، خصوصاً تميم وكندة، خوف العار، أو خوف الفقر والإملاق، ومن النساء من تكون خصبة في ولادة البنات، فيجلب لها هذا الخصب هجر زوجها لها وفراره منها ومن رؤية بناته. يحدثنا الأصمعي أن امرأة ولدت لرجل بنتاً سمّتها الذلفاء، فكانت هذه البنت سبباً في هرب الرجل من البيت، فقالت⁽³⁰⁾:

ما لأبي الذلفاء لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
يحرد أن لا نلد البنينا وإنما نأخذ ما يعطينا

وقد أسرف بعضهم في بغضهن فاستباح وأدهن، واستفطع ذلك كثير من عقلائهم، فكانوا يفدونهن من أهلهن ويحتضنونهن، ومن هؤلاء صعصعة بن ناجية،

وكان صعصعة يسمى محبي الوئيد لإسهامه في خلاص المؤرّقات من الموت المحقق والأكيد وبه قال شاعرهم⁽³¹⁾:

وصَعُصَةَ الْمُجِيرِ عَلَى الْمَنَايَا بِذِمَّتِهِ وَفَكَكِ الْعُنَاةِ

وذكرت المصادر التاريخية أن صعصعة المجاشعي أحياناً ألف موءودة وحمل على ألف فرس، كونه شارك في أغلب أيام العرب في الجاهلية التي كانت تميم طرفاً بها، وهذه الأيام كلها لبني يربوع من تميم على بني بكر: من ذلك يوم ذي طلوح، وهو يوم أود، ويوم الحائر، ويوم ملهم، ويوم القحقح، وهو يوم مائة ويوم رأس عين، ويوم طخفة، ويوم الغبيط، ويوم مخطّط، ويوم جدود، ويوم الجبايات ويوم زرود الثاني، وفي أغلب هذه الأيام حدث سطو ونهب وغزو وسبي ورق وعبودية وما شاكل من أمور تقع ضمن عقيدة الوأد⁽³²⁾.

وقيل لما بعث الله عز وجل نبيه ﷺ جاءه صعصعة بن ناجية المجاشعي وعنده مائة جارية وأربع جوار أخذهن من آبائهن لئلا يوأدن، وقال الفرزدق مفتخراً⁽³³⁾:

وجدى الذي منع الوائدات فأحيا الوليد ولم يئد

ويقال: إنه أحبي ألف موؤودة، ويروى أن الشاعر الفرزدق فاخر رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال: أنا ابن محبي الموتى، فأنكر ذلك من قوله، فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾⁽³⁴⁾ وجدي منع من وأد البنات واشترهن بماله، فذلك الإحياء، فقال الخليفة: إنك مع شعرك لفيقه⁽³⁵⁾.

ومنا الذي منع الوائدات فأحى الوئيد ولم يوئد وقيل جاء الى رسول الله وقال له: قد أحيت مائة موؤودة إلا أربعا، ولم يشركني في ذلك أحد من العرب⁽³⁶⁾، حتى أنزل الله عز وجل تحريم ذلك في القرآن: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾⁽³⁷⁾.

وذكرت الروايات التاريخية، كان يقال لصعصعة محبي الموؤودات وذلك أنه كان مر برجل من قومه وهو يحفر بئرا وامرأته تبكي فقال لها: صعصعة ما يبكيك قالت يريد أن يئد ابنتي هذه فقال له: ما حملك على هذا قال: الفقر، قال فإني أشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما تعيشون بألبانهما ولا تئد الصبية قال: قد فعلت فأعطاه الناقتين وجملا كان تحته فحلا وقال في نفسه إن هذه لمكرمة ما سبقتني إليها أحد من العرب فجعل على نفسه ألا يسمع بمؤودة إلا فداها⁽³⁸⁾.

وعد العرب هذه من مكارم صعصعة بن ناجية محبي الوئيدات التي لم يشركه في هذه المكرمة أحد، إذ كان ينادي في أحياء العرب لا أسمع برجل يريد أن يئد ابنته إلا اشتريتها بلقوحين (ناقتين) عشراوين (العشراء: التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر) وجمل، فعمل حتى جاء الاسلام⁽³⁹⁾.

يبدو أن في الأمر نوعاً من التناقض والتباين فالأيام دليل الموت والقتل وجريان الدم لأتفه الأسباب، وبين إحياء الموتى (الوئيدات)، أو لعل هذا الموقف كان بسبب تحريض صعصعة بن ناجية بني قومه على سلب لطيمة لكسرى أنشروان، ومن ثم كلف ملك الحيرة النعمان بن المنذر الاعارة على تميم لتأديبهم ورد اللطيمة، الأمر الذي أوقع بنات من تميم في الأسر عند المناذرة، لكن إبنة كبيرهم قيس بن عاصم المنقري⁽⁴⁰⁾ أبت اللحاق بأهلها، واختارت من أسرها ابو المشمرج اليشكري⁽⁴¹⁾، وأقسم قيس أن يئد كل بناته، فوآد أربع عشرة منهن، ولعل صعصعة عد ذلك ذنباً كبيراً لا يعالج ويكفر إلا بإحياء الوئيد.

وتشير المصادر التاريخية انه في يوم الصفقة: وهو أيضاً يسمى يوم المشقر وكان على

بني تميم بسبب غير كسرى التي كان يجيزها هوذة بن علي السحيمي (ملك اليمن)، فلما سارت ببلاد بني حنظلة اقتطعوها برأي صعصعة بن ناجية، فكتب كسرى إلى المكعبر عامله على هجر فاغتيالهم، وأراهم أنه يعرضهم للعطاء ويصطنعهم، فكان أحدهم يدخل من باب المشقر فينزح سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل، إلى أن فطنوا، وأصفق الباب على من حصل منهم، فلذلك سميت الصفقة، وشفع هوذة في مائة من أسارهم فتركوا له، فكساهم وأطلقهم يوم الفصح وكان نصرانياً، فأتاب القوم وسألوه النساء، فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباه تركت عليه، فكلهن اخترن آباءهنّ إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج، فنذر قيس ألا يولد له ابنة إلا قتلها، واعتلّ بهذا من وأد وزعم أنّه أنفة وحميّة⁽⁴²⁾.

وفي رواية تقول: أن تميماً منعت النعمان الاتاوة سنة، وهي الديان، فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر، وكانت للنعمان خمس كتائب، إحداها الوضائع وهم قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عدّة ومدداً، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم، فإذا كان في رأس الحول ردّهم إلى أهلهم وبعث بمثلهم، وكتيبة يقال لها الشّهاء وهي بيت الملك، وكانوا بيض الوجوه، يسمّون الأشاهب، وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن وائل، وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهناً عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم، والخامسة دوسر وهي كتيبة ثقيلة تجمع فرساناً وشجعاناً من كل قبيلة، فأعزاهم أخاه، وجلّ من معه بكر بن وائل، فاستاق النعم وسبى الدّراريّ ومنهن بنات قيس بن عاصم المنقري التميمي⁽⁴³⁾.

ولعل هذه تحريض صعصعة على لطيمة كسرى، جعلت حالة وأد البنات في تميم منتشرة، أو انه فعلاً يمتلك من المروءة والكرم الشيء الكثير، فجعلت منه وئيد البنات.

مكانة صعصعة بن ناجية الاجتماعية:

كانت لصعصعة من المكانة الاجتماعية ما لم يحظ بها في الجاهلية احد قبله وبعده، عظيم القدر في الجاهلية، معروف في الكرم والجود، وعنه يروي احد ولده وهو عقال بن شبة بن عقال بن صعصعة قال: أنه كان من حديث صعصعة وإحيائه الوئيد، قال: خرجت باغياً لناقتين عُشراوين فارقين، فرفعت لي نار، فسرت نحوها، وهممت بالنزول، قال:

فجعلت النار تُضيء مرة وتخبو أخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللهم إن لك علي إن بلغني هذه النار الليلة، ألا أجد أهلها يوقدونها لكربة يقدر أن يُفرجها أحد من الناس، إلا فرجتها عنهم، فلم أسر إلا قليلاً، حتى انتهيت، فإذا صرم من بني أنمار بن هُجيم بن عمرو بن تميم، وإذا شيخ حادر (سمين) أشعر يوقدها في مقدّم بيته، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض (أصابها المخاض)، قد جبستهم ثلاث ليال، فسلمت، فقال لي الشيخ: مَنْ أنت؟ قلت أنا صعصعة بن ناجية، قال: مرحبا بابن سيدنا، ففيم أنت يا ابن أخي؟ قلت: في بغاء ناقتين لي فارقين عمي علي أثرهما⁽⁴⁴⁾، فسألته عن الناقتين، فقال: ما نارهما (وهي علامة برسم جديدة تعمل بالنار)؟ قلت: ميسم بني دارم، قال: هما عندي⁽⁴⁵⁾، قال: وقد وجدتهما، وقد أحبى الله بهما أهل بيت من قومك، وقد نتجناهما، وعطفنا إحداهما على الأخرى، وهما تأنك في أدنى الإبل، قال: قلت لم توقد نارك منذ الليلة؟ قال: أوقدها لامرأة ماخض قد جبستنا منذ ثلاث ليال، قال: وتكلم النساء فقلن: قد جاء، قد جاء، يعنين الولد. قال الشيخ: إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به، وإن كانت جارية فلا أسمع صوتها أقتلنها، قلت يا فل ذرها، فإنها ابنتك، ورزقها على الله، وقلت: أنشدك الله، قال: إني أراك بهات حفيّاً فاشترها مني، قلت: فإني أشتريها منك، قال: ما تعطيني، قلت أعطيك إحدى ناقتي، قال لا قلت: أزيدك الأخرى، فنظر إلى جملي الذي كان تحتي، فقال: لا، إلا أن تزيدني جملك هذا، فإني أراه حسن اللون، شاب السن، قلت: هو لك والناقتان على أن تُبلغني عليه أهلي، قال: قد فعلت، فلما بلغت أهلي رددت إليه البعير، فابتعتها منه بلقوحين وجمل، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه، لِيُحسنن برها وصلتها ما عاشت، حتى تبين عنه أو يدركها الموت قال: فلما برزت من عنده، حدّثت نفسي فقلت: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، وقلت: اللهم إن لك ألا أسمع برجل من العرب يريد أن يئد ابنة له، إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل⁽⁴⁶⁾.

وبها يقول الفرزدق مفتخراً⁽⁴⁷⁾:

أبي أحد الغيثين صعصعة الذي متى تُخلف الجوزاء والدلؤ يُمطر
أجار بنات الوائدين ومن يُجر على الفقر يُعلم أنه غير مُخفر
على حين لا تحيا البنات وإذ هم عكوف على الاصنام حول المدور

ولمكاته الاجتماعية المتميزة بعد إسلامه ومجالسة سيد الخلق ﷺ قال صعصعة

بن ناجية: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فقلت: [يا رسول الله! أنا أبصر الناس بمضر! تميم هامتها وكاهلها الشديد الذي تنوء به وتحمل عليه، وكنانة وجهها الذي فيه سمعها وبصرها، وقيس فرسانها، ولجومها وأسد لسانها، فقال النبي ﷺ: صدقت] (48).

ثم قال ﷺ له: ما شيء بلغني عنك فعلته قال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الوجه غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه ورأيتهم يئدون بناتهم فعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون وفديت من قدرت عليه (49).

وكان يوصف بالمروءة والوفاء بالعهود، فيروى ان صعصعة بن ناجية قال للنبي ﷺ: إني حملت حمالات في الجاهلية، فجاء الإسلام وعلّي منها ألف بعير، فأديت من ذلك سبعمائة، فقال له: إنّ الإسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر، فقال: حسبي حسبي، فوفى بها (50)، وقيل هو الذي أعطاه الرسول ﷺ يوم حنين أسارى تميم تكريماً له، وبه قال الفرزدق (51):

منا الذي اختير الرجال سَماحةً وخيراً إذا هبّ الرياحُ الزعازعُ
ومنا الذي أعطى الرسولُ عطيةً أسارى تميم والعُيونُ دَوامِعُ
ثم قال ﷺ ما شيء بلغني عنك فعلته قال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الوجه غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه ورأيتهم يئدون بناتهم فعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون وفديت من قدرت عليه (52).

الاستنتاجات

من خلال ما ورد في البحث تبين لنا ما يلي :

- 1 - ان الوأد عادة جاهلية لم تعم العرب جميعاً بل كانت عند البعض منهم مثل تميم وأسد وكندة وغيرهم، لكنها الأكثر في تميم.
- 2 - لم يكن السبب الوحيد للوَأد الفقر والإملاق، بل كان خوفاً من العار، وهذا ما حصل لتميم .
- 3 - تميز صعصعة بن ناجية بهذه الخصيصة، بسبب الكرم والمروءة، ام بسبب عقدة الذنب كونه اوقع العديد من نساء تميم في السبي يوم المشقر.
- 4 - منع قبيلته الكبيرة تميم من ان تتد البنات، بعد يوم صفقة مع بكر بن وائل.
- 5 - تميزت عائلة صعصعة بالجود والكرم والفروسية والنجدة والأدب والشعر .
- 6 - لم تؤثر العقيدة والدين في منظومة القيم التي تحلى بها صعصعة بن ناجية، فاستمرت في الجاهلية والاسلام .
- 7 - كانت لصعصعة مكانة اجتماعية كبيرة في الجاهلية والاسلام .
- 8 - كان لصعصعة وأولاده وأبنائهم اسهاماً كبيراً في ايام العرب في الجاهلية .

الهوامش

1. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م)، أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت1996م، ج12، ص63.
2. المرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت384هـ/994م)، معجم الشعراء، بتصحيح وتعليق ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت1982م، ص486.
3. الأشعري، أبو الحجاج شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت550هـ/1153م)، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، المطبعة الأحمدية، تونس، لا.ت، ص10.
4. ابن حبيب البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت245هـ/860م)، المحبر، تحقيق إيلزة ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت1971م، ص141.
5. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م)، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة1423هـ، ج1، ص462.
6. الكرازم: والكرزم وهي الفأس لها رأسان، وقيل: هي الفأس الثقيلة والمفلولة الحد؛ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت170هـ/786م)، العين، تحقيق مهدي المنزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لا.ت، باب (الكاف والزاي)، ج5، ص482.
7. البلنسي، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري (ت571هـ/1175م)، الطرر والحواشي علي الكامل للمبرد، جامعة البنجاب، لاهور1980م، ص176.
8. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت630هـ/1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت1994م، ج1، ص258.
9. ابن رشيقي، أبو علي الحسن بن رشيقي القيرواني الأزدي (ت463هـ/1071م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين، دار الجيل، بيروت1981م، ج2، ص210.
10. ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت328هـ/940م)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت1404هـ، ج6، ص49.
11. أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت208هـ/823م)، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق محمد إبراهيم حور ووليد محمود، المجمع الثقافي، أبو ظبي1998م، ج2، ص578. وكان الفرزدق

- يفتخر بقبيلته وبني عمومته فقولته: خطيب، يعني شبة بن عقال بن صعصعة، قال: والحامل يعني عبد الله بن حكيم بن نافذ من بني حُوي بن سفيان بن مجاشع التميمي، وكان يقال له القرين، والأغر من الرجال، المعروف، كما يُعرف الفرس بغرته في الخيل، يقول: فهو معروف في الكرم والجود.
12. الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255هـ/ 869م)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجليل، بيروت 1410هـ، ج1، ص574.
13. ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري (ت262هـ/ 876م)، تاريخ المدينة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، بيروت 1410هـ، ج4، ص1196.
14. لصف: ماء لبني يربوع، أسفل سواد الكوفة وراء نجران الكوفة؛ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ / 1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1995م، ج3، ص266.
15. ابن ميمون، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي (ت597هـ/ 1193م)، منتهى الطلب من أشعار العرب، دار صادر، بيروت 1979م، ص231.
16. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت456هـ/ 1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م، ص231.
17. ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت356هـ/ 967م) الاغاني، دار الفكر، بيروت 1988م، ج10، ص290.
18. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت518هـ/ 1124م)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1989م، ج2، ص434.
19. ابن أبي الحديد، ابو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد (ت656هـ/ 1258م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1959م، ج3، ص123.
20. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت502هـ/ 1108م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت 1420هـ، ج1، ص548.
21. الأصفهاني، الأغاني، ج21، ص285.
22. ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج1، ص47.
23. الزبرقان: الزبرقان بن بدر التميمي السعدي: صحابي، أدرك الجاهلية والاسلام، من رؤساء قومه، قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسن وجهه، ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكان أعوراً، كف بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية، سنة45هـ، وكان فصيحاً شاعراً، فيه جفاء الأعراب، يقال: يعتم بعمامة

- صفراء وكان السيد من العرب يعتم بعمامة (صفراء) لا يعتم بها غيره، كان يستجار بقبره وهو بكاظمة ؛ الجمحي، ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي (ت232هـ/846م)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، لا.ت، ص 47 .
24. المزني، أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبلي (ت742هـ/1341م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980م، ج22، ص565.
25. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت852هـ/1448م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ، ج1، ص247.
26. الفراهيدي، العين، مادة (واد)، ج8، ص97
27. سورة الأنعام، الآية 151.
28. سورة الممتحنة، الآية 12 .
29. الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255هـ/869)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423هـ، ج1، ص165.
30. الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص64.
31. ابو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص892
32. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص49 ؛ التوحيدي، ابو حيان علي بن محمد بن العباس (ت400هـ/1010م)، البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت 1988م، ج6، ص120.
33. الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس (ت383هـ/993م)، مفيد العلوم ومبيد الهموم، المكتبة العنصرية، بيروت 1418هـ، ص343.
34. سورة المائدة، الآية 32.
35. ابن حمدون، أبو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (ت562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت 1417هـ، ج7، ص331.
36. ابو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج2، ص824.
37. سورة الإسراء، الآية 31.
38. الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص379 .
39. الزمخشري، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص355.
40. هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، صاحب أيم العرب في الجاهلية، وفد على رسول الله ﷺ ليسلم سنة (9هـ). ولما رآه ﷺ فسبط له رداءه، وقال: هذا سيد أهل الوبر، وكان عاقلا، حليما مشهورا

- بالحلم، ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه؛ وكان له من الولد ضرار، والحصين، وقبيصة، وطلبة، وغيرهم؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص216.
41. ابن المشمرج: هو أبو المشمرج عمرو بن المشمرج اليشكري من بني حارثة بن حسيل بن مالك بن عبد سعد ابن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر، من الشعراء الفرسان، هو الذي أغار على بني سعد فسبى منهم نساء واستاق أموالا وكان في النساء بنت لقيس بن عاصم المنقري التميمي؛ الأصفهاني، الأغاني، ج14، ص72.
42. ابن حمدون، التذكرة، ج7، ص333.
43. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ/899م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة1997م، ج2، ص62.
44. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت1992م، ج5، ص264.
45. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت2004م، ج3، ص131.
46. أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ج3، ص824-823.
47. الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص280.
48. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت562هـ/1167م)، النسب، تحقيق عبد الرحمن المعلمي وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد1962م، ج1، ص36.
49. الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص283.
50. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص14.
51. الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي (ت609هـ/1212م)، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب (الحماسة المغربية)، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت1991م، ج1، ص623، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج1، ص47.
52. الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص283.

المصادر

- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت630هـ/ 1233م).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1994م.
- الأشعري، أبو الحجاج شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت550هـ/ 1153م).
- التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، المطبعة الأحمدية، تونس، لا.ت.
- الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت356هـ/ 967م).
- الاغاني، دار الفكر، بيروت 1988م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/ 892م).
- أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت 1996 م .
- البلنسي، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى الأنصاري (ت571هـ/ 1175م).
- الطرر والحواشي علي الكامل للمبرد، جامعة البنجاب، لاهور 1980م.
- التوحيد، ابو حيان علي بن محمد بن العباس (ت400هـ/ 1010م).
- البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت 1988م .
- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255هـ/ 869م).
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت 1410هـ .

- البيان والتبيين،، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423هـ.
- الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي (ت 609هـ / 1212م).
- مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب (الحماسة المغربية)، تحقيق محمد رضوان
- الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت 1991م.
- الجمحي، ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي (ت 232هـ / 846م).
- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، لا.ت.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ / 1201م).
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب، بيروت 1992م.
- ابن حبيب البغدادي، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت 245هـ / 860م).
- المحبر، تحقيق إيلزة ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1971م.
- ابن أبي الحديد، ابو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت 656هـ / 1258م).
- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب، القاهرة 1959م.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت 852هـ / 1448م).
- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ / 1063م).
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.
- ابن حمدون، أبو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن البغدادي (ت 562هـ / 1167م).
- التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت 1417هـ.

- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس (ت383هـ/ 993م).
- مفيد العلوم ومبيد الهموم، المكتبة العنصرية، بيروت1418هـ.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (502هـ/ 1108م).
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم، بيروت1420هـ.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت463هـ/ 1071م).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين، دار الجيل، بيروت1981م.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت562هـ/ 1167م).
- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد1962م.
- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري (ت262هـ/ 876م).
- تاريخ المدينة، تحقيق فهد محمد شلتوت، دار الفكر، بيروت1410هـ.
- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ/ 940م).
- العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت1404هـ.
- ابو عبيدة، معمر بن المثنى (ت208هـ/ 823م).
- شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق محمد إبراهيم، المجمع الثقافي، أبو ظبي1998م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت170هـ/ 786م).
- العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لا.ت.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن (ت276هـ/ 889م).
- الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة1423هـ.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ/ 899م).

- الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة 1997م.
- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ / 994م).
- معجم الشعراء، بتصحيح وتعليق ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت 1982م .
- المزني، أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت 742 هـ / 1341م).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت 518 هـ / 1124م).
- مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار لمعرفة، بيروت، 1989م.
- ابن ميمون، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي (ت 597 هـ / 1193م).
- منتهى الطلب من أشعار العرب، دار صادر، بيروت 1979م .
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733 هـ / 1333م) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م.
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ / 1229م).
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1995م.

دهاء العقل فلسفة هيغل التاريخية والمجتمع العراقي

علم اجتماع المعرفة، فلسفة التاريخ، الحرب، المجتمع العراقي

أ.م.د. شاكر سعيد ياسين

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الأنثروبولوجيا
والاجتماع

Cunning of mind

Hegel's philosophy and Iraqi society

Sociology of knowledge- philosophy of history- war- Iraqi society
By

Assistant professor, Shakir Saeed Shaheen

Anthropology & Sociology department- college of Arts/Almustanseria
University

الملخص

يدور البحث الحالي حول فكرة دهاء العقل التي طرحها هيجل في فلسفته التاريخية نحللها في ضوء علم اجتماع المعرفة، حيث تناول الباحث الفكرة كونها «مثالية» برؤية هيجل حتى انه اطلق على القوة المحركة للتاريخ بالعقل المطلق، ومدى مطابقة او تطبيق الفكرة على الواقع الى الدرجة التي تحولت هذه الفكرة المثالية الى ايدلوجيا استخدمت لقمع الشعوب. وتم توضيح مثل هذه الفكرة على ما مر به المجتمع العراقي في عهد النظام البعثي السابق وكيف استعمل مفهوم التضحية لدفع الشعب الى القتال في الحروب التي اشعلها لاجل امجاده الزائفة.

Abstract

The current research deals with the idea of cunning mind put Hegel's historical philosophy that analyze it in light of the sociology of knowledge, where the researcher deals with that idea as «idealistic» by seeing Hegel, so he named the driving force of history the mind absolute, and the extent of matching or application of the idea to reality to the degree to which this idea turned out to be the ideology that was used to suppress the people. It has been clarified such an idea of what he went through Iraqi society in the era of the former Baathist regime and how it used the concept of sacrifice to pay people to fight in wars for their candlelit false glories.

المقدمة

تعد مماثلة الطبيعة بالسلطة لتبرير عمل الحاكم واحدة من الأفكار الرئيسية لفيلسوف المثالية الألمانية هيجل. فلا يقتصر الأمر على ابن خلدون وسواه من مفكري الحضارة العربية والاسلامية. إن بيئة ابن خلدون القبلية فرضت عليه ان يفكر عربياً بطريقة تداول السلطة والتنازع عليها بصيغة تماثل وما يجري في الطبيعة. لكن بيئة هيجل وما شهدته من انفجار الحدائة والثورة على التقاليد معززة بمكاسب الثورات السياسية الفرنسية منها بخاصة والعلمية الصناعية دفعته الى التفكير بشكل كوني باعتبار أن التاريخ يجري وفق مغذيات خفية تنتصر بالنهاية لصاحب القوة. الفرق بين المفكرين أن ابن خلدون كان واقعياً الى حد بعيد بينما كان هيجل مثالياً، والزيف الايدلوجي هو القاسم المشترك بينهما.

وابرز افكار هيجل في فلسفته التاريخية هي فكرة دهاء العقل التي حاول فيها ان يبرر وجود الدولة البروسية حتى لقب بفيلسوف الدولة لانه جعل من الدولة الالمانية حاكما للعالم ومن الشعب الالمانى العرق الأنقى كما سنبحث.

وقد تبني الالمان هذه الفكرة بنموذج التضحية الذي سكه هيجل وهو ان سعادة الشعب (الالمانى) تركز على تضحية الفرد من اجل المجموع. وهي في الأصل فكرة ايدلوجية لان تضحية الفرد هي من اجل الدولة بشخص الحاكم لا من اجل الشعب. لذا امكن استخدام فكرة دهاء العقل لتبرير تسلط الدولة باستغلال غفلة الجماهير التي تنساق بانفعال وراء الشعارات القومية التي ترفع من شان العرق الذي يتمون اليه.

ولكن لم يقتصر الامر على القادة الالمان كهتلر الذي رمى بشعبه في حروب كارثية انهكت العالم والالمان بالذات وزهقت الملايين جريا وراء خرافة العرق الامثل، بل ان الفكرة لها أصداء عالمية وان لم تكن تحمل عنوان هيجل، لكنها تحمل مضمون الفكرة التي تفيد بوجود قوة عظمى تحرك التاريخ وهي قدر مقدر على الشعب سواء أطلق عليها العقل الكلي ام المايا ام غير ذلك من المفاهيم.

وقد مر المجتمع العراقي بالاسلوب ذاته عندما سخر صدام حسين آتته العسكرية في حروب خاسرة وظفها لخدمة ما يفكر به من تصورات وهمية حول القومية والوحدة والاشتراكية وسواها من الشعارات. وكي يصل الى بغيته كان قد ابتكر اعداء له (او للشعب) وهوّل من صورته اعلاميا ليسلب إرادة الجماهير التي ستنقاد اليه كونه بطل الأمة المنقذ من اعداءها.

وعلى نفس السياق الهيجلي اكد صدام حسين على مفهوم التضحية والفداء من اجل الوطن والأمة والشعب، وفي الحقيقة اراد من الجيش والشعب ان يضحوا من اجله هو لانه الله الدولة واعتبر نفسه (أنا الدولة، والدولة أنا)، ما انتهى به الى ممارسات وحشية ضد شعبه والبلدان المجاورة كما هو معروف.

وبسبب ذلك ولكثرة العهود التي عاشها العراقيون في ظل حكومات مستبدة، أصبح لمفهوم (القدر المقدر) زاداً يسلي به العراقي نفسه او يعزّيه من الآلام التي يمر بها. فوجود الحاكم المستبد قدر ساقته الإرادة الالهية وعلى الجميع ان يرضخ. واستطاع المستبد ان يستغل هذا الامر لصالحه باستعباد الشعب الذي يؤمن بذلك ولا يخرج عليه شاهراً سيفه.

فضلاً عن ان كتاب الآداب السلطانية روجوا لهذه الفكرة قديماً لخدمة بقاء السلطان من جهة ومنافعهم المادية من جهة اخرى. فهل ننسى كثرة تعلقهم بالرواية التي تقول: «اذا جار السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر» او الرواية التي تحرم الخروج على الحاكم: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فان من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية». وغيرها من السنن والأحاديث التي تلقي باللائمة على الرعية / الشعب ونست او تناست خروج الحاكم بسلطته الى تسلطه على الرعية.

لذا فان دهاء العقل يعمل حتى في الفضاء العربي والعراقي بنسبة ما يحدث من حروب ومجاعات وطغيان الى القدر الالهي، ومن الواجب على الشعب ان يضحى كي يستعيد سعادته، وكلما كثرت الأضاحي ازداد الثواب وتعجل الفرج !

المبحث الاول

هيغل: العقل والتاريخ

الفرضية المركزية لهيغل في كتابه «فلسفة التاريخ» هي ان الوجود الحق هو العقل الذي يتجلى في الطبيعة ويصل الى التحقق في الانسان، ويحدث هذا التحقق في التاريخ. ولما كان العقل هو الروح متحققاً في التاريخ، لذا فان القوة الدافعة للتاريخ هي الروح.

والانسان بوصفه ذاتاً مفكرة يشارك مصير الكل الخاص الذي ينتمي اليه، والفكر هو اساس الكلية والشمول. فالتاريخ بوصفه تاريخ الذات المفكرة هو بالضرورة تاريخ عالمي لكونه ينتمي الى عالم الروح. وندرك مضمون التاريخ من خلال تصورات عامة كالامة والدولة والمجتمع الريفي والملكية والطبقة العاملة والوسطى والنبلاء... إن قيصر وكرومويل ونابليون هم في نظرنا مواطنون رومان وانجليز وفرنسيون ونفهمهم بوصفهم افراداً في أمتهم يستجيبون للمجتمع والدولة في عصرهم. فالكلي/الروح/الحرية يؤكد ذاته فيهم، وهذا الكلي هو الفاعل الحقيقي في التاريخ. بحيث ان تاريخ البشرية ليس حياة ومعارك الاسكندر وقيصر والاباطرة والملوك مثل كرومويل ونابليون، بل هو حياة ومعارك ذلك الكلي الذي ينكشف على صور متباينة خلال مختلف الكليات الحضارية⁽¹⁾.

ان ماهية الكلي هي الروح كما ان ماهية الروح هي الحرية، فالموضوع الحقيقي للتاريخ هو الكلي لا الفرد، ومضمونه الحقيقي هو تحقق الوعي الذاتي للحرية لا مصالح الفرد وفاعله. وهناك اشكالية لدى هيغل تبدي تناقضاً للوهلة الاولى بين الفردي والكلي وهي:

ان حاجات الافراد ومصالحهم تدفع الى السلوك التاريخي وان تحقيق الفرد هو الذي ينبغي ان يحدث في التاريخ. ومع ذلك هناك شيء يؤكد ذاته هو العقل التاريخي/الكلي!

(1) هربرت ماركوز: العقل والثورة، هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 227-228.

تمكّن هيجل من حلّ هذه الاشكالية بالمرآوة على الفرد في سبيل تحقيق موضوعته المثالية وهي العقل الكلي او الروح العالمية. وهي البديل الميتافيزيقي للذات الحقيقية والاله المجهول. فالروح العالمية هي الموضوع المتجسد للتاريخي. والتوفيق بين واقعية الفردي وكلائية العقل تتم بحساب ان الافراد يشجعون على تقديم العقل في سعيهم الى تحقيق مصالحهم، ويؤدون بذلك مهمة كلية تساعد على تحقيق الحرية. والمثل الذي يشير اليه هيجل بهذا الصدد هو صراع قيصر من اجل القوة. فقيصر حين قضى على الشكل التقليدي للدولة الرومانية كان مدفوعاً بالطموح «الفردي» دون شك، ولكنه في ارضائه لدوافعه الشخصية قد حقق «مصيراً ضرورياً في تاريخ روما والعالم». فعن طريق افعاله حقق شكلاً اعلى واكثر عقلانية من اشكال التنظيم السياسي⁽¹⁾، فهل ان الفرد اداة تعمل لاستكمال دورة العقل الكلي دون وعي منه؟

هذا هو ما اراده هيجل. فالعقل الكلي يشبه في بنيته مسرح الظل تُحرك فيه الدمى التي لا تعي شيئاً لانجاز سيناريو معد من قبل مخرج المسرح (الاراجوز). «وهكذا فان هناك مبدأ كلياً كامناً في الاهداف الجزئية للافراد. وهو مبدأ كلي لانه مرحلة ضرورية في تطور الحقيقة. ويبدو الامر كما لو كانت الروح تستخدم الافراد دون وعي منهم، اداة لها»⁽²⁾.

تظهر الاشكالية اكثر تعقيداً اذا استثنينا قيصر بجيوشه وأبطال التاريخ بمجتمعاتهم. فاذا كان قيصر كبطل عرفه التاريخ هو اداة بيد العقل الكلي، فكيف هو الحال بالمجاميع البشرية (الكتل بتعبير لينين) التي شاركته حروبه والتي اندرس ذكرها على الرغم من دورها الفاعل. هل هي اداة بيد الاداة؟ هذا الاشكال لا يقتصر على قيصر وبونابرت، وانما التاريخ بشكل عام ومنه تاريخنا العربي والعراقي في دول الرجل الكاريزما ومجتمعات الأزمات.

لنتوسع في حجم الاشكالية كي تكون فرد مجتمع تاريخ، بدلاً من الفردي الكلي التي المستخلصة من هيجل. فمن يصنع التاريخ: الفرد البطل ام المجتمع الذي ينتمي اليه ويقف خلفه ام هو التاريخ نفسه بصيغة العقل الكلي او الروح العالمية؟

يجيب ماركوز بلغة هيجل بان الافراد ليسوا الا وسائط لتحقيق التاريخ، فوعيمهم تتحكم

(1) ن.م: 229

(2) ن.م: 229

فيه مصلحتهم الشخصية، وهم يقومون بادارة اعمالهم لا بصنع التاريخ. غير ان هناك بعض الافراد الذين يرتفعون فوق هذا المستوى، فافعالهم لا تكرر الانماط القديمة، بل تخلق اشكالاً جديدة للحياة، هؤلاء هم رجال التاريخ العالمي كالاسكندر وقيصر ونايبلون. صحيح ان افعالهم تنبثق من مصالح شخصية، ولكن المصالح في حالتهم تتوحد مع المصلحة الكلية، وتعلو هذه الاخيرة بكثير على مصلحة أي جماعة بعينها: فهم يصوغون تقدم التاريخ ويتحكمون فيه ولا بد ان تتعارض مصلحتهم مع المصلحة الجزئية لنظام الحياة السائد⁽¹⁾.

اعاد هيجل نفس الطرح البطولي لتوماس كارليل، فهناك فئتين من الافراد: الاولى تقوم بادارة اعمالها ولا تصنع التاريخ والاخرى ترتفع فوق هذا المستوى لتحقيق تلك المهمة وهي اقلية مقارنة بالاولى. وهناك استخدامان للعقل، الاول فردي او أسري لا يتعدى اشباع الحاجات الاساسية بينما يعلو الثاني لاستخدام اكثر رقياً لا ينشغل بالدوافع البيولوجية بقدر ما يحقق الغاية الاجتماعية الكبرى وهي: صنع التاريخ.

لنا ان نتساءل اذا لم توجد الفئة الاولى هل تقوم الثانية بفعلها التغييرى. واذا تم التسليم بوجودها، فهل تبقى مجرد ادوات لصنع التاريخ ويبقى الخلود من نصيب الابطال؟

ان هذا ما حفز الطغاة لدفع مجاميع كبيرة وسحقها في أتون الحروب والصراعات لاجل تحقيق السلطة والمجد والشهرة، ما جعل من التاريخ كتاباً للمآسي والالام البشرية. يقول هيجل «ان التاريخ ليس مسرح السعادة، بل ان فترات السعادة صفحات خالية منه»⁽²⁾.

تتفاقم تلك المأساة اذا كان صانع التاريخ رجلاً ابلهاً لكنه يتميز بامتلاكه للكلمة/ السلطة التي تشبه كلمة الاله الاسطوري، غير ان البطل الاسطوري لا يحتاج الى جمهور كبير لمساعدته في تنفيذ كلمته. ان كلمته فعل مباشر يستغني بها عن مساعدة الالهة باستثناء بعض الاساطير التي اشارت الى تعاضد بعض الالهة مع بعض، الا ان السياق العام للاسطورة هي البطولة الفردية التي لا تحتاج سوى الاذن من مجمع الالهة او كبيرهم. ومع هذه الكلمة تكون بعض الافعال الصادرة منها ذات اثر تدميري تكشف عن حماقة

(1) ن.م: 231

(2) ن.م: 233

هذه الالهة التي جعلت الانسان خائفاً منها وناقماً عليها بنفس الوقت، واحياناً تندم لقيامها باطلاق الكلمة لتدمير البشر وتخريب مدنهم كما ندمت عشتار في تحالفها مع بقية الالهة لاغراق البشر في حادثة الطوفان. تقول الاسطورة القديمة بلسان عشتار الحزينة :

صرخت عشتار كامرأة في المخاض
 ناحت سيدة الالهة ذات الصوت العذب:
 «لقد آلت الى طين تلك الايام القديمة،
 ذلك بانني نطقت بالشر في مجمع الالهة،
 فكيف استطعت ان أمر بمثل هذا الشر.
 كيف استطعت ان أمر بالحرب لتدمير شعبي،
 تدمير من اعطيتهم انا الميلاد،
 وهاهم يملئون اليمّ كصغار السمك»⁽¹⁾

او يبقى الاله مصرأ على فعلته الشنيعة غير مكترث بالام البشر كما فعل انليل مع سكان وادي الرافدين وابكاهم دهرأ طويلاً:

العاصفة التي امرها انليل في حقد
 العاصفة التي تلتهم البلاد
 غطت «اور» كما الثوب، ولفتها كما القماط
 وفي اليوم الذي تركت به العاصفة البلاد
 غادرتها والمدينة خراباً⁽²⁾

كلمة الحاكم المستبد تشبه كلمة الاله الاسطوري الى حد كبير من حيث فعلها التدميري. فكثير من ابطال التاريخ كانوا يحكمون كطغاة بكلمتهم العليا، وساقوا مجتمعاتهم الى حروب طاحنة كما تساق الانعام. لكن المستبد اذا ما شعر بالهزيمة ودنت ساعة رحيله من العرش يقرر الهروب واللواذ بالفرار من موطنه تاركاً رداء البطولة الذي زيف به عقول ابنائه (ابناء الشعب) ورحل معه جبروته المصطنع وعنفوانه الكاذب الى حيث لا رجعة. من ثم تبدأ دورة جديدة وفيها يستولي على السلطة فئات من المستضعفين،

(1) فراس السواح: مغامرة العقل الاولى، دراسة في الاسطورة، سوريا وبلاد الرافدين، دار الكلمة، ص 132

(2) ن.م: 158-159

وهؤلاء قد لا يطول بهم الدهر حتى يصبحوا طغاة مثله. و اشار القرآن الى ذلك قائلاً كم تركوا من جنات و عيون، و زروع و مقام كريم، و نعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك و اورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء و الارض و ما كانوا منظرين»⁽¹⁾.

ان ما يحدث من ارتباك في القيم الاجتماعية لدى استعمالها كوسائل لتحقيق العدل و المساواة هو انها كثيراً ما تختلط بالقيم الذاتية و النفعية. فالكثير من المذاهب الفكرية و الاجتماعية و الدينية تحمل في بداية تكوينها مبادئ مثالية سامية تسعى لتحقيق الرفاهية للطبقات المسحوقة ضد الطبقات المتنفذة و الحاكمة. و ما ان يتم لها الغلبة حتى تطفح الغرائز المكبوتة في اللاوعي لاحتكار السهم الاكبر من السلطة و الرفاهية و تعود دورة البؤس على الجماعات التي ناضلوا هم من اجلها. و بينما يكون الفقراء هم الشعار الذي تحمله هذه المذاهب و التيارات الفكرية، الا انهم يعيشون على الامل دون ان ينالوا منهم شيئاً. يحصل ذلك في الثورات و الانقلابات السياسية و العسكرية خصوصاً في العالم الثالث. حيث تنال النخب منافع السلطة تاركة القاعدة الاجتماعية في دائرة الفقر و المرض و التخلف⁽²⁾.

الواقع و اليوتوبيا

هذه هي دورة اليوتوبيا التاريخية/ الزمنية في الولادة و الموت و الانبعاث. اذ تحمل الثورة بذور التمرد على السلطة القائمة رافعة شعار المساواة و المبادئ المثالية ضد الایدولوجية القائمة. و ما ان تصل الى السلطة حتى تقوم بنفس الدور الذي قامت به النخبة الحاكمة. معلنة موت المثالية التي ولدت معها و بذات الوقت تمنح الفرصة لولادة يوتوبيا جديدة مناوئة للایدولوجيا الجديدة «وهي اليوتوبيا الاولى التي تحولت الى سلطة مستبدة» لتمارس نفس الدور الاحتجاجي الثوري للاطاحة بها.

(1) سورة الدخان: 25-28

(2) ما يحصل في العراق من تكالب على السلطة بعد سقوط نظام البعث ربيع 2003 و الاهمال المتعمد من قبل اغلب السياسيين لمصالح الشرائح التي انتخبهم و ساعدت في الحصول على مناصبهم في البرلمان و الحكومة مقارنة بالمنافع و المكتسبات الهائلة التي يحصلون عليها، تنهض دليلاً على تحول الطبقة السياسية المعارضة التي تنطلق من آلام و معاناة الكادحين و المقهورين الى طبقة مستبدة بشكل رمزي. حصل ذات الشيء مع بعض الشعوب العربية التي تغيرت انظمتها بفعل ثورات الربيع العربي. ففي نيسان 2012 شهدت العاصمة تونس بعد ثورة الياسمين التي اطاحت بحكم زين العابدين بن علي تظاهرة كبيرة بسبب توجه اعضاء البرلمان لتشريع امتيازات و منافع خاصة بهم و اهمال حقوق الشعب.

وهناك دورة اليوتوبيا الزمانية⁽¹⁾ التي تختلف عن السابقة بكونها غير متحولة وتناى عن النفعية والذاتية. كما انها تكسر التاريخ لتعيش في الزمن المقدس. وتخرق الزمن العادي عن طريق الطقوس الدورية. واليوتوبيا الزمانية تجري على مسار واحد مستقيم لا يتكرر ومتشدد في استقامته لا يتفاوض مع الطبيعة البشرية أبداً خاصة مع اللاوعي. ولذا فانها واجهت قمعاً شديداً من قبل الأخيرة تمثل في مجازر دموية رسخت احداثاً تاريخية صادمة لتصوغ الوعي التاريخي الجمعي كما حصل مع الانبياء وأتباعهم.

لا تستمر اليوتوبيا التاريخية في مسار مستقيم، بل تتعرض الى الكسر والانحناء الذي يتجه بها الى الوراثة كي تكون دائرية تعاني من الهرم والموت ثم الانبعاث من جديد. وذلك بسبب تسلط الطبيعة البشرية في جزئها اللاوعي على العقل فيحوّل المسار المستقيم الى منحني دائري يعصف بالمثّل التي كانت تقوم عليها اليوتوبيا .

ان ما يحدث في دورة اليوتوبيا الزمنية هو انفلات الوحش الغرائزي الذي يرثه الانسان منذ امد بعيد من اساره وقيوده التي كبلته بها الاعراف والقوانين والتعاليم الدينية كما ترى نظرية يونغ⁽²⁾. فما ان يرى الثائر العادل نفسه في السلطة حتى ينقلب على الناس ليشبع نهم وحشه الذي يطالبه باستمرار بحاجات تقف بالضد وما اكتسبه سابقاً ضمن الاطر الاجتماعية الكابتة.

انقلابه على الناس يتخذ اشكالاً عدة منها الاستبداد السياسي كالاضطهاد والقمع، واشكال متنوعة من الاستبداد الرمزي كاحتكار السلطة وتوزيع المناصب على المقربين واقصاء الكفاءات [الفساد الاداري]، الاستئثار بالمال [الفساد المالي]، الترفع عن المحتاجين، التخلي عن المبادئ التي ثار من اجلها .

من يلاحظ الاحزاب العراقية التي كانت معارضة لنظام صدام بعد سقوطه يدرك المستوى الذي تلعب فيه أفكار اللاوعي الجمعي دوراً في سدّ المنافذ امام الأفكار السامية. فهذه الاحزاب والاسلامية منها بوجه خاص كانت تحمل بذور الثورة ومبادئ العدل

(1) التفرقة بين مفهومي الزمن والزمان إجرائي وليس لغوي لغرض توضيح بعض المفاهيم الثنائية او الملتبسة. فالزمن هو هذا الذي نعيشه بالساعات والايام والقرون، اي انه معروف ومؤرخ. بينما الزمان مفتوح من جهتي البداية النهاية ولا يُعلم بالدقة تاريخها.

(2) جل مؤلفات كارل يونغ تشير الى هذا المعنى، اي وراثته الانسان المعاصر لللاوعي الجمعي من سلفه القديم، يمكن الرجوع الى أشهرها وهو كتاب، الانسان ورموزه.

ورفاهية الشعب، لكنها اصبحت تتهاوى على مقاعد الحكم والسلطة بشكل غريب جداً. واصبحت تتعامل بمبدأ الشك البدائي ضد الاحزاب الأخرى وتحاول ان تستحوذ على السلطة ولو على حساب القيم التي كانت تؤمن بها.

لم يكن أهداف المعارضة الوصول الى السلطة بقدر ما كانت تريد تحرير العراق من نظامه الشمولي، وما ان رحل صدام بحرب الخليج الثالثة المسماة حرب تحرير العراق، حتى اصبحت هذه الاحزاب في طور تقاسم السلطة، وقام كل طيف وطائفة بالمطالبة بحقوقه في الحكم. ومن يصل الى المنصب يقوم بحصر الوظائف والمناصب للمقربين منه كي لا تصل إليها باقي الطوائف والاحزاب.

وصل احد رؤساء الاحزاب الاسلامية المتنفذة الى منصبه الكبير في الدولة في الانتخابات بعد ترشيح كتلته له. وفي الانتخابات التالية أُعيد ترشيحه، إلا انه اصطدم بمعارضة بعض القوى السياسية. لكنه صمد طويلاً بتشبته بالسلطة قبل ان يتم اذعانه لرغبات الكتل المناوئة التي لا تقل طمعاً في السلطة. ثم فشل في الترشيح لرئاسة حزبه بعد ان أوكل الأمر الى شخصية سياسية منافسة. واخيراً قام بالترويج لحزب جديد ومبادئ لا تختلف عن المبادئ الأصلية التي تقول بها جميع الاحزاب ومنها حزبه الأصل.

سياسي آخر من حزب اسلامي معروف ازاحته كتلته من منصبه الرفيع في الدولة فهرع يشكّل حزباً جديداً له كي يدخل حلبة السلطة من جديد بالمبادئ الكلاسيكية المثالية. وسياسي آخر فشل في الوصول الى منصبه فتحول الى معارض شديد للحكومة الجديدة ومنهم حلفائه القدامى في المعارضة العراقية.

أصبح السياسي الجديد محباً لاشباع نهم الوحش الداخلي المحب للسلطة، والكل ينادي بوحدة العراق ارضاً وشعباً وتحقيق العدل والمساواة. ولم ينل العراقيون من هذه الشعارات سوى الدمار والخراب.

وقد تشكّلت من المعارضين القداماء طبقة مرفهة مترهلة تحيط كل فرد منهم حاشية تحميه وتتملّق إليه بينما لا يزال العراقيون يعيشون نفس المأساة القديمة. وهم يجأرون بالدعاء الى الله على الطريقة الخلدونية منذ أمّ بعيد ان يمنحهم الطمأنينة في ظل سياسة عادلة.

رجال المنابر يقولون للشعب بان هذه العدالة لن تتحقق إلا بظهور المخلص الأخير! لذا لن تكون هناك حاجة لإصلاحات سياسية اجتماعية مادام المهدي غائباً. واستغل السياسيون هذا الأمر للانتفاع على حساب المجتمع .

من المتعارف عليه الآن في الشارع العراقي ان رجال السياسة لا يتذكرون الناس إلا أوقات الانتخابات وينسونهم بعد الفوز بها. الغريب حقاً ان صعود السياسي للسلطة مرهون بادلاء الناخبين باصواتهم لترشيحه بنفس الطريقة التي حللها بورديو. أي ان حياته السياسية متوقفة على اصوات الشعب وكأن هناك تسوّلاً أو تملقاً للشعب لأجل الموافقة على ان ينتخب السياسي، على ان يفي بوعوده ويرد الجميل لمن ساهموا برفعه الى تسنم المنصب. وما يجري هو العكس، فساسة العراق اليوم يعيدون عن تحقيق آمال الناخبين لانشغالهم بتحقيق منافعهم. ولا يكتمل نصابهم في مجلس النواب الا في اوقات التصويت على القوانين التي تخص منافعهم، فضلاً عن الامتيازات الهائلة التي يتمتعون بها والتي تفوق ما تُخصص لاقرائهم في بقية دول العالم، وفضلاً عن ان قسماً منهم ساهم بشكل مباشر في فساد مالي واعمال ارهابية ادت الى افقار البلاد وادخاله في حال من الهلع والخوف.

في رواية مزرعة الحيوان لجورج اورويل يوجد هذا المعنى بصورة رمزية، حيث يتحول المستضعفون اصحاب المثل العليا بعد ثورتهم على النظام المحافظ الى طغاة مستبدين بعد ان حملوا مبادئ العدل التي اطاحت بالجلالوزة. تأويل الرموز الخفية التي تتضمنها رواية اورويل بوضع الخنازير والخيول والدجاج بدلاً من البشر هو اشارة مذهلة الى ان التنازع على السلطة يمثل صراعاً حيوانياً لا تنفع معه المثل العليا لانه يستخدم الوحش الغرائزي الكامن في اللاوعي الجمعي.

اراد اورويل ان يفهمنا بطريقة مراوغة حقيقة الطبيعة البشرية التي تتصارع فيها قوى الواقع الاجتماعي / التوبيا مع قوى المثل / اليوتوبيا التي تتراجع بسبب ارتباطها العلوي.

في اليوتوبيا رؤية فوقية عمودية لا تتلائم كثيرا مع الطبيعة البشرية وتنتهي بالآم. لكن التوبيا او الواقع قريب من تناول البشر وبامكانهم التكيف له بسبب النظرة الافقية. مقابل ذلك تبقى اليوتوبيا ثورة كامنة في نفوس المستضعفين او كنموذج مثالي حسب تعبير فيبر

يستلهموا منه روح الثورة متى ما حانت الفرصة لان الطبيعة البشرية لها ميول نحو التشبث بالحرية والتمرد على السلطة المتسلطة التي تحاول سلبها.

بالعودة الى هيجل، فانه قد اقرّ باهمية وفاعلية الابطال ورجال التاريخ، ولكن هؤلاء بنظره ليسو هم الموضوعات الحقيقية للتاريخ. انهم ليسوا الا منفذي ارادته و«وسطاء الروح العالمية» وهم ضحايا ضرورة اعلى تقوم بعملها الخاص من خلال حياتهم، فهم لا يزيدون عن ان يكونوا ادوات للتقدم التاريخي⁽¹⁾.

العقل المطلق او الروح العالمية التي جاء بها هيجل لنقل التاريخ من حيز السرد وقيوده الى حيز فلسفة التاريخ يمكن مقارنته بمستوى آخر من التأويل - بالقوة الخفية «المانا» التي كانت موجودة في الاشياء والطبيعة عند الاقوام البدائية وديانتها الطوطمية.

وفقا لدوركايم فان الطوطمية ليست دينا يتعلق بحيوانات ما او صور ما. انما الطوطم يتعلق بقوة مشخصة توجد في كل واحد من هذه الكائنات. ومع ذلك لا يوجد هناك خلط فيما بينها. انها مستقلة عن الذوات الخاصة التي تتجسد فيها وتعمل كما لو انها تبقوهم احياء. يمكن القول إن هذه القوة هي الاله الذي يعشق كل عقيدة طوطمية. هو اله لا شخصي بلا اسم بلا تاريخ، متاصل في العالم ومنتشر في تعددية من الاشياء غير قابلة للحصر. ومبدأ المانا الطوطمي عبارة عن قوة. وتعبير قوة يستخدم هنا بمعنى لا يتضمن اي مجاز. انه يولد تيارا محثا ذا تاثيرات مادية مباشرة مع ذلك الذي يتصل به. وبشكل خاص فهو يشكل قوة معنوية هائلة فيربط الافراد الواحد بالآخر داخل الجماعة ويجبرهم على العمل بطريقة محددة وبذا يعد مصدر الحياة الاخلاقية للجماعة. وهيمنة هذه القوة كبيرة لدرجة انها عادة ما تتجسد في اشخاص وعبر هؤلاء الاشخاص تتحول الى الوهية حقا⁽²⁾.

ان سلوك الانسان «البدائي» ليس رهناً بارادته هو بل بارادة تلك القوة الخفية التي يجهلها تماما. والايان فيها ضروري داخل الجماعة لانه يحث على القيام باعمال لا بد ان تصب في مصالحها كالقتال والصيد... وعدم الامثال يؤدي الى احلال اللعنة الدائمة به

(1) ماركوز: المصدر السابق 232

(2) دانييل هيرفيه واخرون: سوسولوجيا الدين، ترجمة درويش الحلوجي، المشروع القومي للترجمة، مصر،

، كما لا يستطيع الفرد مقاومة تأثير هذه القوة لانها متغلغلة في جميع الاشياء. ومهما هرب فان مصيره الذي قدرته عليه قوة المانا لا بد وان يلاقه. وهي عين ما يقصده هيجل بان العقل المطلق يمارس تأثيرا خفيا تذلل له ارادة الانسان.

فارادة التاريخ ليست ارادة ابطاله، بل هؤلاء ومجتمعاتهم طوع ارادة العقل المطلق الذي ابتكره هيجل، وهو مفهوم مبهم يشبع التأمل الفلسفي لكنه لا يمنح القناعة الكافية عند التأمل سوسيولوجيا، فعالم الاجتماع لا يعرف كينونة وماهية هذا العقل المطلق غير المحدود الذي يتحكم بارادة الجميع ولا يعلن عن نفسه!

ان الظاهرة التاريخية هي ظاهرة اجتماعية يشترك فيها فاعلين اجتماعيين تكون ادوارهم واضحة المعالم مع وجود اتباع لهم بادوار اقل وآخرين لهم فاعلية في صنع الحدث ولكن سلب منهم الفعل التاريخي بسبب التهويل الذي يصنعه المجتمع على ابطال التاريخ.

وربما بدت الروح العالمية او العقل المطلق اقرب الى الفهم الديني منه الى الاجتماعي لان هيجل يسبغ عليه سمات القوة الالهية المسيطرة. وهكذا فإن «قانون التاريخ الذي تمثله الروح العالمية يمارس تأثيراً من وراء ظهور الافراد وفوق رؤوسهم على شكل قوة مجهولة المصدر لا يمكن مقاومتها. فالانتقال من الحضارة الشرقية الى حضارة العالم اليوناني وظهور الاقطاع واقامة المجتمع البرجوازي كل هذه التغيرات لم تكن عملاً قام به الانسان بحريته، بل هي النتائج الضرورية لقوة تاريخية موضوعية»⁽¹⁾.

النموذج الامثل على ذلك ما نجده في اعجاب الساسة الامريكان بنظامهم الديموقراطي الى الحد الذي يعقدون الصلة بينه وبين اليد الخفية التي تدير الكون. فهذا النظام هبة سماوية منحها الرب للشعب الامريكي «المختار» الذي ستقع على عاتقه مهمة تصديره الى باقي الامم بعملية تشبه الى حد كبير رسالات الانبياء. والنص الذي خطب به الرئيس الاول جورج واشنطن يؤكد هذا المعنى: «لا يوجد شعب يقر ويعترف ويعشق اليد الخفية التي تسر امور البشر اكثر من شعب الولايات المتحدة، فكل خطوة تقدم بها نحو اقامة امة مستقلة تبدو متميزة برمز دلالي يشير الى العناية الالهية»⁽²⁾. وردد روزفلت ما يشبه مثل هذا الخطاب المؤثر، اما جون كيندي فاشار الى المهمة الرسالية للشعب الامريكي بروحية

(1) ماركوز: مصدر سابق، ص 232

(2) جيكو موللر وفاهر نهولتز: الصراع على الله في امريكا، ترجمة معين الامام، دار العبيكان، 2008، ص 35

العقل المطلق الهيجلي: «التاريخ بوصفه الحكم النهائي على افعالنا، دعونا نتقدم لقيادة الارض التي نحب، ونسأل بركته وعونه تعالى، مع معرفتنا بان عمل الله هنا على الارض يجب ان يكون عملنا»⁽¹⁾. ولذا فالمجتمع الامريكي ومن ورائه الرؤساء يجدون انفسهم كأمة منتصرة حتماً لان الله يقف الى جانب القوة المهيمنة. فهم ارادوا تثبيت التاريخ بالشكل الذي تبقى امريكا هي اللاعب الاكبر والمسيطر حتى تطورت الفكرة اخيراً في كتاب فوكوياما: نهاية التاريخ، الذي نظر فيه افعال حركة التاريخ بانتصار الديموقراطية الامريكية والنظام الراسمالي والسوق الحرة بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي الخضم الألد لامريكا.

ان كلمة روزفلت «امركة العالم قدرنا»⁽²⁾، موحية لهذه العقيدة الفلسفية التي تتحرك بروح عالمية تضمن الهيمنة للطرف القوي في لعب دور «السيد» المؤيد من الله لانقاذ البشرية التي تعيش في حالة من التخبط والجهل. لذا يجد القوي مبرره في الغزو واستعمار البلدان الضعيفة بدعم لاهوتي يؤيد شرعية التوسع الامبريالي وحتميته لان «هذه الغاية العظيمة يراها الله»⁽³⁾.

ومفهوم «السيد» في العرف الهيجلي ليس الذي يأمر فيطاع كما في لاقطاعات القديمة، بل هو ذلك المغامر الذي يجازف بحياته ولو كان بوسائل الطيش والتهور لانجاز التغيير الحتمي. بكلمة اخرى السيد هو البطل الذي يزحف باتباعه نحو تأكيد منطق الاصطفاء الالهي للشعب. ان عصب الحكمة الهيجلية هو «البرهان الاعلى على طريق الموت. لقد اعطى السيد هذا البرهان بمجازفته بحياته، والعبد يعرف نفسه كعبد برفضه هذه المجازفة»⁽⁴⁾.

والمجتمع الامريكي بات مقتنعا بالقدر الروزفيلتي الذي اصبحوا فيه سادة العالم الجدد والشعب المختار لتنفيذ المشيئة الالهية في المجتمع الانساني المعذب. ان الله «غربل امة بكاملها ليستطيع ارسال افضل حبوبها» كما فعل للعبرانيين⁽⁵⁾.

(1) نفسه: 37

(2) ميشيل كورنمان وموريس رونال: ايدولوجيات الاقليم، ضمن كتاب: تاريخ الايدولوجيات، تحرير فرانسوا شاتيليه، ج3، ترجمة انطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1997، ص 261

(3) نفسه: 268. تقول احدي الخطابات (أمرك: ان هذه المهمة الموكلة الى الشعب المختار هي، في الوقت نفسه، التشريع في شؤون العالم، «كل مواطن حر في الامبراطورية يجب ان يعد نفسه مشرع نصف البشرية»). نفسه ص 269

(4) اندريه غلوكسمان: ايدولوجيات التعايش، (فرانسوا شاتيليه، المصدر السابق نفسه، ص 343).

(5) ميشيل كورنمان: مصدر سابق، ص 269

وما دام الله متدخلًا في السياسة وهو الذي فوض للاقوياء مهمة الانقاذ، فهو سيرضى بالطريقة التي ستمارسها هذه القوة لأجل الحصول على الخلاص النهائي حتى لو أدى ذلك الى الفوضى، وهذا التعبير الأخير هو ما اصطلحت عليه السياسة الامريكية بعد غزو العراق بالفوضى الخلاقة، بينما تعود اصوله الحقيقية الى فلسفة هيغل. يذكر اندريه غلوكسمان ان هيغل اول من طرح معادلة: التدمير = البناء. فالتدمير المحتمل للارض يصبح نقطة الانطلاق للتنظيم العقلاني⁽¹⁾.

تبرير برجوازي: دهاء العقل

ولهيغل تبرير برجوازي يحاول فيه تسويغ تضحية الفرد والمجتمع بالسعادة النهائية، وهي محاولة ضمنية لتسويغ التسلط بتبريره وهو ما اطلق عليه هيغل «دهاء العقل». والعقل المقصود هو العقل الكلي، اذ مع ان التاريخ هو «المذبح الذي تضحي عليه سعادة الشعوب وحكمة الدول وفصائل الافراد» فان هيغل يشيد في الوقت ذاته بتضحية الفرد وبالسعادة العامة التي تنجم عنها. «فالافراد يحيون حياة تعسة، ويشقون ويهلكون. ولكن على الرغم من انهم لا يبلغون اهدافهم ابدأً، فان الاسى والانهمام الذي يعانونه هو ذاته الوسيلة التي تستخدمها الحقيقة والحرية في سلوك طريقها. فالانسان لا يجني ابدأً ثمار جهده، بل ان الاجيال المقبلة هي التي تجني هذه الثمار دائماً»⁽²⁾.

(1) اندريه غلوكسمان: مصدر سابق، ص 342. وافضل كتاب طرح كواليس نظرية الفوضى الخلاقة حسب المعادلة الهيكلية هو (عقيدة الصدمة) لنعومي كلاين. وانسياقاً مع معادلة التدمير = البناء لهيغل، يرى مثقفون عراقيون وعرب بان لدى امريكا الحق في ممارسة هذا التدمير للوصول الى خلق جديد من المجتمعات والقضاء على الحكومات المستبدة والمنظمات الارهابية. يقول هؤلاء ان «كارثة 11 سبتمبر 2001 التي قامت بها منظمة القاعدة الارهابية بضرب امريكا في عقر دارها كان لها دور ايجابي في حماية البشرية من الارهابيين وشورورهم.. ودفع العملية الديموقراطية الى الامام في دول الشرق الاوسط». وعلى افتراض ان تلك الحادثة كانت من صنع امريكي، «ألم ينتج عن هذه المؤامرة خير عظيم مثل القضاء على حكم طالبان الديكتاتوري، وتخليص العراقيين من ديكتاتورية نظام صدام حسين». (انظر كتاب احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 كما يراها مفكرون وكتاب عرب، تحرير احمد ابو مطر، دار الكرمل، 2007، ص 35، ص 65). وهذه القضية بالذات تكشف لنا عن تساؤل مهم وملغز موحى من نعوم تشومسكي: لماذا تدعم السياسة الامريكية الانظمة الديكتاتورية ثم تنقلب عليها؟ من الواضح ان بقائهم كان يصب في صالح السياسة الامريكية حتى مع علم هذه السياسة ان المستبد يقوم بابادة شعبه كما فعل صدام حسين، وتنقلب عليه لغاية تصب في مصلحتها ايضاً (انظر نعوم تشومسكي: الهيمنة ام البقاء، السعي الامريكي للسيطرة على العالم، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، 2004، الفصل الخامس)

(2) ماركوز: مصدر سابق، ص 232

والدهاء كيفما كان غرضه يعد انحرافاً عن المعايير السائدة وصفة مذمومة لا تتفق والاستقامة الخلقية. لكن فكرة هيغل جاءت حسب تعبير كاسيرر بـ «إعادة تقويم كامل للقيم، وعكس لكل المعايير السابقة... فقيم الاخلاق امر قد يصدق على الارادات الفردية، ولكنه لا يصدق على الإرادة الكلية للدولة. ولو صح القول بوجود اي واجب مفروض على الدولة، فهو واجب المحافظة على ذاتها»⁽¹⁾.

بمثل هذه الافكار والتصورات تندفع النظم الدكتاتورية لتبرير طغيانها ببنائها لوعي زائف بين الجماهير يشير الى أنّ سعادة ابناءهم هي من سعادتهم، ولا يسعد الابناء الا بتضحية الآباء! حيث يتم سوق الفقراء والمغفلين الى محارق الحروب والصراعات السياسية.

يعد هتلر ابرز الورثة المخلصين لفكرة هيغل عندما نادى بفراة وتميز العرق الآري على باقي الاعراق بوصفه «سيد الكائنات الحية، مؤسس الحضارة، السيد المطاع، العرق المتفوق...»⁽²⁾. ما سوغ له إبادة اليهود في المحرقة وغزو اوربا في حروب طاحنة جعلت منه مثلاً صارخاً للطغيان في القرن العشرين.

(1) ارنست كاسيرر: الدولة والاسطورة، ترجمة محمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص 351.

(2) ادولف هتلر: كفاحي، ترجمة لويس الحاج، دار بيسان، ط2، 2009، الفصل العاشر. كما زعم هتلر بان العناية الالهية دعت لتخليص العالم من شر الشعب اليهودي الملوث. (جيكو مولر و فاهر نهولتز: مصدر سابق: 39). تجدر الاشارة الى ان فكرة المركزية العرقية او التعصب العرقي لها جذورها في الجغرافية السياسية على يد احد روادها الالماني راتزل الذي يرى بان «على الالمان الذين ولدوا مستعمرين ان يوحدا دولتهم التي مازالت اتحادية وان يقضموا من الجيران ليتوسعوا في اوربا وان يصنعوا لانفسهم مكانا في السوق»، ومن تناول هذه الفكرة بتطرف هو الجنرال والاكاديمي هاوسهوفر الذي وضع المانيا في مركز الارض. وبعد ان تعرف هاوسهوفر بهتلر وزيارته له في السجن، اصبحت الجغرافية السياسية الآرية عقيدة الحزب النازية وضمير سياسة الدولة (ميشيل كورنمان وموريس رونال: مصدر سابق، ص 279 - 282). بينما يقول غي كار ان كارل ريتز استاذ التاريخ والجغرافية السياسية والذي عاش بين 1779 و 1859 هو الذي وضع مخططا اعلن فيه ان باستطاعة العرق الآري ان يسيطر على اوربا والعالم، وذلك رداً على البيان الشيوعي لماركس وانجلز. (غي كار: اليهود وراء كل جريمة، دار الكتاب العربي، ط2، 1982، ص 45). ومن المفارقات الثقافية التي تدعو للتشبه بنظرية المؤامرة هو ان اليهود او الحركة الصهيونية هي التي جاءت بهتلر زعيماً لالمانية، وهي التي حرصت على اثاره الشعب الالماني ضد اليهود، كما ان مجمع حكماء صهيون لم يجد بأساً من التضحية بمئات الالوف من اليهود يكون مصرعهم ركيزة دعاية واسعة تمضي مؤامرتهم في ظلها الى هدفها المرسوم. (انظر: غي كار: المصدر السابق، مقدمة الناشر ص 6). ومن علق على هذا الكتاب هو خير الله طلفاح خال صدام حسين، في وقت تنامت فيه الروح القومية والعروبية ضد العرقيين اليهود والفرس اثناء الحرب العراقية الايرانية، خصوصاً بعد ضرب اسرائيل للمفاعل النووي العراقي، وشيوع فكرة ارتباط ايران باسرائيل في صفقة ايران غيت، ومجازر صبرا وشاتيلا... والسؤال الاشكالي هنا: اذا كان العرب يعرفون ان عدوهم اللدود اليهود - يقود هذه المؤامرات والجرائم ضدهم، لماذا لم يكونوا اذكي منه ويتصدون لمؤامراته؟

وإذا ما عبرنا الى الضفة الجنوبية من العالم الامريكى سنجد ان المجلس العسكري الذي حكم الارجنتين كان مسؤولاً عن مقتل 20 الف مواطن في ما يعرف بالحرب القذرة لدى اجتياحه جزر الفوكلاند سنة 1982 .

اذ استند زعماء المجلس على خرافة وجود مؤامرة طالت اليهود وعناصر اخرى تسعى الى تدمير الشعب الارجنتيني الذي يمثل بنظرهم النبل والشهامة، وقد اثرت هذه الخرافة حتى على الجهات المعارضة لدكتاتورية الحكومة العسكرية، فاصبحوا فجأة يشيدون بالمعنويات العالية والمهارة التي يتحلى بها قادة الجيش. وأدى الهوس القومي بالشعب ان ينسى قضية الاصلاح الذي كافح من اجله، ويتحول الى مؤيد للحرب وحكم العسكر. لقد اذعن الجميع لسلطة الدولة⁽¹⁾.

يقول الصحفي كرس هدجز الذي رافق تلك الاحداث عن كذب: «ان كل مجتمع يخفي في طياته نزعة قومية عارمة تبرز في حالات الحرب وتأخذ طابع النشوة التي تخفف من (القلق من المجهول) القابع في وعي الانسان الفرد، وحيانا تلغي هذا القلق. وهذا يؤدي الى تخلي الفرد عن مسؤولياته تجاه مشروعية الاعمال الجماعية ومدى اخلاقياتها»⁽²⁾.

ولكن كيف يتحول المعارضون لحكم مستبد الى موالين له اثناء الازمة؟

يمكن القول بان الدولة تجري عملية صلح مؤقت مع معارضيتها بطرح فكرة فوقية على شكل خرافة لها جذور تراثية يتم تصديقها من قبل الجميع لتحقيق مصلحة الدولة وشرعيتها في السلطة. وعادة ما تكون الخرافات والاساطير ذات شقين: الاول اسطورة تفوق الشعب، العرق، الدين على غيره. والثانية هي وجود عدو يترصد لهذه المكونات ويهدد وجودها. لذلك تشتد حاجة الطغاة الى هذين الامرين في اوقات الحروب والازمات التي تهدد مواقعهم.

ورغم ان الاساطير الاجتماعية التي تؤسس لثقافة الشعب معروفة للجميع، الا ان السلطة تعمل على تلوينها بلون جديد يتلائم والمرحلة التي تمر بها. اي انها تضفي على الاسطورة منحىً ايدلوجياً لتمريها وتثبيت مركزية السلطة. وتقوم الاجهزة الايدلوجية

(1) كرس هدجز: الحرب، حقيقتها وآثارها، ترجمة ايمن الارمنازي، الحوار الثقافي، ص 64-65.

(2) نفسه: ص 65

كالاتهام والمؤسسة الدينية باقناع البشر بمثل هذه الاساطير. عندها ينعدم الفكر النقدي لسيطرة افكار عامة حول أحقية الطرف المهيمن ويصبح من الصعب تحويل مسار الفكر بشكل معاكس، ذلك ان الاسطورة اصبحت تستند على قوتين: قوة النخبة المسيطرة في الدولة (او الدين والعرق)، والآخرى مستمدة من المجتمع الذي يؤيد وجودها لانها كما يقول ريكو تعد «رموز تأسيسية»، حتى لو كانت مؤدلجة.

«يستدعي شن الحرب الكذب على الجماهير وهو شيء تمارسه معظم الحكومات وبخاصة في اوقات الحروب العصبية». حيث تركز الدولة على تصديق الشعب لاهام بدون ان يعي التناقضات التي وراءها، مثل اوهام: حماية الأمة، تحرير الكويت، الحرب على الارهاب. ويصبح من الصعب انصاف الطرف الآخر والاعتراف بالذنب⁽¹⁾.

والجماعات في اي مجتمع عرضة للاختلاف والانقسام بما قد يهدد وجودها. وهنا تشتد الحاجة الى ظهور البطل المخلص الذي تستعيد الجماعة بفضل هويتها ووحدتها. وبامكان الجهات المعارضة والمختلفة نسيان همومها لاجل تحقيق هذا الهدف. وكثيرا ما يستغل البطل ظروف الاختلاف ومشاعر الجماهير المطالبة بالتوحد لخلق اسطوره وتهويل شخصيته ومن ثم استبداده على الرقاب.

الاصوليات الدينية

ان فكرة تضحية الفرد من اجل المجموع لتحصيل الخير العام لا تقتصر على الاطر السياسية والعرقية وحسب. فذات الفكرة تُستغل من قبل رؤساء بعض الجماعات والطوائف الدينية ذات الميول الاصولية. وتطرح الفكرة على النحو الآتي: سعادة الناس في الآخرة تتوقف على تضحياتهم في الدنيا. وكلما ضحوا في الدنيا درجة ارتفع نصيبهم في الآخرة درجات. ويتم غسل ادمغة المريدين بسبب التهويل الذي اصطنعوه لشيخهم او اميرهم.

من الجماعات القديمة التي عملت بهذه الفكرة هي جماعة الحسن بن الصباح الذين اشتهروا باسم «الحشاشين» فقد تكونت هذه الجماعة المارقة بتأثير من رجل هامشي افتقر الى الموطن والجماعة التي ينتمي اليها وابتدع بعض التعاليم التي تحث على طاعته والانضواء تحت لوائه، والسبل التي اتبعها ابن الصباح تشبه الى حد كبير عمليات غسل

الادمغة، لان طاعة اتباعه كانت تفوق كل وصف، فقد يلقي احدهم باشارة بنفسه من شاهر فيدق عنقه او ان يتصدى لرجل في الطريق فيقتله دون ان يهاب العقوبة او القتل⁽¹⁾.

ومن هذه الجماعات المضللة، الحركة السرية العالمية المعروفة باسم «الجمعيات الماسونية» التي تستخدم اساليب الترغيب والترهيب بصورة بشعة يسردها احد المريدين في «حفلة التكريس»:

«.. وقبل ان ادخل اغمضت عيناى واخذونى الى غرفة، ثم رفعت العصابة عن عيني فوجدت نوراً ضئيلاً، وقال لي الكفيل: انتظر هنا وتفكر بالابدية. هاك الهيكل البشري، ثم عاد وسالني: هل انت مستعد لملاقة الشدائد، ثم اخذ منى كل ما معي من الدراهم وخرج، ثم حضر غيره وعراني من سترتي ورفع لي «بنطلون» الرجل السيري حتى الركبة وشمر عن ساعدي الايمن وكشف عن عنقي وصدري وربط عنقي بحبل، ثم حضر كفيلي واغمض عيني وقادني مسافة واوقفني وشعرت ان سيفاً مسلولاً على عنقي، وقيل لي بماذا تحس؟ قلت بشبه سيف، قال الرئيس: افهم ايها الطالب ان هذا السيف يهدد حياتك اذا لم تكن مستعداً لكتم الاسرار، ثم ساروا بي سفرات الثلاث. اسمع من خلالها صلصلة سيوف ثم القي عليّ سؤالات صيبانية ثم سقيت خلاً ثم اقتادوني الى باب وامروني ان اقرعه ثلاثاً واطلب الاندماج في مصاف ابناء الارملة ثم طهروني على زعمهم بغسل يدي بماء ملتبهة وامروا على زندي مبظعاً كانهم يفصدونني ثم يكونوني بالوسم الماسوني⁽²⁾..».

ومما يزيد الامر اهمية هو اتصال الماسونية بالاستعمار لان الماسون الاول والبانى الاكبر يتمثل في ملك او ملكة انكلترا مما يوضح الصلة بين اليهودية والاستعمار لضمان عمل مشترك بينهما يهدف الى استغلال خبرات العديد من بلدان آسيا وافريقيا واوربا اللاتينية عن طريق اتباع العديد من رجالها تحت تأثير «الصدائة الماسونية» التي تغويهم اولاً فاذا انزلت اقدامهم صعب عليهم التراجع. لذا فليس مما يدعو الى الغرابة ان يصدر بلفور تصريحه المشؤوم لان هذا البلفور كان ماسونياً اولاً ووزيراً لخارجية بريطانيا ثانياً. فهو والحالة هذه خاضع لما يصدر اليه من اوامر واهواء قد تسبب في القضاء على وطن وتشريد اهله⁽³⁾.

(1) متعب مناف: الواقع الفكري والمجتمع العربي الجديد، مطبعة العامل، 1966، ص: 14، كريستوفر رويتر: جسدي سلاحاً، انتحار ام استشهاد، ترجمة فاطمة نصر، دار سطور 2005، الفصل الاول.

(2) سيف الدين البستاني: اوقفوا هذا السرطان، حقيقة الماسونية واهدافها، دار الايمان، «د.ت»، ص 47.

(3) ن.م: 164 146 وانظر مناف: المصدر السابق: 148 - 149

لقد انتظمت جماعات اسلامية متطرفة للقيام بنفس الدور مستغلة اسم الاسلام كغطاء لترويع المجتمعات الامنة بالارهاب بحجة محاربة الصليبيين واليهود والمرتدين من المسلمين. فالتنظيمات الجهادية (القاعدة، داعش، جيش الطريقة النقشبندية..). تغري اتباعها بالجهاد في سبيل الله، وخاتمته النصر او الشهادة كما في الاسلام الاول. ويستعملون اساليب خطابية واصوات جهورية لشدّ الهمم ودفع الشباب بحماسة الى قتل انفسهم بالاحزمة الناسفة بين اوساط المدنيين. ولم تقتصر اعمالهم على طائفة بعينها بل تشمل جرائمهم كل من يخالفونهم في العقيدة.

يستند فكر القاعدة على العقيدة الوهابية التي وضعت اسس التكفير وسفك الدم حتى ولو بكلمة، ففي رسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب حكم بتكفير جميع الناس لمجرد كلمة استناداً على قول ابن تيمية: «ان الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل وقد يقولها وهو يظن انها تقربه لله كما يظن المشركون». واتجه عبد الوهاب الى اهل عصره ليحكم بكفرهم ويؤكد على انهم اشد كفرةً من الكفار السابقين اذ يقول «ان شرك الجاهليين السابقين اخف من شرك اهل زماننا بامرین احدهما: ان الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاثوان مع الله الا في الرخاء واما في الشدة فيخلصون له الدعاء .. الامر الثاني: ان الاولين يدعون مع الله اناساً مقربين عند الله اما انبياء واما اولياء واما ملائكة او يدعون احجاراً او اشجاراً مطيعة لله ليست عاصية، واهل زماننا يدعون مع الله اناساً افسق الناس». وحكم بتكفير الشيعة واعتبر بلادهم بلاد حرب حتى «وان كلهم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويصلون الجمعة والجماعة، فلما اظهروا مخالفة الشريعة في اشياء دون ما نحن فيه، اجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنفذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين». وتعدى الامر عند الاخوان المسلمين الى ان يكفروا الوهابيين الاخرين الذين لا يؤمنون بفكرة الهجرة وتكفير من لا يلتزم بارتداء الزي الخاص للاخوان على طريقة عبد الوهاب وهو العمامة دون العقال⁽¹⁾.

وانعكس الدور هذه المرة على جماعات شيعة متطرفة تبنت الولاء لاهل البيت وعقيدة

(1) احمد صبحي منصور: جذور الارهاب في العقيدة الوهابية. ضمن كتاب: احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 كما يراها مفكرون وكتاب عرب، مصدر سابق، ص 115-117

التولي والتبري لدفع الشيعة ضد السنة. أصبح العراق مسرحاً للقتل الطائفي بعد احداث سامراء وتفجير مرقد الامامين العسكريين، وامتدت ايديهم الى الشيعة انفسهم لترويج فكرة المظلومية حتى يعجل الامام المهدي بخروجه لملأ الارض قسطاً وعدلاً. فكانت حركات انصار اليماني وجند السماء وغيرها من الجماعات المسلحة تمارس دون وعي نظرية هيجل في دهاء العقل الذي تنتصر فيه الفكرة بهلاك الحرث والنسل!

رغب هيجل بجدلته في ان ينظر للدولة البروسية الملكية باعتبارها ارقى الانظمة السياسية بتأثير المسيحية مبرراً وجودها بحفظها للحرية الكاملة بفضل كلمة الحق والقانون «ففي الملكية يوجد سيد واحد ولا يوجد أي عبد»، بينما تعاني المجتمعات الشرقية من قمع الحريات بسبب الانظمة الاستبدادية. ولو عاش هيجل فترة اطول لشهد كيف ان تلك المجتمعات التي حفظت «الحرية الكاملة» تحولت الى أتون بث جحيمه الى العالم بفعل اساطير القومية ونقاوة العرق (كما حصل في الحريين العالميتين) او الديموقراطية وحقوق الانسان كما حصل في بلدان الشرق الاوسط (العراق، لبنان، سوريا، افغانستان..).

في حين ان الاسطورة القديمة قائمة على اللاعقلانية وتصور الصراع بين الالهة في عالم لا تاريخي، فان الاساطير السياسية كما يسميها كاسيرر على النقيض من ذلك، قائمة على العقل والصراع التاريخي بين البشر استناداً الى الفلسفة. ويعد هيجل من الممهدين لاساطير الدولة والعرق الاوحد عندما عرض لتفرقة الجادة بين اخلاقيات الدولة واخلاقيات الفرد:

«الدولة هي العقل المطلق ذو اليقين الذاتي الذي لا يعترف باي قواعد مطلقة للخير او الشر او الدناءة او الشعور بالخزي او المكر او الخديعة» كما ان «المصلحة الخاصة للدولة هي اهم عامل، ان الدولة هي الروح التي تعيش في العالم وتحقق نفسها فيه بوساطة الوعي، بينما تقوم الروح بتحقيق نفسها بالفعل في الطبيعة في صورة شيء مغاير لها، أي كروح ساكنة، وعندما نتصور الدولة علينا الا نتصورها في صورة اية دولة جزئية او دساتير جزئية، والاصح هو ان نتصورها في صورة الله والفكرة بعد تحققها بالفعل على الارض، وفي هذا الكفاية»⁽¹⁾.

وقد انقلب السحر على الساحر. ففي الوقت الذي انتصر فيه هيجل للعقل بمثاليته

المطلقة معتبراً تاريخ العالم عملية تعتمد على العقل، ما اثار فيما بعد تلميذه ماركس الذي قلب الجدل الهيكلية رأساً على عقب جاعلاً من المادة / الاقتصاد بناءً تحتياً أساسياً لحركة التاريخ بدلاً من العقل الذي صعد به الى البناء الفوقي، تشاء الاقدار ان تجري الرياح بما لا تشتهي سفن هيكل و ارادت للعقل الذي يسود العالم والتاريخ ان يكون «سبباً في فك قيود اعظم قوى اللامعقولية التي ظهرت في حياة الانسان الاجتماعية والسياسية. فلم يساعد أي مذهب من المذاهب الفلسفية على التمهيد للفاشية والامبريالية بقدر مماثل لما قام به مذهب الدولة عند هيكل. هذه الدولة التي اسماها بالفكرة الالهية كما تتحقق على الارض. وكان هيكل اول من عبر عن الفكرة القائلة بان كل عصر من عصور التاريخ يوجد شعب واحد، واحد لا غير، يعد الممثل الحق لروح العالم، ولهذا الشعب الحق في حكم الاخرين»⁽¹⁾.

تصور هيكل ان الدولة / العقل المطلق ومن ورائها الشعب الممثل للروح العالمية سيحققان العدل وتنشر العقلانية بين الشعوب وتنعم الارض بالخير والانصاف (بحكم العقل). هذه المثالية المغرقة سواء كتبت بقصد سياسي او بدونه لم تجاري طبيعة البشر الذين يتحولون في اتجاهاتهم وافكارهم حسب الاهواء والمنافع الذاتية اذا كان في التوجه الجديد ما يحافظ على الهوية الشخصية، او الجمعية اذا كان فيها ما يحافظ على هوية الجماعة. يقول الامام علي عن ذلك «يميلون مع كل ريح وينعقون مع كل ناعق».

لقد كانت الفضيلة الالهية لعلم النفس هي اكتشافه لقوى اللاوعي وسيطرته الغريزية على الانسان وتحكمه في احيان كثيرة بقوى الوعي، فالحقيقة التي نعدها مطلقة بواسطة الوعي تتعرض الى التجزئة بسبب قوة اللاوعي⁽²⁾. والانسان الذي نعده مثلاً للعدل

(1) ن.م: 362

(2) يضم اللاوعي الجمعي افكاراً سامية بجانب الافكار المتوحشة وكلاً منها ميراث انساني جاءنا عن طريق التطور العقلي التاريخي. لكن الملاحظ ان اغلب ما تستعمله البشرية هو الافكار المتوحشة المدمرة. وتاريخ البشرية هو تاريخ الحروب والصراعات. وقد اشار القرآن الى ذلك بوضوح: «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، قالوا اتجعل من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ... » فلم يتوقف الوحش الانساني القابع في اللاوعي من الظهور التدميري ومحاربة الوعي الذي يحاول ترويضه عن طريق الافكار المثالية اليوتوبية. يصور لنا يونغ ذلك بالقول: ان الدين «المسيحية» شطر الانسان الى نصف علوي ونصف سفلي وتمكن عن طريق كبت الجانب المظلم من ترويض وتاهيل الجانب المشرق الى الحضارة. لكن النصف السفلي المظلم ينتظر الفداء ونوبة ثانية من الحضارة. والى ان يحين ذلك لسوف يظل مرتبطاً بأثار عصر ما قبل التاريخ، بالخافية الجمعية التي تخضع الى تنشيط غريب يتزايد باطراد (انظر كارل يونغ: دور اللاشعور ومعنى علم النفس، ص 18)

والشفقة والرحمة لا يعدو ان يكون متقلباً مروغاً ينسى كل عناوين العدالة عندما ترتفع مكانته الاجتماعية او يستلم السلطة .

هذا هو حال الثائرين والتيارات المثالية التي تنقلب على ايدلوجية السلطة المحافظة بسبب عسفها. فهم يقنعون اتباعهم بان المبادئ التي يناضلون من اجلها هي الحق وما سواها باطلاً. وتعمل اليوتوبيا على تغطية الوعي بغطاء مثالي لا تلبث حقيقته ان تُكشف بمرور الزمن. وفي الوقت الذي ترغب فيه اليوتوبيا بتعرية الوعي الزائف للايدلوجيا، فانها تصبح بالدور وعياً مزيفاً عندما يستلم الثائرون مقاليد السلطة. اذ يتحول اولئك المطالبين بالعدالة الى طغاة يسمون شعوبهم الواناً من الذل والعذاب. وعوضاً عن تحقيق «المصلحة العامة»، يميلون الى تحقيق المصالح الخاصة بهم ومؤيديهم، بينما يمارسون السياسة القمعية على اولئك الذين كانت آمالهم معقودة بالنظام الجديد، حتى خلد التاريخ ذلك التحول بالمثل السائر: الثورة تأكل ابناءها. يمكن الاشارة الى روبسبير ولينين وستالين وجيفارا كامثلة تاريخية على تحول الثوار الى مستبدين، والفضاء العربي فمليء بامثالهم.

ولو اخذنا جيفارا كنموذج سنرى بانه كان ينحدر من اسرة محبة للعدالة ورفض الفاشية، كما علمته ظروفه القاسية ان يتعاطف مع المحرومين والفقراء، حتى انه كان يستطيع المكابدة بدون الطعام لعدة ايام، واتخذ من الفلاحين وقوداً لثورته في كوبا، وكان يرى نفسه مخلصاً لهم، فالبطل المثالي حسب رؤيته «ملاك هاديء سقط لمساعدة الفقير»، بل ان فيلسوف الوجودية الفرنسي جان بول سارتر وجده «اكثر الرجال كمالاً في عصره»⁽¹⁾. لكن بعد نجاح الثورة قل اهتمامه بالفلاح وتوجه نحو العمال ودعا اتباعه الى «التضحية» لإنجاح الثورة ومسيرة التنمية. وقد أخذته نشوة النصر الى ممارسة عبثية في العدوان والإبادة البشرية لمئات من الابرياء لم يكن لهم صلة بالحكومة السابقة، ومنع الاهالي من استلام جثث ابناءها بنفس طريقة خلفه صدام حسين. هذا ما اكدته مجلة الاكسبرس الفرنسية بمقال طويل عنوانه: اعترافات وتحقيق حول جرائم جيفارا⁽²⁾.

(1) اندرو سنكلير: غيفارا، ترجمة ماهر كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1972. ومن الغريب والمضحك ان ترى البعض يقارن جيفارا وهو شيوعي الى النخاع بالحسين وهو الثائر المسلم، حتى يلقب جيفارا بالثائر الحسيني. وان لسان حاله يقول: «تعلمت من الحسين ان لا ارضخ او انحنى لاعدائي!» (موقع bahrainonline.org)

(2) نفسه: 76، 80، وانظر الرابط: <http://www.goud.ma/>

فالعلاقة بين الثائرين والسلطة تأخذ منحى الجدلي الهيجلي بالفكرة ونقيضها والتوليفة. يصف كارل منهايم ذلك بالقول: «ان العلاقة بين اليوتوبيا والنظام القائم علاقة جدلية»، حيث تولد افكار مثالية غير منجزة على ارض الواقع لكنها تصبح «المواد المتفجرة» التي تحطم النظام القائم. فيؤدي النظام القائم الى ولادة اليوتوبيات التي بدورها تهشم الروابط التي تشد النظام القائم وتجعله حراً ينمو ويسير نحو نظام ثانٍ للوجود⁽¹⁾.

المبحث الثاني

ادلجة مفهوم التضحية - عالم صدام حسين

تقدم المدينة اختباراً قاسياً للعقل البشري يحضر فيه صراع الأنا والظل او البطل وعدوه (الوحش في الاساطير)⁽²⁾. فسبب العقلانية التقنية التي تزامن ظهورها مع التكنولوجيا المعاصرة، شهدت المدينة زيادة في استهلاك السلع المادية بشكل يفوق القطاع الريفي، وقد غطت هذه الميول الاستهلاكية كثيراً على الميول والنزعات القيمة الروحية التي تربط الانسان بالطبيعة وما وراء الطبيعة من جهة، وتشده الى اللفة والاجتماع البشري من جهة ثانية. يؤدي ذلك الى بروز وتفوق الميول الانكفائية لارضاء النزوات البدائية والتي هي على اتصال مستمر مع الظل. ذلك يعني بان الأنا الواعي في ترقب دائم لاشباع رغبات الظل كي يطفئ ثورته التي قد تنطلق بدون ذلك.

وكما قدمت المدينة المعاصرة حرية اكبر للمرأة والرجل ومنحت مجالاً اوسع لممارسة الجنس حتى مع استبعاد الوازع التحريمي، فانها منحت كذلك الفرصة للتنافس على السلطة خاصة في مجالي العمل والسياسة. وهذا بدوره دفع العقل الانساني لممارسة المراوغة والاحتيال لاسقاط المنافسين بشكل عقلائي ولكن لا معقول في بعض الاحيان. يكون التنافس عقلائياً عندما يصل بالفرد الى تحقيق هدفه وفق الوسائل المشروعة وتبعاً لافضل خيار من بين عدة خيارات. وحتى ازاحة المنافسين من ميدان الصراع والمنافسة لا بد وان تتم وفق اصول عقلائية ومؤطرة وفق الاطر الشرعية والقانونية. الا ان

(1) كارل منهايم: الايدولوجية والطوبائية، مقدمة في علم اجتماع المعرفة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، مطبعة الارشاد، بغداد، 1968، ص 307 - 308

(2) الظل مفهوم سكه كارل يونغ ويعني به محتويات اللاوعي المترسبة في العقل منذ زمن الاساطير. وهي تشمل محتويات سيئة واخرى ابداعية (كارل يونغ: الانسان ورموزه: الفصل الاول).

هناك من يستخدم العقلانية بشكل بربري ينتهج فيه وسائل غير معقولة لتحقيق غاياته ويقوم بالتدليس على عمله من خلال القانون او العرف او الدين .كأن يزوج المنافس في السجن وفق مادة قانونية لا لبس فيها لغرض تنحيته عن السلطة، او يمارس عليه وعلى اتباعه الاغراء والرشوة او التهديد بالمقاضاة ...

يستخدم الانسان عقلانيته لكي يبرر ما يصل اليه من غايات ولو على حساب تدمير الاخر. فالظل يقنع الأنا العاقلة بان ما يفعله هو «الحق» وبالعكس ذلك فان الاخرين سيقومون بسحقه .فالواقع الاجتماعي انما هو عالم الصراع بين الجلادين وان على الانسان ان لا يكون حملا في عالم ملئ بالذئاب (اذا لم تكن ذئبا اكلتك الذئاب).

ان عالم الصراع بين الأنوات هو نفسه مبدأ الحرب الهويزي: الانسان حرب لاخيه الانسان. ويقوم الأنا باستعمال النصوص الدينية لتبرير طغيان الظل. يتم الايهام وفق مبدأ مصاغ تراثياً بان صراعه اجتهاد وله اجران ان اصاب واجر واحد ان اخطأ، وهو مثاب في الحاليتين.

التبرير هو حرفة الطغاة لتمويه العقل وتحقيق الغرض من شن الحروب .اذ استخدم صدام كطاغية مميز هذا الاسلوب لتبرير حروبه ضد من يسميهم «اعداء» الأمة والوطن والتاريخ. في حربه مع امريكا عام 1991 استخدم النص الديني: برز الايمان كله الى الشرك كله، وهي كلمة النبي محمد لعلي بن ابي طالب عند مبارزته لعمر بن عبد ود العامري في واقعة الخندق. واطلق صدام على نفسه اسم «عبد الله المؤمن» مقابل بوش الكافر. وكثيرا ما استخدم هذه الآية في حربه مع ايران التي استمرت اكثر من ثماني سنوات ليبرر استمرارية حربه:

«وان فئتان من المؤمنين اقتتلوا فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله». ولكي يبرر أنه طغيان ظلّه بجرّ كتل من الشباب العراقي الى المحرقة فانه وضع النص القراني «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا، بل احياء عند ربهم يرزقون» وابتكر نصا يقول: الشهداء اكرم منا جميعا. وكان «يكرم» الشهيد بعد موته براتب تقاعدي وسيارة وقطعة ارض ونوط شجاعة للتخفيف من نقمة اهل الفقيد من جهة ولاغراء الاسر الفقيرة المتعطشة لمثل هذه الغنائم كي تدفع ابنائها الى الحرب التي تترافق مع تعطيل الجانب الانتاجي لليد العاملة ما يؤدي الى افقار الاسر وبالتالي فان الحل الامثل هو الانخراط في الجيش⁽¹⁾.

(1) وهذا هو السبب الذي جعل صدام يستعين بقوى عاملة مستوردة من وراء الحدود خاصة من مصر وبعض

انتفع صدام كغيره من طغاة العرب من النظرة الدائرية بشكل لاواعي. فهو واتباعه يحاولون اقناع الناس بان تضحية ابنائهم «ابناء الشعب» انما هي لابقاء البسمة على شفاه الاطفال، وان موت الجندي هو حياة لاطفاله واسرته .

في مستوى من التاويل لمثل هذه الحالة التي يقدم فيه الطاغية تبريره لمن تحت يده يتم استخدام عقيدة الموت والانبعاث الدورية بشكلها الحاضر لشرعنة السلطة، وتستعيد أسطورة عشتار وتموز نفسها في لاوعي اسطوري مرتبطة بوعي تاريخي حاضر دائماً في عقل صدام ومن ثم في عقول الافراد «ابناءه».

يقول الوعي التاريخي بان المسلمين «جاهدوا» باموالهم وانفسهم في سبيل الله والوطن. وان جهادهم وتضحياتهم كانت لابقاء فئات اخرى على قيد الحياة ومنها واهمها السلطان. بل ان صدام قدس مكانته ووضع نفسه موضع الرسول وكيف ان اصحابه كانوا يبذلون ارواحهم من اجله كي يبقى حيا. فكان يكثر الحديث عن الرسول واصحابه ويشيد بوصفهم ايام المناسبات الدينية كي يترسخ لدى الناس الاستعداد للتضحية من اجل الوطن والتي هي بالحقيقة من اجله واجل اولاده لانهم سيبعثون الحياة من جديد كرموز اسطورية قادرة على العطاء الابدي.

وكما قسم النص القراني المجاهدين الى صنفين: فئة تقاتل في سبيل الله واخرى لطلب العلم «فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين..» فقد استغل صدام هذا الامر وقسم الجيش الى صنفين: فئة تقاتل على خطوط المحرقة في الجبهات الامامية وهم غالباً من الجنود المشاة ممن لم يكملوا دراستهم ومن الضباط من غير حاشية صدام وعشيرته. اما الخطوط الخلفية فهي للقادة الكبار الذين لاتصل اليهم نيران العدو وبضمنها «فرقة اعدامات» وظيفتها القبض على الجنود الهاربين واعدامهم فوراً. فلا مفر امام الجندي الا ان يحارب ويضحى بنفسه او ينتصر فيعود سالماً. في بعض الحالات يتم التذكير بالموقف الذي وقفه جنود طارق بن زياد لدى فتحه الاندلس. اذ قال لجنوده: «ان العدو من امامكم والبحر من خلفكم» واستطاع الجنود ان يهزموا العدو. ومن المحتمل ان قسماً كبيراً منهم ارادوا النصر لانهم ارادوا الحياة والنجاة بانفسهم لا جهاداً في سبيل الله!

الخطوط الخلفية هي للفئات التي يجب ان تعيش بتضحية الخطوط الامامية. وبالمثل فان هذا التقسيم ينعكس على المجتمع، فهناك فئة مقاتلة واخرى تطلب العلم او تعمل. يقول صدام في واحدة من احاديثه المشهورة: «للقلم والبندقية فوهة واحدة». فالتضحية لا تقتصر على الجندي، بل ان الجميع يجب ان يضحوا لاجل حياة افضل وينال الشباب الخلود بتضحيتهم! تقول احدي الاناشيد المعروفة:

نحن الشباب لنا الغد ومجدنا المخلد
ولاجل هذه التضحية فقد عمل صدام وكوادره الحزبية على اغراء الشباب بضمانات عبر عنها بقوله: «نكسب الشباب لنضمن المستقبل». فكسب الشباب تؤول بضمهم الى الحزب وبالتالي جعلهم عيوننا لمراقبة الاسرة والهاربين عن الجيش وحركات المعارضين للسلطة ورفع التقارير السرية عن اية حالة يعتقد بانها تمس هيبة الحزب والقائد، او بتطويعهم الى صفوف الجيش بضمانات مادية كبيرة كالتى وضعها لضحايا حروبه (الشهداء كما يسميهم)⁽¹⁾.

عندذاك يكون الشباب على «اهبة الاستعداد» للتضحية من اجل مستقبل السلطة. وعندما عجز صدام في النهاية عن تطويع عدد اكبر من الشباب الى الجيش فانه اقام معسكرات الطلبة في العطل الصيفية ومن يتخلف عنها يعتبر راسبا. اما في زمن الحصار الاقتصادي فانه لجأ الى فكرة فدائيي صدام واشبال صدام وهي شكل رسمي للمليشيات المسلحة. وكانت لهم مكاسب جيدة وتدريب عالي اهلهم لارتكاب جرائم بحق المدنيين فيما بعد، منها كما هو معروف ممارسة قطع رؤوس النساء اللاتي يمارسن البغاء والسماصرة و«المفسدين» وتالياً كانت لهم الايادي الطولى في الاعمال الارهابية والمسلحة بعد سقوط قائدهم الرمز⁽²⁾. واستعملوا نفس التبريرات الدينية التي استخدمها

(1) نتيجة للضمانات والإغراءات المادية هذه والتي تمنح للمتطوع خصوصاً الضابط، فقد اطلقت الاستخبارات العراقية في نظام صدام شائعة تقول بان اسرائيل عندها مثل يتردد دائماً وهو: اذا اردت ان تصبح ملكاً فتطوع في الجيش العراقي! لذا كانت الكلية العسكرية تستقطب اهتمام الشباب لعدم توفر فرص العمل الملائمة. ويحدث الامر نفسه اليوم، اذ تعدم فرص العمل فلا يجد الشباب مخرجاً من ازمة العمل سوى التطوع في الحرس الوطني وجهاز الشرطة حتى غدا المظهر العسكري ذاته في زمن النظام بدون ان نزعهم عسكرياً المجتمع كما كان الحال سابقاً.

(2) بتاريخ 29 / 1 / 2010 ظهر شريط تلفزيوني على احدي القنوات الفضائية يعرض محاكمة احد فدائيي صدام وهو يقوم بقطع رأس احد المعارضين في معتقل بالناصرية قبل ان يمارس حفلة التعذيب بقلع اسنانه بواسطة مقابض حديدية. من المؤلم ان والدة القتيل كانت حاضرة وتشاهد مصرع ولدها وتبكي بمرارة أمام

صدام لارهاب وقتل العراقيين تحت عنوان «المقاومة الشريفة» تارة وبناء الدولة الاسلامية او حماية الدين تارة اخرى .

ان رؤية هيجل عن التضحية مغرية جداً لزعماء الحروب وزبانية الابداء الجماعية، فهو بوصفه الفيلسوف الرسمي للدولة البروسية يرى ان الانسان «يثبت حريته بمجازفته بحياته»، والمواطن الحقيقي هو من «يموت من اجل الوطن»⁽¹⁾، للحصول على منافع السيادة بوصف السيد بطلا مغامراً. وقد استخدم صدام دهاء العقل الذي ابتكره هيجل بتضحية الافراد والجماعات من اجل اسعاد الاجيال اللاحقة او اسعاد الدولة اذا قرأنا هيجل من الداخل قراءة تاويلية. فكسب الشباب بالضمانات المادية هو كسب استعدادهم للتضحية كقرايين لاجل الوطن والتي هي في الحقيقة لاجل الدولة. وهي استعادة لاشعورية للنمط الاصلي في تقديم القرابين والتقدمات للالهة، ارتبطت هي الاخرى بوعي تاريخي للتضحية في سبيل الله. وعلى المضحجين ان يقدموا رقابهم طائعين كما قدمها من قبل اسماعيل لايه ابراهيم، اذ قال له «يا ابتي افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين». وقد وضع صدام نفسه موضع الاب «ابراهيم» الذي يطلب من ابنائه الطاعة والخضوع الواجبة تجاه الاب.

اسماعيل والحسين

ربما لن نجد طاعة اسرية مثل طاعة اسماعيل في القرآن تلك التي وضعته امام اختبار مصيري قاس جدا. فلم يفكر اسماعيل او يتردد في الاذعان لحكم ابيه لان الرؤيا هي رؤيا الانبياء وهي بالتالي امراً الهياً وليس مجرد حلم عابر. فالطاعة اذن هي طاعة لامر الله. ووجد في تقديم نفسه قرباناً لذة لاتعادلها لذة اخرى. وأراد الاب والابن تنفيذ الامر الالهي لولا ان تم تدارك المصير في اللحظة الاخيرة. اذ ما ان قرب ابراهيم سكينه لذبح اسماعيل حتى جاءه الوحي بان «صدقت الرؤيا» وتم فداء اسماعيل بذبح عظيم. فالطاعة والخضوع من الابناء لنموذج الاب هي التي يجب ان تؤدي دورها في تقديم الناس كقرايين.

القاضي الذي نادى على الشخص الذي قام بالعمل، وعلى التوقام الرجل بجثته الضخمة بكل جرأة وعرف نفسه برباطة جأش (هذا انا سيدي الحاكم!). ظهر هذا المجرم في الفلم وهو يتلو اشعارا واهازيح النصر بحب القائد ويمسك رأس الضحية بيده. كان متماهيا بشدة مع رأس النظام.

(1) اندريه غلوكسمان: ص - 341 345

وجرت محاولات التماهي بين تضحية الحسين وتضحية العراقيين. لكن يوتوبيا الحسين تحولت الى ايدلوجيا عند صدام حسين. فكان يستعيد ذكرى واقعة الطف وبشكل حذر لاجل ترسيخ مفهوم التضحية والقربان حسب المعادلة التالية: ضحى الحسين بنفسه واولاده واصحابه في سبيل الاسلام في ارض العراق، وعلى العراقيين ان يحذو حذوهم⁽¹⁾.

وقد أغرت مفاهيم التضحية والشهادة والشرف عدداً من العراقيين الذين انخرطوا طواعية في الجيش والاجهزة الامنية للالتفاف حول القائد الضرورة نابعة من الاعجاب بشخصيته وفحولته. يقول كرس هدجز: «هناك الكثير من الشبان الذين تفتنهم الحرب نتيجة لافكار موروثه وهي ان المعركة، او الحرب بعامه، تمثل اختباراً لرجولة المرء ومروئته، ولذلك ينخرطون في الجيش بمحض ارادتهم، طمعاً في نيل اعجاب الجماهير، ولتحقيق طموحات وأمجاد تداعب خيالهم»⁽²⁾.

ولترسيخ مفهوم ونمط التضحية بشكل اكثر عمقا فانه اطلق على الصواريخ التي كان يرسلها الى ايران ومن ثم الى الرياض واسرائيل أسماء: صواريخ الحسين وصواريخ العباس. وكانت ذات مديات بعيدة وقدرة تدميرية هائلة. والثانية كانت ذات مدى اوسع وقوة تدميرية اكبر بسبب حماس العباس في الدفاع والقتال لاجل الحسين، ولشيء آخر هو غيرته على النساء والاطفال لجلب الماء في موقف (الحصار) المطبق عليهم⁽³⁾. فاراد بذلك ان يتماهى العراقيون مع تضحية الحسين في واقعة الطف ويحولوها الى تضحية

(1) لكن اهل العراق يفكرون بالضد من تفكير طاغيتهم. فالحسين قتل في كربلاء العراق، وسلفهم يتحمل المسؤولية في ذلك مشفوعا بالدعاء المرعب من قبل الحسين (لا ترضي الولاة عنهم ابدا) وهم يعتقدون بان لعنة تاريخية مؤبدة حلت عليهم منذ ذلك الحين. لذا فان طقوس دينية عديدة تجري لاجل التضحية الاستيهامية لأجل الحسين الشهيد لا لأجل ما يزعمه السيد الرئيس!

(2) كرس هدجز: مصدر سابق، ص 114

(3) يقول حردان التكريتي احد ابرز عناصر ثورة تموز 1968 - في مذكراته انه بعد نجاح ثورتهم طلب منهم الرئيس احمد حسن البكر السفر الى كربلاء لتأكيد تحالفهم بممارسة القسم (الحلف) عند ضريح العباس. وعندما اكملوا القسم والتعاهد سأل حردان عن السبب الكامن وراء اختيار العباس دون الحسين، فأجاب: انا لا اعتقد بالحسين، فهو كان يستحق القتل بسبب تمرده على حكومة يزيد. عندها علق حردان: ان العباس كان مع الحسين في كربلاء وقد قتل معه. وربما في سبيله؟ قال البكر: هذا صحيح، ولكنني اعتقد ان الحسين غرر باخيه العباس.. فقد جلبه معه على اساس ان يصبح وليا للعهد، ولم يكن إخلاصه الا للنعوة العربية التي كان يتمتع بها! راجع الرابط:

من اجل الوطن والتي هي الحقيقة تضحية من اجله هو شخصيا. ويتضح ذلك من الشعار الدائم بعد حملة الاعمار الكاسحة: الله الوطن القائد⁽¹⁾.

تقترن الطف بمقتل الحسين لانه كان المطلوب الاول للامويين والوعي التاريخي الجمعي يستحضر مقتله باستمرار، وتحول هذا الاستحضار من العقل الى الفعل عن طريق التجديد السنوي / الدوري للواقعة من خلال الطقوس التي تتم في المساجد والحسينيات وتنقل عبر وسائل الاعلام. الا ان الاستحضار الاهم هو في طقوس الزيارة التي تعرضت لضروب من القمع ومحاولات الطمس من قبل الكثير من الحكومات العراقية واشهرها قديما اعمال المتوكل وحديثا اعمال صدام حسين.

حاول صدام ان يسقط الطاعة والحب والتضحية التي يحظى بها الحسين الى شخصه هو. فما دام هو الاب او «نموذج الاب» والشعب ابناؤه، فعليهم الطاعة والتضحية من اجله وتنفيذ اوامره. فهو يمثل «العقل» الوحيد الذي يشرع ويقسم الارزاق ويعطي الهبات والشعب هو القطيع الذي يتبع الراعي⁽²⁾.

لابد من الاشارة الى ان فكرة التضحية، اي تضحية الشعب او الرعية لاجل الوطن، الدولة، القائد ليست من افكار النظام بل هي المنهج الذي اختطه حزب البعث منذ نشأته على يد ميشيل عفلق. وهذا الأخير أكد على مفهوم التضحية الذي يندرج ضمن مجموعة الافكار القومية والوحدوية التي كانت عماد التنظيم الحزبي آنذاك واستمرت بالتناقل حتى الخطابات الاخيرة لصدام عندما طلب من العراقيين الثبات والمقاومة وبذل الانفس امام «العدو» الامريكي.

يقول عفلق: «كلما ازدادت التضحيات في سبيل مثل وطنية ازدادت عصمة القائد وتغذت من كثرة الشهداء، لان من الصعب عند ذلك تخيل كل هذه التضحيات بلا معنى، ونتاجا لخطأ»⁽³⁾.

(1) في الاردن والمغرب توجد توليفة (الله الوطن - الملك) وهي مشابهة تماما لتوليفة صدام حسين! فهل هي استعارة ام تقليد؟

(2) التقسيم السياسي بين السلطان والمجتمع الى الراعي والقطيع ليس معاصرا وانما قديم قدم الفكر السياسي. تشير الى ذلك ادبيات مرايا الامراء وكتب النصائح. يصف الطرطوشي الرعية جسدا ماله الموت لولا الروح السلطانية، ويعتبرها الماوردي يتيما تضيع حقوقه من دون ولي، ويصفها الشيزري بالغنم السائبة ان تعذر راعيها، وهي عند ابن عبد ربه ابلا تحتاج الى من يقودها...راجع تفاصيل اكثر في، عز الدين العلام: الاداب السلطانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2006

(3) زهير الجزائري: المستبد، صناعة قائد صناعة رمز، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد بيروت، ص 104

وهذه الفكرة ذات جذور هيكلية خاصة اذا عرفنا ان الجيل الاول من البعثيين كان متأثراً بصعود فكرة القومية الالمانية التي سارت خلال حروب التحرير نحو الغاء مبادئ الديموقراطية والمواطنة وحقوق الفرد بالتركيز على الوحدة الروحية الفوقية للامارات. ورغم دراستهم (عفلق والارسوزي والبيطار) في فرنسا الا انهم لم يثأروا بمفاهيم الثورة والقومية الفرنسية التي جمعت بين فكرة الأمة وحقوق المواطنة⁽¹⁾.

كان هتلر الذي اغرى البعثيين بمنهجه قد اختط بشكل نظري وعملي متعسف لفكرة تضحية الفرد في سبيل المجموع على غرار التصور الهيجلي كشرط اساسي لكل تنظيم وحضارة. والعبارة التالية تبين الى ابعد الحدود تماهي مؤسس النازية بنظرية هيجل: «ان كل عامل او فلاح او مخترع او موظف .. الخ ينتج دون ان يتوصل الى تأمين رفاهيته، هو احد بناء الحضارة البشرية بكدحه، ولو فاته المعنى السامي لتضحيته الصامتة، واعظم منه ولا ريب، من يضحى بحياته في سبيل حماية الانسان وصون حضارته، اليس هذا منتهى الجود وأسمى أشكال التضحية؟»⁽²⁾. لذا لا يخفي بعض الكتاب تأثر صدام حسين بالزعماء الالمان كهتلر وبسمارك.

لقد اعجب جورج طرايشي وهو مفكر وناقد مؤثر بشخصية صدام واعتبره بسمارك العرب بعد حرب الخليج 1991. فكما توحدت المانيا تحت القبضة البسماركية فان ما حدث في الخليج ايا ما تكن البواعث الذاتية لفاعله القطري (العراق) هو فعل قومي⁽³⁾. والدافع وراء الاعجاب بشخصية صدام هو ما يحمله من روح غزوية ومنطق القوة، اي الاعجاب به كبطل محارب يشبه ما توارثته الاجيال عن رجالات التاريخ الذين تغص بهم الكتب والمناهج الدراسية ابتداءً من الطفولة وحتى الدراسة الجامعية. كما ان الفترة التي قضاها المجتمع العربي تحت الاستعمار الاوربي وتخلفه العلمي تجاه الحضارة الغربية جعلت من الشعوب العربية تواقفة للرد التاريخي على هذا الخصم الذي تسبب في تراجعهم المستمر. فكان ظهور صدام كمحارب لقوى عالمية وتعصبه الزائف آنذاك

(1) نفسه: ص 14، واعتماداً على ذاكرة احد قدامى البعثيين ﴿ فان الجيل الشاب تأثر بكتاب نيتشه (هكذا تكلم زرادشت) وكتاب فيخته (14 خطاباً الى الامة الالمانية) وكتاب هتلر (كفاحي) كانت القومية الروحية بالنسبة لنا ظاهرة تفوق على الاستعمارين البريطاني والفرنسي اللذين يحتلان البلاد العربية ﴾. نفسه ص 15، ص 130

(2) ادولف هتلر: مصدر سابق، ص 209

(3) كنعان مكية: القسوة والصمت، الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، منشورات الجمل، 2005،

للقضية الفلسطينية بحيث ربط بين انتهاء احتلاله للكويت وبين خروج اسرائيل من فلسطين مغذياً للحماس القومي لبعض المثقفين امثال طرابيشي والجابري وهشام جعيط وسواهم ممن تعاطفوا مع القضية العراقية. يصف كنعان مكية هؤلاء المثقفين بانهم ابتكروا واعادوا ابتكار خطاب صدام القومي الموهوم⁽¹⁾.

ركز صدام عمله على توجيه وبرمجة تفكير الفرد والاسرة نحو موجه واحد هو الحاجات الاساسية. وكان للحصار الاقتصادي وتمديده المتكرر والمتعسف على الشعب العراقي اثره الكبير في تدعيم سلطته. فالفرد لا يستطيع ان يفكر الا باشباع غرائزه في الطعام والدواء والسكن ولا يتمكن من التفكير البيوتوبي بالتمرد على السلطة لانه يدرك قوة الدولة التي ابتكرت اصنافا جديدة من الجيش بحيث غدا نصف الشعب مسلح. فسادت القناعة بشكل بديهية مطلقة بان الانسان الذي يفكر بالثورة والتمرد سيؤول مصيره الى العدم فورا.

وبدلا من الطاعة الطوعية التي يبديها الشعب للرسول او الامام، اتخذ صدام منهجه القمعي وهو الطاعة بالقوة كان الهدف منه برمجة عقل الانسان العراقي بألية للتفكير تجعل منه آلة صماء عليها تنفيذ الاوامر فقط «نفذ ولا تناقش».

ولابقاء منهجية تنفيذ الاوامر راسخة في عقول العراقيين بالقوة، فانه عمد ان يحبه الشعب بالقوة ايضا. تأويل ذلك ان الرهبة التي تسكن في نفس الانسان العراقي عند رؤيته لصدام او صورته هي الحب الذي يبحث عنه صدام. والحشود الملتفة حوله هاتفة باسمه: (بالروح بالدم نفديك يا صدام) تعوض عما يشعره من نقص حرم منه منذ الطفولة. فصدام كان محروما من الاب منذ الصغر، وزوج امه كان قاسيا عليه. وكان لحرمان الاب وصورة الاب القاسي اثرهما في ان يكون صدام «اباً» قاسيا ومربيا وراعيا للشعب بالقوة⁽²⁾. وفي التحليل النفسي لا يمثل الاتباع للقائد من خلال الرهبة وخشية سلطته عليهم وحسب، بل وبنفس القدر من خلال المحبة والاعجاب كمثال اعلى لهم⁽³⁾.

(1) نفسه: 251

(2) كتب الكثير عن حياة صدام بدءا من طفولته، يمكن الاستناد الى مراجع مهمة بهذا الصدد مثل: كون كوغلن: صدام، الحياة السرية، دار الجمل، 2005. محمد السماك: من هو صدام التكريتي، منشورات الاتحاد الاسلامي لطلبة العراق فرع امريكا وكندا. زهير الجزائري: المستبد، صناعة قائد صناعة شعب، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد-بيروت، 2006

(3) مصطفى حجازي: الجماهير والقائد في ضوء التحليل النفسي، الفكر العربي المعاصر، عدد 11، 1981،

فلكي يزداد حب الشعب ورهبته منه، دفع صدام بكافة أجهزته الاعلامية لطباعة صورهِ ونحت تماثيله في كل شبر من ارض العراق. وفي زمن رئاسة احمد حسن البكر كانت الصور تجمعه مباشرة مع الرئيس، وقتذاك كان يلقب بالسيد النائب. إذ «تعلم العراقيون بهذه الطريقة ان يخافوا صدام حسين كلما نظروا الى صورة احمد حسن البكر. وتأملوا في فقدانهم لسلطانهم على اولادهم. إن الحقيقة السياسية الباقية خلف كل الصور والظهور، هي قوة الخوف، فاختر هؤلاء الاشخاص أنفسهم وبسرعة فائقة ان يحيطوا أنفسهم بصور صدام حسين في منازلهم وفي مكاتبهم، أمليْن بتلك الطريقة ان يدفعوا عن أنفسهم الشر»⁽¹⁾.

ولم يخل كتاب من كتب المدارس من صورته وكلماته التي كان يلقبها في الخطب والمناسبات وآخرها الحكم التي اطلق عليها «وصايا القائد التي ملات الشوارع والصحف والخطابات الرسمية. ولنا ان تذكر العبارة التي تستهل كل كتاب مدرسي وجامعي :

«عزيزي الطالب، عزيزتي الطالبة، هذا الكتاب هدية الثورة اليك والحفاظ عليه جزء من الوفاء للثورة».

لم يكن الغرض من هذه العبارة ان يحافظ الطالب والطالبة على الكتاب لان ما من احد حافظ فعلا عليه بسبب تمزقه باثر القراءة بالاضافة الى ميل طلبتنا الى العبث بالكتاب وتمزيقه كنمط من السلوك اعتادوا عليه منذ الصغر. لكن الغرض كان اكبر من ذلك وهو ايهام الانسان العراقي منذ الصغر بانه رهين الدولة ومكتسبات ثورة تموز المجيدة !

ان تلك الاساليب الاعلامية لتحويل صورته كبطل قومي جعلت فئات كثيرة من العراقيين مأخوذين بهيبة صدام التي اصطنعها لنفسه. يتضح ذلك من الالتفاف الجماهيري الحاشد عند زيارته لاحدى المناطق او المؤسسات الحكومية او معسكرات الجيش. حيث يتسابق الجمهور لرؤيته ولو بلمحة خاطفة، وهناك يجد من يتملق اليه ويقبل يديه ويتمسح بملابسه كأنه ولي بسبب صورة «الاب» التي رسخها فترة حكمه .

فالعقل الشعبي يربط بشكل لاواعي صورة الاب مع صورة او نمط البطل الاسطوري بنسب لا ينفك مع البطل التاريخي المسلم الذي صنع امجاد «الأمة». فلا غرابة ان يطلق صدام على نفسه القاب تاريخية كفارس الأمة والبطل القومي... لان العقل الشعبي العراقي

(1) كنعان مكية: جمهورية الخوف، منشورات الجمل، 2009، ص 186.

سيكون متقبلاً لهذه الألقاب نتيجة للاندماج النوعي الحاصل بين البطل الاسطوري والبطل التاريخي .

استعاد صدام عن طريق دهاء العقل الهيجلي امجاد العرب المسلمين وقادتهم الغر الميامين: سعد بن ابي وقاص وخالد بن الوليد وصلاح الدين الايوبي. فكان يجوب ساحة الاحتفالات ببغداد على صهوة جواد ابيض ويرتدي بزته العسكرية ومسدسه كي يتماهى التاريخ الاسلامي القديم مع القائد العسكري الحديث، هذا اولاً، اما ثانياً فهي اشارة الى اعداءه بانه مثل اولئك القادة المسلمين سيقتصر لا محالة ما دام «الله» معه. وبرز القادة الملهمين لصدام هو سعد بن ابي وقاص لانه انتصر على الفرس في واقعة القادسية المعروفة. من هنا قام اعلامه باطلاق اسم «القادسية الثانية» على حربه مع ايران. وكان التلفزيون والاذاعة يرددون بكثرة انشودة:

هيه ياسعدى اجدنا يل رايتك من عدنا
وامر صدام باقامة بانوروما معركة القادسية في مدينة سلمان بك (المدائن) التي لا يزال فيها بقايا القصر الفارسي او ما يسمى بطاق كسرى.

ان مثالية هيجل وفرضية دهاء العقل التي ابتكرها اصبحت الادوات الرمزية بيد السلطة لم ينتفع منها الا اولئك المتعطشين للحروب وسحق الشعوب. ولا زال الوعي التاريخي يحتفظ بذكرات مؤلمة عما فعله لينين وستالين من الانقياد وراء اسطورة اممية البروليتاريا وهتلر في اسطورة الاشتراكية الوطنية والعرق الآري واخيراً وليس آخراً ما فعله صدام الذي قمع الشعب العراقي باسطورة امة عربية واحدة وشعار الحزب التاريخي: وحدة حرية اشتراكية.

لقد آله صدام الدولة ووضع نفسه موضع «العقل المطلق» الذي يستطيع اباداة قوى الشر حتى لو تكالبت عليه كما فعلها من قبل مردوخ بطل الالهة البابلية بمملكته ذات الخلق الالهي الكوني الذي خلق بكلمته ريحاً واعاصير وقوى عاتية ما لبثت قوى الشر ممثلة بتعامه واتباعها ان انهزمت واطيح بعرشها ليكون مردوخ سيداً للالهة .

وكان صدام ضمن هذا النمط الاسطوري الذي يتصور نفسه قادراً على كل شيء، وان مقاتلة قوى كبيرة وهائلة سيرفع مكانته لدى شعبه ومحبيه ويرسخ صورته كبطل

قومي في العقل الشعبي العربي ويمنحهم حافزاً أكبر للدفاع عن وطنهم، وهو وجود عدو يقاتل بالباطل وهذا العدو هو عدو تاريخي وليس وليد الظروف المعاصرة وان الحق مع العراقيين طيلة حربهم ضد هذا العدو. لذا اضطر صدام الى خلق اعداء وزيف بهم عقول العراقيين مثل الاكراد وايران والكويت و«نجد والحجاز» وامريكا واسرائيل ... وادخل العراقيين اتون الحروب لاجل ان يحقق اسطورة البطل التي تسربت اليه عبر السنين من مردوخ وحمورابي ونبوخذنصر ثم في قادة العرب سعد وخالد وصلاح الدين .. واستطاع ان يحقق «انا» الدولة مشخصة فيه كقائد اوحده. فحاز على الالقاب الرئيسية والمناصب السيادية: رئيس الجمهورية، رئيس مجلس الوزراء، الامين العام لقيادة البعث، القائد العام للقوات المسلحة .. كي تسيطر آلية العنف على عقل الانسان العراقي، ولا يفكر الا بالقوة وسطوتها عليه كما كانت تسيطر عليه قوى الطبيعة، واخافته من جبروتها وجعلته ينوح في اساطيره .

نقد الشعر في كتب البرامج والفهارس والأثبات والمعاجم الأندلسية والمغربية

(من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر الهجري)

الكلمات المفتاحية: النقد، الشعر، البرامج والفهارس، المغرب،
الأندلس

أ.م.د. نزار شكور شاكر

جامعة السليمانية- كلية التربية الأساسية

**Poetry Criticism in the Books of Programs,
Bibliographies, Athbats and Indices of Andalusian
and Moroccan
(Literature 6th -12thHijri Century)**

**Key words: Criticism , Books of Programs and
Bibliographies ,Poetry Morocco and Andalusia**

**Assist. Prof: Nizar Shakor Shakir ,College of Basic
Education –University of Sulaimani**

المُلخَص

يهدف البحث في هذا الحقل الأدبي إلى تسليط الضوء على الأبعاد الذاتية والموضوعية لتلك الصورة النقدية للشعر التي حوتها الباقية الزاهية من كتب البرامج والفهارس والأبحاث والمعاجم الأندلسية والمغربية ولعلّ من أبرز ما خرجت به مسارات البحث تسجيل توافر مساحة من إمكانات التصدي لنقد الشعر، ضمن مظهر إشاري تطبيقي، من لدن المؤلفين الذين كانت ذواتهم حاضرة في مجال التعامل النقدي؛ بما جنحوا إليه من آليات أثناء وقوفهم مع التصوص الشعرية، الأمر الذي أسهم في بيان جهودهم المعرفية في هذا المجال، ومُشيراً في الوقت ذاته إلى تبلور حلقة نقدية في التراث الأندلسي والمغربي لا يمكن أن يقال عنها أنها جاءت من دون مقومات رازكة، وأهداف أدبية تعدّ الإحاطة بها مطلباً مهماً.

Abstract

The aim of this research is to shed light on the subjective and objective dimensions of the critical image of poetry which is included in the colorful assortment of books, programs, indices, Andalusian and Moroccan dictionaries. The most important findings of the research might be the idea of rejecting the criticism of poetic texts within an applicable frame by the authors who were experts in the field of criticism and have their fingerprints in dealing critically with the texts which contributed in pinpointing their knowledgeable efforts in this field, pointing at the same time to the development of a literary criticism session in the Andalusian and Moroccan heritage which cannot be said it was built without basic pillars and literary aims which are important and needed.

المقدمة

لا يخفى على الجميع أنّ في تراث الأندلس والمغرب كتب ومؤلفات كثيرة في شتى المجالات، ومنها شريحة كتب البرامج والفهارس، والأثبات، والمعاجم التي تكفي دليلاً صارخاً على حبّ أصحابها الشّدِيد للعلوم وللعلماء؛ بوصفها تتضمّن ما يجمعه المؤلف من أسماء شيوخه، ومن تلقّى علومه عنهم، ومؤلفاتهم، وغير ذلك مما يتعلّق بأحوالهم في مصنّف جامع تعدّدت مسَمّياته من نحو: البرنامج، و الفهرسة...، وفي هذا الضّوء ترصد الدّراسة الحاليّة على وفق المنهاج الوصفي عناية أصحاب هذه المؤلّفات - وهم من العلماء والمشايخ الذين تعدّدت علومهم، ومعارفهم - ب (نقد الشعر) المعاصر لزمن التّأليف وغيره، الذي وردت نماذج منه في بطون مؤلّفاتهم (غير المنظومة، وغير المخصّصة للرحلات)، ومن الجدير بالذّكر أنّ البحث في هذا الموضوع واجه عقبات، ولاسيّما بعد أن جمع الكتّاني (ت 1382هـ) في مؤلّفه أسماء مؤلّفات أخرى كثيرة ضاعت، فلم نحظ بها، ولا سيّما فيما يتعلّق بالأندلسيين والمغاربة، فضلاً عن أنّ منها ما زال مخطوطاً غير متداول، مما ولّد قلة ملحوظة في أعدادها التي بين أيدينا لا ترقى إلى حجمها الحقيقي، ولم تكن جميع المؤلّفات ضمن مدة الدّراسة لتحتوي على العيّنات النّصيّة القابلة للدّراسة ذات المُعطيات التّقديّة المطلوبة، كما جاء لدى ابن عطية (ت 541هـ)، والسّبتي (ت 688هـ)، واللّبلي (ت 691هـ)، والغبريني (ت 714هـ)، والمُجاري (ت 862هـ) والرّصاع (ت 894هـ)، والسّجلماسي (ق 10هـ)، والفاسي - عبد القادر (ق 11هـ)، حال بعض المؤلّفات التي أعقبت زمنياً مدة الدّراسة، من نحو ما جاء لدى الفاسي - العراقي (ت 1184هـ)، والحسّني - ابن عجيبة (ت 1266هـ)، والرّيوسي (ق 13هـ)، والحسّني - أحمد بن محمّد (ت 1343هـ)، والفاسي - الحجوي (ت 1376هـ)، بما أنذر بانقطاع صور هذا الإهتمام التّقدي لدى المغاربة تدريجياً، وتحديدًا في القرون التي تلت المدّة التي تعمل عليها الدّراسة الحاليّة، بعد أن استمر العمل في المجال (الفهرسي

(لديهم قروناً بعد تسليم غرناطة سنة 897هـ، كما يبدو من المؤلفات في هذا المجال،
وجدير بالذكر أنّ دراسة (العمد) سلّطت الضوء على هذه الكتب بالدراسة والتحليل،
وأراد (الترغبي) في مؤلفه أن يكشف عن منهجياتها وتطورها وقيمتها العلميّة، وكان لـ
(زناتي) إسهام في هذا المجال أيضاً بدراسة تحليّية، آملين في الختام الوصول إلى نتائج
مفيدة من هذا البحث، والله المُستعان .

الدراسة

ليس من الغريب والمستبعد أن تتوافر في سياق التأليف لهذه الكتب ثمة مظاهر دالة تشير إلى المفهوم العام لعملية نقد الشعر في أبسط ملاحظة، لعل من أبرزها توافر نصوص ترتبط بخلفية المؤلف نفسه النقدية في ميدان الأدب، كما جاء في نطاق مدار بين السبتي (ت 688هـ)، والشاعر الشهير مالك بن المرحّل (ت 699هـ)⁽¹⁾، ونحو ما ورد في ضوء ذلك الانطباع الذاتي الذي أردف بجانب تنقيحي كان له الأثر الفاعل في قيام الناظم بالعدول عمّا قاله، وتبديله بغيره؛ عملاً بنصيحة القارئ الناقد في إطار المراجعة العلمية. جاء عن ابن غازي (ت 919هـ) في هذا السياق قوله في ابن سعيد المكناسي (ت في حدود 870هـ): ((وقد نظم بيوع الشيخ ابن جماعة التونسي محرّرة بما وضع عليها الإمام أبو العباس القباب، في رجز عجيب بليغ، أجاد فيه ما شاء، فقرّأته عليه قراءة تحقيق وتدقيق وبحث وتغلغل، كانت سبباً في رجوعه عن بعض أبيات الرّجز المذكور، وتبديلها بغيرها⁽²⁾)).

وقال البلوي (938هـ) في العلامة محمد بن عبد الرحمن الحوضي (ت 910هـ): ((وله منظومات، جمع من جذياتها سُفيراً صغيراً يقرب من (ابن الحاجب) أو يماثله وبعض سفر آخر، قرأت عليه أكثرها، وسمعت باقيها بقراءة سيدي أبي العباس المذكور، وكان رضي الله تعالى عنه، طلبنا لذلك قاصداً تصحيحها؛ لمرّضه⁽³⁾)).

فضلاً عمّا تولّد من مظاهر نقدية عن البيئة الأدبية - النقدية التي جاء منها العميري (ت 1178هـ)، انعكست أجواؤها على ماتمّ توثيقه في فهرسه المصنّف كما سيبين لاحقاً، ولو تحريّنا عن المظاهر الدالة على هذا الالمام أيضاً نجد ما أفردّه الرّعيني (ت 666هـ) من باب في برنامجه الشهير لذكر بعض انشادات الشعراء، والعياشي (1090هـ) كذلك في كتابه (اقتفاء الأثر)، ممّا يشير بوضوح إلى توافر مساحة من التخصيصات للأدب في مصنّفاتهم⁽⁴⁾.

ومن المؤلفين من كانت له توصيات طيبة في الشعراء تنم عن احساس مُتعاطف مع أحوالهم بما يمرون به من تقلبات كالتنارتي (ت 1060هـ) القائل: ((وللشعراء في كل زمان مجال واسع في المدح والهجاء، والذي ينبغي وتحفظ به المروءة أن لا يُقطع لهم رجاء، وأن يُعاملوا بالإحسان، فهو أقرب ما أملك به الإنسان، ويُغضى عن جفواتهم، ويُتعامى عن هفواتهم)).⁽⁵⁾

ومن هذا المنظور النَّفسي كان لبعض المؤلفين الفهم ذاته في سياق (التلقي) للنصوص الشعرية ذات الطابع المُلامس للباطن وانطلاقه في عالم التأمّلات الرُّوحية، كما جاء في قول العميري (ت 1178هـ): ((وتلك طريقة عند أرباب القلوب، يسمع الواحد منهم الكلام فيفهم منه معنى لم يقصده المتكلّم به، ويتأثر به باطنه، وربّما كان مُضاداً له، كما قرئ على الشيخ مكين الدّين الأسمر قول القائل:

لو كان مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشربِ الراح افطارا
الراحُ شيءٌ عجيب أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يامن يلوم على الصهباء صافية خذ الجنان ودعني أسكن النارا

فقال إنسان هنالك: لا تجوز قراءة هذه الأبيات. فقال الشيخ مكين الدّين للقارئ: اقرأ هذا رجل محجوب⁽⁶⁾، كما أن طبيعة العلاقة التي جمعت أصحاب المؤلفات مع الشعراء في إطار الاجازات، والمخاطبات، والمدارس الأدبية⁽⁷⁾ آنذاك أفرزت مظهراً أدبيّاً من نوعه، لم يكن التقد بمنأى عنه، فهذا ما تؤكده الحقائق المدوّنة في الكتب في هذا السّياق، مما أسهم في أمر توظيفه في بعض مؤلّفاتهم على نحو ملحوظ، على الرّغم من أنّ من المؤلفين من كان محكوماً ببعض الأمور التّنظيمية منها ما يتعلّق بإطار التّأليف للكتاب على نحو عام، كما جاء لدى التّجيبّي (ت 730هـ) في خاتمة برنامجه: ((وقد قرأت وسمعت غير ما ذكر على غير من ذلك، واقتصرت على هذا القدر، مخافة الإطالة والإكثار، حسبما أعان عليه الوقت، ولرغبة الأصحاب في الإختصار)).⁽⁸⁾

ومن المتعلّقات البارزة بهذا التوجّه من أنماط التّأليف بقاء الاعتماد على الذّكرة الشّخصية للمؤلّف في هذا المجال، وما يعلق بها من عناصر جمالية ارتبطت بفن القصيد، كما ورد لدى الرّعيني (ت 666هـ) في الأديب مَرَج الكُحل (ت بعد 634هـ) الذي كانت: ((بينه، وبين أبي البحر صفوان، وأبي الحسن بن حريق، وأبي عمرو بن غياث، وغيرهم،

مخاطبات شعرية، ومراجعات ظهرت فيها براعته، ونفقت فيها صناعته، وليس هذا موضع الاستيفاء لها، ولكّني أوردت ما علق بالذّكر من هذه التّف ؛ لما جبلت النفس عليه بهذه الطريقة من الشّعف)).⁽⁹⁾

وضمن بعض مظاهر توظيف الذاكرة الجمعيّة نرى ما تناقله المؤلّفون من اجماع نقدي حول الحقائق المتعلقة ببعض النّصوص الشعريّة القديمة، من نحو قول الوادي آشي (ت 749هـ) الذي نقل عن كتب المتقدّمين، واجماع أهل العلم بالشّعر حول إحدى المسائل في هذا المجال: ((قال ابن اسحق: وكان مما قيل في بدر من الشّعر وتراذّ به القوم بينهم لما كان فيه قول حمزة بن عبد المطلب، يرحمه الله تعالى، قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشّعر ينكرها، ونقيضتها)).⁽¹⁰⁾، وقال الرّعيّني (ت 666هـ) بعد أن نقل انطباعاتاً جمعياً في قصيدة أبي اسحق الرّوّاليّ (ت 616هـ) التي قيلت في إطار شعر المناسبات: ((وكانوا يستحسنون له من قصيدة قالها في فتح قفصة:

سائلُ بقفصة هل كان الشقيّ لها بغلاً، وكانت له حَمالة الحطَب
... الأبيات.⁽¹¹⁾

وليس هذا فحسب، فقد بيّن التّمارتي (ت 1060هـ) مكامن العيوب في إحدى القصائد التي رُفعت بمناسبة المولد النبويّ، بعد أن نقل لنا ذلك الاحتكام فيها من لدن بعض الطّلبة النابهين فيما بينهم إلى ماهو راسخ في سياق النّظم العربي السّليم، ولاسيّما من نواحي: اللغة والوزن، ليستنير هذا التّنبه ببعض ماجاء به النّقاد السّابقون قديماً للقصيدة العربيّة في أبرز مرتكزاتها، بقوله في هذا السّياق: ((وعاب بعض الطلبة لبعضهم قصيدته، لقصورها عن مدارك العربية لغّة، ونحواً، ووزناً)).⁽¹²⁾.

كلّ ذلك قد يمهد بمجمله السّبيل للتحريّ عن الصورة القائمة لنقد الشعر في ضوء ماتبيّاه المؤلّفون في كتبهم (نقطة الارتكاز في عملنا)، عبرتوا فرمظهر (إشاري - تطبيقي) ليس بالضرورة أن يعدّ ناضجاً زمنياً تقريباً بالنسبة إلى تلك الانطباعات الذاتيّة المجردة عن العمق الموضوعي حول الشّعر العربي المقترنة بنصّ، وغير المقترنة، التي حواها النّقد القديم على نحو مألوف، والتي بالامكان النظر إلى هذا المكوّن على أنه عنصر مكمل للصّورة التي نعمل على نقلها، وإخراجها للقارئ الكريم في سياق هذا البحث.

ومن هذا المنطلق التأسيسي تحتلّ الإشارات، وبعض تطبيقاتها النصّية موقعاً من جهود المؤلفين في هذا المنحى، ولاسيّما بعد أن ارتبطت بقضايا التّقد القديم، وانتظمت تحت لوائه الرّفيع، وعلى النّحو الآتي:

1- الوزن والقافية: أخذت مباحث هذه الفقرة حظّها ضمن بعض المؤلّفات في الحقل الفهرسي ؛ نظراً لما لها من أثر في الشّعر القديم الموزون والمقفى، إذ جاءت بعض الأقوال لتتركز على براعة الشّاعر الشّاملة في استخدام الأنظمة الصوتية كافّة في إحدى منظوماته الجامعة ذات الغرض الدّيني المتعلّق بمدح النّبي (صلى الله عليه وسلّم)، قال التّجيبى (ت 730هـ) بهذا الصّدّد: ((جزء فيه المُعشرات العروضية، في مدح محمّد خير البريّة، صلى الله عليه وسلّم وشرف وكرم، من نظم الأديب الفارض الحاسب أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التّلمساني، رحمه الله، نظمها على جميع أوزان الشّعر المشهورة وأعاريضه الماثورة، وضروبه المعدودة المحصورة، مما روى عن العرب، أو الحق صدر المحدثين بنبعه من الغرب، ولم يدع عروضاً توثّر، ولا ضرباً يقدم ويؤثر، ولا نوعاً يروى، ولا وزناً يبسط أو يزوى، إلّا صرف وجه الاعتناء إليه، ونظم تسعة أبيات في ذلك المقصد الكريم عليه، مُعشراً بالبيت الشّاهد لعلماء الصّنعة على ذلك الوزن⁽¹³⁾.

وضمن هذه الدائرة حدث أن لاقت بعض النصوص المنقولة عن طريق السّماع وغيره النقد عليها من لدن من تدوّق جماليات الوزن الشعري من المؤلفين بوصفها وحدة تأسيسية للقصيدة الشّعريّة، وأدرك مبدأ ضرورة إلتزام الشّاعر بالنّظم على بحر شعري واحد في القصيدة التي بين يديه، كما جاء في قول الوادي آشي (ت 749هـ) في معاصره ابن طراد الخزرجي (ت 726هـ): ((وأُنشدني غير هذا مع أنّه لا يحسن وزن الشّعر، وربّما أخذ عنه كذلك. ورأيته يستعمله في القصيدة الواحدة من بحرین، ولا يميّز بين ذلك كالطّويل والبسيط وغيرهما. وقيدت ذلك عنه، ولم يمكنني تنبيهه على ذلك؛ لزعارة في خلقه⁽¹⁴⁾.

وفي ضوء مراعاة قضیّة الوزن أيضاً أدرك بعض المؤلّفين أن هنالك تغييرات يجب أن تطرأ على اللفظ في السّياق الإيقاعي لغرض، تحقيق الوزن، تمّ التّنبيه عليها ضمن هذا الحقل، كما جاءت في ضوء الإشارة اللّغوية إلى أصل الكلمة (عنّ) صوتياً، وقد لحقها التّخفيف في الجزء الأخير منها (حرف التّون)، لغاية موسيقية - تكميلية يقتضيها سياق

النَّظْم، قال الفاسي (ت1072هـ) في نظم الشيخ القصار (ت1012هـ): ((وله من رواية سيدي محمد خروف المتقدمة في رواة البخاري ما نصه:

رويت عن محمد خروف عن الطويل القادري المعروف عن الحجازي شهاب الدين عن ابن أبي المجد عن الحجار عن وقوله في نظم الطريقة الثانية: عن الحجار عن ... لعلَّ نون عن الثانية مخففة للوزن، والأصل: عن، أي: عرض تكميلاً للبيت، والله أعلم))⁽¹⁵⁾.

وقد أفضت بعض الإشارات النظرية في إطار هذا الحيز على نحو تقليدي إلى بيان فن يرتبط بالجانب الصوتي للقوافي الشعرية من نحو (لزوم ما لا يلزم)، إذ أشار المنجور (ت955هـ) على وجه الإخبار إلى أن لابن هارون المُطَّعري الفاسي (ت951هـ) ((قصيدة سيئية من بحر الرَّمَل، في عروضها الرء ساكنة، مفتوحاً ما قبلها، فهو من إلتزام ما لا يلزم⁽¹⁶⁾.

ولم يكتف التَّجبيي (ت730هـ) بالعرض فحسب لما تقدّمه القافية من مظاهر صوتية هي بمثابة ترديدات صوتية متناسقة تأتي بعد انقضاء زمن واحد بين البيت، وما يليه في العمل النَّظمي، ولاسيما بعد أن ذكر في سياق حديثه عن هذا الجانب الفني السبب الضروري الذي قاد الشاعر إلى التَّلعبات الصوتية المحيطة بجانب البيت الشعري، بعد أن عدت صورة المنظوم لزومية من الطرفين في إشارة واضحة إلى ظهور أشكال صوتية جديدة في غرض المديح النبوي باستخدام الحروف المتماثلة، أو الكلمات المكررة، بعد استثمار طاقاتها الصوتية بطريقة هندسية، بقوله: ((جزء فيه المُعشَّرات اللزومية في مدح رسول الله المصطفى من البرية عليه أكرم صلاة وأفضل تحية، من نظم الأديب المعمر أبي الحكم مالك بن عبد الرَّحمان بن المرحل المالقي، رحمه الله، التزم فيها أن يكون أوّل حرف من أبياتها لازماً لحرف آخر، وآخر كل حرف منها وهو حرف الرّوي لازماً لحرف آخر، فصارت لزومية من الطرفين، غير أن حرف الظاء والغين المعجمتين أضطر فيها لقلّة دورهما أن كرّر قافيتين في حرف الظاء بحيلة جائزة، وقسم حرف الغين في لزوم قوافيه على قسمين، لإعواز هذين الحرفين في اتفاق الإلتزام. جزء فيه المُعشَّرات الورايبية في مدح المكارم النبوية، والحض على الأعمال الدينية، وعلى زيارة قبر النبي محمّد خير البرية، صلى الله عليه وسلّم وشرف وكرم، من نظمه أيضاً، وسما بالورايبية؛ لأنه التزم أن يكون آخر كلمة كل بيت أول كلمة من البيت الذي يليه، إلى آخر الحروف، وأن يكون آخر

كلمة من حرف الياء أول كلمة من حرف الألف، فجاءت كلمات القوافي على الوراب، ولم يجعل آخر البيت أوله بنفسه)).⁽¹⁷⁾

وتركت بعض النماذج الشعرية المعاصرة لدى المنجور (ت 955هـ) بوصفها شواهد دالة على ظاهرة (التخميم/ التجميع)⁽¹⁸⁾ الصوتية مجالاً للمفاضلة مع نماذج متأخرة من موشحات أندلسية ومعارضاتها، وُصفت بالبراعة في الأوساط الأدبية، وذلك في إطار التبادلات الصوتية المقننة ضمن إطار عروضي يتسم بالثبات الإيقاعي كشرط رئيس في هذا النطاق، بقوله في قصيدتي ابن هارون المُطغري الفاسي: ((وفي هاتين القصيدتين التخميم بالخاء، ويقال: بالجيم أيضاً، وهو عند العروبيين على قسمين: أحدهما، ومنه ما في القصيدتين، أن يأتي الشاعر في أول بيت في شعره بحرف يصلح أن يكون قافية في الصدر، ثم يأتي في آخر العجز بقافية أخرى يُبنى عليها الشعر، من غير أن يغير العروض عن وزنها، كقول الشاعر:

سل الربع أنى يمت أم سالم وهل عادة للربع أن يتكلما
لكن المتأخرون زادوا فيه. أحسنه من التزام مثل ذلك في البيت الثاني كقول ابن سهل في موشحته:

هل دَرِيظْبِي الحِمَى أن قَدَحَمَا قلبَ صبِّ حَلِّه عَن مَكْنَسِ
فهو في حَرِّ وحقق مثل ما لِعِبَت رِيحُ الصَّبَا بالقَبَسِ
وكذا قول أبي عبد الله ابن الخطيب في معارضتها:

ساقك الغيث إذ الغيث همى يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس))⁽¹⁹⁾
وقال البلوي (ت 938هـ) من زاوية تحكيم السمع في هذا المذهب التقدي بالموازنة بعد الالتفات إلى ما في فن التخميم من تكرارات منظمّة في لُحْمَة النَّسِيجِ الصَّوْتِي العام للمخمّسة النَّاجِزة بطريقة فريدة بنظره: ((ومن جملة المسموع: تخميس القصيدة المسماة (بالبردة) لم ينسج على منواله، ولا سبقه أحد إلى مثاله، طريقته فيه أنه يدرج المصاريح الثلاثة التي يزيدنها على البيت بين مصراعيه، فتكون البداية بأول البيت، والختم بآخره، وهذا يكاد يكون مُعْجِزاً، لُصُوبته)).⁽²⁰⁾

وقد تأتي المزيّة للشاعر من جرّاء إبداعه في قوافيه، فضلاً عن توافر تلك المحطّات الصوتيّة القائمة على توظيف فنّ السّجع فيما له من منشور أيضاً، بعد تفعيل الجّانِب الصّوتي في أعماله كافّة. قال الفُضاعي (ت 658هـ): ((وأنشدني بعض أصحابنا لجعفر هذا، وكان له اختصاصٌ بالإبداع في نظم القوافي، ورَصَف الأَسْجَاع))⁽²¹⁾.

2- اللَّفْظ والمعنى الشّعري: ثَمَّة التفاتات في المؤلّفات التي بين أيدينا ترجع إلى هذه القضيّة الرئيسيّة في إطار العمليّة النّقديّة، فمن أشكال العناية باللّفظ الشّعري قول العميري (ت 1178هـ) بعد أن خضع نصّه لنقد (تطبيقي - تقويمي) جرى ضمن نطاق الأسرة الأدبيّة التي ينتمي إليها، وما دار بين أفرادها من مخاطبات أدبيّة، ومتابعات جادّة لما صدر عن بعضهم من قول: ((وممّا خطّأني فيه والدي - رحمه الله - أنّ أخي سيدي أحمد كان كتب لي من فاس أيام سُكناه بها كتاباً في غرض تعذّر عليّ قضاؤه لأمر عرض، وكان تمثّل فيه بقول القائل: ما أنت بالسيّد الضّعيف ... البيتان، فاجبته بما نصّه: (... من جملة أبيات):

فاعدد أخاك لغيرها وتوله لجليل أزمة بخفض جناب
ولما وقف عليها الوالد - رحمه الله - عاب عليّ قولي: فاعدد، وقال لي: إنّما يُستعمل
رُباعياً، وأصلحها لي بقوله: أعدد⁽²²⁾.

ومن هذا المنظور التقويمي للفظ، وتبعاته الدلالية في السّياق الشّعري أتى قول السّبتي (ت 544هـ) بعد قراءة فاحصة لأصل بيت أنشده له أبو عامر الطّليطليّ (ت 523هـ) من جملة أبيات قديمة: ((... الأبيات، قال أبو الفضل: كذا في أصله، ولعله: اكتابي⁽²³⁾.

وربّما كان النّقد الإملائيّ التّقويمي القائم على التّوثيق من المصدر - بالرجوع إليه - على صلة بهذا الموضوع، ولاسيّما بعد أن توافرت بعض نماذجه في إطار مدار في نطاق المراسلات بالشّعريين العميري (ت 1178هـ)، وغيره في إطار العلاقات الاجتماعيّة - الثّقافيّة، وما صاحبها من روح سمحة في التّنبية على الأخطاء الواردة في سياق تلك المراسلات الشّعريّة ذات الطابع الإخواني، كما جاء في قوله: ((وكتب لي هذه الأيام بعض نجباء الكُتّاب، يلتمس رسماً فيه موت شخص وعدة ورثته لغرض سلطاني، وزاد في لفظ الموت ألفاً هكذا: الموتى، وكان ذلك زمن الطّاعون الواقع سنة خمس وخمسين، فداعبته بقولي:

رأيتك لما أكثر الموت في الورى وكاتبته الفاء زدتها الفاء ورا

فقلت: تفاعل بالإمالة لا ترى مفاجئها أو يلتقي واصل ورا
والا فقد ينسى القواعد من غدا له فتيات والقواعد بالورا
وفي هذا البيت الأخير شبه الاعتذار عنه فيما ارتكب، فانه استقر بحضرة مكناسة،
وخلف أهله بحمراء مراکش، والمراد بالقواعد الثانية: المتجالات. ويشبه هذا أن الفقيه
الكاظم النزيه السيد عمر الحراق كان كتب لي في أمر، وذكر فيه الحنظل، وكتبه بضاد غير
مشالة، فكتبتُ إليه في ذلك بما نصّه:

الحنظل النبت شكاً معشراً في ضبطه ما استند والكتاب
يقول ما الذنب الذي جئته لا يكتفي فيه بدون الرقاب
... وقولي الحنظل النبت، احترازاً من الحنظل بمعنى الظل، فإنه غير مشال. قال ابن
مالك - رحمه الله - في منظومته التي في الكلمات التي فيها الظاء والضاد مع اختلاف
المعنى واتحاد المبنى:

وحنظل نبت كثير معروف والحنضل الظل المديد مألوف⁽²⁴⁾
ولعلّ من بين ما تجد لنفسها مكاناً ضمن هذا الحيز التّقويمي من جانب تلك
المقترحات التي تمخّضت عن حقّ عملية (إعادة القراءة) المشروع ضمن الإطار التّقدي،
باستخدام أسلوب (لو)، من نحو ما جاء بعد مراجعة نقدية لبعض النصوص الشعريّة
بالإعتماد على جوانب مما يسمح به أسلوب التّقديم والتأخير اللّغوي المعتمد لتحقيق غاية
إبلاغية تزيينية فاعلة في سياق النظم على حسب وجهة النّظر، قولهم في أبيات موسى بن
عبد الرّحمن بن أبي تليد (ت 517هـ):

الليالي تسوء ثم تسرّ وصرّوف الزمان ما تستقرّ
بينما المر في حلاوة عيش اذ اتاه على الحلاوة مرّ
فالكريم المصاب يقرع فيه لكريم وينفع الحرّ حرّ

لو قال في البيت الثاني: إذ تلا حلو ذلك العيش مرّ، لكان في النّظم أزين وأحسن ((. (٢٥)
ولا يخرج عن هذا الإطار القاضي ببيان مخرجات السّياق القولية على أنّ وجهه،
على نحو يعكس حرص بعض المؤلّفين على ظهور المنجز الشعري بأحسن وضع قول
القُضاعي (ت 658هـ): ((وحدثت عن ابن عساكر قال: أنشدنا أبو القاسم يعني نصر بن
أحمد بن مقاتل السوسي، قال أنشدنا أبو محمد بن صابر:

صبراً لحكمك انها الدهر لك أن تجور ومني الصبر
آليت لا أشكوك مُجْتَهِدًا حتى يُرَدَّكَ من له الأمر

لو قال ناظمها: منك العدا، أو ما في معناه، لكان أولى ((26).

ومن المجدي ذكره أنّ من مباحث اللفظ الإشادة بجانب الفصاحة فيه، بوصفها مزية تعود على ألفاظ الشاعر، ولعلّ هذا ما يأتي مكملاً لصورة العناية باللفظ ضمن هذا المحور في المؤلفات التي بين أيدينا، ولا يترك فيها ثغرات تذكر، على الرغم من قلة ورودها الملحوظ. (27)

ومن اهتماماتهم بالمعاني في إطار هذه القضية نجد ثمة مسائل تداولها المؤلفون، ناهيك عن تنبيههم السطحي على المعنى (البديع، والحسن، والغريب، ...) في سياق كلامهم، من أبرزها:

أ- المماثلة بين المعاني، والضدية فيها: جاءت هذه الالتفاتات المفضية إلى هذا الأمر بعد أن عقد أصحاب بعض المؤلفات ببساطة مقاربات بين القول الشعري في المعنى ذاته بالاعتماد على ما في الذاكرة القارة، والمذاكرة المتجددة من مخزون أدبي أفاد في بيان هذا الأمر، من نحو قول التمنارتي (ت 1060هـ) في قول أبي الحسن التلمساني (ت 1001هـ) متمثلاً بأحد أبيات الغرض الزهدي لشاعر ما على وجه الكثرة: ((وكثيراً ما كان يتمثل في التحذير من الملوك، وأهل الدنيا بقول الشاعر:

كُلِ الثَّرَابِ وَلَا تَعْمَلْ لَهُمْ عَمَلًا فَالْشَّرُّ أَجْمَعُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ
قلتُ: ولبعضهم في الوقوع في هذا المعنى، وأظنه لبعض فقهاء مرين:

يا قلب كيف وقعت في إشراكهم ولقد عهدتك تحذر الإشراكا
ترضى بذل في هوانِ صباية هذا - لعمر الله - قد أشقاكا (28)

ومن نطاق التقارب في المعنى الشعري القديم، و (المنشد) على غراره للمؤلف، نقرأ قول العياشي (ت 1090هـ) بعد أن أفادت العملية الإنشادية هذا البلاغ الذي استند إلى تقديم الأنموذج السابق على اللاحق أيضاً: ((ولبعض الأقدمين:

وَمَا الدَّهْرُ فِي حَالِ السُّكُونِ
بِسَاكِنٍ وَلَكِنَّهُ مُسْتَجْمِعٌ لَوْثُوبِ

وأنشدني شيخنا الشَّهاب في معناه:

لَا تَحْسَبُوا الشَّيْخَ الْكَبِيرَ أَنْحَنِي مِنْ كِبَرِ السَّنِّ لَمَّا لَمْ يُجِبْ
فَعُمُرُهُ أَصْبَحَ مُسْتَجْمِعاً لِكَيْ إِلَى الْأَخْرَى بَعَزْمٍ يَثْبُ⁽²⁹⁾

وفضلاً عن الجهود الشخصية للمؤلفين أنفسهم في بيان المعاني الواحدة بين الشعراء، وتأكيدهم هذا التداول في مسيرة الشعر، نقل لنا الرُّعيني (ت 666هـ) إشارة أحد الشعراء إلى المعنى الشعري، ونظائره في شعره، وما أفضى إليه أخيراً من مآل، بعد أن كان قائماً على أسلوب الدعاء الفردي الفاعل، وذلك بقوله في معاصره أبي بكر الإشبيلي الزاهد (ت 639هـ): ((وقرأت عليه - رحمه الله - في ديوان شعره لنفسه، بعد أن كفَّ بصره:

أَقُولُ وَحَكَمَ اللَّهُ يَنْفِذُ فِي الْفَتَى وَقَدْ عَلِمَ الرَّحْمَنُ صِدْقَ مُرَادِي
أَلَا كَيْتَ عَيْنِي أَذْهَبَ الدَّمْعُ نَوْرَهَا وَيَأَلَيْتُ خَوْفَ النَّارِ فَتَّ فُؤَادِي
وقال لي: قلتُ هذا المعنى، وله نظائر من شعري، فقضى الله تعالى بذهاب بصري؛
وفق ما تَمَيَّنَيْتُ فِي مَا نَفَثْتُ بِهِ مِنْ شِعْرِي)).⁽³⁰⁾

ومن جانبه أفاد العياشي (ت 1090هـ) في هذا السياق أن له قولاً شعرياً يماثل قول الإمام الديق بقوله: ((وأنا أقول مثل ذلك مُخَصَّصاً مِنْ سَأَلَ ذَلِكَ مِنَ الْأَصْحَابِ، مُعَمِّماً له، ولغيره من الأحاب: ... الأبيات، وأقول مثل ذلك أيضاً مخاطباً للأخ المسمى ابتداء، المخصص من العموم انتهاء: ... الأبيات)).⁽³¹⁾

ونجد على هذا الخط أحياناً محطات كان المعنى فيها هو البؤرة التي اجتمع عندها المعنى (الصحيح - المقلوب)، إذ نالت إحدى الوقفات النصية المميزة نصياً من الاهتمام والمتابعة فيما بعد، حيث كان القاسم المشترك فيما بينها، وبين نظيرتها هو المعنى (الصحيح - المقلوب)، بعد أن لفت المعنى الحسن القائم على فاعلية فن التشبيه البلاغي (الغريب)، القائم على جانب عقلي نير في قول العياشي (ت 1090هـ) في نصَّ الشَّهاب (المنشد)، والذي وجده فيما بعد في أحد المصادر (مقلوباً) الأمر الذي ولَّد لديه حيرة في أمره، فلم يشأ البتَّ في الأمر، هل هو اتفاقي أم لا؟ قائلاً بهذا الخصوص: ((وأنشدني الشَّهاب أيضاً لنفسه:

زُرْتُ رَوْضَ الْحَمَى الْأَرِيضِ سَحِيرًا إِذْ دَعَانِي إِلَيْهِ سَجْعُ الطُّيُورِ

وَكأنَّ الشَّقِيقَ تَحْتِ ضَبَابٍ مِجْمَرٍ فَوْقَهُ بُخَارُ البُخُورِ
قلت: وقد كنت أستحسن كثيراً ما تضمَّنه هذا البيت الأخير من التشبيه الغريب، الذي لا تكاد العقول تهتدي إلى مثله، ثمَّ عثرت بعد ذلك على المعنى بنفسه إلاَّ أنه مقلوب فيما أنشده الرَّمخسري في ربيع الأبرار للبديهي، ولا أدري هل أخذه الشَّهاب من عنده، أو ذلك أمر اتفائي؟ وبيت البديهي:

كَأنَّ دُخَانَ النَّدِمِ ما بَيْنَ جَمْرِهِ بقايا ضَبَابٍ فِي رِياضِ شَقِيقٍ⁽³²⁾
وأشار الرُّعيني (ت 666هـ) في إطار الموازن القولية بين بعض الأقوال، وقوله المُشَدِّد في مؤلفه إلى مسألة الضدية في المعنى التي كان له فيها إسهام يذكر بقوله: ((قلت أنا في ضدَّ هذا: ... البيتان)).⁽³³⁾

ومن الدَّوال التي نجدها انتضمت في هذا الحقل المُناقضات أيضاً، كما جاء في قول السَّبَّتي (ت 544هـ) في ابن الطراوة على نحو مجرد، غير مقيد بأنموذج نصي، على سبيل السَّرْد: ((وأخبرني بمُلح وفوائد، وأنشدني كثيراً من شعره، ومناقضاته الحصري وغيره))⁽³⁴⁾.

ب- بيان المعنى: أتت بعض أقوال المؤلفين في إطار بيان المعنى الذي جاءت به نصوص الشعراء لأغراض كانت قد تطرقت إليها مصنفاتهم منها (الشَّرعية)، ومن بين الأمثلة الدالة على ذلك قول التُّمَّارتي (ت 1060هـ) في شعر أبي العلاء المعري (ت 449هـ) الذي استخدم لتسهيل مهمة التلقي شواهد حسية لهذا الغرض تعود على عنصر طبيعي رئيس من عناصر الطبيعة (النَّار)؛ لتوضيح المجانسة الواقعة بين مكانم القوة والفاعلية في الشَّباب، والنَّار في توهجها التي تقع بين طرفين: ((ومن كلام العرب قول أبي العلاء:

وَعِشْتِي الشَّبَابُ، وَليسَ مِنْها صِباي، ولا ذَوائِبِي الهِجَانُ
وَكالنَّارِ الحِياةُ، فَمَنْ رَمادٍ أواخِرُها وأوَّلُها دُخَانُ

يقول: لستُ أعتدُّ بأول عمري حين كنت صبيّاً، ولا بأخره حين كنت هرماً، وإنما أعتدُّ بوسطه، وهو عصر الشَّباب؛ كما أن النَّار لا ينتفع بأولها لأنه دخان، ولا بأخرها لأنه رماد، وإنما ينتفع منها بما كان بين الطرفين)).⁽³⁵⁾

ومنها (اللغوية)، إذ عمِدَ إلى هذا السَّبيل من التَّوضيح أيضاً باستخدام آيات (لغويّة- معجميّة) لبيان معنى اللَّفظ الموظَّف للدَّلالة على نحو مختصر، مع الإِستعانة بالأقوال المُتماثلة بوصفها شواهد على المعنى اللُّغوي، كما جاء في قول الثُّوسي (ت1102هـ) الذي أفاد من بعض كلام العُميري صاحب الفهرسة (ت 1178هـ) في سياق هذا التَّوضيح اللُّغوي، في مؤسَّر على اطلّاعه على فهرسه، والنَّقل عنه⁽³⁶⁾: ((في بيان معنى الشَّيخ (...). قال امرؤ القيس:

والله لا يذهبُ شَيْخي باطلاً حتَّى أبيدَ مالِكاً وكاهِلاً
يريد أباه. والإضافة لمجرّد الإختصاص، كما تقول: عالماً وفارسناً. (...). واشتهر عند أهل سياسة الحرب أن الشَّباب أولى بالإقدام، والمشيخة أولى بالكيد. وقد يكونون أولى بالإقدام؛ لكونهم أصبر، وأعرف، كما قال أبو الطَّيب:

سأطُلبُ حقِّي بالقنا ومشائخٍ كأنَّهُم من طول ما التَّئموا مُرُداً
وعلى هذا المعنى العُرفي يحومُ قول جرير:
ولو وُضعتُ شيوخُ بني نُميرٍ على الميزانِ ما عدلتُ ذُبَاباً
فالأولى أن يريد عُرْفَاءَهُم، لا مجرّد المُسنين كما لا يخفى))⁽³⁷⁾.

وفضلاً عن ذلك يعدُّ توافر التَّناج الشعري لبعض أصحاب المؤلَّفات، وادراجه في المؤلَّف سبباً، ومناسبة إلى توضيح لغوي من لدن القائل، يرتبط بدلالة القول الشعري من الوجهة اللُّغوية التي تقتضي البيان، جاء للثمنارتي (ت 1060هـ) قوله من قصيدة:

((مغيباً يحلي الصدر أفلاذ قلبه ويُنبت بالأنفود شبه نَغامٍ
وقولي: مغيباً: معمول لفعل الجواب الذي دلَّ عليه الشَّرط، وتقديره: ولولا ما ذكر لغبت عنهم مغيباً صفتة كذا))⁽³⁸⁾.

ومن البديهي في هذا الباب المتعلِّق بالمعنى أن نجد ما حدَّده المؤلِّفون من أغراض النَّظْم في بعض من النَّصوص التي اشتملت عليها مؤلَّفاتهم على نحو تقليدي، لتشمل باختصار معظم الأغراض الشعريّة، ولعلَّ من أبرز ما ظهر ضمن هذا المجال النَّصوص ذات الطابع الوجداني، ومن بينها تلك التي عبَّرت عن الشُّعور بالمواطنة تجاه الوطن في قول الرُّعيني (ت 666هـ) بعد قصيدة أبي إسحاق الفُرشي الكبيرة في رثاء الأندلس:

((وهي قصيدة طويلة تُنِيف على المئة بيت، يتحرّز فيها للجزيرة ويتفجّع، ويرثي لها بما تكاد له الأكباد تتقطّع، فرحمه الله، كيف لو رأى الآن حالها ومآلها، وأبصر تقويض الملة المحمّديّة عنها وارتحالها، وكيف جاست الصليبيّة خلالها، وبألها حشرات فصفت للإسلام وأهله أضلعاً، ورزيات أصمّ بها الناعي وإن كان أسمعا، وفجائع لم تُبتق بعد تصير المصرين: إشبيلية، وقُرطبة للكفر بعد الإيمان في مسلاة مطمعا)).⁽³⁹⁾

فضلاً عمّا جاء من رثاء غير الإنسان (الديك) في قول الإشبيلي (ت 575هـ) في أبي الفرج علي بن محمد القرشي الكاتب، ولعلّ في الحكم الذوقي الصادر عليه ما يُنبئ عن السبب في ذكرها، في إشارة إلى ما يكنه الشاعر من مشاعر إلى غير أبناء جنسه من الموجودات على وجه البسيطة، بعد أن تعلّق الإنسان / الشاعر منذ القدم بالحيوان: ((قصيدة في رثاء الديك للقرشي ... يرثي ديكاً له، وهي غريبة)).⁽⁴⁰⁾

ومن أجل أن تكتمل الصورة حول ذلك العصر نقرأ من حقل النظم التعليمي الذي شاع إبّان تلك الأيام، ماجاء للرّعيني (ت 666هـ) في أرجوزة شيخه أبي بكر التجيبي (ت 646هـ): ((ونظم أرجوزة جيّدة في الفرق بين الأحرف الستة: الضاد، والطاء، والذال، والسّين، والضاد، والرّاي، كتبها لي بشرحه لها، وقرأت عليه كثيراً منها، وأباح لي حملها عنه))⁽⁴¹⁾.

3- توثيق الشعر وتحقيقه: كما رأينا من قبل، لا تخلو جهود المؤلفين من إجراءاتهم الهادفة إلى قضية توثيق الشعر من أصوله، وتحقيقه لقائله، ومن الأمثلة على ذلك قول الرّعيني (ت 666هـ) جازماً بهذا الصّد، بعد أن عاصر (شيخه الشاعر) من غير أن يعزو الأبيات لأحد القائلين بعينه، في ملّمح إلى أن هنالك نقاط مشتركة مع الأقدمين ممن عملوا في هذا المضمار وقفت الجهود عندها، كما مرّ بنا مع الوادي آشي (ت 749هـ) من قبل: ((ووجدت منسوباً لشيخنا أبي عمرو المذكور، ولا أحققها له:

عزّمن لا يموت يامن يموت وتعالى فلم تنله الثعوث
... الأبيات)).⁽⁴²⁾

ومن صور البتّ في هذا المجال قول المنجور (ت 955هـ): ((وأبيات الكفات التي هي لابن الياسمين، وقيل: هي للفشتالي، وأمّا البيت الأخير وهو قوله:

بشرط تجانس الأموال فيها والا كان هذا القول جهلا

فلاستاذ اللجائي بلا نزاع))⁽⁴³⁾.

وهناك على ما يبدو ثمة آليات لتوثيق الشعر في الكتب المؤلفة، إذ نجد في هذا السياق من سلط الضوء على هذا الإجراء من المؤلفين بارجاع الشعر غير المقيّد بشاعر من المصدر المنشد، إلى أصله الذي يعود إلى جنس (الموشح)، مع التمثيل على ذلك على حسب معرفة بالأمر، كما ورد في قول الوادي آشي (ت749هـ) في بهاء الدّين الدّمشقي (ت713هـ): ((وحين وداعي له بكى وأنشدني، ولم يُعيّن قائلاً:

يا طالب الفراق مهلاً فخيّلهُ سُبَق عتاقُ
اصبر فطبع الزّمان غدرٌ وآخر الصُّحْبَةِ الفراقُ
وهذان البيتان أعرفهما مطلع موشحة كقول الآخر:

هل ينفَعُ الوجودُ أو يفيدُ لآخرها....))⁽⁴⁴⁾.

كما وتمّت الإشارة أيضاً ضمن هذه الباقية إلى مصادر القول التي اقترن بعضها بالتوضيح للمعنى من لدن المصنّف، من نحو التّضمين من الشعر. قال التّمنارتي (ت1060هـ) في ذكر الشّيخ أبي العبّاس أحمد بن موسى (ت971هـ): ((وقوله: (وأنا جاهل بكلّ فن)، ينظر إلى قول ابن الفارض:

كذاك بفعلي عارف بي جاهل وعارفه بي عارف بحقيقة
أشار إلى أن العارف صنفان: عارفه تعالى بصفاته، وعارفه تعالى بمشاهدته. فمعرفة الأولى تعدّ جهلاً بالنسبة إلى الثاني، ومعرفة الثاني هي المعرفة الحقيقيّة))⁽⁴⁵⁾.

ومن إشارته إلى التّضمين في شعره هو قوله: ((وكتب المنصور لملك العجم بهذين البيتين:

فلما نأيتم ولم أستطع أسير لحضرتكم بالقدم
شفعت إليكم بحق الرسول وخاطبتكم بلسان القلم
فأجابه بمثلاً: ...، وينظر للبيتين الأولين ما كتبت به لشيخنا الإمام أبي مهدي عيسى بن عبد الرّحمان بمدينة مراكش، وهو قاضيها:

ولما تـنـاءت بلادكم وعوقت عن وصلكم بالقدم

جعلت مكان شفاهي لكم على الرغم مني شفاه القلم))⁽⁴⁶⁾
وجاءت بعض النصوص المقيّدة ضمن هذا الإطار بما يفيد قيام استدراقات على جهود
السّابقين في هذا المجال، إذ عقّب الرُّعيني (ت 666هـ) على أمر التّضمين الحاصل من
الموروث الشعري بمدخلته الآتية على بعض مانقل السّبتي (ت 544هـ) فيما أورده في
الخبر عن أبي جعفر المالقي (ت 624هـ) و: ((أنشدني - رحمه الله - وكتبه لي بخطه،
قال: أنشدني ابن الفخّار، أنشدني ابن العربي، أنشدني أبو بكر محمّد بن سابق الصّقلي،
قال لي أبو بكر بن البر: أتيت القاضي أبا محمّد عبد الوهاب بن علي بن نصر بالمسجد
الجامع بمصر، فقلت له: ياسيّدنا الأمام أنت القائل:

تَمَلَّكَتْ يَا مُهَجَّتِي مُهَجَّتِي وَأُسْهَرْتَ يَا نَاطِرِي نَاطِرِي
وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلَوُلاً وَلَا خَطَرَ الْهَجْرِ فِي خَاطِرِي
فَجُدُّ بِالْوَصَالِ فَدَتَكَ النَّفْوُ سُوِّ فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْكَلَامِ فَلَقَّبَنِي التَّاسَ بِالشَّاعِرِ

فقال: يا أبا بكر، دع ذا، فإنه كان في أيام الصّبا. قال أبو عبد الله بن أبي الفضل عياض -
وقد أورد هذه الحكاية عن ابن العربي بسنده - : هذه الحكاية نقلتها على خطّ المحدث أبي
الوليد بن الدّبّاغ، والشّعر في كتاب اليتيمة للوأواء. قلت: الذي ثبت منه في اليتيمة منسوباً
لأبي الفرج محمّد بن أحمد الغسّاني الدّمشقي، الملقب بالوأواء، بيتان، وهما: تملك
يامهجتي، البيت، وفيك تعلمت نظم الكلام، البيت خاصة))⁽⁴⁷⁾.

وعلى غرار ما جاء في المصدر الأدبي المشرقي، قد يفسح النصّ المتقدّم المجال لذكر
ما جاء للعيّاشي (ت 1090هـ) ناقلاً قول شيخه الشّهاب الخفاجي في أحد اللّقاءات المبكّرة
التي جمعتها وإيّاها: ((ولما لقيت شيخنا شهاب الدّين الخفاجي الحنفي أول ما دخلت
عليه، وأنشدته قصيدتي التي قرظت بها شرحه على (الشّفا)، وأولها: ... (البيتان). وهي
طويلة. واستحسنها، ثم بعد مفارضة أملى عليّ ما نصّه: قال البخارزي في (الدّمية)، بعد
أن ذكر قول التّهامي:

وَعَادَرْتُ فِي الْعِدَا طَعْنًا يَحْفَ بِهِ ضَرْبٌ كَمَا حَفَّتِ الْأَعْكَانُ بِالسُّرْرِ
قلت: معنى بديع، ومربع مربع، وقد كان يملّكني بقول ابن المعتز:

وَتَحَتَ زَنَانِيرُ شَدَدَنَّ عَقُودَهَا زَنَانِيرُ أَعْكَانٍ مَعَاقِدَهَا السُّرَرُ))⁽⁴⁸⁾
 ولذلك فإن من أوجه التوثيق المشروعة الرجوع إلى الكتاب (الجامع) الذي ضم البيت
 الشعري المُنشد، قال ابن غازي (ت 919هـ) بعد أن رجع بالشعر إلى أحد أمهات المصادر
 المؤلفة في بابها التي حوت البيت: ((وأنشدنا في جمل الخاتمة، وهو من أبيات الإحياء:
 ...البيت)).⁽⁴⁹⁾

ومن مصادر التّضمين ما جاء كذلك من الحديث الشريف. قال التّمنارتي (ت 1060هـ)
 في أبي البركات الغزي: ((ومن نظمه مضمناً الحديث:

عن النبیاتانا من رأى امرأة وحل في قلبه للحسن موقعها
 فليات زوجته وليقض حاجته فإن ما معها مثل الذي معها))⁽⁵⁰⁾
 وقد يكون جانب من المصدر القولی هو المؤلف ذاته الذي تدخل بأسلوبه الخاص
 ؛ لتفادي وقوع الخلل في عملية نقل النص، والذي يكشف من جانبه عن حقائق رافقت
 عملية إنشاد النص الشعري الذي اعتمد في جانب على الذاكرة التي كانت في بعض
 الأحيان لا تسعف المُنشد كثيراً، فتراه يعمد إلى التلفيق لإكمال نص ابن هارون المُطغري
 الذي هو بشأنه. قال المنجور (ت 955هـ): ((ومن قصيدة الشيخ: ... الأبيات

وعلا السلام والحق انتشر بعلوها شمي أنفس
 وعزب عن حفطي باقيها، وآخر هذا البيت من تليفي، كملت البيت به ؛ لما نسيت.
 فأجابه أبو الطيّب بقوله: ... الأبيات. هذا ما علق بحفطي الآن منها، وعزب أكثرها))⁽⁵¹⁾.

وبالوسع أن نلاحظ ما تمّ نقله من حقائق أخرى تخصّ الشعر ذاته، وبعض الظواهر التي
 اعترت عملية نقله، من مثل ما طرأ على اللفظ المنقول في سياق الشعر من (تصحيف)،
 ثم بيان مصدر الحقيقة، على نحو يقدّم صورة لجهود توثيقي متابع، ومساند لما هو عليه
 اللفظ من أصل، كما هو الحال لدى القضاعي (ت 658هـ)، فيما جاء من قوله في أبي
 بكر الإشبيلي (ت 536هـ): ((ومن حسن ما ندر له عنده أنه قرى عليه في كتاب الدلائل
 لقاسم بن ثابت السرقسطي:

يَتْلُو نَعَاماً وَارِداً وَمَا دَرَى أَيْنَ وَقَع

فقال أبو بكر: هذا تصحيف، وإنّما هو:

يَتَلُو نَعَاماً وَارداً وَصَادراً أَيْنَ وَقَع

وهو شعر حسن فيه: ... فَسَّرَ به أبو علي، وقال: يكفيننا هذا في يومنا. حكى ذلك أبو الوليد بن خيرة الفقيه، وحدثت به عنه. قلت: والشعر للحصني، أنشده ابن قتيبة في كتاب الأنواء له، وذكره أيضاً غيره، وقبل البيت الذي وقع فيه التصحيف:

أَمَامَهَا رَامِإِذَا اغْرَقَ ذَا فَوْقَ نَزَعٍ⁽⁵²⁾

وقد تقع الإشكالية في أحد حروف اللفظ الشعري، ولاسيما في المهملة منها (الحاء)، بحسب ما يقتضيه رسم الحرف العربي، استدعت التنبية عليه من لدن العميري (ت1178هـ)، مما قاد إلى عملية تصحيحه في نطاق إيراد النص اللغوي، والمعزز بالشاهد الشعري من المصدر المطابق لما ذهب إليه المصحح بعد أن كان قريب العهد به، كما ورد في قوله في الشيخ سيدي البهلول: ((وكان لي عنده أيام قراءتي عليه شفوف، فكان ربما لفتني في بعض مباسطاته بأبي الغرائب؛ لما أنقله أحيانا في درسه من غريب النقل، سمعته يوماً ينشد قول القائل:

حَيْتِكَ نَافِحَةَ الشِّذَا بَعْبِيرِهَا وَسَقْتِكَ مَغْدَقَةَ الْحَيَا بِنَمِيرِهَا

فأنشد: نافحة بالحاء المهملة، فقلت له: سيدي، إنها بالجيم، فأنكر عليّ، وقال: لا أقبلها منك إلا بنص أو شاهد. واتفق أن كنت قريب العهد بها، فقلت له: نعم، أما النص فإن القاموس ذكرها في باب الجيم، وأما الشاهد فقول الخفاجي - رحمه الله - في نارنجة:

نُقِبْلُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا نَشُمُّهَا فَهَنْ خُدُودَ بَيْنَا وَنَوَافِجَ

والبيت عنده من قصيدة جيميّة)).⁽⁵³⁾

ولاشك في أن مجرد التصريح بالتمثل بأبيات الآخرين كما هي، فضلاً عن الإنشاد لهم، وذلك بقولهم: ((وأنشد مُتمثلاً، أو وقال مُتمثلاً، أو وتمثلت بقول، و أنشد لـ ...)) يعدُّ وجهاً سافراً من أوجه عملية توثيق الشعر التي قام بها المؤلفون في هذا الإطار، ولاسيما تلك (الاعترافات) التي نصّت على ذكر الناظم الحقيقي، ويشمل هذا التصريح ما للقدامى من أقوال، فضلاً عما للمحدثين، على نحو يشير إلى توافر عنصر التداولية في هذا الإطار، ويبدو أنه لم يقتصر على البيت فحسب، كما أن من المؤلفين من أثبت في مؤلفته تمثلاته الشخصية بشعر غيره، في دلالة على مراعاة الأمانة العلمية في هذا الجانب⁽⁵⁴⁾، وقد

انصرف جانب من الإشارة إلى الأبيات المشهورة، أو القديمة إلى نطاق هذا الميدان؛ لما ينطوي عليه واقع البيان من تأييد⁽⁵⁵⁾.

4- الملاحظات البلاغية: لعلّ بالإمكان أن نلمس ضمن هذه الفقرة بعض الملاحظات التي أشارت إلى توظيف الشعراء جانباً من الفنون البلاغية من نحو (التورية) في سياق الدلالة، ضمن نماذج شعرية هي بحاجة إلى آليات من هذا الشكل؛ لغايات شتى منها ما يتوافق مع طبيعة الغرض المعروض القائم على أساس التدبّر لأغراض فكرية - ترفيهية، قام جانب من الشعر على أساسها في عصوره اللاحقة، كالألغاز الشعرية، ومن ذلك نقرأ قول العياشي (ت 1090هـ) في سيدي عبد القادر: ((وأشدني أيضاً لغزاً في الدمل، وفيه تورية وطباق لبعضهم:

وَمَا شَيْءٌ إِذَا زَادَ انْبَسَاطاً رَأَيْتَ النَّفْسَ مِنْهُ فِي انْقِيَاضٍ
فَقَبَلَ الْعَصْرَ يَظْهَرُ فِي ارْتِفَاعٍ وَبَعْدَ الْفَجْرِ يَرْجَعُ فِي انْخِفَاضٍ⁽⁵⁶⁾

ونجد كذلك منها ما ورد في نطاق غرض (الهجاء غير المُبتدل) إن جاز التعبير، وما رافق ذلك من شرح مبسّط من لَدُن المؤلف؛ لبيان القصد الشعري، كوسيلة ناجعة لوصول المتلقّي إلى المعنى الذي كان مُحاطاً بتوجهات محافظة على الذوق العام في المجتمع المغربي، قادت إلى مظهر من القول يقوم على التعريض الخفي بالمعرّض به.⁽⁵⁷⁾

ومع فنّ بياني آخر، وغرض ذاتي جاء قول التمنارتي (1060هـ) في بيان الكناية التي جاءت في غرض الفخر: ((وأما قول أبي فراس:

وَأَنَا الَّذِي مَلَأْتُ الْبَسِيطَةَ كُلَّهَا نَارِي وَطَنَّبَ فِي السَّمَاءِ دُخَانِي
فكناية عن كثرة أضيافه المستلزمة لكثرة جوده، لا مدح الدخان لذاته، وكم من مثل هذا في كلامهم)).⁽⁵⁸⁾

ومن الفنون البلاغية ما جاء موظفاً لبيان قدرة الشاعر على الإتيان بالجديد الذي لم يسبقه أحد إليه - على حدّ زعمه - إذ أعجب الرّعيني (ت 666هـ) القائل في معاصره مرّج الكحل (ت بعد 634هـ): ((وأشدني قطعة أخرى:

أَرَأَتْ جُفُونُكَ مِثْلَهُ مِنْ مَنْظَرٍ ظَلُّ وَشَمْسٌ مِثْلَ خَدِّ مُعَذَّرٍ
وَجَدَاوِلٌ كَأَرَاقِمٍ، حَصَبَاؤُهَا كِبُطُونِهَا، وَحَبَابُهَا كَالْأَظْهَرِ

هذا التتيميم العجيب في تشبيه الجداول بالأرقام، زعم أنه لم يسبق إليه)).⁽⁵⁹⁾

وقد نلاحظ في هذا الحقل صدور الرأي البلاغي إجمالاً عن المؤلف بعد مقطع منظوم قاله على سبيل التواضع فيما رافق المنشور من قوله ضمن بعض السياقات المتبعة في المؤلفات العربية القديمة.⁽⁶⁰⁾

كما وصدر أيضاً في بيتٍ من الأبيات، على نحو يرتبط بجانب بلاغي محدد (الإستعارة)، إذ بين التمنارتي (ت1060هـ) مكان الإستعارة في بعض الألفاظ الشعرية، ومسوغاتها الفعلية، في أحد أبياته، ولاسيما بعد مرورها المرتب زمنياً بسياق التحوّلات من الدلالة المعجمية وصولاً إلى ما أفضت إليه في نطاق المعنى الشعري من عرف دارج، في قوله مطلع جملة أبيات قصيدة:

((أراها صيران الحي ترعى فريدة فأين طباء الحي أين جآذره ... الأبيات. والصيران: ذكور بقر الوحش، ثم أستعير للرجال، كما أستعير الأطباء، والجآذر للصبيان)).⁽⁶¹⁾

وجاء قوله في هذا السياق أيضاً بعد أن جعل من توظيف غيره فن الإستعارة في قوله، وملابساتها الحاصلة على أرض الواقع مجالاً لتوسيع الحديث التقدي عن قيمة النصّ بعض الشيء، وصولاً من هذه النقطة الجوهرية إلى الحكم بالرفض عليه، وتقديم البديل المقبول بالفطرة لما يجب أن يقال في موضوعه، بعد أن ارتبط بجانب لغوي - شرعي جوّز للتأقّد ما ذهب إليه من إجراءات: ((وأما قولكم: وأتانا فيها أبيات من تامنرت، ذكر أنها لبعض القضاة من هلاله، لا نعرف اسمه، وإنّ مطلعها قوله:

بدت بسماء الطيب نزهة رامق فدان لها طوعا شعاع الشوارق
فاعلم أن قائل تلك المزملة هو سعيد بن أبي بكر بن عمر الهلالي، ليس بقاضيه، ولا هو معروف بفقّه ولا طبّ، ولا هو من أهل ردّ ولا قبول ...، ومطلعه ينبئك عن غايته: فانه ادعى أن ذلك الدخان من نوع الطيب الذي استعار لجنسه السّماء، وسماه (نزهة رامق) أي يعجبه، وأنه أشرق حتى خضع لا شراقة شعاع النيرات. وهذا كلّه يكذبه فيه الحسّ والعيان: إنه لا مناسبة بين هذا الدخان، وبين الطيب، ولا بين الرامق، والطيب، واعجاب فيه لرامقه واطلامه، ولا علاقة بينه، وبين الثور الذي ادّعى أنه من جنسه، لأنه مُظلم، والثور مضيء،

فهو ضده، فلم يكن لشيء من تلك الاستعارات وجهه ولا علاقة. ومثل هذا مرفوض في اللسان؛ لامتساحه وعدم ملاءمته، فلو قصد بكلامه التّهكّم الذي لا يراد به مدلول اللفظ لكان أولى به، وحمله على ذلك فرط الجهل بقواعد اللسان حتى يميز بين ما يتلاءم في الطبع، وبين ما يتنافر فيه، وهكذا سائر أبياته. فابتعد منها: فليس لها ظل، ولا جنى:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدك الله من سمات
وغايتها أنه يحاول، بمجرد التّمويه، تقرير مفسدة يجب دَرؤُها عن الدّين، ولم يعلم ما يلزمه فيها. وقد قال القرافي رحمه الله: ((من أقرّ المفسدة من غير تقليد صحيح، ولا اجتهاد معتبر، فهو عاص)). ولو أنصف في وصفها، لقال: ((... الأبيات)).⁽⁶²⁾

5- الطّبع والصنعة: جاء قسم من المؤلّفات ببعض الإشراقات التي تنتظم ضمن هذه الفقرة التي لاقت في النّقد القديم اهتماماً ملحوظاً، ومن سياق الحديث عن الطّبع ما جاء في ضوء بيان قدرة الشّاعر على النّظم بكثرة، والتّفنّن فيه، فضلاً عن النّظم بسلاسة، وانسيابية تذكر، على نحو غابت عنه الشّواهد الشّعريّة اللازمة، بعد الاكتفاء بتفعيل عنصر السرد الإخباري عن الشّاعر نفسه، من نحو قول الوادي آشي (ت749هـ) في ابن السّماط المهدي الذي تيسر له النّظم البديع كثيراً، على حسب قوله فيه: ((له نظمٌ كثيرٌ بديع، وخمّس عشرينيّات، وهو من النّظم بمكان يُسرّ عليه)).⁽⁶³⁾

وقال الرّعيني (ت666هـ) في الأديب أبي المتوكّل الأشبيلي (ت630هـ)، وكانت له معه وقفة نقدية تستند على قضيّة سرعة الارتجال الآني، ومايرافقها من تواتر في المعاني، والأعاريض والقوافي المصاحبة لذلك، على مستوى النّظم في الشّعر، وفنونه، على البديهة في المجالس الأدبيّة: ((وكان من أسرع النّاس بديهةً، وأعجلهم ارتجالاً، واختبره الطّلبة بأن اقترحوا عليه معاني الشّعر، وأعاريضه وقوافيه، فيرتجل ذلك بسرعة، حتّى كأنه يمليه من حفظه، وربما زادوا في طلب تبكيته بأن يقترح عليه هذا قطعة شعر، وهذا موشحة، وهذا زجلاً، فيملي على كل واحد منهم مقترحه، ولا يجف للملى عليه قلم؛ لسرعة ارتجاله)).⁽⁶⁴⁾

ومع توافر نماذج عديدة من الاستحسان النّقدي المصاحب للشّعر المطبوع، نجد أن هنالك أيضاً تصريحات تقوم على الضدّ من ذلك بعد توافر مخرجات شاهدة على الكلام

الشعري أفادت من جانبها بيانات صريحة من شأنها الخروج بنتائج مغايرة لذلك، ولاسيما على مستويات: (التنقيح، والتناسب، والإطالة القولية) في إشارة إلى ضرورة الإعتناء بها، بوصف بعضها مفصلات حيّة في العملية النظميّة لا يختص بها الشعر القائم على مبدأ الطبع فحسب، التي جاءت مجتمعة في قول الرّعيني المتقدّم في أبي المتوكل الإشبيلي: ((شاهدت له من هذا ما يقضى منه العجب، إلا أن كلامه لا يأتي مُنْفَحاً، ولا كثير التناسب، ولا تطول أيضاً قصائده، إنّما كان أكثر ما يأتي به قطعاً)).⁽⁶⁵⁾

وبالوسع أن نقرأ في الطرف المقابل للشعر المطبوع أيضاً أحكاماً تستند بالتأكيد على بعد نقدي، لاتعود على نتاج بعض الشعراء باستحسان يذكر، وذلك بالنظر إلى بعض المعايير التي جاءت لتوكيد هذه الحقيقة في قول التمنارتي (ت1060هـ) في الشيخ ابن الوقاد التلمساني (ت1001هـ): ((وكان حسن العبارة، جيد الإشارة، سلس الطبع، غير مُتكلّف)).⁽⁶⁶⁾

بيد أن من المآخذ عليها أنها جاءت على وفق معطيات قراءة ذاتية شاملة، لم تستند إلى نصوص معيّنة مقدّمة للقراء منذ زمن تأليف الكتاب، ولاسيما بعد أن رصد السبتي (ت544هـ) ضمن ميدان الحديث عن أدب ابن سمجون اللواتي (ت941هـ) ما وقعت فيه نصوصه الأدبية في هذا المجال من (تقعر وعرابة)، بقوله: ((وله شعر فيه تقعر، وحُطَب فصيحة، قويّة العارضة، كثيرة الغريب)).⁽⁶⁷⁾

فضلاً عمّا جاء في إطار مفهوم (التكلف)، في قول الرّعيني (ت666هـ)، وقد لمس طابع شعر ابن مُحَرز الزُّهري (ت645هـ) بنفسه، وبصورة شفاهية، وكتابية حيّة؛ بما تمّ له من سماع مباشر من لفظ الناظم نفسه، فضلاً عن تلك المُخاطبات التي دارت بينهما آنذاك: ((ويتكلّف نظم الشعر، سمعت بعض ذلك من لفظه، وكتب إليّ مخاطباً به)).⁽⁶⁸⁾

ومن السُّبل التي فتحت المجال للحديث عن هذه القضية النقدية على نحو عام تطرّق المؤلفين إلى ما يشير إلى عنصر الرّقة، والطبع السليم الذي يشكّل عنصر ارتياح لدى المتلقّي في سياق عملية النّظم، فقادته هذه المزيّة إلى إصدار حكم رفيع، كما حدث بعد إيراد الرّعيني (ت666هـ) أبيات مَرَج الكحل بقوله: ((وأُنشدني قصائد عدّة، وقطعاً بارعة، منها قوله:

عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ الْكَثِيبِ الْأَعْفَرِ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكَوْثَرِ
... القصيدة. هذا من الشعر الرائق الفائق، الذي لا نظير له)).⁽⁶⁹⁾

ومن البديهي أن تقترن الرِّقَّةُ ببعض الأغراض الشعرية من نحو وصف الطبيعة في النَّصِّ المتقدِّم، فضلاً عن بعض الأغراض التَّعليمية⁽⁷⁰⁾، فهذا أمر مألوف، حتَّى غدت صفة دالة أطلقها الرَّعِينِي (ت 666هـ) على الشَّاعر أبي النَّعِيم المألقي (ت 641هـ أو 642)، كما جاء في قوله فيه: ((شاعرٍ غَزَلٍ مُرَّقِقٍ، لم يكن فيما كَتَبَ به شيءٌ يُلِيقُ ذِكْرَهُ، سوى قِطْعٍ غَزَلِيَّاتٍ، خَتَمَهَا بهذه القِطْعَةِ: ... الأبيات)).⁽⁷¹⁾

وكما أنها ليست حِكراً على غرض معيَّن من أغراض الشعر بقدر ما هي ترتبط بالأصل الذي يجب أن تقوم عليه بعض الأغراض الوجدانية - العاطفية، لا يختصُّ بها نظام القصيد فحسب، وهذا ما أكَّده المنجور (ت 955هـ) بعد أن رصدها في إطار الموازنة بين أزجال محمَّد بن محمَّد الغرديس (ت 955هـ)، وما لغيره في هذا الفنِّ الشعري، التي قيلت في مراحل زمنية سبقت شيخوخته - في ضوء إحتراز سمح به الاتجاه المحافظ - ولا سيَّما بعد أن ارتسمت جوانب شخصيته الإنسانية على هذا الأساس الفطري اللطيف أضف إلى ذلك أن ملاحظته لفتت الأنظار من هذا المنطلق إلى إدراك فضاء مواطنها في بعض الأغراض المرتبطة بزمنها في إطار الشَّكل الموسيقي الموزون، والمضمون القائم على اللَّفْظ والمعنى الصحيحين، بقوله بهذا الشَّأن: ((وأما رقتة، وقوام طبعه في إنشاء الأزجال وشبهها قبل الشيخوخة، وكبر السن، ولطافة تغزُّله فيها، فقد بذَّ فيه شعراء وقته طلبه وعامة، وكذلك موالده في مدح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أيام المولد من أرقِّ الموالد، وأوزنها، وأصحَّها معنىً ولفظاً)).⁽⁷²⁾

وتظهر معطيات هذا الإطار على نحو يشمل فنون الشَّاعر القولية، ونحن نقرأ ما جاء للشُّفْشَاوَنِي (ت 986هـ) من قول في محمَّد ابن يَجْبِشُ التَّازِي (ت 920هـ): ((وله توشيحَات، وقصائد، ومقطَّعات رائقة)).⁽⁷³⁾

وقد يعمد الشَّاعر إلى بعض التَّقْنِيَّات التي من شأنها بيان طبيعة الأدب السليم لديه، قال الرَّعِينِي (ت 666هـ) في أبي القاسم القُرْطُبِي (ت 623هـ): ((وله قطعة أخلاها من حرف الرِّاء، تدلُّ على متانة أدبه، مع سلامة طبعه، أوَّلها:

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ الْعَمَامُ سَمَاءً وَوَجَّهَكَ فِي لَيْلِ الْخُطُوبِ ضِيَاءً
... الأبيات، ومنها: ... الأبيات)). (74)

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا رأينا فيما سبق من نماذج مرّت بنا أنّ من المؤلّفين من أشار إلى التزام بعض الشعراء بعض مظاهر الصّنع الشعريّة اللَّفْظِيَّة والمعنويّة، ولاسيّما ضمن تلك المجالات التي وُظِّفَتْ صوتياً في إطار النّصوص الشعريّة، وما صاحب ذلك العرض من قول مناسب فيه، فضلاً عمّا أورده اللَّبْلِي (ت 691هـ) من قول في أبي الفتح المطرزي (ت 610هـ) الذي قد نستشف منه بعض ذلك، بعد أن أبان عن قصديّة الشّاعر نحو هذا التوجّه في أشعاره: ((له شعر جيّد، يقصد فيه التّجنيس)). (75)

6- السّبق والمُحاكاة: نجد في هذا الحقل مظاهر الحديث حول عملية السّبق في القول الشعري، بوصفها مزيّة تعود على القائل كان قد رصدها بعض المؤلّفين، ومنهم الشّفشاوني (ت 986هـ) في إحدى منظومات الشّيخ ابن زكّري التّعليميّة (ت 899هـ)، بقوله: ((وله مُكَمَّلُ الْمَقَاصِدِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ بِمِثْلِهِ، وَنَظَمَهُ عَلَى بَحْرِ الرَّجَزِ، وَهُوَ بَكَر عِذْرَاءَ، لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى فَضْ خَاتَمِهِ إِلَى الْآنَ)). (76)

وفي سياق الحديث عن الأغراض الشعريّة قال الرُّعَيْنِي (ت 666هـ)، وقد نقل ما زعم به أبو القاسم القُرطبي (ت 623هـ) بحقّ قوله في التّرجس الذي وصفه (النّاقِل) بالأندلسي، بعد تحقيق له بشاهد دفع الإشكال، بمعنى أن هذا الموضوع فتح لدى بعضهم المجال لتقديم بعض الحقائق حوله من تاريخ الأدب، ولاسيّما في غرض وصف الطّبيعة الذي حَظِيَ بجانب من مباحث هذه القضيّة: ((وله في التّرجس الأندلسي، وزعم أنه لم يسبق إليه:

حُقَّ لِلتَّرْجِسِ أَنْ نَعَشِقَهُ كَيْفَ لَا يُعَشَقُ وَهُوَ الذَّهَبُ
يُعَقَّبُ الْوَرْدَ، فَلَا تَحْفَلُ بِهِ وَتَمَتَّعَ بِالَّذِي لَا يُعَقَّبُ

قلت: التّرجس الأندلسي، لأن الذي وصفه أهل المشرق إنّما هو البهار عندنا، وقد صرّح أبو نواس بهذا، ودفع الإشكال، فقال:

لَدَى نَرْجِسٍ غَضَّ الْقَطَافَ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَنَحْنَاهُ الْعَيُونَ عُيُونُ
مُخَالَفَةً فِي شَكْلِهِنَّ فَصْفرة مَكَانَ سَوَادٍ وَالْبَيَاضُ جُفُونُ)) (77)

وهنالك ثمة مسارات فنيّة ترتبط بهذا المحور، تثير بعض جوانبه، إذ أفادت بعض لوحات القصيدة الجاهليّة ذات المنحى الغزلي لدى امرئ القيس (ت 565م) الذي وصفه التّجيبّي (ت 730هـ) بقوله أحد: ((كبار شعراء الجاهليّة))⁽⁷⁸⁾، نسقاً جديداً حافظ على خصوصية الوزن في المنجز الشعري الذي جاء موظفاً لغرض آخر هو الافتخار النبوي، بعد استثمار الناظم أشطار القصيدة القديمة لهذه الغاية الفنيّة، كما أورده الوادي أشي (ت 749هـ) بقوله: ((حديقة الأزهار وحقيقة الإفتخار في مدح النبي المختار، صدر فيها قصيدة امرئ القيس بأشطار، وصرّفها عن المهيع الغزلي إلى الإفتخار النبوي الكاتب الأديب أبو الحسن حازم بن محمّد بن حازم القرطاجني))⁽⁷⁹⁾.

وفضلاً عمّا مرّ معنا من أمر التّضمين القول في هذه الدّراسة، جاءت تجلّيات المحاكاة ضمن المؤلّفات المدروسة بتسليط الضوء على إقتفاء الشاعر الطّريقة في النّظم⁽⁸⁰⁾، وبيان السبب في ذلك السلوك المقلّد العائد على رأيه النّقدي، وذلك بعد عملية إنشاد شعري شهدها الرّعيني (ت 666هـ) لابن برّجان (ت 627هـ) الذي أبا إلاّ الالتزام (بطريقة العرب) الأدبيّة، ربّما من باب الإعجاب بها، قائلاً فيه: و((أنشدني شيئاً من شعره، وهو فيه على طريقة العرب، وكان يستضعف الشعر المحدث، وكتابة المتأخّرين، ولا يرى ذلك شيئاً))⁽⁸¹⁾

وتحليل بعض مظاهر المعارضات الشعريّة القائمة بين الأشعار في المؤلّفات التي بين أيدينا الأنظار إلى كونها بؤرة يتجمّع عندها خليط من الأطر المعنويّة، والنّظم الصوتيّة المتماثلة في فنون الشعر، ينبغي ادراكها، والسّير على خطّها مسبقاً في المراجعات الخاصّة بهذا الشّأن، سواء أكان بين الشعراء المغاربة أنفسهم، أم مع غيرهم، وذلك في ضوء ما جاء للبلوي (ت 938هـ) في هذا السّياق بعد أن أورد لنفسه ما يقع ضمن هذا المنحى، ولا سيّما بعد أن جاء مُعزّزاً بالتّضمين، بقوله: ((ومن شعري في معارضة قول الإمام شرف الدّين المرسي، وقد سمعت من خلقٍ من أصحاب أصحابه:

قالوا: محمّد، قد كبرتَ وقد أتى داعي الحِمَامِ وما اهتَمَّت بِزَادِ
قلتُ: الكريمُ من القبيحِ لضيّفه عندَ القُدومِ مجيئهُ بالزادِ
فقلتُ:

قالوا: الكريمُ من القبيحِ لضيّفه عندَ القُدومِ مجيئهُ بالزادِ
قلتُ: القبيحُ أن يجيءَ مخالفاً وتزوّدوا فإن خَيْرَ الزادِ...))⁽⁸²⁾

فضلاً عما جاء في هذا الحقل لبعضهم من توطئة شعرية للقول⁽⁸³⁾، وتتميمات⁽⁸⁴⁾، وزيادات على القول⁽⁸⁵⁾، وتذييلات لأقوال شعرية، ومخاطبات في سياق الغرض الواحد، حتمت أهمية توافر عنصر المحاكاة للنص الوارد على المعقب للمحافظة على القاعدة الجمالية في عملية اتباعه بنص آخر مرتبط به، فضلاً عن أغراض أخر من نحو الخروج بمزية نقدية تعود على (نتاج المبدع الأدبي) كما في قول البلوي (ت 938هـ) ثانية: ((من تأليف العلامة التنسي: كتاب راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر، وما قيل فيه من الأمداح. جمع فيه ما تضمنه هذا العنوان، وأضاف إلى كل قطعة مما تضمنته ما يناسبها مما على رويها ووزنها من القصائد الحسان، فأمتع وأفاد، وأحسن وزاد)).⁽⁸⁶⁾

من جانبها شككت التخميسات والتسديسات أطراً حاضنة لمحاكاة نماذج من القصائد الوجدانية التي أعجبت بعض الشعراء فحذو حذوها ولكن بأشكال بنائية خماسية وسداسية⁽⁸⁷⁾، حتى أن منهم من نظم أكثر من قصيدة لشاعر مشرقى شهير ضمن فن التخميس، كما أورد الإشبيلي (ت 575هـ) في الخبر المجرد عن التماذج الحية في مؤلفه عن الفقيه أبي اسحق بن فرقد القرشي: ((ومخمسة من نظمه، نظم فيها قصيدة الرضي الشريف... الكافية، التي أولها:

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
ومخمسة له ثانية، نظم فيها القصيدة الميمية التي للشريف الرضي المتقدم الذكر، التي أولها:

يا ليلة السفح هلاعدت ثانية سقا زمانك هطال من الديم))⁽⁸⁸⁾
وهناك بعض التماذج من هذا العرض جاءت بمصاحبة الإنطباع التقدي للمؤلف، ولكن في ظل غياب النص التالي الموصوف بالجودة بعد توافر المعرفة به، من مثل ما ذكره التمنارتي (ت 1060هـ) بقوله في الشيخ السوسي: ((عرفت له تخميساً جيداً لقصيدة ابن وفاء، التي أولها:

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت عنا فأسرع شيء غارة الله))⁽⁸⁹⁾

الخاتمة

في سياق العملية الاستقرائية، وبالنظر إلى مجمل الجهود المبذولة من لدن المؤلفين فيما يمتّ بصلة لموضوع بحثنا الحالي يبدو أن الخلاصة الجامعة في هذا الإطار جاءت لتبين عن مثال لذلك الاسهام الجمعي عبر قرون عديدة في تكوين حلقة نقدية في التراث الأندلسي والمغربي لا يمكن التغاضي عنها، بل ومن المجدي البحث فيها بما يستجد في هذا الموضوع عن طريق التحقيق العلمي الرصين، وعلى الرغم من أن هاجس المؤلفين الأكبر في مؤلفاتهم الفهرسية لم يكن (نقد الشعر) في حقيقة الأمر لكن هذا الأخير يبدو أنه لاقى من الإهتمام جانباً، ولاسيما بعد أن يمكن القول أنه انتظم ضمن قضايا النقد، على نحو يشير إلى فهم المؤلفين، واستيعابهم الجيد لمقومات العملية النقدية ذات الجوانب الذاتية، والموضوعية التي تتعلق بالشعر، ولعلّ من بين ما فتح الباب لهذه الشمولية في الرؤيا التي تمتع بها حال النقد عدم الاقتصار على شريحة من الشعر معينة، أو فئة مُستهدفة من الشعراء، حتى أننا نلمس في هذا الإطار الرّحّب تسرّب الملاحظات النقدية إلى بعض النماذج من أشعار المؤلفين أنفسهم التي كانت حاضرة في مؤلفاتهم، بمعنى أن الصورة في أبعادها كانت مُتجدّدة، وتستقطب حيويتها من تلك الرّوافد المتوجّهة صوبها على الدوام، وهذا ما يقودنا إلى بيان أثر الذات الواضح في رسم أبعاد المشهد النقدي الذي حوى على آليات فنية، وأساليب متبّعة قديماً من شأنها أن تدلّ القارئ على صنعة هذا المؤلف أو ذاك في مجال التعامل الفعلي مع النصوص الشعرية، سواء أكان التعامل ضمن الحدود المسموح بها، أم ما تجاوز ذلك بتفاوت ملحوظ فيما بينهم من ناحية الكمّ والنوع، وهذا ماسلّط الصّوء على تكوين الصّورة النقدية من جهة التزام الحيادية في سياق العرض، وإبداء الرّأي إزاء العمل الشعري من بعض الجوانب.

الهوامش

- (1) ينظر: السبتي - عبید الله بن أحمد، برنامج، ص 35 وما بعدها .
- (2) ابن غازي - فهرسة، ص 82. أبو العباس أحمد بن سعيد، خطيب مغربي، له حظٌ وافر في الأدب، وذوق في التصوف. ينظر: ابن غازي، ص 82.
- (3) البلوي - ثبت، ص 434. الشيخ الحوضي: شاعر تلمسان، والموصوف في ذلك عند أهلها بالإجادة والإحسان، له مشاركة في علم الأدب، وله منظومات تعليمية. ينظر: البلوي، ص 433.
- (4) ينظر: الرُعيني - برنامج، ص 191 وما بعدها، العياشي - اقتفاء الأثر، ص 203 وما بعدها.
- (5) التمنارتي - الفوائد الجمّة، ص 379 .
- (6) العميري - فهرسة، ص 71 .
- (7) ينظر: الرُعيني، ص 208، 212. التّجبي - برنامج، ص 290-289 .
- (8) التّجبي، ص 290. وينظر من هذا القبيل لطفاً: الرّصاع - فهرسة، ص، 119، والشّفشاوني - دوحه النَّاشِر، ص 90، والعياشي - اقتفاء الأثر، ص 204، 212 .
- (9) الرّعيني، ص 211.
- (10) الوادي آشي - برنامج، ص 209 .
- (11) الرّعيني، برنامج، ص 109. أبو إسحاق إبراهيم بن علي، من مجيدي النّظم والنّثر. ينظر: الرّعيني، ص 108.
- (12) التمنارتي، ص 378 .
- (13) التّجبي، ص 289.
- (14) الوادي آشي، ص 49.
- (15) الفاسي - ميارة - فهرسة، ص 37. أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم القصار الأندلسي، الإمام العالم المشارك، إمام المحدثين في وقته، مُفتي فاس، وخطيبها. ينظر: الفاسي - ميارة، ص 34.
- (16) المنجور - فهرسة، ص 48. أبو الحسن علي بن موسى، من مطغرة تلمسان، الرّواية، الشّيخ، الفقيه، الاستاذ، العروضي، المؤرّخ، المتفنّن، الخطيب، المفتي، له مؤلّفات في الفقه والأدب، من فحول العلماء، وأكابر الفضلاء، انتهت إليه رياسة العلم في وقته ينظر: المنجور، ص 41. والشّفشاوني، ص 51.

- (17) التّجبيي، ص 288 – 289 .
- (18) ينظر: مصطلح التّجميع، مطلوب – معجم المصطلحات البلاغيّة، ج 2، ص 49 وما بعدها .
- (19) المنجور، ص 49. والأندلسي – ابن سهل، ديوان، ص 179، وفي صدر البيت الأول: (حمى)، وفي صدر البيت الثّاني: (وخفق مثلما). و فيما يتعلّق بمستهل معارضة ابن الخطيب لهذه الموشحة نضمُّ صوتنا إلى جانب صوت المحقق أن ((المعروف أن أول بيت ابن الخطيب (جادك) لا ساقك)).
- (20) البلوي – ثبت، ص 435-434 .
- (21) القضاعي – المُعْجَم، ص 69 .
- (22) العُميري، ص 90 – 91 .
- (23) السّبتي – القاضي عياض – فهرس، ص 46. محمد بن إسماعيل القاضي، والفقير العارف، كان يفهم صنعة الحديث، كثير السّماع، والجمع ينظر: السّبتي، ص 44، الضّبيّ – بغيّة المُلتمس، ص 52. وليس في الأبيات إشارة إلى ما ذهب إليه المؤلّف.
- (24) العُميري، ص 87 – 88. وعمر الحراق الحسني الشّفشاوني: وزير الحضرة الاسماعيلية، له ديوان شعر، ونثر بليغ، نبغ وبرع في الفنون على اختلاف أنواعها. ينظر: السّمالي – الإعلام، ج 9 ص 294.
- (25) القضاعي، ص 188. موسى بن عبد الرّحمن، من بيت قديم النّباهة، وكان مُفتي بلده، مع التّوسّع في الأدب، حدّث عنه جُلّة منهم القاضي أبو الفضل بن عياض، أمتحن بآخر عمره فشحّص إلى مراکش. ينظر: القضاعي، ص 187.
- (26) نفسه، ص 202 .
- (27) ينظر: التّمنارتي، ص 117، 123.
- (28) نفسه، ص 88 – 89. الشّيخ والإمام والخطيب القاضي المحدث أبو عبد الله محمّد بن أحمد التّلمساني، يعرف بابن الوقاد. ينظر: التّمنارتي، ص 85.
- (29) العيّاشي، إقتفاء الأثر، ص 211.
- (30) الرّعيّني، ص 94 – 95. محمّد ابن الفقيه أبي محمّد عبد الله بن إبراهيم، شاعر، وأديب زاهد، وله ديوان شعر، وتألّف: سَمَاه محاسن الأبرار، وآخر: التّذكرة. ينظر: الرّعيّني، ص 92-93.
- (31) العيّاشي، إقتفاء الأثر، ص 218. الدبيّع، عبد الرّحمن بن علي الشّيباني، من العلماء الرواة، له إجازات في المقروء عنه والمسموع. وله مؤلّفات في هذا المجال. ينظر: العيّاشي، ص 218 – 219.
- (32) نفسه، ص 211 – 212. شهاب الدّين الخفاجي الحنفي، من شيوخ العيّاشي، شرح كتاب (الشّفا)، وله شعر. ينظر: العيّاشي، إقتفاء الأثر، ص 210. وينظر: الرّمخشري – ربيع الأبرار، ج 2، ص 279 .

- (33) الرّعيني، ص 205 .
- (34) السبتي - القاضي عياض، ص 163. أبو الحسين يحيى بن محمّد النحوي الأديب. أحد أئمة الأدب، وشيوخ النّحاة، شاعر مجيد، له مجالس أدبية كثيرة، مع تفنّن في علوم رياضية، ذكره القاضي عياض في شيوخه، ولم يؤرّخ وفاته. ينظر: السبتي، ص 163، والسّيوطي - بغية الوعاة ج2، ص 341.
- (35) التّمنارتي، ص 480، والمعريّ - سقط الرّند، ص 64
- (36) ينظر: العميري، ص 146 .
- (37) اليوسي - فهرسة، ص 44- 45. والكندي - ديوان، ص 142، والشّطر الأول منها جاء من أرجوزة قالها الشّاعر/ الرّاجز، وفيها: (تالله)، والشّطر الثاني آخر ما جاء فيها. والتمني - شرح ديوان ج2، ص 92، وفيه (مشايخ)، وجرير - شرح ديوان، ص 821، وفيه: (حلوم) بدلاً عن (شيوخ)، و (وزنت) بدلاً عن (عدلت) .
- (38) التّمنارتي، ص 302. وفيه (للمحقّق): ((الأفواد: جمع فؤد، وهو معظم شعر الرّأس مما يلي الأذن. والثغام: نبت يكون بالجبال غالباً، إذا يبس ابيض، يشبه به الشّيب)) .
- (39) الرّعيني، ص 133. الفقيه الجليل أبي إسحاق إبراهيم بن خلف القرشي، له الأرجوزة المسماة: بغية الفارض، في نظم الفرائض، وله منظومات، ومخمّسات، وقصيدة كبيرة في رثاء الأندلس. ينظر: الرّعيني، ص 132. والإشبيلي - فهرسة، ص 519 ومابعدھا لطفاً.
- (40) الإشبيلي - فهرسة، ص 505. والقصيدة غير مذكورة في الكتاب.
- (41) الرّعيني، ص 151. أبو بكر، محمّد بن عتيق اللّاردي، استقضي كثيراً في الجهات، والإمامة بغرناطة، وله اعتناء بالحديث الشّريف، والأدب، والأرجوزة غير مذكورة في برنامج الرّعيني، ينظر: الرّعيني، ص 151.
- (42) نفسه، ص 107. وينظر: ابن غازي، ص 68 .
- (43) المنجور، ص 43 .
- (44) الوادي آشي، ص 87. أبو محمّد القاسم بن مظفر، شيخ، ومحدّث، وله شعر. ينظر: الوادي آشي، ص 86.
- (45) التّمنارتي، ص 184. ابن الفارض - ديوان، ص 96، وفيه: ((كذلك بفعلي عارفي بي جاهلٌ وعارِفُه بي عارِفٌ بالحقيقة)). أبو العبّاس أحمد بن موسى، شيخ التّربية والإرشاد، أمام طريقة الجموع والأفراد، القاضي، والعالم المتفّن. ينظر: التّمنارتي، ص 176-177 .
- (46) التّمنارتي، ص 291.
- (47) الرّعيني، ص 136- 137. وينظر: الدّمشقي - ديوان، ص 99- 100. وأبو جعفر: أحمد بن عبد المجيد، ابن الجيّار، الشّيخ المسند، عُرِف بالأمانة والصيانة. ينظر: الرّعيني، ص 135- 136.

- (48) العيَاشي - إقتفاء الأثر، ص 210. وجاء فيه للمُحقق: ((الأعكان: الاطواء في البطن من السَّمَن)).
- (49) ابن غازي، ص 69 .
- (50) التَّمنارتي، ص 424. وينظر: ابن الحجاج - صحيح مسلم، كتاب النكاح - باب من رأى امرأة فوقعت في نفسه، إلى أن يأتي امرأته أو جاريتها فيواقعها، ص 631، والرَّصاع، ص 11-12. الشَّيخ أبو البركات الحسن بن بدر الدِّين الغزِّي، له مؤلِّفات عديدة، ومنظومة طويلة في التَّفسير. ينظر: التَّمنارتي، ص 138.
- (51) المنجور، ص 48 .
- (52) القُضاعي، المُعجم، ص 132 - 133. محمد بن عبد الملك الكاتب الجليل، جلس في آخر عمره للنَّاس؛ لإقراءهم الكتب الأديبة، فانتفع به؛ لمعرفته بفنون الأدب، والنَّسب، واتساعه في اللُّغة، وأيام العرب. ينظر: القُضاعي، ص 132 - 135.
- (53) العُميري، ص 190. والشَّيخ محمد البهلول البوعصامي، من علماء المغرب في الفقه والنَّحو. ينظر: العُميري، ص 188. و((النافجة، ج نوافج: وعاء المسك)). معلوف - المنجد: (مادة نفج)
- (54) للإطلاع على الاهتمامات بهذا الخصوص ينظر: التَّمنارتي، ص 88، 171، 184، 30، والسَّبتي - القاضي عياض، ص 108، وابن غازي، ص 61، والمنجور، ص 47، واليُوسي، ص 56.
- (55) ينظر على سبيل المثال: السَّبتي - القاضي عياض، ص 108، البلوي، ص 445-444، والشَّفْشَاوَنِي، ص 60 .
- (56) العيَاشي - إقتفاء الأثر، ص 205. و((الدُّمْلُ: الخُرَاجُ، البُئْرُ)). معجم المعاني الجامع / عربي عربي / دمل.
- (57) ينظر: نفسه، ص 206، 209.
- (58) التَّمنارتي، ص 480. وينظر: الحمداني - ديوان ص 341. وفيه: (ملاً).
- (59) الرُّعيني، ص 210. والبيتان في جرَّار - مَرَج الكُحْل الأندلسي، ص 121. ويبدو أن في البيتين سبق للشاعر يذكر على المستوى التَّقدي، إذ قال السَّلْماني بعد البيت الأوَّل: ((وهذا تميم عجيب لم يُسبق إليه)). السَّلْماني - الإحاطة، معج 2، ص 345.
- (60) ينظر: العيَاشي - إتحاف الأخلاء، ص 91.
- (61) التَّمنارتي، ص 308.
- (62) نفسه، ص 491-490. وتامنرت / تمنارت: بلدة واقعة بالأطلس الصَّغير، عند سفحه الجنوبي المطلِّ على الصَّحراء، وهي واحة جميلة، تتكوَّن من قرى متناثرة على ضفاف وإِدٍ يسمى (تمنارت)، وتحيط بتلك القرى بساتين النَّخيل والفواكه المختلفة، ومعنى تمنارت باللهجة السوسية (منارة) ينظر: التَّمنارتي، المقدمة، ص 11-12.

- (63) الوادي آشي، ص 165. يوسف بن علي، أخو الشيخ الصالح أبي علي المشهور، له نظم كثير. ينظر: الوادي آشي، ص 165.
- (64) الرّعيني، ص 191-192. الهيثم بن أحمد بن جعفر، شاعر إشبيلية، الذاكر للآداب، وأشعار العرب واللغات، من الشعراء الموجودين. ينظر: الرّعيني، ص 191.
- (65) نفسه، ص 191-192.
- (66) التمنارتي، ص 88.
- (67) السبتي - القاضي عياض، ص 148. الفقيه أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك اللواتي، زعيم المغرب. وشيخه. كان من أهل العلم والفقه والأدب، أخذ نفسه بالإعراب، والتعجير في كلامه، مع الخاصة والعامة، فلا يكاد يؤخذ عليه لحن. ينظر: السبتي، ص 146-147.
- (68) الرّعيني، ص 166. أبو بكر محمد بن محمد، موصوف بمتانة الطلب، ويتكلف نظم الشعر. ينظر: الرّعيني، ص 166.
- (69) نفسه، ص 210. جرّار، ص 119.
- (70) ينظر: التمنارتي، ص 123.
- (71) الرّعيني، ص 206. رضوان بن أبي يزيد المخزومي، كان يغني بأشعاره كثيراً، من أظرف الأدياء زياً، ومجالسة. ينظر: الرّعيني، ص 206، والأندلسي - ابن سعيد: ج 1، ص 437-438.
- (72) المنجور، ص 54. أبو عبد الله محمد التغلبي، من بيت ثروة وعلم، قاضي فاس بالنيابة، كان له خط رائق، ولفظ في الإنشاد والشعر فائق، عُرف بالخطابة، والفصاحة، له فتاوى، ومنظومات عديدة. ينظر: المنجور، ص 51 وما بعدها لطفاً.
- (73) الشفشأوني، ص 71. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم، كان عالماً، متفنناً، شاعراً فصيحاً، ماجداً من مشايخ الصوفية. ينظر: الشفشأوني، ص 67-66.
- (74) الرّعيني، ص 198. عامر بن هشام بن عبد الله، شيخ جليل القدر في الأدياء، حافظ للغة، كتب قديماً، وسبق مع طبقة من الفحول. أديب كاتب، شاعر مطبوع، له: المخصص، وفي الأدب: منشط الكسلان، ومثبط العجلان، ومقصورته التي عارض بها ابن دريد، ومعارضته لملقى السبيل للمعري، ومقاماته. ينظر: القضاعي - التكملة لكتاب الصلة، ج 2، ص 29. والرّعيني، ص 197.
- (75) اللبلي، فهرسة، ص 125. والمطرزي ناصر بن أبي المكارم الخوارزمي، فقيه، ونحوي، وأديب، له معرفة تامة بالنحو، واللغة، والشعر، وأنواع الأدب، صاحب شرح المقامات، والمغرب في اللغة، واختصاره المعرب. ينظر: اللبلي، ص 125. ابن خلكان - وفيات الأعيان، ج 5 ص 369.
- (76) الشفشأوني، ص 120. أبو العباس أحمد بن زكري التلمساني، أحد فحول العلماء في الفقه والتحقق، متمكن من آلات الترجيح والاجتهاد. ينظر: الشفشأوني، ص 121-119.

- (77) الرُّعِينِي، ص 199.
- (78) التَّجِيبي، ص 284.
- (79) الوادي آشي، ص 280. وينظر القصيدة: القرطاجني - قصائد ومقطّعات، ص 179 - 184. وطالعتها:
- ((لعينيك، قل إن زرت أفضل مرسل: ففأبئك من ذكرى حبيب ومنزل))
والمهْيُح: الطريق البينّ الواسع. ينظر: معجم المعاني الجامع / مهيع.
- (80) ينظر: الرُّعِينِي، ص 201 .
- (81) نفسه، ص 98. الشَّيخ الحافظ أبو الحكم، عبد الرَّحمن بن برجان، كان أُعجوبة زمانه في حفظ اللُّغات، وضبط حواشيها، ثقة في نقله، ناقداً محققاً. ينظر: الرُّعِينِي، ص 98.
- (82) البلوي، ص 110 - 111. وينظر: البقرة من الآية الكريمة 197، وللاستزادة ينظر: الوادي آشي، ص 144، 278، 280 .
- (83) ينظر: ابن غازي، ص 84. والفاسي - ميارة، ص 37 .
- (84) ينظر: الوادي آشي، ص 213.
- (85) ينظر: الرُّعِينِي، ص 53، الوادي آشي، ص 280.
- (86) البلوي، ص 372. وينظر: المنجور، ص 55، والعُميري، ص 70 .
- (87) ينظر: الوادي آشي، ص 222 .
- (88) الإشبيلي، ص 520. وينظر: الرُّضِي، - ديوان، ص 99، ص 241 وفيه: (ألاً) في الصِّدر، و(سقى) في العجز.
- (89) التَّمنارتي، ص 117. والشَّيخ الشُّوسي: أبو علي منصور بن محمَّد المومني، فقيه مشارك، له معرفة بالأصلين والبيان، وله ممارسة بالفنون ومشاركة في المعقول والمنقول، مع نباهة وبراعة قلم، وكان فصيح القلم، أديباً، شاعراً. ينظر: التمنارتي ص 117، والسَّمالي، ج7، ص 256.

مكتبة المصادر والمراجع بعد القرآن المجيد

- ابن الحجاج - مُسلم، 2006 / صحيح مُسلم، تح: نظر بن محمد الفاريابي، ط1، 2006.
- ابن خلكان 1977 / وفيات الأعيان، ج5، تح: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت.
- ابن غازي، 1984 / فهرس ابن غازي، تح: محمّد الزّاهي، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنّشر والتّوزيع، تونس .
- ابن الفارض، د. س / ديوان، دار صادر، بيروت .
- الإشبيلي - ابن خير، 2009 / فهرسة ما رواه عن شيوخه، حقّقه، وضبط نصّه، وعلّق عليه: بشّار عواد معروف، ومحمود بشّار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- الأندلسي - ابن سعيد، د.ت / المُغرب في حُلَى المُغرب، ج1، حقّقه وعلّق عليه: د. شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة.
- الأندلسي - ابن سهل، 1998 / ديوان، ضبط نصوصه، وأعدّ فهارسه، وقَدّم له: د. عمر فاروق الطّباع، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت.
- الأندلسي لأبو محمّد عبد الحقّ، 1983 / فهرس ابن عطية، تح: محمّد أبو الأجنان، ومحمّد الزّاهي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
- البلوي لأبو جعفر أحمد بن علي، 1983 / ثبت البلوي، دراسة وتحقيق: د. عبد الله العمراني، ط1، دار الغرب الإسلامي.
- التّجيبّي - القاسم بن يوسف، 1981 / برنامج التّجيبّي، تح: عبد الحفيظ منصور، الدار العربيّة، ليبيا - تونس .
- التّرجي - د. عبد الله المُرابط، 1999 / فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة (منهجيتها - تطورها - قيمتها العلميّة)، ط1، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان .
- التّمنارتي لأبو زيد عبد الرّحمن، 2007 / الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأئمّة، تح: اليزيد الرّاضي، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- جرّار - د. صلاح، 1993 / مَرَج الكحل الأندلسي - سيرته وشعره، ط1، دار البشير، عمّان.
- جرير - شرح ديوان (د.س) / شرح: محمّد بن حبيب، تح: د. نعمان محمّد أمين طه، ط3، دار المعارف، القاهرة.

- الحجوي - محمد بن الحسن، 2003 / فهرسة محمّد بن الحسن الحجوي المسماة: (مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى)، تح: د. محمد بن عزوز، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.
- الحسني - أحمد بن محمد، 2005 / الفهرسة الكبرى والصغرى، تح: د. محمد بن عزوز، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.
- الحسني - ابن عجيبة، 1990 / فهرسة، تح: د. عبد الحميد صالح حمدان، ط1، دار الغد العربي، القاهرة.
- الحمداني أبو فراس، 2000 / ديوان، تقديم وشرح: عبد القادر محمّد مايو، ط1، دار القلم، حلب .
- الدمشقي - الوأواء، 1993 / ديوان، تح: د. سامي الدّهان، ط2، دار صادر، بيروت.
- الرّصاع أبو عبد الله، 1967 / فهرست الرّصاع، تح: محمّد العنابي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس.
- الرّضي - الشّريف، 1995 / ديوان، م2، شرح: د. يوسف شكري فرحات، ط1، دار الجليل، بيروت.
- الرّعيني أبو الحسن، 1962 / برنامج شيوخ الرّعيني، تح: إبراهيم شتّوح، مط مديرية إحياء التراث القديم، دمشق.
- الرّمخشري - أبو القاسم، 1992 / ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج2، تح: عبد الأمير مهنا، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- السّبي عبيد الله بن أحمد، 2011 / برنامج شيوخ ابن أبي الرّبيع السّبي، تخريج: السّبي (الشاط) قاسم بن عبد الله، قرأه وعلّق عليه: العربي الدائر الفرياطي، ط1، الرابطة المحمديّة للعلماء، المغرب .
- السّبي - القاضي عياض، 2003 / فهرس شيوخ القاضي عياض المسّمى (الغنية)، تح: د. علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة.
- السّجلّماسي - عبد الواحد، 2008 / فهرس عبد الواحد السّجلّماسي (الإمام ببعض من لقيته من علماء الإسلام)، تقديم وتحقيق: نفيسة الذهبي، ط1، الرباط.
- السّمالي - العبّاس بن إبراهيم، 1977 / الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، ج7، ط9، تح: عبد الوهاب ابن منصور، مط الملكية، الرباط.
- السّلماني - ابن الخطيب، 1974 / الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 2، تح: محمّد عبد الله عنان، ط1، الشركة المصريّة للطباعة والنّشر، القاهرة.
- الشّوطي - جلال الدّين، 1979 / بغية الوعاة في طبقات اللّغوين والتّحاة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، بيروت.

- الشُّشَاوَنِي - محمد بن عسكر، 1977 / دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر تح: محمّد حجي، ط2، مط دار المغرب، الرباط.
- الضَّبِّي - أحمد بن عيسى، 1967 / بغية المُلتَمَس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة.
- العمدة د. هاني، 1993 / كتب البرامج والفهارس الأندلسية - دراسة وتحليل، ط1، المركز التقني للخدمات المطبعية، عمّان .
- العُميري || أبو القاسم بن سعيد، (د.س) / فهرسة العُميري، إعداد: أحمد دجوغ / رسالة دبلوم غير منشورة، جامعة محمّد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
- العيَّاشي - أبو سالم، 1999، 1996 :
- * اتحاف الأَخْلَاء بإجازات المشايخ الأَجْلَاء / تقديم وتحقيق: محمّد الرَّاهي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- * فهرس أبي سالم (اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر) / تحقيق ودراسة: نفيسة الذهبي، ط1، مط النَّجَاح الجديدة، الدَّار البيضاء .
- الغبريني || أبو العباس، 1979 / عنوان الدراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المائة السابعة ببجاية (برنامج مشيخة المؤلف) تح: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الفاسي - عبد القادر، 2003 / فهرست عبد القادر الفاسي، تح: د. محمد بن عزوز، ط1، مركز التُّراث الثقافي المغربي الدَّار البيضاء.
- الفاسي - محمد مَيَّارة، 2009 / فهرسة الشيخ محمد مَيَّارة الفاسي، تقديم وتصحيح وتعليق: بدر العمران الطَّنْجي، ط1 مركز التُّراث الثقافي المغربي، الدَّار البيضاء.
- الفاسي || أبو العلاء إدريس، 2009 / فهرسة الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي، والريسوني - محمد بن الصادق / فهرسة محمد بن الصادق الريسوني / تح: بدر العمراني الطَّنْجي، ط1، مركز التُّراث الثقافي المغربي، الدَّار البيضاء.
- القرطاجني - أبو الحسن حازم، 1972 / قصائد ومقطّعات، تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب ابن الخوجة، ط2، الدَّار التونسية للنشر، تونس.
- القضاعي - ابن الأَبَّار، 1995م، 1885م:
- * التَّكْملة لكتاب الصَّلَّة، ج3، 4، تح: عبد السَّلام الهَرَّاس، دار الفكر، بيروت .
- * المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصَّدفي، نشرة كوديرا، مط، روخس، مجريط.
- الكَتَّاني - عبد الحي بن عبد الكبير، 1982 / فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات (ج 2، 1)، اعتناء: د. إحسان عبَّاس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الكندي || أمرؤ القيس، 2004 / ديوان امرؤ القيس، اعتنى به، وشرحه: عبد الرَّحمن

- المصطاوي، ط2، دار المعرفة، بيروت.
- اللَّبْلِيّ - أحمد بن يوسف، 1988 / فهرست اللَّبْلِيّ، تح: ياسين يوسف عيَّاش، وعود عبد ربه أبو زينة، ط1، دار الغرب الإسلامي.
- المتنبّي، (د.س) / شرح ديوان، وضعه: عبد الرَّحْمَن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المِجَّارِي - أبو عبد الله 1982/ برنامج المِجَّارِي، تح: محمَّد أبو الأَجْفَان، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- مطلوب د. أحمد، 1986 / معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوُّرها، ج2، مط المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- المعرِّي - أبو العلاء أحمد بن عبد الله، 1980 / سِقْط الزَّند، دار صادر، بيروت.
- معلوف - لويس، 1383 ش / المنجد في اللغة، ط2، انتشارات فرحان، طهران.
- المنجور أحمد، 1976 / فهرس أحمد المنجور، تح: محمَّد حجّي، دار المغرب، الرِّباط.
- الوادي آشي - محمَّد بن جابر، 1981 / برنامج ابن جابر الوادي آشي، تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مط الشركة التونسية، تونس.
- اليُّوسِي - أبو علي الحسن بن مسعود، (د.س) / فهرسة اليُّوسِي، تح: زكريا الخثيري (د.ط.م).

المصادر الألكترونية:

- زياتي - د. أنور محمود/ فهارس علماء المغرب والأندلس (دراسة تحليلية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية - مصر، 2014، مقال متاح على الموقع الألكتروني: www.dar-ein.com.
- معجم المعاني الجامع (عربي عربي)، على الموقع الألكتروني: www.almaany.com.

أثر أسلوب البنى المعرفية لتعديل الإساءة الوالدية لأطفالهم

(أسلوب البنى المعرفية / الأساءة الوالدية / أساءة معاملة الاطفال)

م.د. سناء احمد جسام

أ.م.د. بسمه كريم شامخ

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي

قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي

The Effect of Cognitive Construction in Modifying Parent Abuse of their Children

The researchers

Inst. Dr. Sanaa Ahmed Jassam

Assist. Prof. Dr. Besma Kareem Shamikh

The university of Al-Mustansiriah/college of education

Department of psychological counseling

Cognitive Construction in Modifying

Parent Abuse

Child Abuse

Abstract

The present research aims at knowing the effect of cognitive reconstructions in modifying the parents abuse for their children through the following hypotheses:

The first hypothesis: there are no statistically significant differences among the means of the parents scores in the experimental group and the means scores of their counterparts in the controlled group in terms of the parents behavior who abuse their child after applying the program for the benefit of the experimental group.

The second hypothesis: there are statistically significant differences among the means of the parents scores in the experimental group before applying the program and the means score after applying the program in terms of parent abuse for their children for the benefit of the post-assessment.

The present research is limited to parents, i, e, fathers and mothers of students in the primary schools belong to the administration of Al-rusafa the first in Baghdad. As for the literature of the research, the researchers have displayed a group of the wrong styles that parents use when interacting with their children, such as, (physical abuse, emotional abuse, indirect abuse, ignorance, compulsivity). The researchers have adopted Gil point of view in constructing the measure and the program. The researchers indicators of validity (face validity- construction validity).

As for the, reliability, it is ascertained by using re-test and half fragmentation where the equalization of the two groups (controlled and experimental) by the variables of (parents behavior through the constructed scale for this purpose, age, the socioeconomic status). As for the used technique in the therapeutic program, the are: (group lectures and discussions and cognitive reconstructing and daily activity). The main statistical means used are (t-test for two independent samples- Pearson coefficient correlation- Sperman- Brown formula). The results show the program has an effect in modifying abusing parents behavior with their children. The researchers have put forward a number of recommendations and suggestions.

المستخلص

يهدف البحث الحالي الى معرفة اثر اسلوب اعادة البنى المعرفية لتعديل الاساءة الوالدية لاطفالهم من خلال الفرضيات الاتية:

الفرضية الاولى: لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الوالدين بالمجموعة التجريبية بعد تطبيق البرنامج و متوسطات درجات نظرائهم بالمجموعة الضابطة من حيث سلوك الوالدين الذين يسيؤون معاملة اطفالهم وذلك لصالح افراد المجموعة التجريبية.

الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات درجات الوالدين بالمجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج ومتوسطات درجاتهم بعد تطبيق البرنامج من حيث اساءة معاملة الوالدين للاطفال وذلك لصالح القياس البعدي. وقد تحدد البحث الحالي بالوالدين وهم اباء وامهات تلاميذ المرحلة الابتدائية للمدارس التابعة لوزارة التربية/ مديرية تربية الرصافة الاولى في مدينة بغداد. اما بالنسبة لادبيات البحث فقد عرضت الباحثان مجموعة من الاساليب الخاطئة التي يستخدمها الوالدين عند التعامل مع اطفالهم كان من بينها (الاساءة البدنية- الاساءة الانفعالية-الاساءة غير المباشرة للطفل-الاهمال-التسلط). وقد تبنت الباحثان وجهة نظر [] في بناء المقياس والبرنامج. وقد استخدمت الباحثان مؤشرات الصدق وهما (الصدق الظاهري- صدق البناء) اما الثبات فكان بطريقة اعادة الاختبار والتجزئة النصفية وقد تم التكافؤ بين المجموعتين الضابطة والتجريبية بمتغير (سلوك الوالدين من خلال المقياس المبني لهذا الغرض- العمر- المستوى الاجتماعي والاقتصادي). اما التقنيات المستخدمة في البرنامج العلاجي هي (المحاضرات والمناقشات الجماعية واعادة البناء المعرفي والنشاط اليومي. اما اهم الوسائل الاحصائية المستخدمة (الاختبار التائي لعينتين مستقلتين- معامل الارتباط بيرسون-معادلة سبيرمان براون) وقد اظهرت نتائج البحث ان للبرنامج العلاجي اثر في تعديل سلوك الوالدين المسيئين لاطفالهم وقد خرج البحث ببعض التوصيات والمقترحات.

مشكلة البحث

تعد الأسرة الخلية الاجتماعية الأولى التي تتلقى الفرد فينشأ في أحضانها ويتلقى الرعاية من أعضائها، وهذه الأولوية تجعل تأثير الأسرة على الطفل عميقاً فهي التي تشبع حاجاته الأساسية كالحاجات البيولوجية والحاجة إلى التقبل، والانتماء، والتقدير، والأمن والنجاح، تقدير الذات، ومن ثم يمكن القول بان الأسرة تمثل المجال الحيوي الذي يساعد الطفل على الاتصال بالعالم الخارجي المحيط به وتكوين الخبرات التي تساعده على التفاعل والتواصل مع بيئته الاجتماعية، ولاشك في أن الأسرة متمثلة في الآباء والأمهات هي المسؤولة عن تلبية احتياجات الطفل وحقوقه، كحقه في التعليم والتغذية المناسبة، والرعاية الصحية، والسكن الملائم، والملبس الملائم، وحق الرعاية والعناية ووقايته من الأمراض، وحقه في اللعب، وأن هذه الحاجات والحقوق ترتبط بظروف مجتمعية وأسرية معينة، غير أنه من الملاحظ ان المجتمع العراقي قد مر في السنوات الأخيرة بعد تغيرات اقتصادية واجتماعية يبدو أنها قد اثرت بصورة أو بأخرى على طبيعة الحياة الأسرية ودور الأسرة في تنشئة أطفالها، مما أدى إلى صعوبة الحياة وتعقدها، وزيادة الأعباء الاقتصادية الملقاة على عاتق الأسرة مما يضطر الأم صاغرة إلى النزول لسوق العمل، أو يسافر الوالدان أو احدهما للعمل بالخارج وما يصاحب ذلك كله من ارتفاع مستوى الطموح وعظم المسؤولية الأخلاقية للأسرة تجاه تنشئة أبنائها، وزيادة الصراعات والضغوط النفسية التي يتعرض لها الوالدان، كل ذلك ينعكس أثاره على الأبناء بصورة تجعلهم يتعرضون لأشكال متعددة من إساءة المعاملة من قبل والديهم (محمد، 1999: 2). لقد أظهرت الإحصائيات الوطنية في الولايات المتحدة في العام 1997 أن معدل اساءة معاملة الاطفال يبلغ 6% من 984000 طفلاً مثبت تعرضهم لصيغ الإساءة والإهمال المختلفة (Us Department of Health, 1999 & Human Services, Children's Bureau, أما في إنجلترا فيدرج الأطفال ضحايا سوء المعاملة تحت واحدة أو أكثر من الفئات التالية:

الإساءة البدنية، الإساءة الجنسية، أو الإساءة الانفعالية عندما يتضح فقط احتياجهم إلى خدمات الحماية أو الوقاية وبالتالي قد لا يتم تسجيل كل الأطفال المعروف تعرضهم لسوء المعاملة والإهمال ويلاحظ تزايد واضح في عدد حالات الأطفال المسجلين في هيئات خدمات رعاية ووقاية الأطفال في إنجلترا تحت فئة سوء المعاملة البدنية والانفعالية، إذ بلغ معدل الأطفال المسجلين تحت هذه الصيغة فقط من صيغ سوء المعاملة (18٪) من إجمالي ضحايا مختلف صيغ سوء المعاملة (Government Statistical Service, 2000).

واعتماداً على تقارير منظمة الصحة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية فإن معظم منظمات حماية الطفل تلقت حوالي 2806000 حالة لسوء المعاملة في عام 1998، ووجد بأن حوالي 903000 طفل هم ضحية الإساءة الوالدية حيث تمثل ما يقارب 23٪ من عدد حالات الأساءة، وأشار التقرير أن الآباء مسؤولين بالدرجة الأولى لسوء معاملة الطفل، وأن واحد أو كلا الأبوين هو المسؤول عن أكثر من 80٪ من الضحايا، وأن نموذج سوء لمعاملة أثبت بان 45٪ من ضحايا الأطفال هو نتيجة سوء سلوك الأم (National 1993, Research Council). كما يشير فهمي و القطان (1979) إلى أن الطريقة التي يتربى بها الطفل في سنواته الأولى تلعب دوراً مهماً في التأثير على تكوينه النفسي والاجتماعي وبعبارة أدق في تكوين شخصيته، فالإلتصال النفسي بين الطفل ووالديه يجعل الطفل يشعر بالأمان والاستقرار النفسي، وإذا كان الأطفال يتجهون بنظرهم إلى والديهم من أجل الحصول على العطف والأمن، فإن أي تمزق لتلك العلاقة داخل الأسرة يكون بمثابة صدمة لها أكبر الأثر على شخصية الطفل النامية (فهمي والقطان، 1979: 70). ويشير «بولبي (Bowlby 1965) إلى أن نوع الرعاية الوالدية التي يتلقاها الأطفال في حياتهم المبكرة وطفولتهم الأولى تكون لها أهمية حيوية في صحتهم النفسية واستقرارهم النفسي في المستقبل، فالعلاقات والاتجاهات المشبعة بالحب والقبول والثقة تساعد الطفل على ان ينمو شخصياً يحب غيره ويتقبل الآخرين، أما العلاقات والاتجاهات السيئة والظروف غير المناسبة مثل الحماية الزائدة والإهمال فيؤثر تأثيراً سيئاً على النمو النفسي وعلى الصحة النفسية للطفل (محمد، 1999: 11). أما قناوي (1988) فتؤكد أنه أصبح من المسلم به في الوقت الحاضر لدى علماء النفس والصحة النفسية أن أساليب المعاملة الوالدية تترك أثارها سلباً أو إيجاباً في شخصية الأبناء ويعزى إليها مستوى الصحة النفسية الذي

يمكن أن تكون عليية شخصيتهم كراشدين فيما بعد (قناوي، 1988: 18). حتى يمكن تقديم الخدمات الارشادية والعلاجية بما يعدل من اساءة المعاملة الوالدية للاطفال ويساعد الآباء والامهات على استبدال الاساليب غير السوية بأخرى سوية ولذلك ارتأت الباحثتان التصدي لهذه المشكلة من خلال اسلوب إعادة البنى المعرفية لتعديل أساءة الوالدين لأطفالهم الذي اعتمدت الباحثتان في البحث الحالي، ولهذا يمكن تلخيص مشكلة البحث الحالي بالسؤال الآتي: هل هناك أثر لأسلوب إعادة البنى المعرفية في تعديل إساءة معاملة الوالدين لأطفالهم؟.

اهمية البحث

كثير من الآباء ينقصهم النضج والمعرفة بنمو الطفل بشكل يجعلهم غير مهيين لمهام الوالدية وغير معدين لها، من هنا فقد يفسر بعضهم سلوك الطفل على أنه محاولة لإغاثتهم أو إثارتهم أو أن هذا الطفل شيطان، وكذلك يكون لدى البعض توقعات مبالغ فيها تجاه أطفالهم بحيث لا يمكنهم قبول سلوكهم في إطار ما لديهم من قدرات وإنما يقيمون هذا السلوك وفقاً لما لديهم من توقعات مبالغ فيها غير واقعية، وتكون الطامة الكبرى حين يظن الأبوان أو أحدهما أن مجيء الطفل قد تدخل في حياته وأحدث تغيرات لا يرضاها، وهنا يصبح الطفل ملوماً على ما لا يفعله، كل ذلك لاشك يؤثر في نمو الطفل ويجعله لا ينمو نمواً سليماً (عبد الغفار وآخرون، 1997 : 25) . وترى عفيفي ان استغلال الطفل هو شكل من أشكال العنف أو عدم الشفقة ويعوق نمو الطفل الجسماني أو الأخلاقي أو القيمي أو العقلي (عفيفي، 1991 : 19). في حين ترى كمال أن إساءة معاملة الطفل هي إنزال إصابة بالطفل بواسطة الوالدين أو من يقومون مقامهم، وتشمل مدى كلي من الإصابة الجسمية . وتختلف الإساءة عن إهمال الطفل والذي عادة يشير إلى فشل الوالدين أو من يقومون مقامهما في تزويد الطفل بالعناية الجسمية الكافية والإشراف عليه وهجر الطفل والتخلي عنه (كمال، 1994 : 64) .

وقد ذكر كل من (Green Gaines & Sandgrund 1974) ان الوالدين الممسئين يبدوون تحكماً دافعياً يرتبط بخبرة الطفولة، فهم يتميزون بعدم النضج والأندفاع والتهور أويكون لديهما مفهوم ذات ضعيف، وهم يشعرون بالدونية Worthless وعدم القيمة

devalued الذي يعكس النبذ والنقد الذي تلقوه من والديهما أثناء طفولتهم أو يظهرون اضطراباً سلوكياً وتسيطر عليهم حالة من العدوانية نتيجة لعدم تكيفهما مع مجتمعهم بشكل متوافق بالإضافة للشعور بالدونية الذي يملكهم منذ طفولتهم المبكرة أو يستجيبون للنقد بسبب ضعف تقدير الذات لديهم مع إبداء نوع من أنواع لتكيف نتيجة لحاجتهم للظهور بمظهر خداع، فهم يدافعون بياس ضد شعورهم الملح بالدونية عن طريق استخدام الإسقاط كصورة من صور آليات الدفاع كما أن الإسقاط كسمة من السمات السلبية للوالدين المسيئين تجعل الطفل يشعر بنوع من الإدراك مما يجعله كبش فداء يمكن تحميله كل سلوكهم العدواني (Sandgrund , Gaines & Green 1974 :27). وقد اظهرت دراسة «كرين» (GREEN (1978) أن الطفل الذي يتعرض للإساءة لدية صورة سيئة عن ذاته ويعاني من انخفاض الروح المعنوية وهو منطوي على نفسه ولا يشارك الأطفال الآخرين في مواقف اللعب أو يتصف بالإعتمادية الشديدة على الأم وفقدته الثقة في نفسه. كما ان السلوك العدواني للطفل الذي يصل لدرجة الخروج على القوانين ويتضح ذلك من خلال عدم سيطرة الطفل على افعاله، وأشار Green إلى أنه يجب توخي الحرص والحذر في التعامل مع هؤلاء الأطفال كما انه يتصف بالسلوك الانسحابي والخوف من الإقدام على إقامة العلاقات الاجتماعية الجيدة. ويعاني هؤلاء الاطفال من وجود صعوبات تعلم وتأخر دراسي (A, Green , 1978).

تكتسب الدراسة الحالية أهميتها من أهمية الجانب الذي تتصدى لدراسته حيث تسعى لدراسة أثر اسلوب إعادة البنى المعرفية في تعديل أساءة المعاملة الوالدية لأطفالهم، وتتمثل هذه الأهمية في ناحيتين، نظرية وتطبيقية، فالناحية النظرية تتضح من خلال استعراض البحوث والدراسات العربية المتعلقة بأساءة المعاملة الوالدية لأطفالهم والتي تهتم باستراتيجيات التدخل الإرشادي العلاجي والتي تكاد تكون نادرة، ومن ثم يستحق هذا الجانب الدراسة.

أما عن أهمية الدراسة من الناحية التطبيقية فتتمثل في إفادة المهتمين بالأسرة والطفل في التعرف على بعض فنيات واستراتيجيات التدخل الإرشادي والعلاجي التي يمكن أن تسهم في تعديل بعض أساءة معاملة الوالدين لأطفالهم. وتؤكد البحوث والدراسات على أهمية العلاقة بين الأبوين والأبناء ومدى تأثير هذه العلاقة على نمو شخصية الأبناء وعلى

مظاهر النمو النفسي والعقلي واللغوي والإجماعي لديهم، كما أكدت هذه الدراسات على وجود علاقة بين أنماط التفاعل الأسري والعلاقات الأسرية وبين ما يصاب به الأبناء من اضطرابات نفسية أو ما يتعرضون له من انحرافات سلوكية (الفاقي، 1983: 62).

تحديد المصطلحات: اساءة معاملة الاطفال يعرفها كل من :

- GIL*1970
- «أحد الاتجاهات التي تحدد الى حد كبير اساليب التربية والتنشئة والمعاملة التي يتبعها الوالدان مع ابنائهما» (Dworet 2ky|1987:33).
- *قناوي 1988
- « الإجراءات التي يتبعها الوالدان في تطبيع أو تنشئة أبنائهم اجتماعياً أو تحويلهم من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية وما يعتنقها من اتجاهات توجه سلوكهم في هذا المجال »
- (قناوي، 1988: 18).
- *ابو طيرة (1989)
- « الأساءة التي يتلقاها الأبناء من الأباء والأمهات في مواقف الحياة المختلفة والتي نتعرف عليها من خلال التقارير اللفظية للأبناء » (أبو طيرة، 1998: 20).
- *خطاب 1993
- « مجموع العمليات التي يقوم بها الوالدان سواء عن قصد أو غير قصد في تربية الأبناء، ويشمل ذلك توجيهاتهم لهم وأوامرهم ونواهيهم بقصد تربيتهم على المواقف الاجتماعية أو توجيههم للإستجابة المقبولة وذلك وفق ما يراه الأبناء وكما يظهر من خلال وصفهم لخبرات التنشئة التي عاشوها » (خطاب 1993: 23).
- وقد تبنت الباحثتان وجهة نظر GIL1970 في بناء مقياس الاساءة .

ادبيات البحث

أهم الأشكال الشائعة لأساءة معاملة الوالدين الخاطئة للأطفال :

1 - القسوة Cruelty

ويقصد به مداومة استخدام الوالدين للعقاب البدني أو التهديد به مع أبنائهما

والاستجابة على نحو يتصف بالصرامة والشدة والمعارضة إزاء ما لا يوافقون عليه من سلوك الأبناء . ويتضح هذا الأسلوب في الأسر التي تفهم الرجولة على أنها خشونة وأوامر ونواهي وضرب وعقاب وينتج عن استخدام هذا الأسلوب أن يصبح الطفل ذا شخصية متمرده تنزع إلى الخروج على القواعد السلوكية المتعارف عليها كوسيلة للتنفيس والتعويض عما تعرضت له أو تتعرض له من ضروب القسوة، كما أن سلوك الطفل يصبح أكثر عدوانية . ومن أهم الأساليب التي تدفع بالوالدين إلى اتخاذ هذا الأسلوب عدم رضا الأبناء عن أنفسهم وعن سلوكهم مما يشعر بالنقص أو الفشل، ويضطرهم ذلك إلى اتباع القسوة والصرامة مع أطفالهم (إسماعيل وفام، 1974: 61) .

2 - الإهمال Neglection

ويتمثل هذا الأسلوب في اتخاذ الوالدين لمواقف تتصف بالسلبية واللامبالاة حيال سلوك الأبناء بحيث لا ينبهون إلى خطأ أو يعاقبون عليه ولا يشجعون على صواب أو يثيبن عليه، كما يتمثل في فشل الوالدين في توفير الوقت والجهد اللازمين للعطاء والحب لأطفالهم .

ويتسبب اتباع الوالدين لهذا الأسلوب في تأخر النمو الوجداني للطفل، ويصبح الطفل المهمل غير قادر على إقامة علاقات وثيقة مع الآخرين لأنه يفتقد إلى التأييد والحب من قبل الوالدين، كما أن تقديرهم لذواتهم يصبح منخفضاً للغاية (علي، 1994: 29) .

ومن أهم الأسباب التي تؤدي بالوالدين إلى إهمال أطفالهم:

أ- خروج الأم إلى عملها وبقاء الطفل وحده أو مع مربية مما يؤدي إلى شعور الطفل بالإهمال.

ب- حالات الانفصال والطلاق مما يؤدي بالطفل إلى عدم تمتعه بعناية والديه.

ج- ازدياد عدد الأبناء مما يؤدي بالطفل إلى عدم قدرة الوالدين على تلبية احتياجاتهم مما يؤدي بهم إلى شعورهم بالإهمال (كونجر وآخرون، 1973: 74) .

3 - التسلط Authoritarianism

ونعني بهذا الأسلوب فرض الوالد لرأيه على الأبن والوقوف أمام رغباته التلقائية ومنعه

من القيام بما يريد في مجال أو أكثر من مجالات الحياة، سواء تم ذلك بإجراءات وأساليب تتصف بالخشونة أو اللين (بدر، 1986: 68).

وقد يفسر هذا الأسلوب من قبل الوالدين على أنه نابع من خبرات الآباء في طفولتهم حيث تكون الأنا العليا لدى بعض الآباء قوية وملتزمة نتيجة لامتناعه معايير صارمة، وهو بذلك يطبق نفس هذه المعايير على أطفاله وربما يكون السبب لأن الأب مدمن أو سكير ومن هنا يكون غير راضٍ عن نفسه ولذلك فهو ينشد الكمال في أبنائه بغرض تسلطه (دمنهوري، 1988: 33). ويؤثر اتباع الوالدين لهذا الأسلوب على الطفل، حيث يصبح ذا شخصية خائفة ومذعورة، غالباً ما ترتكب الأخطاء في غياب السلطة، ويصبح الفرد فيما بعد مصدر قلق للمجتمع لأنه لم يتعود الاستمتاع بحريته التي حرّمه الوالدين منها، كما أنه يصبح غير قادر على اتخاذ القرارات (عبد المؤمن، 1986: 23).

4 - الإساءة البدنية المفرطة Sever Physical Abuse

ويقصد به إحداث الضرر البدني الذي يصل إلى الإدماء وإحداث الجروح والحروق والرضوض في العظام وفي جميع أجزاء الجسم والظهر والوجه والقدم واليدين وقد يصل إلى التعذيب باستخدام القيد بالحبل وممارسة سلوك العض والكي بالنار، ويحدث ذلك بصورة نمطية تأخذ شكل الاستمرار من قبل الوالدين. وقد أشارت الدراسات والبحوث إلى أن الإساءة البدنية المفرطة للطفل هي من أكثر أنواع الإساءة انتشاراً على مستوى العالم ككل، فقد بلغ عدد الأطفال اللذين تساء معاملتهم جسدياً في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي 250 ألف طفل سنوياً يتوفى منهم حوالي 4 آلاف طفل، وتكمن المشكلة في أن الأطفال اللذين يقعون على قيد الحياة يصبحون ضحايا للعواقب النفسية التي قد تبقى بعد ذهاب الجروح والإصابات الخارجية (NEWESSEN، 1976) كما أشار «نيوسين» إلى أن نسبة الأطفال اللذين يتعرضون للعقاب البدني القاسي في مدينة « نونتجهام » بإنجلترا قد بلغت 75٪ من مجموع أطفال المدينة وعلى الصعيد العربي أشار عبد الوهاب كامل (1991) في الدراسة التي أجراها على عينة مصرية (ن = 722) إلى أن 40٪ من أطفال العينة تعرضوا للضرب الشديد وأن 37٪ منهم تعرضوا لضرب مبرح قاسٍ يصل إلى حد التعذيب وذلك باستخدام القيد بالحبل وممارسة سلوك العض والكي بالنار وهذه القسوة في استخدام العقاب البدني للأطفال والتي يلجأ إليها بعض الوالدين تؤدي إلى خلق ضمير

صارم يحاسب الطفل على كل صغيرة وكبيرة وتجعله يأخذ موقفاً عدائياً تجاه أي مصدر من مصادر السلطة، ثم بعد ذلك يبدأ سلوكه في الانعكاس على المجتمع ككل وقد يدفع إلى أن يجنح عن السواء (NEWESSEN، 1976، كامل، 1991، في رفاعي، 1994: 20)

5 - الإساءة الانفعالية Emotional Abuse

ويتمثل هذا الأسلوب في استخدام الآباء لأساليب من شأنها تأنيب الأبناء واستثارة مشاعر الذنب لديهم كلما أتوا سلوكاً لا يوافقون عليه أو مداومة تحقير الأبناء والتقليل من شأن كل ما يبدون أو يصدر عنهم من سلوك وتصرفات، فبعض الآباء والأمهات يبحثون عن أخطاء الطفل ويبدون ملاحظات نقدية هدامة لسلوكه مما يفقد الطفل ثقته بذاته ويصبح متردداً في أي عمل يقوم به خوفاً من حرمانه من حب الكبار ورضاهم (بدر، 1986: 65).

6 - الرفض Refusal

الرفض هو نمط من سلوك الوالدين الذي يتميز بغياب الحنين والعطف، والوالدين الراضين غالباً لا يحبون وغير متقبلين لمولد أبنائهم ويرفضون طفولتهم والإنتباه لمشاكلهم، وفي حالات عديدة فإنهم ينظرون إلى الطفل على أنه عبء ثقل وهو غير مفضل لهم مقارنة بالأطفال الآخرين أو من مظاهر رفض الوالدين للطفل نقد الطفل باستمرار والكشف عن معاييه خاصة في محضر الغير وكذلك الإسراف في إهماله . ومن السهل تشخيص الرفض إذا كان شعور الوالد واضحاً ولم يحاول إخفاء هذا الشعور (سلامة و عبد الغفار، 1980: 58) .

7 - التفرقة Differentiation

تعد التفرقة أسلوباً يتضمن الأثرة والتفضيل والمحابة والتحيز وعدم النزاهة وعدم المساواة بين الأبناء في الرعاية والعناية والإهمال الموجه إليهم بسبب الجنس أو السن أو اللون أو الترتيب الميلادي أو لأي سبب آخر . ويتجلى السلوك الوالدي المتحيز أو المحابي بين الأبناء بان يبدى الوالدان حياً أكبر للإبن الأصغر أو أن يفضل البنين على البنات أو العكس، وأن يعطي أحد الأبناء أولوية أو امتيازات مادية أو معنوية أكثر من باقي إخوته (زيدان، 1983: 54). كما أن من أخطاء التفرقة وعم المساواة إغداق امتيازات كبيرة

على الطفل العليل مما يثير الحقد والغيرة بين الأخوة الأصحاء وتبدو مظاهر ذلك في تمني المرض وكرهية الطفل المريض أو غير ذلك من مظاهر الحقد والغيرة الظاهرة أو المستترة ويترتب على هذا الأسلوب شخصية أنانية حاقدة تعودت أن تأخذ دون أن تعطي فهي دائماً لا ترى إلا ذاتها واحتياجاتها دون الانتباه لواجباتها نحو الآخرين، شخصية تعرف حقوقها ولا تعرف واجباتها (نعيمة، 1993: 65).

8 - الحرمان Deprivation

ويتمثل هذا الأسلوب في استنكار الوالدين وتجاهلها لمطالب الأبناء واحتياجاتهم حتى الظرورية منها والتعبير لهم عن مشاعر الإحباط والعداوة والسخط عليهم وممارسة بعض الأساليب التسلطية لردعهم عن المطالبة بأي شيء، وتتعدد صور الحرمان التي يمارسها الوالدان مع الأبناء، منها حرمان الطفل من أي قدر من اهتمام الوالدين وربما حرمانهم من مجرد تواجدهم معهم مما يترتب عليه حرمان الأطفال - وخاصة في الأسر الكبيرة - من أشياء هامة يتمتع بها أقرانهم من باقي الأسر مثل أدوات المدرسة الضرورية أو أدوات اللعب والتسلية والملابس وغيرها من الأشياء التي تدخل البهجة والسعادة في نفوس الأطفال، كذلك حرمان الطفل من الاحتكاك بالأطفال الآخرين وعدم تمكنه من تكوين صداقات وعلاقات معهم، أو حرمانه من الأشتراك في الأنشطة المختلفة التي تقوم بها المدرسة..... الخ (دمنهوري، 1988: 82).

9 - الإهانة Humiliation

ويتمثل هذا الأسلوب في إذلال الطفل وتحقيره والتقليل من شأنه أياً كان المستوى الذي يصل إليه سلوكه أو أدائه . ويأخذ هذا الإذلال صوراً متعددة كالنقد أو السخرية أو اللوم أو المقارنة بين الأطفال في أمور تقلل من شأنهم في نظر أنفسهم، أو إلقاء أسماء أو ألقاب تهكمية على الطفل أو مديح أصحاب الطفل وذكر ما بهم من محاسن (فهمي، 1979: 34).

10 - الإساءة غير المباشرة للطفل Indirect Abuse

نقصد به عدم كفاءة النموذج الوالدي في التعامل مع الأبناء، فقد يصادف الأبناء سوء

الحظ بأب عصابي مضطرب الشخصية يتساهل حين يجب الحزم ويتهاون حين يجب التشدد ويقسو ويتشدد لأتفه الأمور ويكثر من الشكوى والهياج والتأنيب والسخرية ويكون عقابه أقرب إلى الانتقام منه إلى الإصلاح والتأنيب والتهذيب . أو قد يكون الأب مستهتراً لا يعي ولا يقدر مسئولية الأبناء والحياة الزوجية، كثير الشجار مع زوجته ويكثر من التلفظ بالألفاظ البذيئة . ولا شك أن مثل هذه النماذج الوالدية تعد نماذج معوقة لنمو الطفل، والطفل أُلدي ينشأ في الأسر التي تتسم بأحد هذه النماذج الوالدية يشعر بعدم التقبل الاجتماعي والنبذ والضعف، والتخاذل النفسي، وينخفض تقديره لذاته، ويؤدي به ذلك إلى عدم الشعور بالأمن والميل نحو النظر إلى العالم كمكان خطر وغير آمن.

المدخل الاجتماعي Social Approach

إن أول من أشار إلى أهمية التحكم في إساءة معاملة الأطفال من المنظور الاجتماعي هو جيل (1974 ، 1970) Gil حيث أوضح Gil أن الوقاية الأولية من إساءة معاملة الأطفال في كل المستويات تتطلب تغييرات أساسية في الفلسفة الاجتماعية وفي القيم والأعراف الاجتماعية وكذلك في العلاقات الإنسانية كما تتطلب أيضاً إعادة تصور بالنسبة للطفولة وحقوق الطفل، وأساليب معاملة الأطفال، ويرى Gil أن الوقاية من إساءة معاملة الأطفال تتطلب التغلب على الفقر وكذلك المصادر الرئيسية للضغوط والإحباط والتي تمثل العوامل الرئيسية المتسببة في حدوث الإساءة نحو الأطفال أوقدم Gil عدة اقتراحات ترتبط بصورة مباشرة بتحليل إساءة معاملة الأطفال منها :

أولاً - أكد Gil على أهمية تصميم برامج خطية شاملة للأسرة، وقد أوصى بتشريع عملية الإجهاض الطيبة لأنه يرى أن إساءة معاملة الأطفال تنتشر بشكل كبير بين الأسر كبيرة الحجم والأسر التي لديها أطفال لا ترغب فيهم .

ثانياً - يوصي Gil بالتربية الأسرية والبرامج الإرشادية لكل من الأطفال والمراهقين والتي يمكن أن تساعد في تقديم معلومات واقعية تتعلق بمهام ومتطلبات الزواج، وأساليب معاملة الأطفال مما يساعد على تجنب التوقعات غير الواقعية والتي تميز العديد من الوالدين المسيئين لأطفالهم .

ثالثاً - اقترح Gil تقديم خدمات الدعم للأهات المسيئات مما يساعد على تخفيف

الضغوط، كذلك يولي GIL الاهتمام بمدارس الحضانة، ومراكز الرعاية اليومية للأطفال، حيث يرى أنها لا تخفف فقط من عبء مسؤولية رعاية الأطفال بالنسبة للوالدين، ولكنها تقدم فرصة للطفل ليتعلم نماذج جديدة للتفاعل الاجتماعي نتيجة لاختلاطه بأقرانه (محمد، 1999: 38).. وقد تبت الباحثان وجه نظر GIL في بناء البرنامج .

منهجية البحث :

استخدمت الباحثان المنهج التجريبي وذلك من خلال استخدام مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة، لغرض التعرف على أثر أسلوب إعادة البنى المعرفية لتعديل سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة أطفالهم.

أولاً : التصميم التجريبي :

من المعروف أن البحوث التجريبية تحتاج إلى الدقة والموضوعية لاختبار الفرضيات الخاصة بالسبب والنتيجة ويكون هذا النوع أكثر الأساليب صدقاً في حل المشكلات التربوية والنفسية (عدس، 1998 : 184). وتبعاً لطبيعة هذا البحث فقد تطلب الأمر استخدام التصميم التجريبي (المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة مع الاختبار (القبلي - البعدي) إن هذا التصميم من التصميمات التجريبية ذات الضبط المحكم إذ يتطلب التوزيع العشوائي وأجراء التكافؤ في العديد من المتغيرات بين المجموعتان بدرجة عالية من الضبط التجريبي، ويوفر الكثير من الوقت والجهد (الزويبي، 1988، ص113-112) . والجدول (1) يوضح ذلك

الجدول (1)

التصميم التجريبي للتجربة

المجموعة التجريبية	اختبار قبلي	متغير مستقل البرنامج العلاجي	اختبار بعدي
المجموعة الضابطة	اختبار قبلي	-----	اختبار بعدي

ثانياً : مُجتمع البَحْث :

يُقصد بالمجتمع: المجموعة الكلية من العناصر التي تسعى الباحثان إلى أن يُعمّم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة (عودة، 1992: 159). و يتكوّن مجتمع البحث الحالي من الوالدين وهم آباء وامهات لتلاميذ مدارس المرحلة الابتدائية (الخامس - السادس) في محافظة بغداد للمديرية العامة لتربية الرصافة/ الاولى للعام (2014 - 2015) والبالغ عددهم (75988) والجدول (2) يوضح ذلك .

الجدول (2)

إعداد التلاميذ المشمولين بالبحث للمديرية العامة لتربية الرصافة/الأولى

العدد	المديرية العامة للتربية
75988	الرصافة الأولى

ثالثاً : عينة البَحْث وتشمل :

1 - عينة بناء أداة البحث: اشتملت عينة بناء أداة البحث على آباء وامهات تلاميذ المرحلة الابتدائية للمدارس التابعة للمديرية العامة لتربية الرصافة/ الأولى، في محافظة بغداد، والجدول (3) يوضح ذلك .

الجدول (3)

حجم عينة بناء

العدد	المدرسة	ت
200	ام المؤمنين للبنات	1
200	الأردن للبنين	2
400	المجموع	

1- عينة تطبيق البرنامج:

استخدمت الباحثان أسلوب العينة القصدية في اختيار عينة هذا البحث، فقد اشتملت عينة الدراسة على (200) من الوالدين وهم آباء وامهات لتلاميذ تم اختيارهم من مدارس تمّ ام المؤمنين الابتدائية للبنات ومدرسة الاردن الابتدائية للبنين وتم اختيار العينة بأتباع الخطوات الآتية :

1- قامت الباحثان بأرسال خطابات لآباء وامهات التلاميذ الذي وقع عليهم الاختيار وافهامهم لحضور ندوات تربوية بغرض معرفة افضل الاساليب التربوية والنفسية في معاملة اطفالهم .

2- قامت الباحثان بشرح هدف الدراسة للوالدين الذين وافقوا على الحضور.

3- تم تطبيق المقياس على افراد العينة

4- تم اختيار الآباء والامهات الذين حصلوا على اعلى الدرجات في المقياس وكان عددهم (75) اب وام.

5- وبعد ان بدأت الباحثان في تطبيق البرنامج على الإباء والأمهات بالفعل لم ينتظم منهم بشكل نهائي سوى (40) اباً واماً، وعلى هذا فقد تكونت عينة الدراسة الحالية في شكلها النهائي من (40) من الوالدين الذين تتراوح اعمارهم (30-54) سنة وكانوا من مستويات اجتماعية اقتصادية متقاربة أذ كان جميع افراد العينة حاصلون على مؤهلات جامعية أو قامت الباحثان بتقسيمهم على مجموعتين: (تجريبية قوامها (20) اباً واماً وتنقسم الى (15) ام (5) اب وضابطة قوامها (20) اباً واماً وتنقسم الى (15) أم (5) أب) والجدول (4) يوضح ذلك .

الجدول (4)

توزيع عينة البحث من الوالدين

المجموعة الضابطة	المجموعة التجريبية	
5	5	آباء
15	15	امهات
20	20	المجموع

رابعاً: أداة البحث:

1 - مقياس إساءة معاملة الوالدين لأطفالهم :

هناك عدّة خطوات رئيسة تمثُر بها عملية بناء أي مقياس كما أشار إليه ألن و ين (Allen & Yen 1979) وهي :-

- 1 - التخطيط للمقياس.
- 2 - صلاحية الفقرات.
- 3 - إجراء تحليل الفقرات.
- 4 - استخراج صدق وثبات المقياس . . (Allen & Yen, 1979, p.110-119)

خطوات بناء مقياس إساءة معاملة الوالدين لأطفالهم :

1 - التخطيط للمقياس:

بعد تبني تعريف (Gil) النظري للإساءة الوالدية للأطفال، تكوّن المقياس من (30) فقرة

2 - صياغة الفقرات:

لغرض الحصول على فقرات المقياس قامت الباحثتان فضلاً عن الاطلاع على النظرية الاجتماعية بمراجعة عدد من الأدبيات والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث وطبيعة عينة البحث الحالي ومنها:-

1 - صلاحية الفقرات:

ولغرض التعرف على مدى صلاحية فقرات المقياس ومدى تمثيلها الصفة المراد قياسها فقد عرضت فقرات المقياس بصورته الأولية على (10) خبراء متخصصين في مجال التربية وعلم النفس لإبداء آرائهم حول مدى صلاحية الفقرات ووضع التعديلات التي يرونها مناسبة، وفي ضوء ما أبدوه من آراء فقد استبعدت الفقرات التي لم يتفق عليها (80%) من الخبراء، وقد تمّ تعديل بعض الفقرات، وبهذا أصبح عدد فقرات المقياس (30) فقرة بعد أن كانت (31) فقرة، إذ استبعدت الفقرة (31) وجدول (4) يُوضّح ذلك .

الجدول (4)

آراء المحكمين في صلاحية فقرات مقياس إساءة معاملة الوالدين لأطفالهم

ت	رقم الفقرة	عدد الفقرات	الموافقون	الرافضون	النسبة المئوية
1	1- 3- 5- 7- 9- 11- 12- 13- 14- 15- 16- 18- 21- 22- 23- 24- 25- 26- 27- 28-	20	20	0	100%
2	2- 4- 6- 10- 17- 19- 20- 29- 30- 31-	10	18	2	90%
3	8	1	15 واقل	5 فأكثر	75%

ومن اجل تطبيق الأداة يجب أن تتأكد الباحثان من خطوتين أساسيتين هما :

- إعداد تعليمات المقياس :

تُعدّ تعليمات المقياس بمثابة الدليل الذي يسترشد به المستجيب في أثناء استجابته لفقرات المقياس، لذا روعي عند إعدادها أن تكون واضحة وبسيطة ومفهومة وقد أشير الى عدم وجود إجابات صحيحة وأخرى خاطئة. وقد أعطي مثال لتوضيح كيفية الإجابة على فقرات المقياس وطلب منهم الإجابة عن جميع فقرات المقياس والتوضيح أن إجاباتهم سوف تستخدم فقط لأغراض البحث العلمي وذلك لحثهم على الإجابة .

- تصحيح المقياس :

صُحِّحَ المقياس على أساس إعطاء أوزان تتراوح من (1،2،3) لبدائل الاستجابة .

- التحليل الإحصائي للفقرات :-

إن خصائص المقياس تعتمد إلى حدٍ كبير على الخصائص القياسيّة لفقرات المقياس

، فكلما كانت الخصائص القياسية للفقرات عالية في درجتها أو قوتها أعطت مؤشراً على دقة المقياس وقدرته على قياس ما وُضِعَ من أجل قياسه.

ويُشير (Ebel) إلى أنّ الهدف من التحليل الإحصائي للفقرات هو الإبقاء على الفقرات الجيدة في المقياس التي تكشف عن الدقة في قياس ما وُضِعَت من أجل قياسه (Ebel, 1972, P:392). تُعدّ القوة التمييزية للفقرات، ومعاملات صدقها أهم الخصائص القياسية التي ينبغي التحقق منها في فقرات مقياس الشخصية (الكيسي، 1995، ص:5). لذا ارتأت الباحثتان أن تتحقق من القوة التمييزية للفقرات ومعاملات ارتباط درجة الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس، وذلك لاستخراج صدق الفقرات والذي يُعدّ مؤشراً لصدق المقياس بأكمله، وبعد تطبيقها على عينة التحليل الإحصائي للفقرات، استخدمت الباحثتان أسلوب العينتين المتطرفتين في عملية تحليل الفقرات وذلك على وفق الخطوات الآتية :

- 1 - تطبيق المقياس على عينة بلغ عددها (400) اباً و أمماً.
- 2 - ترتيب الدرجات الكلية التي حصلَ عليها أفراد العينة ترتيباً تنازلياً من أعلى درجة إلى أدنى درجة .
- 3 - حُدِدت (27 %) من الاستثمارات الحاصلة على أعلى الدرجات، و (27 %) من الاستثمارات الحاصلة على أدنى الدرجات (أبو لبدة، 1982، ص:249). وفي ضوء هذه النسبة بلغَ عدد الاستثمارات في كل مجموعة (108) استمارة، ويتفق حجم العينة مع الشرط الذي وضعه نانلي (Nunnally) والذي يُحدّد حجم عينة التحليل إلى حد أدنى هو خمسة أفراد لكل فقرة (النهان، 2004، ص:210).
- 4 - وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تم أُستخرج القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات المقياس وكانت جميعها دالة عند مستوى دلالة (0،05) حيث كان اعلى متوسط هو (290) وانحراف معياري هو (035) و اقل متوسط هو (214) وانحراف معياري هو (077) للمجموعة العليا) في حين كان اعلى متوسط هو (188) وانحراف معياري هو (075) و اقل متوسط هو (127) وانحراف معياري هو (048) للمجموعة وهذا يؤشر قدرة الفقرات على التمييز بين المجيبين للكشف عن الفروق الفردية بينهم
- 5 - مؤشّرات صدق وثبات المقياس: تتضمّن الخصائص السيكومترية للمقياس، قدرة المقياس على قياس ما أُعدّ لقياسه، كما يتضمن أن يقيس درجة مقبولة من الدقة وبأقل

خطأً ممكنًا ويتفق المختصون في القياس والتقويم النفسي على أنّ الصدق والثبات هما أهم خاصيتين من الخصائص السيكومترية للقياس النفسي، إذ يؤمّل أن توفر هذه الإجراءات مقياساً يقيس ما أُعدّ لقياسه بمعنى أن يكون صادقاً، كما يؤمّل أن توفر هذه الإجراءات مقياساً يقيس بدرجة من الدقة وبأقل خطأً ممكن بمعنى أن يكون ثابتاً (عودة، 2002،: 335). وقد تحققت الباحثان من الخصائص السيكومترية على النحو الآتي:

أولاً - صدق المقياس Validity:

يعد صدق المقياس من الخصائص السيكومترية الأكثر أهمية مقارنة مع الخصائص الأخرى كالثبات (النهان، 2004، : 272)، وقد اعتمدت الباحثان في التحقق من صدق المقياس بمؤشري:

1 - الصدق الظاهري Face Validity:

يُعرّف الصدق الظاهري بأنه المظهر العام للمقياس من حيث نوع المفردات وكيفية صياغتها ومدى وضوح هذه المفردات وتعليمات المقياس ودقتها وما تتمتع به من موضوعية (الغريب، 1970،: 670). وقد توفّر هذا النوع من الصدق في مقياس سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة أطفالهم في البحث الحالي من خلال عرضه على مجموعة من الخبراء المختصين في التربية وعلم النفس.

2 - صدق البناء Construct Validity:

يُسمّى صدق البناء أيضاً بصدق التكوين، ويشكّل الإطار النظري للاختبارات لأنه في المرحلة التمهيدية لبنائها، والجهد القادم سيكون موجهاً لمحاولة الانتقال من الشك في أنّ الاختبار يقيس السمة التي أُعدّ لقياسها إلى اليقين (عودة، 1998، : 384). وعن طريق معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة على كل فقرة من فقرات المقياس ودرجاتهم الكلية وقد استخرج معامل ارتباط بيرسون وبين درجاتهم الكلية على المقياس، وقد كانت جميع معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (118) عند قيمة معامل الارتباط الجدولية (0, 199)

ثانياً- ثبات المقياس Scale Reliability :

يُعرّف الثبات إحصائياً بأنه نسبة التباين الحقيقي إلى التباين الكلي لدرجات المستجيبين (عبده وعثمان، 2002 : 36). ويُعدّ حساب الثبات من خصائص المقياس الجيد لأنه يؤشر على اتساق فقرات المقياس في قياس ما يُفترض أن يقيسه المقياس بدرجة مقبولة من الدقة (عودة، 1993،:235). وهناك طرائق عديدة لإيجاد ثبات المقياس وقد ارتأت الباحثتان استخدام أكثر من طريقة لحساب الثبات لغرض التحقق بشكل أكثر دقة وكالاتي :

1 - طريقة الاختبار وإعادة الاختيار Test-Retest :

ويُسمّى أيضاً بمعامل الاتساق الخارجي External Consistency يكشف معامل الثبات الذي يتم حسابه بطريقة إعادة الاختبار استقرار استجابات المفحوصين على المقياس عبر الزمن، إذ يُفترض أن السمة ثابتة مستقرة خلال مدة من الزمن، وتقوم فكرة هذه الطريقة على حساب الارتباط بين درجات مجموعة من أفراد العينة (مجموعة الثبات) على الاختبار عند تطبيقه وإعادة تطبيقه بعد مرور مدة زمنية على التطبيق في المدة الأولى، ولذلك يكشف هذا النوع من المعاملات عن درجة ثبات السمة المقاسة خلال هذه المدة (عودة، 2002، :345). لهذا قامت الباحثتان بحساب الثبات بهذه الطريقة بعد إعادة تطبيق المقياس على عينة الثبات البالغ عددها (50) أم وأب، وبعد مرور (14) يوماً من التطبيق الأول تمّ حساب معامل ارتباط بيرسون بين التطبيقين الأول والثاني، وقد بلغت قيمة معامل الارتباط (0.80) وتُشير هذه النتيجة إلى ثبات جيد للمقياس .

2 - طريقة التجزئة النصفية Spilt Half .

ويُسمّى أيضاً بمعامل الاتساق الداخلي Internal Consistency وتعتمد هذه الطريقة على تطبيق الأداة مرة واحدة ثم تجزئتها إلى نصفين، وإيجاد معامل الارتباط بين درجات كل من النصفين بعد الانتهاء من تطبيق الاختبار، وتم التقسيم على أساس الفقرات الزوجية والفردية فأرقام الفقرات الزوجية تمثل الجزء الأول للاختبار بينما تمثل أرقام الفقرات الفردية الجزء الثاني وبعدها يُحسب معامل الارتباط بين درجات الجزئين، (Ebel,1972,p.142). ولحساب ثبات مقياس مقياس سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة أطفالهم بطريقة التجزئة النصفية اعتمدت الباحثتان على درجات عينة بلغ عددها (100)

طالبة، وباستخدام معادلة بيرسون (Pearson) بين نصفي الأداة، ظهر أنّ معامل الارتباط بينهما (0.85)، وبعد التصحيح بمعادلة (سبيرمان براون)، بلغ معامل الثبات (0، 91) الذي يمثل ثبات الأداة بأكملها (ملحم، 2002، : 259).

المقياس بصيغته النهائية :

بعد الإجراءات التي تحققت في الخطوات السابقة أصبح المقياس في صورته النهائية مكون من (30) فقرة، ملحوظ (1)، أما تدرّج الإجابات فيتكون من ثلاثة درجات وهي على الترتيب (دائماً/أحياناً أبداً) وأصبحت درجات الإجابة تتراوح بين (30 - 90) وبذلك فإن أعلى درجة (90) وأقل درجة (30) وبتوسط نظري قدره (60) درجة.

خامساً: تكافؤ أفراد المجموعتين (التجريبية والضابطة) :

أن عملية تحقيق التكافؤ بين المجموعات في البحث التجريبي أمر مهم، إلا أن الحصول على مجموعات متماثلة في جميع النواحي أمر صعب جداً، لذا حرصت الباحثة على التأكد من تكافؤ أفراد المجموعتين (التجريبية، والضابطة) في المتغيرات التي يمكن أن تكون ذات أثر على نتائج البحث كما أكدت النظرية والدراسات السابقة، وقد تم التكافؤ في المتغيرات الآتية :

1- درجات أفراد المجموعتين على مقياس سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة أطفالهم.

2- العمر حيث تم اختيار الوالدين الذين تتراوح أعمارهم الزمنية بين (28-54) عاماً وقد قامت الباحثة بالتحقق من تجانس عينة الدراسة من حيث العمر

1 - المستوى الاجتماعي والاقتصادي حيث ينتمي جميع أفراد الدراسة الحالية الى مستويات اجتماعية واقتصادية متقاربة وفي نطاق المتوسط وكما يوضح جدول (8)

للتأكد من تكافؤ المجموعتين (التجريبية والضابطة) على مقياس سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة أطفالهم تم استخدام اختبار (t-test) لعينتين مستقلتين إذ بلغ الوسط الحسابي (109) والانحراف المعياري (9,87) للمجموعة التجريبية في حين بلغ

الوسط الحسابي (102) وانحراف معياري (7,69) للمجموعة الضابطة. وقد تبين ان القيمة المحسوبة تساوي (1,4) وهي غير دالة عند مستوى دلالة (0,05) وبذلك لم يظهر فرق دال إحصائيا بين المجموعتين على هذا المتغير مما يدل على ان المجموعتين متجانستان في إجابتهما على فقرات المقياس أو من حيث متغير العمر فقد تم استخدام اختبار (t-test) لعيتين مستقلتين إذ بلغ الوسط الحسابي (43,7) والانحراف المعياري (3,75) للمجموعة التجريبية في حين بلغ الوسط الحسابي (45,2) وانحراف معياري (4,13) للمجموعة الضابطة. وقد تبين ان القيمة المحسوبة تساوي (0,54) وهي غير دالة عند مستوى دلالة (0,05) وبذلك لم يظهر فرق دال إحصائيا بين المجموعتين على هذا المتغير مما يدل على ان المجموعتين متجانستان في إجابتهما على فقرات المقياس أما متغير المستوى الاجتماعي والاقتصادي فقد تم استخدام اختبار (t-test) لعيتين مستقلتين إذ بلغ الوسط الحسابي (250) والانحراف المعياري (8,44) للمجموعة التجريبية في حين بلغ الوسط الحسابي (236) وانحراف معياري (6,79) للمجموعة الضابطة. وقد تبين ان القيمة المحسوبة تساوي (1,02) وهي غير دالة عند مستوى دلالة (0,05) وبذلك لم يظهر فرق دال إحصائيا بين المجموعتين على هذا المتغير مما يدل على ان المجموعتين متجانستان في إجابتهما على فقرات المقياس والجدول (5) يوضح ذلك .

الجدول (5)

القيم الإحصائية لاختبار (t-test) لمتغير درجات مقياس إساءة معاملة الوالدين لأطفالهم ومتغير العمر والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للمجموعتين،
التجريبية والضابطة

المتغير	المجموعة التجريبية		المجموعة الضابطة		القيمة التائية	الدلالة 0,05
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
سلوك الوالدين	109	9.87	102	7,69	1,4	غير دالة
العمر	43,7	3,75	45,2	4,13	0,54	غير دالة
المستوى الاجتماعي والاقتصادي	250	8,44	236	6,79	1,02	غير دالة

وهكذا يمكن القول إن أفراد المجموعتين متجانسون من حيث المتغيرات السابقة مما يمكن للباحثان من إرجاع أي انخفاض في مستوى سلوك الوالدين للأبناء لدى المجموعة التجريبية دون الضابطة إلى البرنامج العلاجي وحده.

2- البرنامج العلاجي

- بناء البرنامج العلاجي :

اعتمدت الباحثان في بناء البرنامج العلاجي الإجراءات الآتية :

- 1- النظرية المعرفية السلوكية في البرنامج العلاجي .
- 2- الإطلاع على الأدبيات الخاصة بأسس بناء البرامج العلاجية وطرائقها ونماذجها.
- 3- نتائج مقياس إساءة معاملة الوالدين لأطفالهم الذي طُبِّقَ على العينة، إذ تتحدد من خلال الإجابة على مقياس الاساءة الوالدية لأطفالهم، والتي تحتاج إلى معالجة والاطلاع على البرامج العلاجية السابقة التي تعتمد على الاتجاه السلوكي المعرفي.
- 4- عرض البرنامج العلاجي على عدد من الخبراء المختصين في الإرشاد النفسي للتأكد من مدى مناسبة الحاجات والأهداف والإجراءات المستخدمة والزمن الذي نحتاجه لتحقيق تلك الأهداف، والتقنيات العلاجية، وأية تعديلات أخرى. وقد اتبعت الباحثان عدّة خطوات لبناء البرنامج العلاجي وكالاتي :

1- أهداف البرنامج العلاجي :

يهدف البرنامج بشكل عام إلى تعديل سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة اطفالهم، وتعليم أفراد المجموعة التجريبية بأستبدال سلوكهم غير السوي بأخر سوي وذلك بتبصير الوالدين للتغلب على بعض السلوكيات غير المرغوب فيها وتدعيم السلوكيات المرغوبة التي قد بدأت في الظهور أو كذلك اكساب الوالدين المعلومات الاساسية التي تساعدهم على معرفة السلوك السوي لمعاملة اطفالهم مع محاولة تغيير اساليب التربية الخاطئة وآثارها السيئة على نمو الطفل، أما الأهداف السلوكية فكانت مناسبة لكل جلسة علاجية، ومطابقة للنظرية المعرفية السلوكية .

2- عدد الجلسات وتاريخها :

كان عدد الجلسات (10) جلسة علاجية، بمعدل جلستين في الأسبوع، ابتداءً من يوم الاثنين الموافق (3 / 11 / 2014) إلى يوم الخميس الموافق (4 / 12 / 2014)، ومدة الجلسة (45) دقيقة، أما موعد بدء الجلسة فكان من الساعة (12) صباحاً ولحين الساعة (12, 45) ظهراً، في يومي الاثنين، والخميس من كل أسبوع، أما مكان الجلسات العلاجية فكانت قاعة في المدرسة .

4- الأسلوب العلاجي :

تعتمد الباحثان بالدرجة الأساس في علاجهما على أسلوب إعادة البنى المعرفية في العلاج المعرفي السلوكي، والقائم على تعديل تفكير المجموعة التجريبية واستدلالاتها وافترضاها. وسيكون للعلاقة العلاجية التعاونية بين الباحثان وأفراد المجموعة العلاجية وبين أفراد المجموعة أنفسهم دوراً هاماً في التدريب على تعلم بعض الطرق في التفكير، وتُعدّ النشاطات اليومية من التقنيات ذات الأهمية الكبرى في هذا الإطار .

5- الصديق الظاهري للبرنامج العلاجي :

بعد تصميم البرنامج العلاجي بصيغته الأولية، قامت الباحثان بعرضه على مجموعة من الخبراء والمختصين في ميدان الإرشاد النفسي، ولمعرفة مدى مناسبة الأساليب والإجراءات والتقنيات المستخدمة في البرنامج لتحقيق الأهداف والمدة الزمنية المقترحة لكل جلسة، واقترح التعديلات والإضافات المناسبة، أو الحذف وقد أخذت الباحثان بالمقترحات والتعديلات التي أشار إليها السادة الخبراء، للوصول بالبرنامج إلى المستوى المطلوب.

6- التقنيات المستخدمة في البرنامج العلاجي :

اعتمدت الباحثان على التقنيات العلاجية للنظرية المعرفية السلوكية في العلاج المعرفي السلوكي وهذه التقنيات هي :

1 - المحاضرات والمناقشات الجماعية: وهو من اساليب الارشاد الجماعي التعليمي يعتمد اساسا على عنصر التعليم واعادة التعليم من خلال القاء محاضرات على الافراد

تخللها ويليه مناقشات جماعية أحيث أن قرار الجماعة بعد المناقشة يكون اقوى اثرأ في تعديل الاتجاه او السلوك.

2- إعادة البناء المعرفي: تعديل تفكير المجموعة التجريبية واستدلالاتها وافترضاها. والاتجاهات التي تقف وراء الجوانب المعرفية لديهم ويركز هذا الاسلوب على التعرف على التصورات المحرفة والاعتقادات غير الوظيفية الكامنة وراء هذه المعارف واختبار مدى واقعيها وتصحيحها وإبدالها بأفكار أخرى ايجابية .

3- النشاط اليومي: وهو تطبيق المهارات والمعلومات المتعلمة داخل الجلسات في المواقف العامة.

7- تطبيق البرنامج العلاجي :

بعد اختيار عينة البحث، وتحديد التصميم التجريبي لها، قامت الباحثتان بالإجراءات الآتية لتحقيق أهداف البحث :

1- اختيار (40) أمماً وأباً قصدياً ممن حصلوا على أعلى الدرجات على مقياس سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة ابنائهم، وتم تقسيمهم على مجموعتين هما :
أ- المجموعة التجريبية وعددها (20) أمماً وأباً.

ب- المجموعة الضابطة وعددها (20) اعتمدت الدرجات التي حصل عليها أفراد المجموعتين (التجريبية، والضابطة) على مقياس سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة اطفالهم قبل البدء في تطبيق البرنامج العلاجي، بمثابة نتائج الاختبار القبلي.

- الوسائل الإحصائية :

لغرض تحقيق الأهداف والتوصل إلى نتائج البحث، اعتمدت الباحثتان الوسائل الإحصائية الآتية:

1- اختبار (T-test) لعينتين مستقلتين: لمعرفة دلالة الفرق للتكافؤ في معدّل العمر، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، لأفراد المجموعتين (التجريبية والضابطة) وايضاً لحساب القوة التمييزية لفقرات المقياس.

2- معامل ارتباط بيرسون Person Correlation: لاستخراج الثبات بطريقتي: التجزئة النصفية، والاختبار، وإعادة الاختبار، وعلاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية

للمقياس (المنيزل، وغرابية، 2007،: 128).

3- معادلة سبيرمان براون لتصحيح معامل الثبات، في طريقة التجزئة النصفية (ملحم، 2002: 259).

البرنامج العلاجي (الصورة النهائية) :

الجلسة الثالثة: الاثني 10 / 11 / 2014

موضوع الجلسة: الإساءة البدنية المفرطة .

في بداية الجلسة العلاجية مراجعة سريعة لما دار في الجلسة السابقة ومناقشة الوالدين فيما اتبعوه في الواجب البيتي .

الهدف العام:

1 - مساعدة الآباء والأمهات على تكوين اتجاهات موجبة نحو معاملتهم لأبنائهم
2- مساعدة الآباء والأمهات وتمكينهم من معرفة السلوك السوي والفعال والتوجيه التربوي لهم بهدف إنماء نماذج سلوكية اجتماعية لديهم تساعد الأطفال على النمو النفسي السوي.

الهدف السلوكي: استبدال سلوك الإباء والأمهات غير السوي (الإساءة البدنية) بسلوك سوي لدى أفراد العينة التجريبية.

الغيات: المناقشة والمحاضرة وإعادة البناء المعرفي.

الموضوع: قيام الباحثان بمناقشة الوالدين بالاساليب التي يستخدمها في عقاب أطفالهم حيث ينتشر أسلوب إساءة المعاملة البدنية المفرطة بين الأسر التي تعتقد بأن العقاب هو اسلم الطرق لتربية الأبناء وعلى هذا الاساس يبدأ الوالدين في ممارسة العقاب البدني وهو الحل السريع بدون ان تكون لديه ادنى مسؤولية بخاطر عواقبه ويمارس العقاب البدني في كثير من الاسر ممارسة خاطئة وغير مسؤولة وذلك لأن الآباء والامهات لا يتبهون الى جرعة العقاب المناسبة للطفل وكذلك توقيته ومدى ملائمته للخطأ وقد يصل حد العنف فيها الى تعرض الطفل لكم هائل من الاصابات الخطيرة كالزيف واحداث الكدمات في الرأس وغير ذلك.

أما تأثير الاساءة البدنية المفرطة على نفسية الطفل فهي تؤدي الى تحطيم نفسيته كما انه يشعر بالمهانة والتحقير والاذلال ويصيبه بالخجل خاصة اذا تم امام الغرباء او امام اشخاص لا يريد ان يروا اهانتهم كما أن كثرة العقاب يصيب الطفل بنوع من البلادة وتبدل الاحاسيس واللامبالاة.

كما يؤدي العقاب البدني القاسي الى خلق ضمير صارم يحاسب الطفل على كل كبيرة وصغيرة وتجعله يأخذ موقفاً معادياً تجاه مصادر السلطة ثم بعد ذلك يبدأ سلوكه في الانعكاس على المجتمع ككل وقد يدفعه الى أن يجنح عن السواء .

الواجب البيتي: تسجيل الوالدين الأساليب التي يستخدمها في معاملة الاطفال ومراجعة ما دار في الجلسة.

الجلسة الثامنة الخميس 27 / 11 / 2014

موضوع الجلسة: الإساءة الانفعالية

مراجعة الواجب المنزلي ثم شرح مبسط لما تم مناقشته في الجلسة السابقة لاستكمال باقي الأساليب غير السوية ومناقشتها مع الوالدين.

الفتيات: المناقشة والمحاضرة- إعادة البناء المعرفي

الهدف العام:

- 1- مساعدة الآباء والأمهات على تكوين اتجاهات موجبة نحو معاملتهم لأبنائهم
- 2- مساعدة الآباء والأمهات وتمكينهم من معرفة السلوك السوي والفعال والتوجيه التربوي لهم بهدف إنماء نماذج سلوكية اجتماعية لديهم تساعد الأطفال على النمو النفسي السوي

الهدف السلوكي: استبدال سلوك الإباء والأمهات غير السوي (الإساءة الانفعالية) بسلوك سوي لدى أفراد العينة التجريبية.

الفتيات: المناقشة والمحاضرة وإعادة البناء المعرفي.

الموضوع: تشير الباحثتان الى ذلك اللون من العقاب الذي يعمل على اثاره الشعور بالأثم

لدى الابن أفمن الآباء من يلجأ الى تحقير اعمال طفله وتذكيره باستمرار بمساوئه أعتقدا بذلك أن مثل هذا التحقير قد يدفع بالأبن إلى الاجتهاد وينسى الأب ان تذكير الطفل بأخطائه قد يؤدي الى نتائج عكسية أو قد يؤدي الى تنمية الشعور بالذنب لدى الطفل مما قد يكون خطره شديداً على نفس الطفل أحيث نجد بعض الآباء ولأمهات يبحثون عن اخطاء الطفل ويبدون ملاحظات هدامة لسلكه مما يفقد الطفل ثقته بذاته أو يصبح مترددا في أي عمل يقوم به خوفاً من حرمانه من حب الكبار ورضاهم كما أن هناك من الوالدين من يعتمدون إذلال الطفل وتحقيره والتقليل من شأنه أيا كان المستوى الذي يصل اليه سلوكه أو أداءه أو يأخذ هذا الإذلال صوراً متعددة كالنقد والسخرية أو اللوم أو المقارنة بين الأطفال في أمور تقلل من شأنهم في نظر أنفسهم أو ألقاء أسماء أو ألقاب تهكمية على الطفل أو مديح أصدقاء الطفل وذكر ما بهم من محاسن كما أن الإساءة الانفعالية للطفل تولد شخصية انسحابية منطوية غير واثقة من نفسها توجه عدوانها نحو ذاتها ليس لها القدرة على التمتع بالحياة ولديها خوف من الآخرين وحين يكبر الطفل يكون دائم الإهمال ألا في وجود السلطة أفهو غالباً ما يرتكب أخطائه في غياب السلطة أما أمامها فتكون خائفة مذعورة .

الواجب البيتي: كتابة تقرير عن موضوع هذه الجلسة مع تشجيع كتابة مقترحات للتحسن.

- عرض نتائج البحث: تمَّ عَرَضُ النتائج ومناقشتها على وفق فرضيات البحث الحالي :
- الفرضية الأولى (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الوالدين بالمجموعة التجريبية بعد تطبيق البرنامج ومتوسطات درجات نظرائهم بالمجموعة الضابطة من حيث سلوك الوالدين الذين يسيئون معاملة اطفالهم وذلك لصالح أفراد المجموعة التجريبية). وللتحقق من صحة هذا الفرض تم حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية لكل من المجموعتين التجريبية والضابطة وذلك بعد تطبيق البرنامج مباشرة ثم حساب دلالة الفروق بين المتوسطات أو قد استخدمت الباحثان لهذا الغرض اختبار ((T والجدول (6) يوضح ذلك .

الجدول (6)

يوضح القيم الإحصائية لاختبار (t-test) بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة بعد تطبيق البرنامج في مقياس إساءة معاملة الوالدين لأطفالهم

مستوى الدلالة 0,01	القيمة التائية	المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		المجموعة
		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
دالة إحصائية	3,6	2,7	13,6	1,8	16,2	الإساءة البدنية
دالة إحصائية	4,1	1,9	11,9	2,06	14,5	الإساءة الانفعالية
دالة إحصائية	4,2	2,13	12,5	2,14	15,4	الإساءة غير المباشرة للطفل
دالة إحصائية	3,7	1,6	12,3	2,3	15,9	الإهمال
دالة إحصائية	4,5	1,7	11,7	1,5	14,05	التسلط

ويمكن تفسير ذلك أنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات المجموعة الضابطة أحيث يتضح من الجدول أن القيمة التائية المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية بالنسبة لمقياس أساءة المعاملة الوالدية لأطفالهم وفي تحسين وعي الوالدين بالمعلومات التي ساعدتهم على معرفة الاساليب السوية في معاملة أطفالهم.

- بالنسبة للفرضية الثانية وهي (توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الوالدين بالمجموعة لتجريبية قبل تطبيق البرنامج ومتوسطات درجاتهم بعد تطبيق البرنامج من حيث إساءة معاملة الوالدين للأطفال وذلك لصالح القياس ألبعدي .

ومن أجل اختبار صحة هذه الفرضية استخدمت الباحثان متوسطات الفروق والخطأ المعياري لدرجات الوالدين بالمجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وكذلك بعد تطبيق

البرنامج ثم حساب دلالة الفروق بين المتوسطات وقد استخدمت الباحثان لهذا الغرض اختبار (T) للمجموعات المترابطة كما في جدول (7)

الجدول(7)

يوضح متوسطات والخطأ المعياري وقيم (T) ودلالة الفروق بين أفراد المجموعة التجريبية قبل البرنامج وبعده مباشرة في مقياس الاساءة الوالدية لأطفالهم .

مستوى الدلالة 0,01	القيمة التائية	المجموعة التجريبية القبلي		المجموعة التجريبية البعدي		المجموعة
		المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	المتوسط الانحراف المعياري	المتوسط الانحراف الحسابي المعياري	المتوسط الانحراف المعياري	
دالة إحصائية	2,9	2,5	1,7	16,2	15,7	الإساءة البدنية
دالة إحصائية	4,8	2,1	22,3	14,5	11,9	الإساءة الانفعالية
دالة إحصائية	3,1	2,4	1,7	15,4	13,3	الإساءة غير المباشرة للطفل
دالة إحصائية	4,9	1,9	2,12	15,9	12,6	الإهمال
دالة إحصائية	3,09	2,8	1,9	14,05	12,7	التسلط

ويمكن تفسير ذلك أنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية قبل البرنامج وبعده مباشرة عند مستوى (0,01) على مقياس أساءة المعاملة الوالدية لأطفالهم حيث يتضح من الجدول أن القيمة التائية المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية .

وتشير هذه النتيجة الى أن تعرض الوالدين في المجموعة التجريبية للبرنامج الموجه لهم قد أدى الى التعديل أساءة معاملتهم مع أبنائهم كما أن السلوك الخاطى والممارسات غير الصحيحة للوالدين ينطوي الجزء الأكبر منها على عدم معرفة الوالدين بسيكولوجية

الطفل وحاجاته وعند تقديم البرنامج استطاع أن يغير بعض السلوكيات الوالدية الخاطئة وترى الباحثان كلما استزاد الوالدين من المعرفة السيكولوجية للطفل فأن ذلك من شأنه أن يزيد من مستوى التفاعل الايجابي بينهما وبين أطفالهما .وقد اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع دراسة هينجلر وويلان (1987) ودراسة لاينس (1987) ودراسة باردريك (1989) ودراسة أوبزال (1990) التي أكدت جميعها على وجود أنخفاض دال في مستويات اساءة معاملة الوالدين لأطفالهم وأن الوالدين المسيئين أصبحوا يتفاعلون مع أطفالهم بشكل أكثر ايجابية وزيادة تقديرات الدعم الاجتماعي لديهم.

الاستنتاجات: في ضوء ما تمّ التوصل إليه من نتائج يمكن الخروج بالاستنتاجات الآتية :

- 1- إنّ البرنامج العلاجي الذي أعدته الباحثان ، كان أسلوب فعال في تعديل سلوك الوالدين المسيئين لأطفالهم
- 2- إنّ أسلوب العلاج الجمعي الذي تمّ تطبيقه في هذه الدراسة، قد أثبت أنه أسلوب فعال في تعديل سلوك الوالدين المسيئين لأطفالهم
- 3- إنّ استخدام العلاج المعرفي السلوكي كان مناسب .
- 4- اعلية التقنيات العلاجية المستخدمة في الدراسة الحالية .

التوصيات:

- في ضوء نتائج البحث الحالي واستنتاجاته توصي الباحثان بما يأتي :
- 1 - استخدام مقياس سلوك الوالدين المسيئين لأطفالهم الذي أعدته الباحثان، في قياس سلوك الوالدين المسيئين لأطفالهم
 - 2- استخدام البرنامج الذي أعدته الباحثان، في تعديل سلوك الوالدين المسيئين لأطفالهم
 - 3 - ضرورة أن تتقدم وزارة التربية، بإعداد وتدريب معالجين نفسيين للقيام بتطبيق مثل هذه البرامج العلاجية على الأطفال الذين يعانون من الإساءة الوالدية.
 - 4 - الاهتمام بشريحة الأطفال باعتبارهم جيل المستقبل وكذلك تهيئة كادر متعلم بأحدث الأساليب العلمية والتقنية المتطورة والحديثة.

المقترحات:

استكمالاً للبحث الحالي تقترح الباحثان الآتي:

- 1 - إجراء دراسة مماثلة على المراحل المتوسطة والإعدادية .
- 2 - إجراء دراسة للمقارنة بين اسلوب البنى المعرفية من العلاج المعرفي السلوكي، واسلوب آخر، في تعديل سلوك الوالدين المسيئين لأطفالهم، للتعرف على الاسلوب الأكثر فاعلية.

المصادر العربية:

- 1 - احمد، بدرية كمال (1994) : الإساءة للطفل - دراسة نفسية اجتماعية، القاهرة، المؤتمر العلمي الثاني لمعهد الدراسات العليا للطفولة « اطفال في خطر » 26 - 27 مارس.

- 2- امام، الهامي عبد العزيز (1978): الانتماء للاسرة وعلاقته باساليب التنشئة الاجتماعية، رسالة دكتورا، كلية الاداب، جامعة عين شمس .
- 3- اسماعيل، محمد عماد الدين ونجيب اسكندر (1959): الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل، القاهرة، دار المعرفة .
- 4- ابو طيرة، منى (1989): علاقة الاضطرابات السيكوسوماتية بالشخصية والتنشئة الاجتماعية، رسالة دكتورا، كلية الاداب، جامعة عين شمس .
- 5- ابو لبدة، سبع (1982): مبادئ القياس النفسي والتعليم التربوي للطالب الجامعي والمعلم العربي، جمعية المطالب العامة، عمان، الاردن .
- 6- بدر، اسماعيل ابراهيم (1994): مدى فاعلية برنامج ارشادي لمساعدة الامهات في خفض السلوك العدواني لدى اطفالهن، المؤتمر العلمي الثاني لمعهد الدراسات العليا للطفولة « اطفال في خطر » 29-26 مارس، القاهرة .
- 7- بدر ، عائشة السيد(الجامعيين 1986): العلاقة بين اساليب المعاملة الوالدية والتمائل القيمي بين الاباء والابناء لدى الطلاب من الجنسين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنوفية . دراسة
- 8- جون كنجر، بول موتس، جيروم كيجان (1970): سيكولوجية الطفولة والشخصية، ترجمة احمد عبد العزيز سلامة وجابر عبد الحميد، القاهرة، دار النهضة العربية .
- 9- خطاب، سمير سعد (1993): تباين اساليب التنشئة الوالدية وعلاقتها بسمات الشخصية، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس .
- 10- دسوقي، كمال (1979): النمو التربوي للطفل والمراهق، دروس في علم النفس الارتقائي، بيروت، دار النهضة العربية .
- 11- دمنهوري، رشاد صالح (1988): العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والتاخر الدراسي- دراسة ميدانية مقارنة في مدينة جدة بالسعودية، رسالة دكتورا، كلية الاداب، جامعة الاسكندرية .
- 12- رفاعي، السيد عبد العزيز (1994): اساءة معاملة الطفل وعلاقتها ببعض المشكلات النفسية، رسالة ماجستير، معهد دراسات الطفولة، جامعة القاهرة، مصر .

- 13- زيدان ،محمد عبد الحميد(1983) : بعض سمات الشخصية للطلبة في الجامعات الاردنية وعلاقتها برعاية الوالدين ،دكتوراه ،كلية التربية ،جامعة دمشق .
- 14- الزوبعي ،عبد الجليل واخرون(1988) : الاختبارات والمقاييس النفسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،جامعة الموصل .
- 15- سلامة ،احمد عبد العزيز وعبد السلام عبد الغفار(1980) : علم النفس الاجتماعي ،القاهرة، دار النهضة العربية .
- 16- عبد الجليل ،الهام عيفي(1991) : رؤية اجتماعية لمفهوم استغلال الطفل في الاسرة ،المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة .
- 17- عبد الغفار، عبد السلام وعادل عز الدين الاشول وعبد المطلب القريطي ونبيل الحافظ (1997) :مظاهر اساءة معاملة الطفل في المجتمع المصري، بحث مقدم الى اكااديمية البحث العلمي شعبة البحوث الاجتماعية، القاهرة .
- 18- عبد المؤمن، محمد(1989) : مشكلات الطفل النفسية، الاسكندرية، دار الفكر العربي.
- 19- عبده ،عبد الهادي السيد وعثمان ،فاروق السيد (2002) : القياس والاختبارات النفسية اسس وادوات ،دار الفكر العربي، القاهرة ،مصر .
- 20- عدس ،عبد الرحمن(1988) :اساسيات البحث التربوي ،ط2،دار الفرقان، عمان .
- 21- عودة ،احمد سليمان (2002) :القياس والتوجيه النفسي في العملية التدريسية، المطبعة الوطنية ،عمان، الاردن .
- 22- _____ (1992) : القياس والتقويم في العملية التربوية ،المطبعة الوطنية ،عمان، الاردن 0
- 23- الغريب ،رمزية (بلا) : العلاقات الانسانية في حياة الصغير ومشكلاته النفسية ،القاهرة ،الانجلو المصرية .
- 24- _____ (1970) : القياس والتقويم النفسي ،مكتبة الانجلو ،القاهرة .
- 25- فهمي ،مصطفى (1979) : سيكولوجية الطفولة والمراهقة ،القاهرة، مكتبة مصر .

- 26 - قناوي، هدى (1988) : الطفل تنشئته وحاجاته، القاهرة، الانجلو المصرية .
- 27 - كامل، عبد الوهاب (1991) : اساءة معاملة واهمال الاطفال، « دراسة ايدومترية على عينة مصرية » المؤتمر السنوي الرابع للطفل المصري، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس .
- 28 - محمد أم محمد السيد بخيت (1999) : مدى فعالية برنامج ارشادي في تعديل اساليب معاملة الوالدين للابناء اطروحة دكتوراه منشورة أجماعة عين شمس كلية التربية أقسم الصحة النفسية أمصر .
- 29 - النهان أموسى (2004) : اساسيات القياس في العلوم السلوكية أدار الشروق للنشر والتوزيع أعمان أالاردن .
- 30 - ملحم أمسامي محمد (2002) : القياس والتقييم في التربية وعلم النفس أدار الميسرة للنشر والتوزيع أعمان أالاردن .
- 31 - المنيزل أمبد الله وغرايبة أمعايش (2007) : الاحصاء التربوي أدار الميسرة للنشر والتوزيع أعمان أالاردن .

المصادر الاجنبية :

- Allen, M. J & yen, W. N (1979). Introduction to Measurement Theory, Cali Book Cole.
- D woretzky, J. P. (1987). Introduction to Child Development. 3th ed. New York: West Publishing Company.
- Eble , R. (1972) : Essentials of Educational Measurement , New jersey Prentice-Hallince .
- Green, A.H., Gaines, R.W. & Sandgund, A. (1974). Child Abuse: Pathological Syndrome of Family Interaction. American Journal of Psychology, 131(8), August.
- Green, A.H. (1978). Self-Destructive Behavior in Battered Child . American of Journal Psychiatry, 135, 579-582.

ملحق رقم 1

مقياس الاساءة الوالدية لأطفالهم

عزيتي الام.....

عزيتي الاب

تحية طيبة ...

بين يديك مجموعة من العبارات التي تعبر عن مشاعر أو سلوكيات قد تشعر بها أو تقوم بها عندما تواجهك موقف في تحقيق غاية ما المطلوب منك قراءة كل عبارة بدقة والإجابة عنها بوضع علامة (√) في المربع الذي ترينه ينطبق عليك،، ويتفق مع تفكيرك، أو يعبر عن رأيك في الورقة المخصصة للإجابة وتحت البديل المناسب ولا تترك أية عبارة بدون إجابة، وتذكر انه لا توجد إجابات صحيحة وإجابات خاطئة، فالإجابات صحيحة طالما تتفق مع رأيك . وان إجابتك هذه سوف لن يطلع عليها احد سوى الباحثان ولن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي. مثال توضيحي للإجابة:

ت	الفقرة	كثيراً	احياناً	نادراً
1	وقتي قليل للأهنام بنظافة اولادي.		√	

الباحثان

ت	الفقرات	كثيراً	احياناً	نادراً
1	اقوم بضرب طفلي عندما يفعل شيء لا ارضى عنه			
2	اقوم بتحديد مواعيد خروج وعودة ابنائي للمنزل			
3	اذكر عيوب ابني او ابتي امام الاخرين			
4	يشاهد ابنائي خلافاتنا الاسرية المشيرة			
5	اشد شعر ابني (ابتي) عندما يضايقني			
6	ارفض الاصفاء الى مشكلات ابني (ابتي)			
7	امتنع عن زيارة اصدقاء ابني (ابتي) في المنزل			
8	اسبب الما مبرحا عند معاينة ابني (ابتي)			
9	الجا الى صنف ابني على وجهه			
10	اجرح مشاعر ابني (ابتي) بصورة مستمرة			
11	اقضي معظم وقتي خارج البيت			
12	اضرب ابني (ابتي) عندما يشتكي منه احد وان لم يكن مخطئاً			

			انادي ابني (ابنتي) بصفات تسيء اليه	13
			اثور باستمرار امطالب اولادي المتكررة	14
			اضرب اولادي بشدة عندما اكون غاضبا	15
			اعتقد ان الضرب وسيلة جيدة للتربية	16
			اجبر ابني (ابنتي) على الالتزام بتعليماتي واوامري	17
			اتشاجر مع زوجي بسبب السهر مع الاصدقاء ولاهمال الابناء	18
			اضرب اولادي بدون سبب	19
			اشتم واسب اولادي باستمرار	20
			اشعر بالتقصير للاهتمام بشؤون اولادي	21
			اعاقب اولادي على اخطائهم حتى وان كانت تافهة	22
			اشرب المواد المسكرة امام اولادي	23
			اقارن اولادي بالاخرين لاشعرهم بالاهانة حينما يخطئون	24

			الجأ الى عض ابني كوسيلة لردعه	25
			جلوسي مع اولادي فقط بالمناسبات	26
			امنع اولادي من الكلام او الضحك بصوت مرتفع داخل المنزل	27
			الجأ الى تحديد تصرفات اولادي	28
			اهتمامي قليل بنظافة اولادي والاعتناء بهم	29
			اترك البيت بسبب الشجار مع زوجي (زوجتي)	30

التلطيف في الاعلام السياسي: الأنواع والاستخدامات

كلمات مفتاحية: التلطيف - الاعلام السياسي -
الأنواع والاستخدامات

أ.د. رياض خليل ابراهيم / م.م / حيدر صادق ناصر
جامعة بغداد / كلية اللغات الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

Euphemism in Political Media: Types and Uses

Key Words: euphemism, political media, types and uses.

Hayder S. Naser
Al-Mustansiriyah University
College of Arts

Dr. Riyadh K. Ibrahim
University of Baghdad
College of Languages

ملخص البحث

يهدف البحث الى تسليط الضوء على اكثر الأنواع شيوعا واستخداما لتعابير التلطيف بصورة عامة مع التركيز على النصوص المستخدمة في الاعلام السياسي اخذين بعين الاعتبار تلطيف الكلمات اللاذعة او الغير مقبولة لجعلها اكثر قبولا للقارئ والمستمع لتجنب خدش الحياء العام.

وتعد طريقة التعبير باستخدام التلطيف عاملا مهما لؤلئك اللذين يعتقدون باهمية استخدام التعابير المهذبة فضلا عن مضاداتها. وتلقى هذه التعابير رواجا واسعا في الحياة اليومية لتظفي طابعا ايجابيا لدى المتلقي. ولتحقيق هذا المطلب تناول البحث اثنا عشر نصا من الصحف السياسية ودرستها باستخدام ستة انواع لتعابير التلطيف مقسمة على اثنا عشر مثالا.

Abstract

The main purpose of this paper is to shed light on the more recent types and uses of euphemism expressions in general with special focus on political media texts taking into consideration the idea behind euphemizing the harsh words in order to be acceptable for the reader or listener to avoid offending people or using taboo. The mechanical replacement is very useful for those who believe in providing more polite expressions than the dysphemistic ones. In the daily life, a lot of expressions are changed euphemistically to have positive impact. To meet this demand twelve texts have been culled from political newspaper for the purpose of analysis. The analysis detects six main types of euphemistic expressions used in the data with twelve instances.

1 - Introduction

Talking about euphemism is talking about cultural meanings that are expressed in language. Proper language is to avoid certain words or expressions as well as to express them. Allan and Burridge (1991:3) confirm that the form of language the person uses can cause offense to other human beings. So to shield a speaker from the consequences of giving offence, all languages have euphemisms. Euphemistic expressions also trade on illusion: the bluntly profane (and therefore in some eyes blasphemous). Jesus Christ is euphemistically transferred into 'jeepers Creepers' but the same person is referred to by both, and if the former is profane, even blasphemous, so should the later be too. The point here is how euphemism and dysphemism are defined? Is euphemism necessarily tied in with taboo? What topics are taboos? Why are women's bodies so strongly tabooed? Do euphemism and dysphemism reflect the intrinsic conflict between intellect and body within human beings? What sorts of euphemism are there? Where do congenital euphemism and dysphemism come from? How are euphemism and dysphemism related to one another? How are they related to natural terms?

Concerning all previous questions, the few will be on the types that the euphemistic expressions come to be used by people and the areas in which all these mild expressions might take place in everyday conversation. Thus euphemism is characterized by avoidance language and evasive expression; that is the speaker uses words as a protective shield against the anger or disapproval of natural or supernatural beings. If this seems too negative, we can alternatively describe euphemism as "expression that seeks to avoid being offensive. Dysphemism on the other hand is roughly speaking or the opposite of euphemism. Investigating dysphemism, we examine the verbal resources for being offensive, abusive or just letting off steam.

O'brain (2011:7-8) suggests that euphemism is a word or expression that is used by people when they want to speak politely and to express pleasant or to be less direct in their talking about difficult or embarrassing topics like death, sex or body functions. Allan and Burridge (1991:3-4) believe that euphemism occurs to.

avoid offensive expressions in language, i.e. speaker uses words as appropriate shield against the anger or disapproval of natural or supernatural beings. Hudson (2000:260) defines euphemism as the extension of ordinary words and phrases to express those unpleasant or embarrassing ideas that can occur between the speaker and the listener.

2 - Uses of Euphemism

There are a lot of areas in today's English where euphemism is used frequently. These areas deal with socially unaccepted or feared issues that people are ashamed to talk about directly. Among the most common and oldest belong to euphemism connected with death, religion, sex, parts of the body, crime, illness, poverty, government and politics.

2.1 Euphemism Connected with Old Age

Ayto (1993:228) believes that the word "age" stands as a living symbol of peoples' need to show their interest in the application of the verbal make-up about the topic. The use of "aged" for "old age" dates back to the 15th century which first recorded in the 19th century. The term "senior citizen" that emerged in America is also devoted to serve the word application concerning the theme of "old age". Another term is "senior moment" which refers to the old people" in a more respectable way. "Elderly" is also used as a euphemistic expression firstly in 1611 to replace the term "old age" (Ibid:29-30).

2.2 Euphemism Connected with Death

Enright (2005:29-42) accepts that death raises nameless fears whatever a person's religion or beliefs, or however scientific they may be. For many, it is considered as a taboo subject. With death, the fear is not only of one's own death rather to feel grief for the death of others (helping friends and families to cope with their own losses). Until recently, studying death and dying is a matter of a taboo subject and also it is considered insensitive. Most people prefer not to dwell on the subject directly and thus, discuss it by using euphemism. The following terms show how a large number of euphemisms related to death are used in everyday talking: "Abraham's bosom", "go to", "to be in" are euphemisms for die or to be dead. The terms "after life" to have gone to the", "in God's hands", "six feet under", "pass away" "to sleep the big sleep" and "to be in the" also refer to death (ibid.)

Judith and Silver (1991:166-183) maintain that the desire of mankind to forget aging process that leads inevitably to death is a source of a number kind of words in which the stage and the roles of life seem more bearable. In America, for example the word "old" is rarely used. The elderly people are euphemistically called "seasoned", "well-preserved" and "elder statesmen". Throughout history, more elaborated system of words and customs to disguise death so pleasantly has been created.

2.3 Euphemism Connected with Religion

Enright (2005:19-21) observes that euphemisms used in religion are motivated by human prejudices, respect for God and fear for evil forces, stating that the word

“God” by many corresponding euphemisms like “Gosh”, “Gee”, “George”, “Cheeses”, “Christ sakes” and “Jesus” for God. Allan and Burrige (1991:37-38) suggest that the name of God has been taken into consideration as a subject of euphemism. They illustrate some euphemistic expressions that are preferable to be used indirectly instead of uttering the word “God” directly like: “Lord”, “Gosh”, “Golly”, “Goodness”, “Oh lord” and “Heavens”.

2.4 Euphemism Connected with Sex

Enright (2005:55) seems to believe that among all the taboo subjects, sex is the one that has produced the most euphemisms and other alternative terms for its various aspects. Many feel shy of using phrases like sexual intercourse or copulation so new expressions are used all ones adapted. Euphemistic expressions concerning sex are divided up into four areas: sexual acts, parts of the body associated with sex, sexual professions and sexual proclivities.

Ayto (2007:66-67) observes that even when people talk about talking about sex, they try to be indirect. It is even squeamish to use the word “sex” when it refers to males or females collectively, rather than to their reproductive associations. It should be noticed that stating circumlocutions for sexual activity always fail to distinguish copulation and the stimulatory activities that precede it. The classic euphemism refers to the sexual act is “make love”. It came into English around the end of the 16th century to denote the attempt to initiate a sexual relationship. Another euphemism strategy is to propose that sex is slightly wicked to deal with directly without manipulation. Thus, “amorous” and “favours” could be used to denote “sexual intercourse”. The two terms date back to the early 19th century and the 17th century has a specific euphemism to refer to sexual intercourse such as “last favour” (ibid:68).

Mencken (1962:646) mentions numerous examples of euphemisms representing sex like “romance”, as euphemism is used to indicate an illicit love affair, and “love nest” which euphemistically refers to an elegant house of prostitution. “Harlot” also indicates to fallen woman and “breast” become “bosom”. Bullough (1973:97) confirms that the subject of sex is a major concern in human life and one that is likely to elicit embarrassment used by people in different ages and walks of life. Ayto (2007: 104) seems to believe that the subject of homosexuality euphemisms based on the notion of being unusual or strange. Among the most appropriate euphemistic expressions concerning homosexuality are “abnormal”, “curious”, “unnatural” and “odd”. Enright (2005:72-74) mentions the following terms as euphemisms for sexual proclivities like: “English disease” to mean male homosexuality, “Gay” is also used as a euphemism for homosexuality specifically male. “Never married” and “out” as a euphemism employed to be used for homosexuals for both men and women.

2.5 Euphemism Connected with Body Parts

Allan and Burrige (1991:55-57) state that body and bodily process distaste is not modern rather it goes back a long way. Early Christians describe life as a temporary stage as well as a journey towards a much better future existence. Therefore, the worthy of attention is only the soul and attempting to prolong or preserve human life is relevant. They also add that when the dead is buried, nothing is done with the body; all attention is on the soul. Orifices and body emissions in most societies always call for a euphemism like the example used in medicine contexts hidden/paths, doors for people who cannot urinate. Anderson and Stageberg (1975:142) conclude that the American euphemism "white meat" is used for breast and "dark meat" refers to parts of chicken. There are many examples of euphemistic expressions that evoke the embarrassment of a person. The unpleasant smell is referred to as "an odour" or "a smell" as well as the person is "odorously challenged". Socially unsuitable behavior is also present in determining euphemistic expressions like bleaching which is substituted by "break wind". They (ibid.) also affirm that today's English has few expressions for functions that cannot be referred directly. They summarize their idea by saying that there are two functions concerning the specifically sexual portions of the sexual anatomy. The first one is connected with enhancing and glamorizing as in the term "golden doughnut" for the vulva. The second function is to conceal and canalize as in "things" for male genitals.

They (ibid: 16-18) define nudity in general as the state of being naked. Although the word "nude" in the sixteenth century meant bare or naked, it is still used nowadays as a euphemism for naked. As a euphemism referring to the naked condition of the human body, it was not used until the 19th century. This is an indirect term which has its correlative euphemisms that are widely used in everyday life. The best euphemistic expression used to refer to the nude form is "topless".

2.6 Euphemism Connected with Addictions

Unaccepted issues like alcohol, drugs and gambling are present in today's English. Holder (2007:401) affirms that people prefer to choose evasive language when dealing with personal destructions, According to him addictions could be called "weaknesses", e.g. weakness for the horses represents gambling addiction. He points out that terms like "to play" or "a game" is used as a euphemism concerning addictions to gambling. The word "drink" is also taken into consideration as a euphemism for alcohol which might be used as a verb or noun in the phrase "have a drink" and "drink a lot". Lambert (1992:222) emphasizes that the word drink is replaced by many euphemistic expressions. Among these expressions that allude to alcoholic saturation are "sodden", "soaked", "stewed", and "oiled".

2.7 Euphemism Connected with Occupation

Mancken (1962:587) designates that euphemistic expressions connected with occupation are “developed” in the United States. The purpose behind this development is that the Americans are more ashamed of their trade than Englishmen. He gives the following examples to illustrate euphemistic expressions like “sanitary officer”, “refuse collector” and “cleansing operative” for garbage man and “hired man” for “servant”. Also the term “maintenance engineer” is preferable rather than a “person who cleans shoes”. A dust man also can be euphemized into “waste-reduction”, “manager”, “sanitation engineer” and “sanitation worker”. The two lexical items “staff” and “domestic helper” seem to be less than taboo than “servant”.

2.8 Euphemism Connected with Avarice

Ayto (1993:59) seems to believe that the accusation of being miser is a pretty serious matter. Thus, many of the words that are used by people have a very high acid content: avarice, cupidity, meanness, and stinginess. The flip side of this is that many find it better to tone down the accusation in order to soften its impact without ignoring it. For that reason it is thought to be preferable to describe people with padlocked wallets than as “economical”. Equally useful words are exemplified in “careful” which implies a worthy caution over the expenditure of the smallest amount of money and “thrif” that seems to show little cause for reproach.

2.9 Euphemism Connected with Untruthfulness

Greenough and Kittredge (1961³305-6) maintain that there are various ways that have been developed by people to avoid calling someone a liar. The best way to be nice when addressing someone as a liar is to say, “you are destroying the facts”, “you are making an accurate statement”, “white lie”, “economical with truth”, “miss speak” and “you are stretching the truth”.

2.10 Euphemism Connected with Illness

Mencken (1962:646) confirms that people always prefer to use the term “syphilis” and “condition” to express disease. Leech (1990:53) confirms that “disease” and “indisposition” are established words for illness. The term “consumption” is also used instead of disease.

2.10.1 The Purpose of Using Euphemism

The purpose of using euphemism is not only to soften the vulgar expressions. Katamba (2005:190) agrees that the avoidance of hurting someone is not the major reason of euphemism. According to him people use euphemism to deal with the social taboos that are found in every culture and every language. Holder (2007: vii)

asserts that the motivation behind asserting euphemism is the idea of substitution of blunt or disagreeable with the mild and periphrastic expression. Enright (2004:8-9) points out that one of the most important purposes of euphemism is to hide the true essence of speech. He also adds that euphemism makes the truth less painful because people will avoid direct speaking.

3. Types of Euphemism

Allan and Burridge (1991:) suggested that there are many types of euphemism that cause of semantic change and remarkable inventiveness of both figure and form. They gave metaphoric euphemism like “go to the happy hunting ground for die”. Janicki (2010:69) observes that metaphor is the mapping of an abstract domain on an adhesive one. Simpson (2004:41) believes that when the mapping between two different domains occurs this process is called metaphor. Another kind of euphemism is hyperbole or overstatement. Geeraerts (2010:29) defines hyperbole as a form of exaggeration to express negative or positive appreciation of a specific unit of language. Richardson (2007:65) states that the form of hyperbole as a figure of speech is employed to view the excessive exaggeration made for the rhetorical effect as in “fight to glory” to mean death. The third type of euphemism is called litotes or understatements. Cruse (2006: 186) finds that understatement as a figure of speech is used to express quantity, intensity or seriousness of something that is less than what is being expressed. He provided examples like: “sleep” for die and “not very bright” for stupid. Another type of euphemism is periphrasis (circumlocution). Allan and Burridge (1991: 16) refer to circumlocution as a process of using reticence sometimes making people utter words directly; therefore, they tend to employ indirect illusions as in “certain illness” for syphilis, “I am going you know where” to allude unpleasant place, “little girl’s room” for toilet and “rape” becomes “criminal sexual assault” or as it is called in the newspaper “a serious offence against woman”. Synonymy is also another kind of euphemism which is taken into consideration by (Saeed 2000: 65) who confirms that synonyms are taken into consideration as a collection of different phonological words which give the same or very similar meanings like: couch/sofa, lawyer/attorney, and toilet/lavatory. It is necessary to notice that the idea of exact or true synonyms is treated as being very rare. Palmer (1981: 88) seems to believe that the idea of synonymy means the sameness of meaning. Synonyms are usually illustrated to differ only in their connotations but this is not a term since it often refers to emotive or evaluative meaning which is never distinguished from cognitive meaning. The relation between synonymy and euphemism becomes clear when the later comes to be classified as a synonym. A lot of euphemistic expressions have the form of synonym like: “topless” for “naked”, “cemetery” for “graveyard” and “revenues” for “taxes”. Allan and Burridge (1991:17) state that (one-for-one substitution) as a type of euphemism shows the meaning

extension like “pot” for “marijuana” and “fighting groups” for “rebels”. It is a kind of substitution in which the substituted term will have the same meaning of its correspondent form. This sort of linguistic mechanism plays an important role in achieving euphemistic expressions that many taboo words are going to be replaced by euphemisms through this mechanism. Eubanks (2011: 97) states that metonymy and synecdoche are considered matters of inferentially irrelevant word substitution such as the part for the whole, the whole for the part, the end for the beginning, the effect for the cause, and the like. Moreover, the function of metonymy extends to include the purpose of comprehension by giving some elements of a conceptual system greater attention than others.

Janicki (2010: 72) takes metonymy into consideration as two things put together which are conceived of as relating to each other and belonging to one domain rather than two (in metonymy, one thing is replaced with another which is closely associated with or related to it). In dealing with metonymic analysis, it can also be noticed that some metonymic expressions often deal with some kind of personification, where non-human entities, such as houses and cities, are treated as human beings like the following examples: “The White House has rejected the proposal” (place for people), “Number 10 will have an opinion on this matter tomorrow” (place for people), “Paris says no to further negotiations” (city for people), “London will not respond until Tuesday” (city for people), “Europe thinks differently” (continent for people), and “What does China think” (country for people) (ibid.)

4. Euphemisms Used in Media

Mass media is defined as media which is intended for a large number of audiences. It is formed of: broadcast media as in the form of television and radio, or print media such as newspapers and magazines. Internet media can also be considered as mass media as "mainstream media" identifying the fact that it shows to stick to prominent stories which are of interest to general audience. Mass media often aims to reach a very large market represented in entirely the population of the country. By contrast with the local media that covers smaller population area and focusing on regional news of interest.

Enright (1985: 127) states that in newspapers, television and radio news, there is a different origin that attracts lots of euphemisms. Channels correspondents live close to politicians and official spokesmen so they can absorb from them the euphemisms that are required for the job. According to Murphy (2000: 17), political euphemism is used to make lies sound truthful and murder respectable. It is often said that politicians are the masters of euphemism. Parrot (2003: 4) seems to believe that the main purpose of euphemism "is reinventing the leader or refashion an idea". For instance, because "war" connotes death and destruction, Americans deliberately

changed the name of "War Department" to the "Department of Defense" in the forties of last century. The following are the most common types of euphemistic expressions detected in the data:

4.1 Synonymic Euphemisms

In this type, there are two euphemistic expressions that occur as a synonym as follows:

4.1.1 Chi Magazine Publishes Kate Middleton Topless Photos Defying Legal Threats (Appendix I 4.1.2 He said only four people had been detained so far although up to 50 could be under investigation (Appendix I)

The word "detained" is used as a euphemism to avoid the dysphemistic expression "to imprison for political purposes". As a polite term that has more acceptable significance, this euphemistic expression conveys the imprint of society in particular and the alternatives of this meaning. It is important to notice that the spokesman is describing in progress something unbearable to be uttered so he tries to be careful in using his vocabularies. He prefers to say "detained" instead of "imprisoned" to lessen the impact that the word "imprisoned" can make on the audience that he addresses. The absurdity can be clearly seen in using the word "imprisoned" especially in public. The mild expression is easy to create by the spokesman while he explains the status of the protests by avoiding the appearance of pitching down the story in media. The speaker does his best to make his speech describe the relevant facts without using the taboo or harsh expressions. Rawson (2002: 120) illustrates the meaning of "to be sentenced" for "detained" and the meaning of "political prisoner" for "detainee".

4.2 Metaphorical Euphemisms

Under this type, there are two euphemistic expressions occur as a metaphor as follows

4.2.1 Royal marine and army medic deaths 'not friendly fire' (Appendix I).

In this part of political discourse the phrase "friendly fire" appears as a euphemism for "inadvertent firing towards one's own or otherwise friendly forces while attempting to engage forces, particularly when this results in injury or death". Bertram (1998: 109) defines "friendly fire" as the shooting or bombing from troops on one's own side.

Holder (2007: 189) mentions that "friendly fire" is the term used to denote the idea of being bombed or shelled by someone's own side. It is obvious from this example that "friendly fire" performs a taboo function because this event

usually causes death which is a taboo in nature. Thus, this euphemism is used in order to make this issue sound less unpleasant as well as acceptable. So by using this euphemism, the speaker tries to hide the negative impression that this word involves and the covering up function that is being performed through the use of the alternative softened expression. Applying this euphemism is considered as a pattern to view the behavior of controlling another person's speech identity. It occurs as a well-organized pattern to avoid uttering strong elements of language employment.

The euphemism in this example is recognized as a metaphor. The figurative language plays an integrate role in the interpretation of the polite term to give the real meaning with more acceptable utterance which represents the vehicle of this metaphor that transforms the meaning of death in the same group fire which stands for the tenor of this figurative language. The ground of this metaphorical euphemism, as usual, bears the similarity between the two compared terms to show the resemblance in meaning between them that both of them could give the meaning of killing or murder in a wrong way.

4.2.2 Coalition ministers have recited it at every opportunity and in doing so, are being economical with the truth (Appendix 1)

The lexical item "a liar" has been fully excluded as a taboo term and using the euphemistic expression "economical with truth" instead. The use of euphemism in this example performs a covering up function since it refers to someone as "a liar" directly. The softened expression has its effect to make what is said more acceptable to please the hearer and be far from using offensive vocabularies.

It is considered something not well organized to deal with the word "liar" literally because most people find it very illicit or an insult when it is said to describe somebody who is not telling the truth. Ayto (2007: 30) mentions the phrase "economical with truth" as a euphemism for a liar. Here "telling untruth" and "a liar" are different forms that express the same meaning which is explicitly avoided and replaced implicitly with the verbal extenuation phrase that has the meaning of the taboo implicitly. The euphemism in this example as an analysis is taken into consideration as a metaphor.

The reason behind analyzing it as a metaphor is that it is a figurative expression that confirms the existence of the relationship between two items that cannot be expressed literally. This kind of relationship depends on the idea of similarity rather than association between the two compared things. Thus, it can be said that there is a notion that exploits the similarity in meaning between the two different forms based on the lexicalization for both (the meaning of both are the same since the

clear difference in including vocabularies is existed). The meaning that is intended to be conveyed is reflected in the topic which is one element of this figurative language. The figurative language that is applied to hide the tenor is the vehicle of this metaphorical euphemism while the third element of this figure of speech is the ground which is understood in terms of there is no credibility in someone's speech or a cunning person.

4.3 Metonymic (general-for-specific-substitution) Euphemisms

In this type, there are two euphemisms that occur as a metonymy (general-for-specific-substitution) as follows:

4.3. 1 The pictures are grainy but clear enough. I am actually shocked by how healthy she looks (Appendix I)

This discourse illustrates the word "healthy" to occur as a euphemism instead of saying the taboo expression "big breasts", (Bertram, 1998:130). The body parts are thought to be one of the greatest extreme of the taboo subject. The main purpose of stating euphemism in this example is to emphasize the idea of ignoring women body parts especially the breasts.

This polite term has been introduced to tone down the embarrassment factor. The speaker in this piece of language tries to soften the focus on the genitals by referring to them in more general terms making his point ambiguous rather than direct to transfer the idea of being harsh or blunt.

For the communicator, it is quite common to generalize his chosen vocabularies in order to ignore the appearance of the taboo. The word "healthy" is taken into consideration as a useful word to refer to the women organs in public. So uttering the word "breasts" might not be appropriate that is why finding the right replacement in which the original word (the avoided one) carries negative connotations and the reputation for being obscene. To be analyzed semantically, this indirection term has come as a one word euphemism belonging to adjectives. This word in a good taste is illustrated as a metonymy (general-for-specific substitution) confirming the speaker's tendency to describe the breasts via using general or common colored assertion which seems nice to the listener. This general term is perfectly managed to be specified for denoting typical part of the body.

The relation between the word healthy and its meaning in a hidden relation implies the characterization of the semantic relationship out of the elements of the mild expression that is understood as a taboo. The conventionality of the semantic relationship is introduced through representing generalization for specification.

4.3.2 In a statement, the Israeli defense force said its strike-one of four carried on

Saturday-had targeted two “terror operatives” (Appendix 1)

The lexical item “**operatives**” is introduced as a euphemism to mean the improper expression “**Freedom-Fighters**”. This verbal extenuation comes as the speaker’s preferable utterance to be used in popular media to introduce more mechanism process for a clear understanding of the basic relevance between the avoided and the conveyed message. “Spies” as a rejected subject may help to diminish the difficulty of articulating undesirable topic. A typical way of constructing euphemism is seen in the forbidden operatives to talk about “spies”. For the hearer, it may be offensive and hide the colorful expression of the lexical item “operatives” to be issued in terms of an explicit innovation for the implicit that is modified to show the facts of the explicit. The softened expression in this example is studied as a one-word euphemism belonging to the nominal classification, (Bertram, 1998:199).

From the semantic point of view, it is a (one-for-one substitution). In this substitution, there are two items that have been changed in order to achieve the substituted preferable element which is euphemized as a complete expression that requires a deliberate omission of some aspect of language form whose meaning is unpleasant and distasteful. In this way, the communicator tries to get rid of the burden of using these words and transfers the inference mechanism of the hearers to handle smoothed communication via a tacit agreement about the usage of operatives.

4.4 Synecdochic (Part-for-whole relation) Euphemisms

In this type there are two euphemistic expressions that occur as a synecdoche (part-for-whole relation) as follows

4.4.1 Political inmates’ strike enters 43rd day as Pkk and allies condemn Ankara over denied civil rights and armed conflict (Appendix 1).

The phrase “**armed conflict**” is used as a euphemism to denote “terrorism” and “slaughtering innocent men, women and children”. Because “terrorism” is “a war crime” and violates the most fundamental of human rights, this euphemism demonstrates a taboo function as terrorism. The particular category of this euphemism attaches itself to neutralize and soften the underlying meaning of terrorism, (Holder, 2007:82). The phrase “armed conflict” takes the positive side of what is being considered as having strong impact on the reader. This euphemism is analyzed as a synecdoche (part-for- whole relation). The part- for- whole relation is clearly identified to show the meaning of the part which signifies the whole. That means the meaning of the whole is going to be viewed from the meaning of its part. Thus “terrorism” represents the whole meaning of the “armed struggle” which stands for a part from this terrorist action.

4.4.2 An Arab league proposal for a join UN/Arab peacekeeping force in the country (Appendix I).

The phrase "peacekeeping force" is identified as a euphemism to refer to "armed forces sent to another country to ensure peace in their own country". The indirectness in expressing the unacceptable confirms the use of the euphemistic expression in dealing with the topic of occupation since it is proposed that the subject of "armed forces" is widely offensive to be mentioned. The sense of the taboo appears clearly in hiding something entirely different in form from what is said as a delicate phrase to keep the sense of talking in a good manner. From the social point of view, it is nearly inappropriate to mention the subject of "armed forces" that will be sending to another country without making modifications in the application of the vocabularies, (Bertram, 1998:206).

This kind of relation (**synecdoche**) refers to another referent that is in some way associated with it. This part of the utterance is recognized as a part from the conceptual knowledge which is associated with what is referred to. This part-for-whole relation also clarifies the interaction of literal meaning in the determination with utterance meaning. The basic concept in metonymic relation that should be taken into consideration is that the metonymic relation is dependent on the idea of association rather than replacement. So there is a kind of meaning association in this part-for-whole relation that is part of the armed forces sent to another country is to keep peace or peace keeping forces. The term "peacekeeping force" is not separated in its sense from the whole to be independent as a new idea or expression rather it is used as something connected to.

4.5 One-for-one Substitution Euphemisms

In this type, there are two occurrences of euphemistic expressions that are analyzed as one-for-one substitution as follows:

4.5.1 The arrest is the latest in a series of so-called "sting" operations run by the FBI and anti-terror authorities in the US. (Appendix I).

The lexical item "sting" is used as a euphemism to have the meaning of "to deprive by trickery". This euphemism occurs to represent another way of stating the idea of cheating in a more colorful aspect, (Holder, 2007:365).

Using this polite term shows the preferable social performance of declining language. The point is that the application of the indirection is the fight against bad language use and to take a necessary step towards assuming avoidable ugliness of the rejected language. The used term offers a neat spectrum of the nature of euphemism hence the term sting covers the distained of being pained. The euphemistic force of a word is heavily dependent on its context. In this example, the speaker tries to deviate his language to be neither illicit nor offensive since the subject described is searched to be uncovered.

This manipulation in language style outlines the speaker's desire to hide the word "robbery" and expresses his own sentimental utterance. The euphemistic expression of this example is analyzed as a one-word euphemism. O'Brien (2011:11) states the meaning of "to deprive by treachery" for sting. As a part of speech, it comes as a noun with the alternative meaning of cheating. From the semantic point of view, it is reviewed as a (one-for-one substitution) in which two lexical items denote the same meaning while they differ lonely in the matter of occurrence. The two items (euphemism and taboo) are identical in sharing the same referent relations and different in generating various sense relations since they are not synonymous expressions but the idea of sharing meaning is present and clearly seen.

4.5.2 He was at least 15 and managed to stay under authorities' radar for a long time by not selling pot at school (Appendix I)

The euphemism of this piece of language is appeared in the lexical item "pot" which indicates "marijuana". The lexical item pot is preferred to be applied to show the speaker's willingness to neglect mentioning marijuana, (O'Brian, 2011:89). The communicator prefers to say something less offensive while the same meaning is kept in both expressions to signify "forbidden drugs". The word pot comes as a social aspect focusing on the description of declining certain piece of language and their underlying meaning. The need for euphemism here arises to stand as a powerful linguistic tool that is embedded so deeply in the speaker's language when the desire of avoiding unacceptable utterance seems explicit. This kind of euphemism has its effect to represent emotional aspect of the personal attitudes for not upsetting others. The refusal of the term "marijuana" exploits the social custom in communication for maintaining better social relationship and exchanging vocabularies.

The euphemistic expression in this example is viewed as a one-word euphemism that stands for another word chosen to mask or soften the true meaning of what is being expressed. As a part of speech it is classified as a noun that substitutes another noun for the purpose of being more polite. The idea of one-for-one substitution characterizes this form of indirection where two terms have the same meaning to identify identical referent unit. They differ in terms of being pleasant and unpleasant to cover the topic. It is significant to note that the favorable interpretation reflects not merely the willingness to apply certain invectives but also the importance of setting close related meaning of both excluded and used one.

4.6 Circumlocutory Euphemisms

In this type, there are two euphemistic expressions come to be analyzed as circumlocution as follows

4.6.1 Blair backs redistribution of wealth to end child poverty (Appendix 1)

The phrase "**redistribution of wealth**" is used as a euphemism for "punitive taxation". In other words, it is a euphemism for the transference of "income", "wealth" or "property" from some individuals to others caused by a social mechanism such as "taxation", "monetary policies", "welfare", "nationalization", and "charity" or "tort law". Most often it refers to progressive redistribution, from the rich to the poor, although it may refer to regressive redistribution from the poor to the rich. The euphemism in this example performs a disguising function, as it is unpleasant to speak about taking money from the rich and giving to the poor directly, (Holder, 2007:321).

Thus, this euphemism is very helpful in this case to make the discourse of writing more acceptable and can be seen in good taste. Holder (1989: 268) states that "redistribution of wealth" as a euphemistic expression has the meaning of "exceptional taxation of the rich".

It is analyzed as a circumlocution to organize the relationship between the substituted phrases that share the same meaning. The meaning of each lexical item is different in both substituted phrases. The lexical item "redistribution" is concerned with the economic factor in terms of revenue or capital market while the term "wealth" has the meaning of money or high income. The phrase "punitive taxation" that is compatible to the euphemistic phrase in viewing the similarity between "taxation" and "redistribution" which seems totally different has the same meaning identification. The meaning has its effect to introduce the social aspect that makes these items acceptable and unacceptable in determining their meanings. The lexical item in the taboo phrase "punitive taxation" has the meaning of punishing or vindictive.

4.6.2 The duchess of Cambridge is expecting a baby; St James's has announced (Appendix I)

The utterance "**she is expecting a baby**" is occurred as a euphemism to denote "pregnant". The term "pregnant" is regarded as something embarrassing to be mentioned and yet there is an obligation of mentioning the alternative softened one to lessen the degree of sensitivity since this part of speech cannot be dropped out or put aside. The aim here is to avoid the embarrassment that may result from uttering the word "pregnant" directly, (Rawson, 2002:149).

Thus, it can be notified that the euphemistic expression carries a positive connotation. The softened expression is analyzed as a circumlocution since the act of expecting is recognized as part of the whole activity of the pregnancy. This euphemism has both literal and non-literal meaning reflecting the attitude of the

utterance in which is occurred. The literal meaning can be realized in terms of expecting anything to come or happen without taking into consideration the idea of pregnancy while the non-literal one has been specified to include the idea of pregnancy as the main notion of the expressed utterance although the term pregnant is fully ignored from the text but it has its sense figuratively rather than literally.

5. Conclusions

In the light of the study, the following conclusions are reached:

- 1 - Euphemisms are used when people want to find a polite or less direct way of talking about difficult or embarrassing topics like death or bodily functions.
- 2 - There are a lot of areas in which euphemistic expressions are used to refer to.
- 3 - Euphemism can be a good source for language users. It enriches their vocabularies which have their effect in understanding language.
- 4 - Euphemistic expressions are widely used in media especially by politicians to avoid having negative impact on the audience.
- 5 - The most common types of euphemistic expressions detected in political media are the following: synonymic, metaphorical, metonymic, synecdoche, one-to-one substitution, and circumlocutory

References

- Allan, K. and Burridge, K (1991) *Euphemism and Dysphemism: Language used as shield weapon*. Oxford: Oxford University Press.
- Ayto, J. (1993) *Euphemisms*. London: Bloomsbury.
- Ayto, J. (2007) *Wobbly Bits and Other Euphemisms*. London: A&C Black Publisher Ltd.
- Bartlett and Roget (1996) *Thesaurus*. Boston: Brown and Company, Inc.
- Bertram, A. (1998) *NTC'S Dictionary of Euphemism*. Illinois: NTC / Contemporary Publishing Company.
- Bullough, V. L. (1973) *The Subordinate Sex*. Illinois: University of Illinois Press.
- Cruise, A. (2006) *A Glossary of Semantics and Pragmatics*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Enright, D. J. (1985) *Fair of Speech: The uses of Euphemisms*. Oxford: Oxford University Press.
- Enright, D. J. (2005) *In other words*. London: Clays, Ltd.
- Greengough, R. and Kittredge, G. (1981) *Words and Their Ways*. London: Macmillan Company.
- Greeraerts, D. (2010) *Theories of Lexical Semantics* Oxford: Oxford University Press.
- Holder, R. W. (1989) *The Faber Dictionary of Euphemisms*. London: Faber and Faber Limited.
- Holder, R. W. (2007) *How not to Say What you Mean: A dictionary of Euphemisms*. Oxford: Oxford University Press.
- Hudson, G. (2000) *Essential Introductory Linguistics*. Oxford: Blackwell, Ltd.
- Janicki, K. (2010) *Confusing Discourse*. Great Britain: Palgrave Macmillan.
- Katamba, F. (2008) *English words: Structure, History, and Usage*. New York: Madison Avenue.

- Lamberts, J. (1972) *A short Introduction of English Usage*. New York: Mc Graw-Hill, Inc.
- Leech, N. Geoffrey (1990) *Semantics*. London: Clays Ltd.
- Mencken, H. L. (1978) *The American Language: An Inquiry into the Development of English into the United States*. London: Routledge and Kegan Paul Ltd.
- Murphy, C (2000) *The E. Word: The Atlantic Monthly*. Vol. 228. No.3 pp. 16-18
- O'Brain, T. (2011) *Euphemisms*. New Delhi: Shree Maitrey Printech Pvt Ltd.
- Parrot, J. (2003) *Techniques of the Time -Techniques of Liberal Journalism: Euphemism online*.
- Rawson, H. (2002) *Dictionary of Euphemisms and Other Double Talk*. New York: Random House, Inc.
- Richardson, J. E. (2007) *Analyzing Newspapers*. Beijing: Palgrave Macmillan.
- Saeed, I. John (2000) *Semantics*. London: Padstow, Cornwell.
- Simpson, P. (2004) *Stylistics*. New York: Routledge.

Internet References

- www.huffingtonpost.com/2012/09/17/Kate-middleton-chi-magazine_n_1889655.html?utm_hp_ref=m
- www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-19625167
- www.politics.co.uk/comment-analysis/2012/.../comment-chinese-worker-exploitation-the-iphone5-and-you
- www.yahoo.com/ryan-seeking-young-blue-collar-voters-ohio-171335696...election.html:_ylt=Av8L1ohf
- www.guardian.co.uk/politics/2012/apr/11/asia-austertiv-kevn-es-amer-on-jakarta?INTCMP=SRCH

Appendix 1

- Chi Magazine Publishes Kate Middleton "Topless" Photos Defying Legal Threats (www.instantcheckrrate.com).
- He said only four people had been "detained" so far although up to 50 could be under investigation (www.newsworld-middle-east-226727151)
- Royal marine and army medic deaths "not friendly fire" (www.bbc.co.uk/news/uk-20107128)

- Coalition ministers have recited it at every opportunity and in doing so, are being "*economical with the truth*" (www.guardian.co.uk/ 7 may 2012: BST)
- The pictures are grainy but clear enough. I am actually shocked by how "*healthy*" she looks (WWW.celebdirty.aundry.com/2012/kate-middleton-topless-photos)
- In a statement, the Israeli defense force said its strike-one of four carried on Saturday-had targeted two "*terror operatives*" (www.news/world-middle-east-19935951).
- Political inmates' strike enters 43rd day as Pkk and allies condemn Ankara over denied civil rights and "*armed conflict*" (www.guardian.co.uk/Thursday25october2012/17.21BST).
- An Arab league proposal for a join UN/Arab "*peacekeeping*" force in the country (www.guardain.co.uk/Tuesday14February/worldnews).
- The arrest is the latest in a series of so-called "*sting*" operations run by the FBI and anti-terror authorities in the US. (www.bbc.co.uk/news/world/october2012at2300GMT)
- He was at least 15 and managed to stay under authorities' radar for a long time by not selling "*pot*" at school (www.yahoo.com/little-czr-ohio-school-drug-ring-gets-prison-184834204.html)
- Blair backs "*redistribution of wealth*" to end child poverty (www.guardia.co.uk/Wednesday18Swptember200208:42BST).

«تحليل شخصيات مسرحية (في انتظار غودو) لصاموئيل بيكيت»

الكلمات الدالة: (بيكيت، غودو، عبث)

أ.م. سمير عبد الواحد ياسين و م.م. محمد ياسر حمود
جامعة بغداد / كلية اللغات الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
قسم اللغة الفرنسية قسم اللغة الفرنسية

L'Analyse des Personnages Dans En Attendant Godot De Samuel Beckett

Key words: (Beckett, Godot, absurde).

Prof.Assistant: Samir Abdulwahid Yassine Et Maître
Assistant: Mohammed Yassir Hamoud

Université de Bagdad/ faculté des Langues Université Al
Mustansiriya/ faculté des lettres

département de Français département de Français

Résumé

Le vingtième siècle est caractérisé par plusieurs modifications et évolutions marquantes qui ont négativement et positivement influencé la vie et la condition humaine . L'un de ces changements est celui de l'absurdité qui fait naître le théâtre de l'absurde . L'écrivain le plus célèbre de ce théâtre est Samuel Beckett qui bouleverse , avec sa pièce de théâtre (En Attendant Godot) , toutes les règles du théâtre mondial . Les personnages de Beckett sont dégradés ; cette dégradation de l'être par le temps signifie , malgré lui , quelque chose à quoi il ne peut échapper puisqu'il n'ya pas de sortie . Cependant , l'homme doit affirmer son existence face à la barbarie et à l'absurdité de sa condition humaine . Cette étude démasque les points mystiques et les zones d'ombres de ces personnages étant déracinés de ce monde parce qu'ils n'ont ni foyer ni famille . Ils croient que l'arrivée de Godot les sauverait de la souffrance et Godot serait ainsi leur salut .

Abstract

The 20th century is characterized by many changes and developments that had their impacts, positively or negatively, on varieties of fields of life; one of those changes was the chaos that gave birth to theater of the absurd. Samuel Beckett was one of the famous playwrights of the theater of the absurd who, by his play 'waiting for Godot', turned the traditional rules of theater upside down. Beckett's characters are characterized by being in solitude where the latter is viewed to be an imposed reality with no way out but to keep waiting; however, his characters spare no efforts to face the barbarian and absurd attacks on their humanity, and to prove their very existence. The present paper aims at uncovering the hidden secrets and the dark sides of the play characters who are uprooted from the world because they have no family to live with; for them Godot's arrival is their last haven as he snatches them from life's miseries and pains, granting peacefulness.

الخلاصة

تميز القرن العشرين بكثير من المتغيرات والتطورات التي أثرت سلبا وإيجابا في شتى ميادين الحياة إن إحدى هذه المتغيرات هي الفوضى التي ولدت مسرح العبث.

يعد الكاتب الايرلندي صاموئيل بيكيت من أشهر كتاب هذا المسرح والذي قلب قواعد المسرح العالمي بمسرحيته ((في انتظار غودو)).

تتميز شخصيات بيكيت بالعزلة إذ تمثل هذه العزلة واقعا مفروضا لا يمكن الهروب منه طالما لا يوجد مخرج سوى الانتظار مع هذا تبذل هذه الشخصيات قصارى جهدها لمواجهة الهجمات البربرية والعبثية ضد وضعها البشري من اجل أثبات وجودها.

ينصب عملنا على كشف النقاب عن الأسرار الخفية والجوانب المظلمة لشخصيات منقطعة الجذور عن هذا العالم لأنها لا تنتمي لعائلة تأويها . يبقى وصول غودو هو الملاذ الأخير لهذه الشخصيات كونه سينقذها من المعاناة والألم ويحقق لها الاطمئنان.

Introduction

Le Vingtième siècle est caractérisé par plusieurs modifications et des évolutions marquantes qui ont négativement et positivement influencé la vie et la condition humaines. L'un de ces changements, devenu un trait de ce siècle et ayant un caractère d'un pieuvre à huit bras tendant à tous les domaines (social, politique, économique, même littéraire) est celui de l'absurdité. La conséquence la plus importante de l'absurdité est la création du théâtre de l'absurde qui a bouleversé toutes les règles et les notions du théâtre mondial. Ce nouveau théâtre a été présenté par certains écrivains comme Adamov et Ionesco, mais Samuel Beckett, le romancier et le dramaturge irlandais, était à la tête de ces précurseurs grâce à sa pièce *En Attendant Godot*.

En Attendant Godot, comme écrit Jean Anouilh (est l'une des trois ou quatre pièces - clés du théâtre contemporain)⁽¹⁾. Cette pièce est considérée comme un miroir reflétant la condition humaine à laquelle l'homme de cette époque-là était arrivé, car Beckett, à travers cette œuvre, essaie de nous faire passer une image claire, plutôt détaillée, de ce dont l'homme souffre et languit. Pour cela le dramaturge irlandais a utilisé ses talents dans l'écriture soit au niveau du contenu, soit au niveau de la structure ou du langage qui est un caractère tout à fait clair du théâtre de l'absurde. C'est un langage détruit, arbitraire et incohérent, donnant à son tour l'impression d'une image nette d'un homme errant dans sa conscience, son esprit, sa vie sociale et son univers, il n'a pas la capacité de communiquer avec autrui en utilisant les mêmes moyens les plus simples et les plus clairs comme les mots et les phrases simples.

Notre travail tourne autour de l'analyse des personnages étant toujours énigmatiques et difficiles à déchiffrer puisqu'il y a souvent plusieurs interprétations à leurs comportements, à leurs gestes, à leurs paroles. Nous ne pouvons ni les prendre au sérieux ni les prendre à la légère. Le sérieux et le léger, le comique et le tragique se confondent dans la même pièce, la même scène le même acte, encore plus, la même phrase. Nous ne trouvons pas une ligne séparante entre les deux contradictoires, entre les deux opposés; ce qui nous met au milieu, ni avec ni contre.

Nous essayons, à travers notre analyse qui se compose de cinq sous-titres (la souffrance, la tragi-comédie, une dichotomie, la recherche d'une identité et Godot) de démasquer les points mystiques et les zones d'ombres de ces personnages.

L'analyse des personnages:

Tous les personnages de Beckett sont des errants dont l'esprit est vide comme la tête, ils n'ont pas de psychologie ni d'individualité, ils sont des ombres, des figures et des incarnations d'une certaine condition humaine. **(Beaucoup de critiques ont accusé Beckett de négliger la psychologie de ses personnages. En réalité, le dramaturge a une manière nouvelle de présenter les caractères en les groupant ensemble les uns par rapport aux autres)**⁽¹⁾. Mais ils parlent des idées que nous avons de nous-mêmes et de notre société. Cinq personnages beckettien dans *En Attendant Godot*: Estragon, Vladimir, Pozzo, Lucky et Godot, le personnage attendu qui ne vient jamais. Estragon et Vladimir sont les deux personnages principaux dans cette pièce; ils sont des clochards et nous allons voir pourquoi ils le sont. Ils passent la plus grande partie de leur vie ensemble, inséparables, l'un ne peut passer sa vie sans l'autre. Ils incarneraient les deux dimensions de l'homme, la première, avec sa chaussure, le corps, la deuxième, avec son chapeau, la raison ou l'esprit. Estragon appartient plus au monde de la matière, son corps est plus présent: sommeil, nourriture, souffrance physique. Vladimir est plus intellectuel; c'est lui qui trouve la nourriture, ses angoisses sont métaphysiques comme le désir de se pendre ou l'angoisse de l'attente. La souffrance accompagne toujours les deux. Ils souffrent de tout. Mais quels sont les aspects de cette souffrance?

La Souffrance:

Le premier aspect de souffrance est l'attente. Les deux clochards attendent quelqu'un dont l'arrivée est redoutée, ils ne font qu'attendre et attendre, mais ce qui est pire que l'attente que rien ne se passe, pas d'événement ni de nouveauté; le temps est si lourd, il ne passe presque plus, ils doivent faire quelque chose pour le faire passer, ils tentent de faire des conversations et des dialogues:

"Estragon: faisons un peu de conversation!"⁽²⁾

Ils parlent et parlent sans cesse, ils veulent tuer le silence qui les entoure par des monologues et c'est ici que se manifeste clairement la conception de Beckett: **(la vie n'est qu'un incessant monologue; si ce monologue est interrompu, nous disons que nous avons perdu conscience ou connaissance, c'est le sommeil, la syncope ou la mort.)**⁽³⁾ Ils n'ont jamais donc d'autre activité que la parole: si l'un dit: "*qu'est-ce que je dois faire?*", l'autre répond: "*engueule-moi*"⁽⁴⁾. C'est-à-dire: parle. Au temps long et immobile, s'ajoute l'absence d'événement qui domine toute la scène.

Vladimir et Estragon sont condamnés à reprendre les mêmes gestes. Dans le deuxième acte de la pièce, rien de nouveau, non seulement les événements sont les mêmes, mais la structure aussi: Vladimir accueille le retour d'Estragon dans les mêmes termes qu'à l'ouverture de la pièce:

" Vladimir: Alors te revoilà toi... Je te croyais parti pour toujours"⁽⁵⁾.

Et il reprend la même phrase à la fin de la pièce:

" Vladimir: Te revoilà toi... Je t'ai cru parti pour toujours"⁽⁶⁾.

Un autre exemple qui montre incontestablement la structure identique et qui est l'axe autour duquel la pièce tourne:

" On attend Godot"⁽⁷⁾.

C'est une phrase qui se répète plusieurs fois dans plusieurs pages. S'y ajoute la chanson de Vladimir qui donne un bon exemple de la structure identique: cette chanson est circulaire, pas de développement et la fin ramène au début. A bien l'examiner, nous nous apercevons qu'il y a toujours la répétition. Peut-être, par cette chanson, Vladimir veut condamner l'attente. C'est le deuxième jour auquel ils ne font qu'attendre, c'est donc une chanson circulaire exprimant un temps cyclique:

"Un chien vint dans l'office

Et prit andouillette

[...]

Les autres chiens se voyant

Vite vite l'ensevelirent..."⁽⁸⁾.

Ainsi, l'attente vaine et continue et le temps endiablé sont des motifs causant l'angoisse et la souffrance. Ce que nous allons aborder dans les lignes suivantes prouve que l'ennui et le tourment ne cessent pas; il semble que ce soit la règle de la vie des deux compagnons.

L'incroyance est une autre raison de leur souffrance, ils ont peur, ils sont confus et troublés; ils ne savent pas ce qu'ils veulent. Estragon croit que les croyants aux Evangiles sont des cons:

" Estragon: Qui le croit? (L'Evangile St Luc)

Vladimir: Mais tout le monde [...]

Estragon: Les gens sont des cons."⁽⁹⁾

Ils mettent même en doute l'existence de Dieu:

"Vladimir: A l'école sans Dieu?

Estragon: Sais pas si elle était sans ou avec."⁽¹⁰⁾

Et aussi:

"Estragon: Tu crois que Dieu me voit?"⁽¹¹⁾

Ce n'est pas seulement l'incroyance en Dieu, mais l'incertitude de tout, même de leur existence, ils ne sont même pas sûrs qu'ils existent, et s'ils existaient; cela ne pourrait être que d'une erreur. L'esprit n'a pas de prise:

" Rien de bien précis."⁽¹²⁾

Et comme souligne Beckett lui-même en disant: **(Nous sommes dévorés par la situation irrationnelle dans laquelle nous vivons, l'impossibilité de rien savoir, l'inconsistance de notre raison.)⁽¹³⁾** Les personnages de Beckett sont des évadés de la société, sans famille, sans travail, sans patrie; ils errent aux confins de l'humanité. Ils sont de même sans histoire; le fil qui les relie au passé est rompu. Ils font de grands efforts de remémoration, ils sont presque amnésiques. Estragon ne se souvient plus de ce qui s'est passé hier (au 1^{er} acte):

*"Vladimir: Tu ne te rappelles aucun fait,
Aucune circonstance?"*

[...]

Estragon: C'était hier, tout ça?"⁽¹⁴⁾

Le désordre dans leur vie influence leur comportement; ils ne peuvent plus s'entendre, même le langage ne sert plus à rien; nous trouvons des questions et des appels sans réponse, des tirades sans auditeur. C'est l'anarchie complète:

" Pozzo: Qu'y a-t-il? Qui a crié?"

Estragon: C'est Godot?"

Vladimir: ça tombe à pic. Enfin du renfort!"

Pozzo: Au secours."

Estragon: C'est Godot?"⁽¹⁵⁾

La troisième raison de leur souffrance est celle de la culpabilité. Nous nous apercevons que les personnages souffrent dès le début de la pièce, Estragon s'acharne sur sa chaussure qui lui fait mal:

" Vladimir: Qu'est-ce que tu fais?"

Estragon: Je me déchausse."

Vladimir: Tu as mal?"

Estragon: Mal! Il me demande si j'ai mal!"⁽¹⁶⁾

Mais pourquoi cette souffrance? Pourquoi sentent-ils qu'il y a quelque chose qui leur fait mal? En effet, les personnages croient qu'ils sont coupables; ils pensent qu'ils ont commis un péché. Ce sont les sentiments de culpabilité qui les accablent complètement. Le pied enflé d'Estragon, qui est devenu un symbole des douleurs

terrestres, donne l'impression qu'on souffre parce qu'on a commis une faute. C'est l'idée de la culpabilité qui suggère alors l'idée du repentir"

" Si on se repentait"⁽¹⁷⁾

La souffrance les pousse donc à désirer le repentir. Ils veulent faire n'importe quoi pour se débarrasser de leur douleur; ils pensent même à se quitter et, avec cette séparation, ils peuvent peut-être trouver le calme et la paix:

" Estragon: Il y a des moments où je me demande

si on ne ferait pas mieux de se quitter"⁽¹⁸⁾

Et aussi:

"Estragon: Tout à l'heure, tu chantais, je t'ai entendu.

[...]

Il est seul, il me croit parti pour toujours et il chantait."⁽¹⁹⁾

Leur séparation représente ou incarne, comme nous avons souligné, la séparation de la raison du corps. Ils ne veulent plus réfléchir ni même contempler, ils cherchent le calme:

" Vladimir: Du calme."⁽²⁰⁾

Or, le tourment ne les quitte jamais et la peine de l'esprit les a mis dans le cas de quelqu'un qui ne pourra jamais sortir de l'enfer. Beckett a donc condamné ses personnages à un supplice éternel. C'est vraiment le comble du tragique. Mais ce n'est pas un quel tragique, c'est un tragique présenté par une comédie.

6 - La tragi-comédie:

Le terme de tragi-comédie fait son apparition en France dans **(la seconde moitié du 16^e siècle pour désigner souvent des drames romanesques où se succèdent péripéties et coups de théâtre jusqu'à un dénouement heureux le plus souvent, Ce genre théâtral est hybride mêlant les principes poétiques de la tragédie aux ressorts comiques.)⁽²¹⁾** Beckett, à son tour, n'enferme pas son œuvre dans une catégorie précise; il mélange les deux ensembles, la tragédie à la comédie.

Au niveau de la tragédie, il n'est pas étonnant que nous voyions la présence intense du tragique, car il était d'actualité au 20^e siècle; le tragique apparaît partout, nous le lisons dans les journaux, nous le sentons chaque fois que nous rencontrons un malheur qui nous semble immérité. Nous nous émouvons par la souffrance résidente dans le menu détaillé de notre vie, nous touchons le tourment par le cœur.

C'est exactement dans cette situation que sont les personnages de Beckett. Cette pièce éclaircit le vrai sens du tragique car elle en est toute chargée et l'apparition de la culpabilité prouve que c'est de tragique qu'il s'agit. C'est le tragique qui vient du quotidien, de l'habitude et de la routine qui rendent l'homme enfermé dans un présent sans issue, sans lendemain, (**puisque'on meurt**)⁽²²⁾, Beckett a recours à la répétition qui est un phénomène tout à fait clair à voir dans son œuvre. Ce sont les mêmes événements, les mêmes figures qui se répètent, ce qui signifie l'enfermement du présent; (**toute projection dans un futur, même proche, est vaine, et toute allusion au passé se heurte à l'oubli. La vie d'un individu n'est rien si l'on la mesure à l'échelle du temps**)⁽²³⁾.

C'est le tragique qui vient de l'attente, qui précède une action, qui ne vient pas et qui se répète inlassablement, comme le temps devenu cyclique. C'est une attente (**stérile de réponse, toujours évanescence: commencement et fin se combinent dans un mouvement profond et in saisissable. La naissance n'est faite que pour la mort**)⁽²⁴⁾.

Autre aspect de tragique, c'est la cloche et le vagabondage. Pourquoi Beckett donne-t-il à ses personnages ce caractère? Et est-ce que cela a une relation avec le tragique?

Tout d'abord, Beckett se déplaçait beaucoup. (**Il avait de mieux à faire état de changer constamment d'endroit. Ce n'est certes pas une coïncidence si par la suite tant de personnages de Beckett sont des vagabonds et si tous se sentent seuls.**)⁽²⁵⁾ Puis, dans chaque société, à l'autre bout de l'hierarchie sociale existent des gens qui se montrent tout purs dans l'humanité, ce sont les clochards. Le clochard ne travaille pas, il n'a pas de souci d'argent, et il a peut-être moins d'ambitions et de devoirs envers autrui. L'idéal de clochard est d'être et de ne pas obéir aux modalités que la vie nous impose en société. Il est disponible pour présenter au théâtre un personnage tragique. En outre, bien que nous ne soyons pas des clochards, nous sentons obscurément une ressemblance avec ces bipèdes qui ont de la peine à faire les petites choses (comme retirer leurs chaussures). Or ces clochards ne provoquent pas seulement la peine ou la pitié, mais le rire aussi, ils sont plutôt des clowns de cirque. Mais pourquoi cette dualité? Et pourquoi *En Attendant Godot* est une pièce tragi- comédie?

Cela peut surprendre car Vladimir et Estragon provoquent le cirque et les clowneries. L'homme ici se heurte à des obstacles dérisoires. Il est tragique parce qu'il est ridicule. Certains passages de la pièce laissent supposer qu'il existe une meilleure solution de la situation des vagabonds, une solution que tous les deux considèrent comme préférable à l'attente de Godot, c'est le suicide:

*" Il fallait y penser, il y a une éternité
vers 1900 la main dans la main,
on se serait jeté en bas de Tour Eiffel,
parmi les premiers, on portait beau alors.
Maintenant il est trop tard,
on ne laisserait même pas monter."⁽²⁶⁾*

Donc le suicide reste leur solution favorite, mais inaccessible à cause de leur incompétence et de leur manque de moyens, car pour se suicider du haut de la Tour Eiffel, il faut pouvoir payer l'ascenseur et pour se pendre, il faut pouvoir acheter une corde. Voilà le comique dans la pièce, un comique qui est né du comique de situation. C'est un comique d'humour noir. Le malheur de Vladimir et Estragon vient du fait que nul ne peut les prendre au sérieux, c'est la vie quotidienne qui est tragique, c'est vivre qui est un supplice, c'est vraiment horriblement comique.

Toutefois, cette dualité ne relève pas exclusivement de tragique et de comique, elle concerne aussi la division des personnages; ils sont toujours divisés en couple opposé, l'un contre l'autre, mais complémentaire; ce qu'on appelle la dichotomie.

La dichotomie:

La dichotomie est une opposition entre deux choses complémentaires⁽²⁷⁾ Beckett a choisi pour ses personnages le caractère de couple. Estragon /Vladimir, Pozzo/Lucky sont des couples. Chaque couple est de nature contradictoire, l'un ne se définit que par l'autre et l'un complète l'autre. **(Les personnages d'En Attendant Godot vont de pair. Ce n'est pas facile de connaître un tel ou tel personnage. Il faudrait le couple de ce personnage pour le connaître.)⁽²⁸⁾** Par exemple, Vladimir est le plus pratique, il réagit toujours de façon opposée à Estragon. Estragon est versatile, Vladimir est constant. Estragon rêve, Vladimir ne peut pas supporter d'entendre parler de rêves. Vladimir se souvient des événements passés, Estragon tend à les oublier aussitôt qu'ils se sont produits. C'est surtout Vladimir qui exprime l'espoir que Godot viendra et sa venue changera leur situation alors que Estragon demeure sceptique d'un bout à l'autre de la pièce et même oublie par moment le nom de Godot. **Donc (l'opposition de leur tempérament est la cause de chamailleries sempiternelles qui souvent les amènent à penser qu'ils devraient se séparer. Mais ayant des natures complémentaires, ils dépendent l'un de l'autre et doivent rester ensemble.)⁽²⁹⁾**

Pozzo et Lucky ont également des natures complémentaires, mais leur relation

est à un niveau plus primitif. Pozzo est le maître sadique, Lucky est l'esclave soumis. Pozzo est riche, puissant et sûr de lui. Lucky ne porte pas seulement ses lourds bagages et même le fouet avec lequel Pozzo le bat. Les deux représentent les rapports entre le corps et l'esprit, le côté matériel et spirituel de l'homme. Ils n'aiment pas vivre ensemble et Pozzo a décidé de vendre Lucky au marché, mais ils réapparaissent toujours accordés. L'un compte sur l'autre.

Toutefois cette technique ne concerne pas seulement *En Attendant Godot*, elle concerne aussi la *Fin de Partie*, l'autre pièce de Beckett où Hamm est le maître, Clov le serviteur. Hamm est égoïste, sensuel, tyrannique. Clov haït Hamm et veut le quitter, mais il doit obéir à ses ordres:

"Fais ceci, fais cela, et je le fais.

Je ne refuse jamais pourquoi?"⁽³⁰⁾

Mais pourquoi Beckett a-t-il adopté cette technique de couple pour présenter ses personnages? Nous croyons que Beckett voulait construire une situation de communication effective, car la première condition pour faire une conversation, une communication, c'est qu'il y ait un locuteur et au moins un interlocuteur. L'écrivain irlandais aurait l'intention de dire que même avec une situation convenable de communication, on ne peut pas communiquer. L'homme, qui est un être communicatif par nature, est isolé d'autrui, il vit dans son propre univers qui l'empêche de voir les autres et de les écouter. L'un (Estragon) parle de certaines choses, l'autre (Vladimir) répond à d'autres choses. Cela prouve que chacun vit avec soi-même et que chacun a des préoccupations différentes de celles des autres:

" Vladimir: Tu aurais du être poète.

Estragon: Je l'ai été. Ça ne se voit pas?

*Vladimir: Qu'est-ce que je disais...
comment va ton pied?"⁽³¹⁾*

Ainsi, les personnages de Beckett se dialoguent mais ne se communiquent pas. Ils échangent des absurdités et l'homme de Beckett ressemble à celui d'Albert Camus dans *Le Mythe de Sisyphe*: **(un homme parle au téléphone derrière une cloison vitrée, on ne l'entend pas, mais on voit sa mimique sans portée: on se demande pourquoi il vit.)⁽³²⁾** Donc, l'être humain est enfermé dans une solitude irrémédiable. Beckett nous présente l'homme **(comme une marionnette grotesque et misérable, incapable de trouver un sens à sa vie ou de communiquer avec autrui, dominé par des instincts animaux ou sadiques, maîtrisant à peine le langage.)⁽³³⁾**

A ce propos, une question se pose: Pourquoi Beckett a-t-il choisi cette caractéristique de couple alors qu'on peut effectuer une communication par plus de

deux personnes? Nous avons déjà vu que ce couple est de nature contradictoire, l'un éclaire l'autre, la couleur noire montre la blanche. Si nous y ajoutons une troisième personne, nous supprimons l'opposition, car l'opposition se fait entre deux.

Le couple représente aussi une dimension religieuse dans la pièce. Beckett a utilisé le paradigme damné/sauvé: Estragon et Vladimir parlent de la Bible, surtout de deux larrons:

"Vladimir: Comment se fait-il que des quatre évangélistes

[...]. Et un seul parle d'un larron de sauvé."⁽³⁴⁾

Beckett a l'image d'un Dieu absent, indifférent et en particulier injuste. L'un des deux larrons par lesquels le Christ est crucifié, est brûlé alors que l'autre est sauvé; il n'est pas brûlé, il a donc sauvé le Christ. **(Le thème des deux larrons sur la croix, le thème de l'espoir, incertain du salut et du don fortuit de la grâce domine toute la pièce.)**⁽³⁵⁾ Beckett présente plusieurs exemples mesurés sur la dichotomie (sauvé/damné): Estragon a le pied gonflé, il lui fait mal bien que l'autre soit sauvé:

"Vladimir: ...comment va ton pied?

Estragon: Il enfle."⁽³⁶⁾

Les deux garçons (les messagers de Godot): Godot dispense à l'un l'amour et réserve les coups à l'autre. L'un est donc sauvé et l'autre est damné:

" Vladimir: Il (Godot) est gentil avec toi?

Le garçon: Oui monsieur.

Vladimir: Il ne te bat pas?

Le garçon: Non monsieur, pas moi.

Vladimir: Qui est-ce qu'il bat?

Le garçon: Il bat mon frère, monsieur."⁽³⁷⁾

Le couple Estragon/Vladimir, les deux principaux personnages sont aussi jugés par la balance de Beckett: si Vladimir est sauvé, Estragon est damné:

"Estragon: Je suis damné."⁽³⁸⁾

Le couple Pozzo/Lucky ou le couple maître/esclave: Pozzo est le maître tout puissant et cruel, Lucky, damné, est un esclave dont la qualité d'être humain est niée. La relation entre eux est plutôt une relation de maître/animal:

"Pozzo: On te parle, porc. Réponds!"⁽³⁹⁾

"Estragon: Il souffle comme un phoque."⁽⁴⁰⁾

Par ces exemples, l'incroyance de Beckett se manifeste fortement, il accuse Dieu d'indifférence et d'injustice, car Dieu, aux yeux de Beckett, condamne et sauve de manière totalement arbitraire. Le choix d'Estragon, de Lucky ou du garçon d'être

condamnés n'est pas justifié. C'est une question du rôle ou du hasard qui pourrait être renversée n'importe quel moment comme Pozzo le dit en parlant à Lucky:

*" Remarque que j'aurais pu être à sa place
et lui à la mienne. Si le hasard ne s'y était pas opposé,
A chacun son dû."⁽⁴¹⁾*

Donc il n'y a pas de justice divine, la vie n'a pas de sens, le destin de même, c'est le règne de l'absurde. Au milieu de ce chaos de l'absurde, de ce monde d'indifférence et d'injustice, le personnage de Beckett s'efforce de trouver sa place, de trouver son identité.

La recherche de l'identité:

L'attention que Beckett attache au problème de l'être ou l'identité du moi est inéluctable. L'écrivain irlandais essaie de trouver une réponse personnelle à la question: qui suis-je? Peut-être y a-t-il une parcelle de vérité dans cette supposition, mais elle est loin de fournir une explication complète de la profonde angoisse existentielle qui est la dominante de l'œuvre de Beckett.

Le personnage de Beckett est **(sans passeport et presque sans visage qui s'installe dans la poussière, n'importe où et se désagrège.)⁽⁴²⁾** C'est un personnage déraciné, qui n'appartient pas à ce monde. Il n'a ni foyer ni famille. Il n'est pas tout à fait sûr. Lorsque Vladimir entre en scène au premier acte, il dit à Estragon:

"Alors te revoilà toi" celui, aussitôt lui demande: " Tu crois"⁽⁴³⁾

Comme s'il doutait d'être vraiment celui qu'a reconnu son compagnon. Le personnage souligne le doute qui pèse sur sa propre identité. On peut dire la même chose pour Pozzo, toujours confondu dans un premier temps avec Godot. Il entoure également son esclave qui ne mérite pas d'avoir l'identité d'un homme.

La recherche de l'identité passe par un jeu sur la multiplicité et la confusion des dénominations, on chercherait en vain à donner aux noms des personnages une interprétation définitive et figée. **(Le fameux quatuor Vladimir, Estragon, Pozzo et Lucky a des noms aux consonances renvoyant à des nationalités diverses. Ces personnages sont organisés en deux duos, utilisant parfois des diminutifs. "Didi et Gogo pour Vladimir et Estragon" des faux noms " Albert et Catuelle pour les mêmes" ont des noms qui peuvent être traduits "Lucky, ironiquement chanceux" ou permettent des variations phonétiques "Pozzo, Bozzo, Gozzo". Le cinquième qui n'apparaît que furtivement, n'a d'autre nom que celui de garçon, ce qui le place immédiatement par opposition dans un autre monde, celui de Godot...)⁽⁴⁴⁾**

En outre, les protagonistes prennent un plaisir à changer de nom. Vladimir s'appelle Didi, Estragon s'appelle Gogo. Même Godot, on propose une variation sur

son nom, décliné en Godet ou Godin. Cette technique se voit aussi clairement dans les autres œuvres de Beckett. Nous pouvons remarquer facilement le symbolisme des noms dans *Fin de Partie*; **(Hamm Serait le marteau- Hammer- qui frapperait sur les trois clous, anglais: Nail donc Nell, allemand: Nagel, donc, Nagg; Français: Clou, donc, Clov, ...Vrais ou fausses, toutes ces interprétations traduisent le désespoir.)**⁽⁴⁵⁾

La problématique de l'identité concerne aussi l'âge des personnages, on ne peut pas déterminer l'âge réel de Vladimir et Estragon, faut-il croire Pozzo quand il leur donne soixante ou soixante-dix ans? Certes, ils ne cessent d'évoquer leurs douleurs et leurs infirmités, mais leur âge pour l'état civil n'est pas capital. **(Ils sont littéralement sans âge ou plutôt hors d'âge, leur rapport au temps, à la durée et à la mort s'avère de loin plus intéressant que des informations anecdotiques sur ce qu'il pourrait leur rester à vivre.)**⁽⁴⁶⁾

Donc pas d'identité sociale ou nationale précise, pas d'âge annoncé. Des noms comme des surnoms ou les pseudonymes de ceux qui ne sont de nulle part. Le nom propre ne suffit pas de définir le personnage. Beckett a recours à ce jeu, à ce changement des noms; et on se demande si c'est une recherche d'identité ou une perte d'identité. Il se peut que les deux soient possibles. Il ne reste que Godot ou l'attente de Godot qui pourrait aider les personnages de Beckett à se débarrasser de cette crise.

5-Godot:

Certes, l'une des choses les plus importantes dans *En Attendant Godot* est de savoir qui est Godot. Godot est le cinquième personnage de la pièce de Beckett. On sera peut-être étonné quand nous disons que personne ne sait qui est Godot. Même Beckett, quand on lui demandait ce que signifiait Godot, il a justement répondu: **(si je le savait, je l'aurais dit)**⁽⁴⁷⁾. Et comme conclut Ludovic Janvier dans son ouvrage critique intitulé *Pour Samuel Beckett* que: **(Godot est un nom sur rien, qui dépasse infiniment les références nominales auxquelles on voudrait détruire.)**⁽⁴⁸⁾

Mais la vérité est que le verbe " attendre " s'emploie toujours avec un complément d'objet direct, on dit: nous attendons quelqu'un, car si nous le laissons sans spécifier quoi, cela va indiquer que nous sommes dans un état pénible qui se prolonge. Bien que ce soit le véritable état des personnages, nous ne pouvons pas dire que leur attente est sans objet.⁽⁴⁹⁾ **(D'un bout à l'autre de notre vie, nous attendons toujours quelque chose et Godot ne représente que l'objet de notre attente, un événement, une chose, une personne, la mort, c'est dans l'acte de l'attente que nous expérimentons l'écoulement du temps dans sa forme la plus pure, la plus évidente.)**⁽⁵⁰⁾

Nous pouvons suggérer que Godot soit Dieu, (**Une forme atténuée du mot God en anglais**)⁽⁵¹⁾. Mais parler de Dieu dans cette pièce c'est parler d'un absent. L'absence est toute autre chose que l'inexistence: on attend Dieu, on désire qu'il soit là, et on ressent même sa présence comme un manque et un vide pénible, Dieu est là mais on ne le trouve pas. Beckett nous propose une image horrible de nous-mêmes. L'homme, c'est l'homme, mais en même temps il n'est pas lui-même, il y a quelque chose qui le rend ailleurs:

"Vladimir: Alors, te revoilà, toi.

Estragon: Tu crois?"⁽⁵²⁾

Cette chose, à la fois indisponible et illusionnaire, écrasé de son absence tout le paysage humain: les êtres et les décors de la vie même le style. Ce serait le monde après l'absence de Dieu. Malgré cette absence de Dieu qui est plutôt une absence dans leurs esprits, les personnages beckettien ont peur de lui, cette peur revient peut-être à leur croyance de faire un péché:

"Estragon: Tu m'a fait peur.

Vladimir: J'ai cru que c'était lui.

Estragon: Qui?

Vladimir: Godot."⁽⁵³⁾

Il y a une autre attitude qui montre que les personnages donnent à Godot un caractère royal ou plutôt divin: Vladimir et Estragon ont cru que Pozzo est Godot quand il est entré avec le corde autour le cou de Lucky (image de cheval). Cette entrée donne l'impression d'un spectacle royal, c'est comme si c'était un cortège. C'est pourquoi Vladimir était sur le point de crier parce que c'est par le cri qu'on annonce le cortège:

"Vladimir: J'aurais juré des cris.

Estragon: Et pourquoi crierait-il?

Vladimir: Après son cheval."⁽⁵⁴⁾

Godot ne représente pas seulement Dieu, il peut porter une figure d'une certitude: les personnages ont rendez-vous avec un dénommé Godot, mais ne sont pas sûrs qu'il s'appelle, Godot, ce rendez-vous est à un endroit identifié par un arbre, mais celui qui est là, est un saule (une sorte d'arbre) ou peut-être un arbuste ou arbrisseau:

"Estragon: C'est vrai. (Un temps). Tu es sûr que c'est ici?

Vladimir: Quoi?

Estragon: Qu'il faut attendre.

Vladimir: Il a dit devant l'arbre. (Ils regardent l'arbre) Tu en vois d'autres?

Estragon: Qu'est-ce que c'est?

Vladimir: On dirait un saule

Estragon: Ce ne serait pas plutôt un arbrisseau?

Vladimir: Un arbuste.

Estragon: Un arbrisseau.

Vladimir: Un-(Il se reprend). Qu'est-ce que tu veux insinuer? Qu'on s'est trompé d'endroit?"⁽⁵⁵⁾

Et fixé à un samedi, mais de quel samedi s'agit-il? Et du surcroît, ils ne savent pas quel jour ils sont:

"Vladimir: Il a dit samedi. (Un temps) Il me semble.

Estragon: Mais quel samedi? Et sommes-nous samedi? Ne serait-on pas plutôt dimanche? Ou lundi? Ou vendredi?"⁽⁵⁶⁾

Il n'y a que deux certitudes: leur rôle de suppliant car Godot est pour eux quelque chose de divin:

"Vladimir: Notre rôle? Celui du suppliant."⁽⁵⁷⁾

Et les espoirs qu'ils placent en Godot.

Godot apparaîtrait donc comme une figure du salut: les personnages souffrent de tout, de l'attente et de la condition de l'incertitude. Mais ils survivent sur un espoir, c'est la venue de Godot. Ils croient que l'arrivée de ce Godot les sauvera de la souffrance, Godot serait ainsi leur salut:

"Vladimir: On se pendra demain. (Un temps)

A moins que Godot ne vienne.

Estragon: Et s'il vient?

Vladimir: Nous serons sauvés."⁽⁵⁸⁾

Mais il serait aussi une figure de déception; ce qui représente l'absence du salut. Il a des messagers- les deux garçons- mais ceux-ci n'annoncent qu'une venue toujours reportée. Si Godot peut représenter pour eux la promesse d'une vie meilleure et peut-être ailleurs, cette promesse ne se réalise jamais et Godot n'a aucun salut à apporter.

Conclusion

De cette tragi-comédie, nous trouvons que l'homme de 20^e siècle retourne dans un cercle vicieux où il revient toujours au même point du commencement. Il vit dans une situation insupportable où il doit attendre continuellement sans fin ni issue. Il attend un sauveur qui ne vient et ne viendra jamais, un sauveur qui le sauverait de l'enfer ou de la mort. Le personnage de Beckett est toujours dégradé; cette dégradation de l'être par le temps signifie, malgré lui, quelque chose à quoi il ne peut échapper.

Mais il ne faut pas attendre. Puisqu'il n'y a pas de sortie, il faut que l'homme se soulève contre cette situation stable, il doit construire son existence face à la barbarie et à l'absurdité de sa condition humaine. Cependant l'homme, malgré sa volupté de se libérer et de changer sa condition, reste accablé dans cette situation angoissante qui dépasse sa volonté sans pouvoir rien faire. Les personnages de Beckett dans cette pièce s'accroupissent, s'avachissent, prennent des attitudes qui indiquent leur désarroi et leur abandon.

Enfin Beckett veut mettre à nu l'expérience humaine dans ses angoisses fondamentales, et en dehors de tout contexte sociopolitique particulier. Que l'on soit roi ou clochard, la question ultime du sens ou du non-sens de la vie et de la mort reste la même.

Notes

- 1 -Jean -Luc De jean, Le Théâtre Français depuis 1945, Paris, Nathan, 1987, P: 83
- 2 - M.Blancopain, y.Brunsvick, P.Ginestier, Les Français à travers leur Théâtre, Paris, Clé Internationale, 1984, P:106
- 3 -Samuel Beckett, En Attendant Godot, Paris, Minuit, 2002, P:62
- 4 -Bernard Laland, En Attendant Godot, profile littéraire, Paris, Hatier, 1970, P:30
- 5 -Samuel Beckett, Op. Cit, P:95
- 6 -Ibid, P:9
- 7 -Ibid, P:95
- 8 - Ibid, PP: 16, 62, 78...
- 9 - Samuel Beckett, Op. Cit, P:74
- 10 -Ibid P:15
- 11 -Ibid, P:13
- 12 -Ibid, P:99
- 13 -Ibid, P: 22
- 14 -Remy Thibault, En Attendant Godot (Samuel Beckett), Paris, Nathan, 1991, P:23
- 15 - Samuel Beckett, Op. Cit, P:86
- 16 -Ibid, P:100
- 17 -Ibid, P:11
- 18 -Ibid,P:13
- 19 - Samuel Beckett, Op. Cit, P:19
- 20 -Ibid, P:76
- 21 -Ibid,P:19
- 22 -Anne- Gaëlle- Robineau- Weber, En Attendant Godot, profile d'une œuvre, Paris, Hatier, 2002, PP:91,92
- 23 -Jean-Paul Sartre, Situation 1, Paris, Gallimard, 1964, P:95
- 24 - Anne- Gaëlle- Robineau- Weber, OP. Cit., P: 63
- 25 - M.Blancopain et autres, Op.Cit, P:97
- 26 -Martin Esslin, Théâtre de l'Absurde, Paris, Buchet/Chastel, 1963, P:31
- 27 -Samuel Beckett, Op.Cit,P:13
- 28 -Voir Paul Robert, Petit Robert, Dictionnaire français- français, Société du Nouveau Littré, Paris, 1974, P:478
- 29 - Anne- Gaëlle- Robineau- Weber, OP. Cit., P: 49
- 30 -Martin Esslin, Op.Cit, P:31

- 31 -Samuel Beckett, Fin de Partie, Paris, Minuit, 1957, P:61
- 32 -Samuel Beckett, En Attendant Godot, P:13
- 33 - Albert Camus, Le Mythe de Sisyphe, Paris, Gallimard, 1947, P:29
- 34 - Michel Viegnes, Le Théâtre, Problématiques Essentielles, Paris, Hatier, 1992, P:132
- 35 -Samuel Beckett, Op. Cit., P:14
- 36 -Martin Esslin, Op.Cit, P:50
- 37 - Samuel Beckett, Op. Cit., P:13
- 38 - Ibid., P:66
- 39 - Ibid., P:96
- 40 - Samuel Beckett, Op. Cit., P:34
- 41 -Ibid, P:38
- 42 -Ibid, P:50
- 43 -Jean Duvignaud et Jean Lagoutte, Le Théâtre Contemporain, Paris, Librairie Larousse, 1974, P:59
- 44 - Samuel Beckett, Op. Cit., P: 9
- 45 -Jean-Pierre Ryngaert, Introduction à l'analyse du théâtre, Paris, Nathan, 2000, PP: 116,117
- 46 -M. Bancopain et autres, Op.Cit, P:106
- 47 - Jean-Pierre Ryngaert, Op.Cit, P:117
- 48 -Martin Esslin, Op.Cit, P:40
- 49 -Ludovic janvier, Pour Samuel Beckett, Paris, Union Générale d'Edition, Coll. 10/18. 1973, P; 145
- 50 - A ce propos, voir Yousif AbdulMassih Tharwat, Le Théâtre de l'Absurde et d'autres Questions, (texte arabe), Bagdad, Dar Al-Nahda, 1985, P:13
- 51 - Martin Esslin, Op.Cit, P:47
- 52 - Martin Esslin, Op.Cit, P:45
- 53 -Samule Beckett, Op.Cit, P:9
- 54 -Ibid, P:24
- 55 -Ibid, P:24
- 56 - Samuel Beckett, Op. Cit, P:16
- 57 -Ibid, P: 17
- 58 -Ibid, P:23
- 59 - Samuel Beckett, Op. Cit, P:123

Bibliographie

- 1 - Albert Camus, Le Mythe de Sisyphe, Paris, Gallimard, 1947
- 2 - Anne- Gaëlle- Robineau- Weber, En Attendant Godot, profile d'une œuvre, Paris, Hatier, 2002.
- 3 - Bernard Laland, En Attendant Godot, profile littéraire, Paris, Hatier, 1970.
- 4 - Jean Duvignaud et Jean Lagoutte, Le Théâtre Contemporain, Paris, Librairie Larousse, 1974.
- 5 - Jean -Luc De jean, Le Théâtre Français depuis 1945, Paris, Nathan, 1987.
- 6 - Jean-Paul Sartre, Situation 1, Paris, Gallimard, 1964.
- 7 - Jean-Pierre Ryngaert, Introduction à l'analyse du théâtre, Paris, Nathan, 2000.
- 8 - Ludovic janvier, Pour Samuel Beckett, Paris, Union Générale d'Edition, Coll. 10/18. 1973.
- 9 - Martin Esslin, Théâtre de l'Absurde, Paris, Buchet/Chastel, 1963.
- 10 - M..Blancopain, Y.Brunsvick, P.Ginestier, Les Français à travers leur Théâtre, Paris, Clé Internationale, 1984.
- 11 - Michel Viegnes, Le Théâtre, Problématiques Essentielles, Paris, Hatier, 1992.
- 12 - Paul Robert, Petit Robert, Dictionnaire français- français, Société du Nouveau Littré, Paris, 1974.
- 13 - Remy Thibault, En Attendant Godot (Samuel Beckett), Paris, Nathan, 1991.
- 14 - Samuel Beckett, En Attendant Godot, Paris, Minuit, 2002.
- 15 - Samuel Beckett, Fin de Partie, Paris, Minuit, 1957.
- 16 - Yousif AbdulMassih Tharwat, Le Théâtre de l'Absurde et d'autres Questions, (texte arabe), Bagdad, Dar Al-Nahda, 1985.

دراسة في رواية تشارلز ديكنز قصة مدينتين

كرسالة إلى الإنسانية

الكلمات المفتاحية: تشارلز ديكنز، رواية قصة مدينتين، الثورات في الأدب الإنكليزي.

م.م نوال حمدان محمود

قسم الكيمياء / كلية العلوم / الجامعة المستنصرية

A Study in Charles Dickens' A Tale of Two Cities as A Message to Humanit

Key words: Charles Dickens, *A Tale of Two Cities*, Revolutions in English literature.

asst. teacher : Nawal Hamdan Mahmoud

Al-Mustansiriya University / College of Science/ /Dept. of Chemistry

Abstract

The masses have often read, heard, or even seen, especially in our modern time, examples of revolutionary violence. As history tells us about hundreds of revolutions and liberation movements, over human history, that were accompanied with violence and violations against the thousands of innocents. The supposed peaceful revolution soon turns into terror. The scenes of violence, revenge, and bloodshed sweeping the everyday scene become ones of the usual things associated with it.

Humanitarian literature has rendered realistic depictions of those revolutionary uprisings. Perhaps the most famous of these revolutions is the French Revolution which has been tackled by the English novelist Charles Dickens in his *A Tale of Two Cities* (1859) implying through which his passive attitude towards revolutions and sending at the same time certain lessons to humanity. Thus, the novel can be described as a message or a lesson the writer tries to teach to the readers.

مُلخَص

غالباً ما قرأت الشعوب و سمعت أو حتى شاهدت ، خصوصاً في عصرنا الحديث، أمثلة عن العنف الثوري. حيث أخبرنا التاريخ، عبر تاريخ البشرية، عن مئات الثورات أو الحركات التحررية التي غالباً ما رافقها أعمال عنف وإنتهاكات ضد الآلاف من الأبرياء. حيث سرعان ما تتحول الثورة السلمية إلى ثورة إرهاب. وإن مشاهد العنف والتأر وسفك الدماء التي تجتاح المشهد اليومي تصبح من الأشياء المعتادة والمرتبطة بها.

وقد نقل لنا الأدب الإنساني تصويراً واقعياً لتلك الانتفاضات الثورية . ولعل أشهر هذه الثورات هي الثورة الفرنسية التي تناولها الروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز في روايته قصة مدينتين (1859) مضمناً من خلالها موقفه السلبي من مفهوم الثورات ومُرسلاً في الوقت نفسه دروساً للبشرية. وهكذا، يمكن وصف الرواية كرسالة أو درس يحاول الكاتب تعليمه للقراء.

Introduction

As a social critic, the English novelist Charles Dickens (1812 – 1870) does not miss out the opportunity to shed light on one of the crucial events that has left a dramatic impact on the history of human beings, which is the French Revolution that has influenced people all over the world, especially the poor people who were eager to liberate themselves from slavery to the rich, more precisely, from their oppressive rulers.

Though he is famous for his humour which coloured his earlier novels, such as *Pickwick Papers* (1836-1837), first published serially in London newspapers; *Nicholas Nickleby* (1838 – 1839); and *Our Mutual Friend* (1864 – 1865); however, in his *A Tale of Two Cities* (1859) he tackles rather different and serious issues. The novel was first published, like Dickens's earlier works, in weekly installments in a periodical entitled *All the Year Round*. Though it has achieved popular success, the novel does not receive the approval of most literary critics, for it is "uncharacteristic for Dickens as it lacks comic relief, as well as a protagonist"⁽¹⁾, or because "it lacks the whimsical characters and comic digressions for which Dickens is famous,"⁽²⁾ as Philip V. Allingham puts it. Nevertheless, "it is one of Dickens's most widely taught and most widely read,"⁽³⁾ through which he tries to register an important attitude on the issue of revolution, and to send a certain message, which is composed of three lessons, as well.

Before beginning to explore the essence of the research paper, it might be a good idea to start with a short summary of the novel. *A Tale of Two Cities* revolves around the French Revolution that took place in 1789 and all the past events that accompanied it at that period. Its events are set in two cities – London and Paris. It deals with the story of Dr. Alexandre Manette, a French doctor, who has been unjustly imprisoned (without any trial) in the Bastille (a terrible prison in France during the reign of the Monarchy), and who has been released afterwards to join his beautiful daughter Lucie Manette with whom two men fall in love. The first is Charles Darnay (or Charlie St. Evrémonte, the French aristocrat who completely rejects the arrogance that characterized

1

the nobles of France that is why he has taken his mother's maiden name). The second

is Sydney Carton, a clever attorney who sacrificed his life for Darnay's (for Lucie's sake at the end of the novel) using the resemblance of appearance between them. With the development of events, Darnay has been arrested and subjected to two trials in both cities – London (while he was in England before the French revolution), and Paris (after the Revolution) when he went there to rescue Théophile Gabelle (a faithful agent of the St. Evrémone family, who gets into trouble after the revolution breaks out, and because of whom Darnay goes into a serious trouble). Being an aristocrat and identified as a member of the "Evrémone" family, which was responsible for previous criminal deeds against a peasant family (which turns out to be the family of the antagonist Madame Defarge), Charles was doomed to death by the revolutionaries and sentenced to the guillotine. But, seeking for a purpose to his life, Sydney Carton exchanges places with Darnay letting the latter flee (though unknowingly) with the others – the Manettes (Dr. Manette, Lucie, and little Lucie), and Mr. Jarvis Lorry to London.

I

The First Lesson – The Law and its Importance in the Protection of Dignity and Freedom of Human Beings

The English novel in the nineteenth century was a means to expose certain social problems, and a powerful instrument in the hands of literary writers to send messages of reforms. In his article “The Novel as Asylum” John B. Lamb stresses the function of the novel in educating, revolutionizing, and alerting the people. He observes:

The novel is the locus of moral therapy, because like the asylum it provides an imaginary substitute for the social and familiar environment. The novel as asylum seeks to re-educate its readers, to re-create correct patterns of thinking and re-establish appropriate standards of behavior.⁽⁴⁾

2

Among the Victorian novelists who direct their art to expose the social ills of their time is Charles Dickens who has found in his art a platform for social reforms. In his *A Tale of Two Cities* he has stayed away from comedy, which he adopted in his earlier novels, to render serious lessons: one of these is the importance of law.

Right from the beginning, the title of the novel informs its readers that it is a one tale, but of two cities – or more precisely, of two different cities, which, though they share the same tale and similar political systems under which their inhabitants suffer social ills and social classes’ differences, they differ in each other in their handling with these systems.

From the outset the writer gives a clear and detailed explanation of the general political and social circumstances in both cities – London and Paris during the time period of 1775 – 1790 (roughly fourteen years prior to the French Revolution) which is characterized by critical economic situations and social unrest. Both cities are governed by Monarchs which derive their rule system from the divine right of kings – a doctrine in defense of monarchical absolutism:

There were a king with a large jaw and a queen with a plain face, on the

throne of England; there were a king with a large jaw and a queen with a fair face, on the throne of France. In both countries it was clearer than crystal to the lords of the State preserves of loaves and fishes, that things in general were settled for ever.⁽⁵⁾

Nevertheless, the aspects of difference are already reflected in the opening lines of the novel's *First Book, Chapter 1*, entitled "*The Period*" where the writer seems to make a comparison between the two cities, concerning the political circumstances of both. Though in these first lines he may refer to the double-standard qualities of that time, i.e., in its seemingly positive and negative circumstances in general, he also may refer to the different types of policies adopted in the two above mentioned cities:

IT WAS THE best of times, it was the worst of times, it was the age of wisdom, it was the age of foolishness, it was the epoch of belief, it was the epoch of incredulity, it was the season of Light, it was the season

3

of Darkness, it was the spring of hope, it was the winter of despair, we had everything before us, we had nothing before us. (ATTC, p. 3)

The analysis of the above lines is possible on basis of the comparison between the two political systems in each of these two cities. By the positive qualities he seems to refer to his own country, while by the negative ones he absolutely seems to refer to France where the part that contains the "noisiest authorities",

we were all going direct to Heaven, we were all going direct the other way – in short, the period was so far like the present period, that some of its noisiest authorities insisted on its being received, for good or for evil, in the superlative degree of comparison only. (ATTC, p. 3)

In London, which was a city of "the highwayman in the dark was a City tradesman in the light," (ATTC, p. 4) as the writer puts it, the social atmosphere does not differ from that of the second city (i.e., Paris) and that theft and robbery prevail everyday scene, to the extent that the people there "were publicly cautioned not to go out of town without removing their furniture to upholsterers' warehouses for security." (ATTC, p. 4) Nevertheless, there was the power of the law which was applied there against the lawless, as the writer tries to pinpoint,

In the midst of them, the hangman, ever busy and ever worse than useless, was in constant requisition; now, stringing up long rows of miscellaneous criminals; now, hanging a housebreaker on Saturday who had been taken on Tuesday; now, burning people in the hand at Newgate by the dozen,

and now burning pamphlets at the door of Westminster Hall; to-day, taking the life of an atrocious murderer, and to-morrow of a wretched pilferer who had robbed a farmer's boy of sixpence. (ATTC, p. 5)

So what the writer wants to hint at here is the justifiable punishment for such crimes compared with the injustice and brutal actions against innocents in France.

In France, as the writer tries to explain, things seem "less favoured on the whole as to matters spiritual than her sister of the shield and trident, rolled

4

with exceeding smoothness down hill, making paper money and spending it." (ATTC, p. 3) The people there complain under the brutal repression of the French aristocracy who puts them under severe sentences. The French government there, which is composed of aristocrats and some of the clergies, use people as tools for entertainment. They punish people with such activities as cutting off a young man's hands, pulling his tongue out with pliers, and burning him alive just because the man forgets to kneel down in the rain to pay tribute to a group of aristocrats or a group of clergy men even if they are walking by fifty or sixty yards away. (ATTC, p. 4) The law there seems to be practiced against innocent people just for entertaining the sick souls of the ruling class. The writer mocks their "humane achievements" (ATTC, p. 4) against their people. While in Britain, as the writer tries to reflect, the government there gives importance to the human race. The people there are subjected to the rule of law and governed by accepted rules, the matter that seems to secure a sense of equality among them, and at the same time dismiss any sense of antipathy towards each other, a matter that the novelist reflects through the relationships among the characters who are sketched to represent the British people exclusively, or even the foreigners who later on come to live in Britain and accordingly are subjected to its rules.

It is important to note here that Dickens has attacked certain aspects of the law of his country, as is the case of the Poor Law Amendment Act of 1834, which renewed the importance of the workhouse as a means of relief for the poor that he condemned in his second novel *Oliver Twist*.⁽⁶⁾ Nevertheless, in *A Tale of Two Cities* he seems to defend the merits of other aspects of law that have to do with the maintenance of order, the consolidation of security to ensure public convenience, the protection of persons and property, and the protection of fundamental freedoms. Although most of the action of the novel lies in Paris to talk about the revolution there, the writer, though in an indirect way, purposefully sheds light on the law system of his country. In *Book 2, Chapter 2*, when Darnay is first arrested in England, for treason against the British Crown (an offense that carried a dreadful punishment), after falsely accused of being a spy to the French by the two British

spies (John Barsad and Roger Cly), he is subjected to a fair trial, and then acquitted. The British

5

court decides that Sydney Carton and Charles Darnay's resemblance in appearance is reason enough to assume that it wouldn't be just to hang the latter for treason. Thereby, the case of the resemblance stands against condemning an innocent man. So, "by incorporating Charles's English court case into the novel, Dickens proves that the English justice system can never be corrupted in the ways that the French one will be."⁽⁷⁾ Thus, the government there laid a community culture of respect for the Constitution and the Law. In England, the Constitutional Monarchy is characterized in that the rule of law is king, yet with no actual power. The thing that the readers have witnessed in practice through Darnay's first trial by the British court and observe that things are not mess and do not take place without revisions and corrections. Whereas in the second city i.e., Paris, things extremely differ. In France, as the novelist points out, the exclusionary culture prevails.

In *Book 1, Chapter 6* entitled "*The Shoemaker*", the novelist continues to reflect some of the bright aspects of the first city against those dark aspects of the second, i.e. Paris. When Mademoiselle Lucie Manette accompanied Mr. Jarvis Lorry (an elderly businessman who works for Tellson's Bank, and who has taken the responsibility to carry the infant Lucie to England after her father's imprisonment and her mother's death) to France for the purpose of meeting and identifying her father (whom she was denied for many years) she states the merit of the life in England. She tells her mentally-disturbed father:

If, when I tell you, dearest dear, that your agony is over, and that I have come here to take you from it, and that we go to England to be at peace and at rest, I cause you to think of your useful life laid waste, and of our native France so wicked to you, weep for it, weep for it! (ATTC, p.46)

She asks Mr. Lorry to speed up the procedures for the purpose of leaving France as soon as possible "so that, from the very door, he could be taken away -." (ATTC, p. 47) Replying to Mr. Lorry's question whether her weak old father fits for the journey, Lucie insistently confirms that he is "[m]ore fit for that ... than to remain in this city, so dreadful to him." (ATTC, p. 47)

6

Even Monsieur Ernest Defarge, (a wine shop owner in the poor Saint Antoine section of Paris, and who formerly worked as a servant for Doctor Manette, and with whom the doctor was in custody) agrees with her stressing the necessity of speeding to remove the doctor "for all reasons, best out of France" (ATTC, p. 47), his native homeland.

The strict laws of England is highlighted in the *Second book, Chapter 1*, entitled “*Five Years Later*” where the novelist sheds light on the strict laws of one of the English institutions, Tellson Bank (for which Mr. Jarvis Lorry faithfully works), stressing that anyone who forged documents, wrote bad checks, or opened someone else’s mail was put to death. Even those who stole as little as forty shillings and sixpence were sentenced to death. Anyone who stole a horse from the front of Tellson’s Bank or who made fake money was sentenced to death. The people who handled three-quarters of all the money used in crime were put to death. (*ATTC*, p. 54)

In *Book 2, Chapter 2*, entitled “*A Sight*”, the novelist again stresses the lawful system of England’s institutions of law during the year 1780. He gives a detailed scene of the court room at the Old Bailey Courthouse where a young man is about to be judged for being suspected of treason against England (on a case of passing documents, concerning the English king’s forces, into the French hands), and who later on turned out to be Mr. Charles Darnay. He is accused of this because of a false accusation by an English man named John Basard (who later on, precisely in *Book 3, Chapter 8*, turned out to be Miss Pross’s brother Solomon) who confirms that Darnay has been involved in suspicious acts of providing English secrets to the French. Nevertheless, when he is asked by Mr. Stryver, a lawyer and a longtime friend of Sydney Carton (a barrister and assistant to Mr. Stryver), if he is certain that it was the prisoner, especially after asking him to look over at a gentleman in the court, i.e., to Mr. Carton (who bears a strong resemblance to the accused), the witness cannot verify which man is which. Thereby, his testimony is brought into question. Accordingly, Charles Darnay is acquitted of all the charges against him. So, what the novelist seems to render by this court scene is a case in which all the witnesses, the lawyers, and the judges

7

are natives, and only the accused is a foreigner who is accused of treason against their country, yet he is released when the charge against him has not been confirmed. Thus, in this country law says the last word, so to speak, as the novelist tries to say. More than this, Mr. Stryver himself submitted his apology to Mr. Darnay for this “infamous prosecution, grossly infamous” (*ATTC*, p.80), as he calls it.

Since he adopted the method of contrast and comparison in conveying his ideas, Dickens devoted pages of his novel to convey the image of the law in France before the Revolution when the king was the absolute power to make laws. In *Chapters 7 and 8* of the *Second Book* of this novel, he moves to depict the life in France before the Revolution which began in 1789. It is important to note here that since the

novel deals with a historical subject, the novelist relied on a historical reference like Thomas Carlyle's *The French Revolution*⁽⁸⁾, to the extent that "[the] similarities between Carlyle's *The French Revolution* and Dickens's *A Tale of Two Cities* are undeniable"⁽⁹⁾, as Alev Baysal puts it. The French royalty in the years before the Revolution was an example of extreme corruption. The doctrine of the divine right has resulted in severe abuses of the people's rights there. The people there, if they were in the towns or the country, suffer from extreme poverty. Everything there is submitted to unfair taxation. Accordingly, they were exhausted by a lot of taxes – "the tax for the state, the tax for the church, the tax for the lord, tax local and tax general, were to be paid here and to be paid there." (*ATTC*, p, 114) All the people of the village, as the persona explains, "were poor ..., shredding spare onions and the like for supper, while many were at the fountain, washing leaves, and grasses, and any such small yieldings of the earth that could be eaten." (*ATTC*, p. 114) All were under the abusive practices of the noble class represented here by the Marquis St. Evrémonde, who was, in fact, Charles Darnay's cruel uncle, and who comes to be an exact portrayal of the French gentry before the Revolution. He tries to convince his nephew about his philosophy that justifies his malicious treatment towards his subjects, stressing that "[r]epression is the only lasting philosophy. The dark deference of fear and slavery ... will keep the dogs

8

obedient to the whip, as long as this roof ... shuts out the sky." (*ATTC*, p. 124) In fact, it is the intolerance and excessive cruelty of such a character, who believes that it is the commoner's lot in life to struggle and suffer, what serves to light the spark of the revolution. The feeling of superiority on the part of these aristocrats is mocked by the narrator who metaphorically likens both sides of the French people (the royalists and their subjects) to two heaps of flies which the decease of one group of them "made no impression on the other flies out promenading, who looked at them in the coolest manner (as if they themselves were elephants, or something as far removed), until they met the same fate." (*ATTC*, p. 181) Then he goes on contemplating that "how heedless flies are! – perhaps they thought as much at the Court that sunny summer day" (*ATTC*, p. 181), in a reference to the royals who, as Monsieur Defarge says, "believe that it will last for ever." (*ATTC*, p. 176)

In addition to all the severe practices and the policy of indifference towards the poor, all means of punishment were adopted to punish all those tempted to rebel against the masters. In *Chapter 15*, the novelist renders an extreme scene of violence and intolerance against humanity when he describes, on the tongue of Jacques (the road mender), the preparation for the execution of Gaspard (the father of the child

that was killed by the Marquis) just to show the fate of servants who murder their masters. It was rumored, as the road mender explains to Monsieur Defarge and the other men all called Jacques, that Gaspard would be tortured – that his right hand, holding the knife, will be burned off in front of his eyes, and they would make wounds in his arms, chest, and legs and pour boiling oil, melted lead, hot resin, wax, and sulfur into them. Finally, they will tear his arms and legs off by four strong horses, (*ATTC*, p. 172) i.e., he will be quartered just like another man named Damiens who was (as one of the men called Jacques recalls) severely tortured years before. By depicting such horrible scenes, the novelist wants here to emphasize that such violence, which always prevails in countries that is having no regard for the law, is responsible for creating intolerant creatures that live just for seeking revenge. In *Chapters 15 and 16*, Dickens introduces his readers to such a character like Madame Defarge, who is an embodiment to the concept which confirms that intolerance only begets intolerance, about

9

her the persona indicates that “there were many like her—such as the world will do well never to breed again.” (*ATTC*, p. 187) Through a conversation between Madame Defarge and her husband, she confirms her confidence of a coming revolution which will “[grind] to pieces everything before it.” (*ATTC*, p. 180)

After years of waiting and of preparing “for an earthquake to swallow a town” (*ATTC*, p.180), as Madame Defarge demands, the revolution comes advancing in the mid of July 1789, when “[a] tremendous roar arose from the throat of Saint Antoine, and a forest of naked arms ... clutching at every weapon or semblance of a weapon” (*ATTC*, p. 216) headed towards “The Bastille”, the medieval fortress and prison in Paris, which contained only seven prisoners who were “suddenly released by the storm... ” (*ATTC*, p. 222) However, though the crowd’s earlier aim was to storm the prison, the secret cells, and the instruments of torture, which were the symbols of the abuse of the monarchy, the invasion turned to a blind guillotine, as soon those poor angry men turned to a group of sadist killers who began to overthrow the neck of anyone who stands against them. According to Robert Barnard “The basis of Dickens’s art ...was his eye for the extreme, the grotesque, [and] the abnormal.”⁽¹⁰⁾ In *A Tale of Two Cities* – the extreme, the grotesque, and the abnormal are reflected through such characters as – Madame Defarge; Jacques Three (a cruel, bloodthirsty man and who later on controls the jury at the prison tribunals); The Vengeance (a vicious woman); and others. It is through these characters, the readers come to touch a relentless thirst for vengeance. When Mr. Defarge caught one of the officers (the man who had gray hair – which is an indication to his old age) to inform him about the meaning of “One

Hundred and Five” and to show him “the North Tower”, the place where Dr. Alexandre Manette was unjustly imprisoned, Jacques Three asked Mr. Defarge to “[kill] him!” (ATTC, p. 219) He even was “disappointed by the dialogue taking a turn that did not seem to promise bloodshed.” (ATTC, p. 219) Even the women, led by Madame Defarge who told them that they “can kill as well as the men” (ATTC, p. 218), took their roles in the process of killing – Madame Defarge, whose “resolute right hand was occupied with an axe, in place of the usual softer

10

implements, and in her girdle were a pistol and a cruel knife” (ATTC, p. 217), harshly participated in the killing of the grim old officer who,

began to be struck at from behind; remained immovable close to him when the long-gathering rain of stabs and blows fell heavy; was so close to him when he dropped dead under it, that, suddenly animated, she put her foot upon his neck, and with her cruel knife—long ready—hewed off his head. (ATTC, pp. 221-222)

Then, in the *Hotel de Ville* where the governor’s body lay, “she had trodden on the body to steady it for mutilation.” (ATTC, p. 222) The same sense of intolerance is shown against old Foulon, a rich man who once told the peasants that if they were starving, they should eat grass. Though he faked his death to escape the anger of the revolutionaries, they eventually got to him, hang him, put his head on a pike, and stuffed his mouth with grass. (ATTC, p. 227) Also, the same cruelty was adopted against another enemy of the people, Foulon’s son-in-law (who was coming to Paris guarded by five hundred cavalry). They put his head and his heart on pikes and carried them with the old Foulon’s head, through the streets in a parade. (ATTC, p. 227)

Thus, Paris at that time was “a disorganized city” (ATTC, p. 238), as Darnay calls it; or a city of chaos where there is no safety for anything “for who can say that [it] is not set afire to-day, or sacked to-morrow! (ATTC, p. 239), as Mr. Lorry expects. The absence of law turns it into a city where – violence, revenge, and retaliation were the new prevailing laws. A completely new city ruled by a “butcherly mob” (ATTC, p. 242), as Mr. Stryver labels the revolutionaries. The self-appointed Tribunals and revolutionary committees were established randomly all over the country. Their new decrees do not differentiate between the innocent and the guilty ones. All were condemned, to the extent that “prisons gorged with people who had committed no offence, and could obtain no hearing.” (ATTC, p. 278) All were ended under the “the sharp female called La Guillotine” (ATTC, p. 278), which, according to the narrator, “was the sign of the regeneration of the human race. It superseded the Cross. Models of it were worn on breasts from which the Cross was discarded, and it was bowed believed in where the

11

Cross was denied.” (ATTC, p. 278) Thus, in England people were subjected to the rule of law and governed by accepted rules, while in France, in both periods, i.e., before and after the revolution, people were governed by the arbitrary decisions of rulers. Hence, the novelist calls for his second lesson or message that he implies in this novel which is the call for the rational dialogue and national reconciliation.

II

The Second Lesson – National Dialogue and Reconciliation

Often the political upheaval after any revolution or any liberation movement leaves its negative impact on the social fabric of people of the same country. In *A Tale of Two cities*, the novelist revolves around this issue when he tackles the situation in France after the revolution, in particular.

Through the portrayal of such scenes of violence and of such violent characters, Dickens, on one hand, necessitates the need to resort to dialogue by giving priority to the language of reason over the language of force and extremism. It is important to note here that the character of Charles Darnay is observed by many critics that it comes to be “the accredited representative of Dickens in the novel, ... It has been noted, interestingly enough, that he shares his creator’s initials...”⁽¹¹⁾ The same matter was observed by other critics who remark that Darnay “who even shared his initials with Charles Dickens”⁽¹²⁾, is amongst the male characters in the novel that “are seen as projections of the author.”⁽¹³⁾ Accordingly, the character of Darnay comes to stand for the author’s opinion in this novel in calling the people to listen to the voice of reason. In *Book 2, Chapter 24*, entitled “*Drawn to the Loadstone Rock*”, Darnay, sad to see what had happened to his country, tells Mr. Lorry about his intention to go back to Paris, “that one might be listened to, and might have the power to persuade to some restraint.” (ATTC, p. 238)

Even after three years of it, precisely in the year 1792, the revolution continued to be a revolution of anger, recklessness, and revenge, to the

12

extent that the revolutionaries began to take revenge even on those who have not their hands stained with the blood of the poor. The atmosphere in this country

was paralleled with the atmosphere of the ocean which, as the narrator states, “had now no ebb, but was always on the flow, higher and higher, to the terror and wonder of the beholders on the shore.” (*ATTC*, p. 236) Even after the aristocrats were gone, the revolutionaries decide to avenge themselves upon anyone who had a relationship with the nobles, amongst those was Gabelle, the man charged with keeping up the Evrémonde estate after the Marquis’ death. News of his ordeal reached Darnay by a letter telling the latter of the mistreatment and horrors that he had seen, appealing to him, at the same time, to come to France to save him. Hence, driven by a strong desire to do something to stop the bloodshed, and assert the claims of mercy and humanity, Darnay decides to travel to France, his native homeland. His decision to take this journey, at this horrible time, was likened to the journey of the old mariner, in an allusion to Samuel Taylor Coleridge’s poem, “The Rime of the Ancient Mariner”. In doing so, Dickens wants here, from one perspective, to allude to Darnay’s real intention to be a means for transcending unpleasant circumstances by calling for the language of reason. In this respect, the narrator illustrates that,

[his] latent uneasiness had been, that bad aims were being worked out in his own unhappy land by bad instruments, ... With this uneasiness half stifled, and half reproaching him, he had been brought to the pointed comparison of himself with the brave old gentleman in whom duty was so strong. (*ATTC*, p. 245)

From another perspective, to hint at a hidden sin in Darnay’s life, though he is not responsible for – as the poem tells the story of an ancient sailor “mariner” who “commits a crime against the divine law of love and as a result there is an upheaval both in the internal world of his mind and in the external world of nature”(14). So, as soon as he reached his homeland, he was arrested (two times) and confined to a prison called La Force (where he is tried twice). The first one for the crime of being an emigrant aristocrat which lasted “one year and three months” (*ATTC*, p. 279), the second time because he is a member of the Evrémonde family, after Madame Defarge reveals that

13

he is the nephew of Marquis St. Evremonde who was with his brother (Darnay’s father) responsible for raping and killing members of a peasant family, which, later on, turned out to be Madame Defarge’s family.

Unfolding the story of the peasant family and all its consequences, Dickens at this stage wants to raise the question of national reconciliation between the oppressed and the oppressors, especially those who have not stained their hands with the blood of innocent people and those proponents of social justice and equality,

like Darnay himself who has not committed any wrong against the poor people. On the contrary, he sympathizes with them, telling Mr. Lorry that “[one] cannot help thinking, having had some sympathy for the miserable people, and having abandoned something to them.” (*ATTC*, p. 238) In addition, he has instructed Gabelle to ease the burden on them and not to collect rent and allow them using the resources of his property. Tried in vain, Darnay protests and reminds his jailers of his rights, exclaiming “[under] what law, and for what offence?” (*ATTC*, p. 256), asking them, as they take him to the prison, that “[he is] not to be buried there, prejudged, and without any means of presenting [his] case?” (*ATTC*, p. 257), and reminding them, at the same time, of his irresponsibility for the atrocities committed against the innocents of the French people – “[but] never by me” (*ATTC*, p. 258), as he tells Mr. Defarge. Nevertheless, as the author depicts in his novel, the abolition of the legal institutions, and the establishment of a new kind of law where the judge is he himself the executioner, led to the prevailing of the law of the jungle, so to speak. In the prison, as Dr. Manette observed, “a self-appointed Tribunal sitting, before which the prisoners were brought singly, and by which they were rapidly ordered to be put forth to be massacred, or to be released, or (in a few cases) to be sent back to their cells.” (*ATTC*, p. 274) A point that has been given another emphasis in order to stress the importance of law:

Before that unjust Tribunal, there was little or no order of procedure, ensuring to any accused person any reasonable hearing. There could have been no such Revolution, if all laws, forms, and ceremonies, had not first been so monstrously abused, that the suicidal vengeance of the Revolution was to scatter them all to the winds. (*ATTC*, p. 321)

14

Hence, the novelist again necessitates the need to the reconciliation process which, in turn, necessitates the need to activate the law by establishing the foundation of justice in order that – those who are found to be guilty of any crime could be prosecuted in a fair and just judiciary system, also to protect the innocents, and at the same time to prevent this process of being sabotaged by agents of violence.

The second character that tends to resort to reason, though his position is weak against that of his wife, is Ernest Defarge who objected, though timidly, “but one must stop somewhere. After all, the question is still where?” (*ATTC*, p. 344), contemplating here on the question of the moral commitment of the revolution. And when his wife mentions the expression “[at] extermination”, as defining the point where to stop, he calls her, rather troubled, to contemplate on those innocent people who have nothing to do with the suffering of the poor people (naming

as an example – Dr. Manette and his daughter Lucie), contemplating here on the issue of extremism which is completely rejected by the writer himself and by the English people in general who are well known for their tolerance. That is why the scenes of extreme poverty and misery of the poor peasants (this novel abound with) are purposely juxtaposed with the scenes of carnages and horrors that were occurred every day in France after the revolution to register his sympathy with those oppressed poor people, and at the same time to register his attitude and rejection towards such bloody deeds that were committed against both – the guilty and the innocent. Hence, the novelist's implied call for national dialogue and reconciliation which are done for the most part through resorting to the voice of reason, following the values of peaceful coexistence, and embracing the value of tolerance, which comes to be Dickens' third lesson in this novel.

III

The Third Lesson – Tolerance

Tolerance is a humanitarian and moral principle; a sense of compassion

15

and empathy that should be practiced at the level of individuals, groups, and nations, especially at times of wars and internal conflicts. In *A Tale of Two Cities*, Charles Dickens has focused on the value of tolerance which is expressed through the dialogue and through the portraying of some of the characters in the novel. In fact, the writer has presented most types of tolerance as, for example – the intellectual tolerance, which means respect for etiquette and dialogue conversation, which is shown through the character of Mr. Lorry through whom the readers gain insight into an example of a British gentleman who, in spite of his high position, behaves with the utmost respect towards others even those of a lower class, such as Mr. Cruncher and Miss Pross. The domestic tolerance, which is based on respect and compassion among members of the same family, which is shown through the character of Mrs. Cruncher, a pious woman whose incessant praying on her husband's behalf enrages him and accordingly is frequently beaten for it for she does not approve of his second profession as a grave robber. Nevertheless, she tolerates her husband's maltreatment towards her hoping that he quits it, the matter that has some bearing on events later on. In this respect Mrs. Cruncher has been observed as one of Dickens' characters which reflects the writer's tolerance towards Roman Catholics as she "prays repeatedly for her husband despite his violent insistence that she stop[s]"(15), as Ken Stephenson puts it.

A much more important among these types of toleration is the political tolerance

that has been given a special emphasis in this novel, and which means the recognition of the universal human rights and fundamental freedoms of others. In such circumstances of wars and internal conflict, as the novel shows, it means forgetting the painful past and giving up the desire to hurt others for any reason that has occurred in the past.

Though in most of his art, Dickens exposes social injustice, attacks some of the laws, especially those affecting the life of the poor, and constantly calls (in most of his literary works) to the need for social reform, to the extent that critics observe that “[t]here are many indications that he was half-way towards being a revolutionary, and in many of the later novels he was to attack the corruptions of his time”(16), in *A Tale of Two Cities* he elevates the

16

theme of tolerance. According to Sir Ifor Evans, “[r]eason and theory he distrusted, but compassion and cheerfulness of heart he elevated into the supreme virtues.”(17) That is why, in one of its aspects, the novel registers a call for tolerance and amnesty. According to an opinion translated from the French philosopher Voltaire (pseudonym of François-Marie Arouet), “[w]hat is toleration? It is the appurtenance of humanity. We are all full of weakness and errors; let us mutually pardon each other our follies — it is the first law of nature.”(18) Hence, the novelist deliberately sketches some of the characters of the novel with certain aspects of weakness and errors, but when it comes to the issue of humanity, soon their negative qualities transcend on that human good ones. Notwithstanding the bad behaviour of Mr. Cruncher (a porter and messenger for Tellson’s Bank and Jarvis Lorry’s bodyguard, and who is described as “an odd-job-man” whose secretly side job is to act as a grave robber, which involves digging up dead bodies and selling their parts to doctors to use them in their studies) towards his wife, in a conversation with one of the oldest clerks of the bank around the trial of a prisoner who is accused of treason, Jerry exposes his true human nature. He wonders how barbaric “[that’s] quartering” (*ATTC*, p.60) which is one of the adopted methods of torture and punishment that was inflicted on the pitiful prisoners, and which was an accepted form of punishment during the Elizabethan England.(19) According to him “[it’s] hard in the law to spile a man ... It’s hard enough to kill him, but it’s [v]ery hard to spile him” (*ATTC*, p. 60) When the man at the door in the court expresses to him his brutal desire on seeing the prisoner being punished with the most severe methods of punishments, i.e., “the quartering”, Jerry’s somewhat rhetorical question correcting “[i]f he’s found [g]uilty, you mean to say?” (*ATTC*, p. 62) Thus, what Dickens wants to manifest here, is that while for the most part of the novel Jerry acts as a sinful man, he, when things come to the destiny of a human being, stresses that law must be activated. In doing so, Dickens wants to reflect that the English people are governed by laws. In fact, the conversation between Jerry Cruncher and this man seems to be deliberately formulated here to remind

of a time period in the history of Great Britain, when the above mentioned punishment “was the ultimate punishment

17

available in English law for men who had been convicted of High Treason,”(20) and when there was no tolerance towards others, until it was abolished in 1870. Here the man gives a detailed description of the death penalty (adopted at that time) he wishes to be applied on the accused, i.e., on Darnay:

he'll be drawn on a hurdle to be half hanged, and then he'll be taken down and sliced before his own face, and then his inside will be taken out and burnt while he looks on, and then his head will be chopped off, and he'll be cut into quarters. That's the sentence. (ATTC, p. 62)

The conditions in France after the revolution were wild. People had gone nearly insane, to the extent that the period was labeled as “the Reign of Terror”. In one of its varied themes, the novel revolves around the problem of violence that accompanies most revolutions. The revolutionaries turn into mere beasts whose ultimate goal is to hunt their prey. All the aristocrats and even those who work for them were met with violent actions from revolutionaries, or those who called them republicans. Nevertheless, there are some of the characters who transcend this vengeful spirit; like the character of Dr. Manette who, in spite of his agonies, chooses to tolerate his enemies. He tells his daughter that “[there] was a time in [his] imprisonment, when [his] desire for vengeance was unbearable.” (ATTC, p. 190) Nevertheless, he rises above this base instinct by putting the general interest of the country and its people above revenge, as he (after the revolution) becomes the head medical inspector of three prisons filled with prisoners most of whom are from the noble gentry. He even chooses to pardon Charles Darnay and accepts him as husband to his daughter though the latter is a member of the Evrémonde family that was responsible for his unfair imprisonment for eighteen years; and even though he has denounced it, at an earlier time, in his letter that ended with his curse of condemnation on the family and its coming generation:

But, now I believe that the mark of the red cross is fatal to them, and that they have no part in His mercies. And them and their descendants, to the last of their race, ... I, Alexandre Manette, unhappy prisoner, do this last night of the year 1767, in my unbearable agony, denounce to

18

the times when all these things shall be answered for. I denounce them to Heaven and to earth.” (ATTC, p. 337)

It is important to note here that the novelist has focused on the name Evrémonte as a symbol of the blind hatred against anyone who belongs to the class of aristocracy, even if he or she was innocent. Unlike Madame Defarge who is obsessed with vengefulness against anyone that belongs to this family, to extent that she observed all aristocrats as members of it, Dr. Manette has chosen to resort to tolerance and to the justice of Heaven and the law.

The other character through which the novelist reflects the merit of tolerance is Miss Pross, a servant and a governess who takes care of Lucie Manette from the time the latter was orphaned, and who almost acts as a fairy godmother to Lucie, as she is always there to help her. In *A Tale of Two Cities*, the novelist focuses primarily on this character which acts as a major character, along with the other major characters to explain this theme, i.e., tolerance. Tolerance is what sets her (and all those she comes to represent) apart from those who take from intolerance and revenge a means to life. Dickens, in this novel, uses her to raise multiple issues. On one hand, she comes to stand for the traits of forgiveness, kindness, self-sacrifice, and more precisely of tolerance of the British people. Notwithstanding that she is a mere servant, Miss Pross; however, does not hate or bear any grudge against her high class masters. When Madame Defarge comes to the Manettes' residence in Paris to kill the other members of Darnay's family, i.e., Lucie Manette and her little daughter, because they belong to the Evrémonte family, Miss Pross fiercely faces off the foreign woman identifying herself to her by saying:

I am a Briton...I am desperate. I don't care an English [t]wo pence for myself. I know that the longer I keep you here, the greater hope there is for my Ladybird. I'll not leave a handful of that dark hair upon your head, if you lay a finger on me!" (ATTC, p. 373)

She herself refuses the liberty that associated with blood and violence as she explains to Dr. Manette when he mentions the word "liberty", asking him

19

not to "talk about Liberty; [telling him that they] have quite enough of that" (ATTC, p. 295), after what she has witnessed in France after the revolution. On the other hand, though indirectly, she stands for the idealism of the British people. Here, the novelist uses her to a great effect, as she personifies order and loyalty – loyal to her mistress, loyal to her job, loyal to her country and her king. The monarchy for her and her people represents history and formality. She explains to Lucie that "[she is] a subject of His Most Gracious Majesty King George the Third" (ATTC, p. 295), proceeding that her maxim, (which is composed from a few lines of the song 'God Save the King' – the national anthem of the United Kingdom) is, "Confound their politics, Frustrate their knavish tricks, On him our

hopes we fix, God save the King!" (ATTC, p. 295) It is through this character, the novelist presents the British people who are well-known for their tolerance, which tends to be a national virtue that discriminates them.

Reading Charles Dickens' novel *A Tale of two Cities* leads the readers, maybe, to compare between its events with the events of the contemporary scenes around the world. As there is hardly any spot in the world that does not suffer from political, social, or religious disruption, a matter which necessitates revolutionary uprisings, that lead, in turn, to internal and external conflicts, and civil wars, especially in a world in which the language of wars, the ideology of the coup, the logic of violence, the spirit of exclusion, and the policy of forced displacement are becoming the prevailing culture.

To conclude, *A Tale of Two Cities* is definitely a sentimental piece of entertainment, yet it takes a bit of thought. Through it Charles Dickens has shifted to the field of politics. He has abandoned his comic style of writing to stress more serious themes and send a message which is composed of three lessons to humanity around the world:

- * In the first place, the novel often considers the importance of law and how it actually should be. Essentially what Dickens wants to say through this lesson, as the study proposes, is that societies devoid of law are at risk of chaos and savagery. On the other hand, he takes this novel as a platform to

20

- * call for the state of law, where everybody is subjected to constitutional and legal frameworks. Thus, through this paper, a message to whom it may concern, especially those living in places suffering from such circumstances mentioned above, and in order to lay the foundations of democracy for which the revolution or any uprising is lunched, is to activate the spirit of the law by providing a fair trial for the symbols of the previous regimes, and condemn those criminals whose hands stained with the blood of the innocents.
- * By adapting the national dialogue and reconciliation as a bridge to reach a safe transformation is one of the ways to achieve peaceful coexistence. In the novel, the potential for a meaningful and constructive dialogue is encouraged by the novelist through the character of Darnay to stop bloodshed in his homeland. Thus, Dickens' second lesson is that the world's order and peace cannot be established if the conflicting parties are not willing to solve their conflicts by resorting to national dialogue and reconciliation.
- * The ability to exercise an objective attitude towards those differ from us in

class, nationality, religion, etc., is Dickens' third lesson which is shown through some of the characters, especially Miss Pross who stands for the British people. By this lesson, he wants to stress that in time of conflict, it is tolerance what brings people of a community together. Besides, it is the mark of a civil society. Last and most importantly, it is essential in any country that suffers internal conflict to adopt tolerance and forgiveness as a means to reach a safe shore, as practiced, in different periods of time by, for example: the Prophet Mohammed (PBUH), Mahatma Gandhi, Nelson Mandela, and others who transcend above hatred and revenge to build societies of love, justice, and peace.

21

Notes

- (1) Brian Bartell, "A Tale of Two Cities", available from: www.abebooks.co.uk/, (30-5-2016), p. 1.
- (2) Philip V. Allingham, "A Tale of Two Cities" (1859): A Model of the Integration of History and Literature", available from: ww.victorianweb.org/authors/.../2cities/Pva212.html, (29-6-2016), p. 1.
- (3) Amy S. Watkin, *How to Write about Charles Dickens*, with an "Introduction" by Harold Bloom, (New York: Bloom's Literary Criticism, 2009), p. 187.
- (4) John B. Lamb, "The Novel as Asylum" in Harold Bloom (Ed.), *Charles Dickens's A Tale of Two Cities*, (New York: Chelsea House, 2007), p. 81.
- (5) Charles Dickens, *A Tale of Two Cities*, (New York: Bantam Dell, 2003), p. 3. All subsequent quotations from the book are taken from this edition. The page numbers being incorporated into the text are preceded by the abbreviation A TTC.
- (6) John Lucas, *Charles Dickens: The Major Novels*, (Harmondsworth: Penguin Books Ltd, 1992), p. 12.
- (7) Natalia Barolo, "A Tale of Two Cities", available from: nataliabarolo.blogspot.com/, (2-7-2016), p. 1.
- (8) Alev Baysal, "Carlyle's Influence upon A Tale of Two Cities (1859)", available from: www.victorianweb.org/.../dickens/2cities/baysal1.html, (18-6-2016), p. 3.
- (9) *ibid.*
- (10) Robert Barnard, *A Short History of English Literature*, (New York: Basil Blackwell, 1984), p. 109.

22

- (11) John Gross, "Carton and Darnay" in Harold Bloom (Ed.), *Charles Dickens's A Tale of Two Cities*, (New York: Chelsea House, 2007), p. 78.
- (12) Colin Jones, Josephine McDonagh, and Jon Mee (eds.), in an "Introduction" in *Charles Dickens, A Tale of Two Cities and the French Revolution*, 2009, available from: www.palgraveconnect.com/, (16-5-2016), p. 3.

- (13) *ibid.*
- (14) Unsigned Article, "The Rime of the Ancient Mariner: Samuel Taylor Coleridge –Summary and Critical Analysis", available from: [www: bachelorandmaster.com/...](http://www.bachelorandmaster.com/...), (24-6-2016), p.1.
- (15) Ken Stephenson, "Dickens and Christianity", available from: exlibris.magnis.blogspot.com/..., (11-6-2016), p. 1.
- (16) Sir Ifor Evans, *A Short History of English Literature*, (Harmondsworth: Penguin Books Ltd, 1963), p. 179.
- (17) *ibid.*, p. 182.
- (18) See "Philosophical Dictionary, by Voltaire", available from: ebooks.adelaide.edu.au/v/voltaire/dictionary/chapter452.html, (14-7-2016), p. 1.
- (19) Liza Picard, "Crime and Punishment in Elizabethan England", available from: <https://www.bl.uk/...>, (8-10-2016), p. 1.
- (20) Tim Lambert, "16th Century Punishments", available from: www.localhistories.org/tudorpun.html, (14-6-2016), p. 1.

23

Bibliography

- Allingham, Philip V. "A Tale of Two Cities" (1859): A Model of the Integration of History and Literature". Available from: www.victorianweb.org/authors/.../2cities/pva212.html, (29-6-2016).
- Barnard, Robert. *A Short History of English Literature*. New York: Basil Blackwell, 1984.
- Barolo, Natalia. "A Tale of Two Cities". Available from: nataliabarolo.blogspot.com/.../a-ales-of-two-cities.html, (2-7-2916).
- Bartell, Brian. "A Tale of Two Cities". Available from: www.abebooks.co.uk/. (30-5-2016).
- Baysal, Alev. "Carlyle's Influence upon A Tale of Two Cities (1859)". Available from: www.victorianweb.org/.../dickens/2cities/baysal1.html, (18-6-2016).
- Dickens, Charles. *A Tale of Two Cities*. New York: Bantam Dell, 2003.
- Evans, Ifor. *A Short History of English Literature*. Harmondsworth: Penguin Books Ltd, 1963.
- Gross, John. "Carton and Darnay" in Harold Bloom (Ed.), *Charles Dickens's A*

Tale of Two Cities. New York: Chelsea House, 2007.

- Jones, Colin. Josephine McDonagh, and Jon Mee (eds.). In an “Introduction” in *Charles Dickens, A Tale of two cities and the French Revolution*, 2009. Available from: www.palgraveconnect.com/, (16-5-2016).
- Lamb, John B. “The Novel as Asylum” in Harold Bloom (Ed.), *Charles Dickens’s A Tale of Two Cities*. New York: Chelsea House, 2007.
- Lambert, Tim. “16th Century Punishment”, available from: www.localhistories.org/tudorpun.html, (14-6-2016).
- Lucas, John. *Charles Dickens: The Major Novels*. Harmondsworth: Penguin Books Ltd, 1992.

24

- Picard, Liza. “Crime and Punishment in Elizabethan England”. Available from: [https:// www.bl.uk/...](https://www.bl.uk/...), (8-10-2016).
- Stephenson, Ken. “Dickens and Christianity”. Available from: exlibrismagnis.blogspot.com/..., (11-6-2016).
- Unsigned Article. “The Rime of the Ancient Mariner: Samuel Taylor Coleridge – Summary and Critical Analysis”. Available from: www.bachelorandmaster.com/..., (24-6-2016).
- Unsigned. “Philosophical Dictionary, by Voltaire”. Available from: <https://ebooks.adelaide.edu.au/v/voltaire/dictionary/chapter452.html>, (14-7-2016).
- Watkin, Amy S. *How to Write about Charles Dickens, with an “Introduction” by Harold Bloom*. New York: Bloom’s Literary Criticism, 2009.

الفهرس

- 5..... نبذة مختصرة عن المجلة
- 9..... كلمة التحرير
- د. علي عبد الهادي عبد الأمير / د. صباح أنور الصالحي اتجاهات الجمهور العراقي إزاء حملات
- 11..... التسويق الاجتماعي
- د. تغريد ادريب حبيب/ التدفق النفسي وعلاقته بالكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة..... 35
- م. د. أحلام محمد شوّاي الأسدي/ القوة التنظيمية للأستاذ الجامعي ودورها في التحفيز
- الإبداعي للطلبة..... 97
- م. د. عباس علوان لفته الشويلي/ سياسة العزلة الأمريكية منذ تأسيس الدولة حتى الحرب
- العالمية الثانية "بين الدعاية والتطبيق"..... 133
- م. د علي إبراهيم عبيد الموسوي (البصير)/ الكاظمية المقدسة بين النكبات والاعتداءات
- خلال العصر العباسي..... 163
- أ.م.د. علياء محمد حسين الزبيدي/ من رواد النهضة القومية في العراق خالد الهاشمي
- أنموذجاً 1908 - 1985..... 181
- إياد نيسي، الدكتور محمود آبدانان مهدي زاده/ دراسة موضوعية للمديح النبوي في شعر ابن
- مليك الحموي..... 223
- أ.م. حسين علي مهدي/ م. قاسم خليف عمار/ النشاط الدبلوماسي العراقي في السودان
- 1956 - 1963..... 247
- د. كريم علي عبد علي/ «الصراع الكوني» في شعر أبي العلاء المعري..... 269
- أ.م.د. علي حلو حواس/ أ.م.د. خالد خليل هادي/ نظرية التواصل بحثٌ في الأصول
- والتصورات..... 295
- م. بروين حسين علي/ واقع التحصيل الدراسي لطلبة قسم علم الاجتماع..... 319
- أ.م. د. كرنفال ايوب محسن/ تجاوز السلطة البطرياركية في رواية (الطلياني)
- لشكري المبخوت..... 363
- م. د. بشرى عبد الرزاق محمد العذارى/ التحليل الصوتي الأكوستيكي ل (لا النافية)
- و(لا النافية) في القرآن الكريم..... 387

- أ.م.د. صلاح عباس السوداني / محيي الوئيد صعصعة بن ناجية المجاشعي بين
 المروءة وعقدة الذنب..... 401
- أ.م.د. شاكر سعيد ياسين/ دهاء العقل فلسفة هيغل التاريخية والمجتمع العراقي..... 427
- أ. م. د. نزار شكور شاكر/ نقد الشُّعر في كُتب البرامج والفهارس والأثبات
 والمعاجم الأندلسية والمغربية..... 463
- أ.م.د. بسمه كريم شامخ/ م.د. سناء احمد جسام/ أثر أسلوب البنى المعرفية لتعديل الإساءة
 الوالدية لأطفالهم..... 503
- م.م / حيدر صادق ناصر/ أ.د: رياض خليل ابراهيم/ التلطيف في الاعلام السياسي:
 الأنواع والاستخدامات..... 543
- أ.م. سمير عبد الواحد ياسين/م.م. محمد ياسر حمود/ «تحليل شخصيات مسرحية
 (في انتظار غودو) لصاموئيل بيكيت»..... 563
- م.م نوال حمدان محمود/ دراسة في رواية تشارلز ديكنز قصة مدينتين..... 583